عيسى ابو يوسف اللويشي

نايف حواتمه يتحدّث...



اعداد وحوار
عماد نداف

دار المناهل
بيروت

دار الكاتب
دمشق

محسن يوسف اللموشي

نايف حواتمه يتحدّث ...

اعداد وحوار
عماد نداف

دار المناهل
بيروت

دار الكاتب
دمشق

دار الكاتب

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دمشق - سوريا - جانب وكالة الأنباء (سانا)

ص.ب: ٣١٦٦١ - ☎ ٢١١٣٠٠٣ ☎ ٢١٢٣٧٥٣

حسن ابو يوسف اللموشي

■ توثيق وهوامش : علي بدوان

أنس أ. حواتمة

■ تصميم الغلاف والإخراج : الفنان ناصر الجليلي

■ شاركت في الإعداد : فرات زكريا

الفهرس

■■ إشارات

● انتهى العمل في هذا الكتاب بتاريخ 20|12|1996.

● سجل مضمون هذا الكتاب على أشرطة كاسيت بصوت السيد نايف حواتمة، ووثقت النقاط المضافة بخط يده، وقد حَضَرَ الحوار كل من السيد علي بدوان سكرتير المكتب الصحفي للجبهة الديمقراطية والصحفية فرات زكريا.

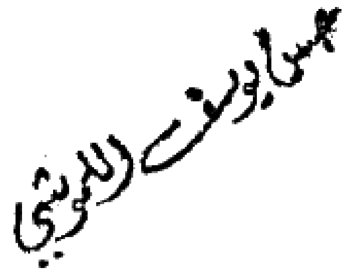
● تطلب إنجاز هذا الكتاب مساهمات هامة من عدد من الكتاب والصحفيين الذين ساعدوا في متابعة الجوانب التأريخية والتوثيقية فيه، نظراً لما استدعته هوامشه من تواريخ ووثائق محددة.

لذلك لابد من توجيه الشكر إل كل من قدم لنا هذه المساهمة القيمة والهامة، ونخص منهم السادة:

- سهيل الناطور - فلسطين.
- جورج ناصيف - لبنان.
- سامي ضاحي - سورية.
- صلاح عيسى - مصر.
- الزملاء في وكالات الأنباء التالية: أ.ف.ب - أ.ب - تاس.

كما نشكر الزملاء في مقرات الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ومجلة الحرية والمكتبة الفلسطينية في مخيم اليرموك.

الفصل الأول



التراجيديا الفلسطينية...
ونايف حواتمة

■ التراجيديا الفلسطينية.. ونايف حواتمة!

القضية الفلسطينية لها إيقاع خاص، وعملية البحث عن خصوصيـة هـذا الإيقـاع تكشـف عـن حرارته العالية! ففي ماضي هذه القضية تبرز أسماء وأحداث لها صفة المأساة المفروضة على الآخـر.. على الفلسطيني: التوراة، وأرض المعياد، والشعب المختار، وهرتزل، وبازل، والاستعمار البريطـاني، وبلفور، والهاغانا، وشتيرن، والمجازر...

كل هذه الأسماء أو الأحداث، كانت تستهدف شيئاً واحداً مباشراً هو: الأرض.. فلسطين!

و كان العرب، في ذلك الوقت، مشغولين: كلٌ في مأساته، بالرغم من أنهم ظنوا أن حقبة الفرح العـالمي، قـد بـدأت بالتصـاعد بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، والانتصـار علـى الفاشـية، وبـالرغم من الأمل الذي بشّرت به قوة الاتحاد السوفييتي، المنتصر، صاحب الثورة البلشفية، التي هزت العـالم في مطلع القرن!

إن قـراءة حركـة الإيقـاع الخـاص للقضيـة الفلسـطينية في تلـك المرحلـة كـانت تنبـيء بقـادم تراجيدي، مفكوك عن المنطق، لأنه يعاكس التاريخ ويتصادم معه تصادماً هستيرياً!! ولقد تسارعت حركة هذا الإيقاع عند التصويت، في الأمم المتحدة، لصالح قيام دولـة إسـرائيل عـام 1947، وهـذا يعني قيام إسرائيل عنوة، وعلى حساب الإنسان الفلسطيني وبيته، وكأنما تَغَلَّبَ داوود على جوليات من جديد، في زمن راهن، ولكن وفق نفس التصور الأسطوري، الذي وضعه كتبة التـوراة في زمـن سحيق ما!

قامت إسرائيل، وكان ذلك أخطر حدث يقع في حياة العرب منذ الحروب الصليبية التي قضّـت مضاجعهم قبل أقل من ألف عام!..

ثم وفي عام 1948، كانت ذروة ذلك الإيقاع، عندما وقعت النكبة، وتقهقر العرب أمام الغربـاء الذين راحوا يطاردون الفلسطيني خارج بيته/ الوطن، إلى الشتات المرير!!.

لقد كان الإحساس بالنكبة شاملاً في أرجاء البلاد العربية. بل وعلى جميع المستويات...

انهزمت الأنظمة، والبنى الاجتماعية كلها... انهزمت الأحزاب والطبقات والأفراد، وبدأ الجميع يبحثون عن السبب، ومن ثم عن الحل!.

كان جمال عبد الناصر ضابطاً صغيراً، محاصراً في منطقة الفالوجا، ومن موقعه كضابط وطني جرحته الهزيمة في صميمه، راح يفكر جدّياً بالرد، من خلال عملية تغيير خاصة، بدأ بصياغتها مباشرة في بلده مصر!.

وكان جورج حبش شاباً صغيراً، يغادر فلسطين مرغماً مع ثمانمئة ألف لاجىء، وسط ضجيج البكاء والقهر الأسطوري، وتحت حراب القتلة.. كذلك اندفع في تفكيره للمطالبة بتغيير العالم، حتى ولو اقتضى الأمر أن يمارس القتل، كما قال للصحفية الإيطالية اوريانا فالاتشي فيما بعد.

وكان نايف حواتمة طفلاً صغيراً، يرقب جموع الجرحى والمصابين القادمين من النكبة، ليساعدهم، ويقدم لهم العون، عندما اكتشف فجأة أن يداه صبغتا بدم الجرحى النازف من أجسادهم!!.

حصل هذا دون أن يعرف حجم الكارثة وأبعادها. وعندما ذهب إلى بيته مساء، لم تقل له أمه أو أبوه: - أين كنت أيها الطفل المشاغب؟

كانا يبحثان، مثل ملايين العرب، عن أجوبة لتساؤلاتهم عما يحصل. لذلك، وببساطة البديهية، وجد الطفل نايف حواتمة نفسه يطرح نفس الأسئلة، التي أخذت تتوالد مع مرور الأيام، ويحاول البحث بجدية عن أجوبة لها.

وفي عملية البحث هذه، نمت الأجيال، وتداخلت الأسماء والأحداث: تغيرت أنظمة عديدة في البلدان العربية، واهتزت البنى الاجتماعية والأحزاب والبرامج والأفراد، وكان الجميع يتسابقون مع الحدث!.

قام جمال عبد الناصر، مع الضباط الأحرار في الجيش المصري بثورة 23 تموز/ يوليو، وفي جعبته ردود على تساؤلات كثيرة كانت أبعد من الحالة الوطنية الضيقة. ثم تحول اسمه إلى رمز قوي، فمعنى سياسي، وأخذت الأحداث تتوالى من حوله!

وكان جورج حبش قد شَكَّلَ (كتائب الفداء العربي)، مع جهاد ضاحي وآخرين، وانطلق يسعى في عملية الرد الانتقامي، التي لم يكن يتصور أبعادها بعد، وكانت الشعارات أكبر من الجسد، فاندفعت الأقدار لتصنع مصائر الناس في دروب تروح في جميع الاتجاهات!.

بعد هذا بزمن، التقى حبش مع حواتمة في عمّان، وعند الانعطاف الكبير صَعَدَ حواتمة من القاعدة إلى قيادة العمل السياسي والتنظيمي لحركة القوميين العرب في الأردن وعلى ضفتي النهر المقدس، بينما تراجعت وانهارت قيادات، ولم يكن حواتمة قد تجاوز التاسعة عشرة من عمره بعد!

وجد نفسه في دوامة الصراع، التي جعلته ينتقل من الأردن إلى سورية إلى شمال لبنان، ثم إلى العراق. وخلال هذه الرحلة النضالية أخذ لمعان نجمه يتصاعد مع كل حدث، وفي كل مفصل جديد!..

كانت حركة القوميين العرب تتأرجح مع المستجدات، ثم أخذت قواها تخور أمام زخم المد الناصري وشهرة البعث العربي الاشتراكي، وأمام حركة الواقع المعقدة.

وشيئاً فشيئاً تنامت أيضاً عملية البحث عن الجديد في الفكر الماركسي، الذي بدأ بالانتشار، وأخذ بدوره يشغل عقول الكثيرين. وكان نايف حواتمة واحداً منهم!!.

خلال ذلك فرضت القضية الفلسطينية نفسها على كل الصعد، وتحول المد القومي المتصاعد إلى مدخل عريض باتجاه حلها. ولم يكن قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 العلامة الوحيدة في هذا الاتجاه، بل كان هناك أكثر من مخاض بدأ يهيىء لولادة جديدة، في وقت أراد فيه جمال عبد الناصر للفلسطينيين أن يعبّروا عن أنفسهم بقوة.

وعلى أرضية تنظيم الفرع الفلسطيني – الأردني لحركة القوميين العرب تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في كانون أول/ ديسمبر 1967، أي بعد هزيمة حزيران/ يونيو، ومن ثلاثة تنظيمات ذات أصول متعددة، وكان نايف حواتمة وجورج حبش من قادتها البارزين.

وبسرعة البرق! وقعت هزيمة حزيران 1967، فهزت كل البنى المُشَكَّلة من جديد، وتعاظم وقعها، فأعاد التاريخ صورة الفجيعة على نحو أوسع.. فذهب ماتبقى من فلسطين، وتمدَّد الأخطبوط الغريب في كل اتجاه: نحو مصر ونحو سورية ونحو الأردن.. ولم يعد الراكضون في البراري أمام وحشية الغرباء الإسرائيليين فلسطينيين فقط، وإنما أضحوا خليطاً عربياً يعمم الهزيمة والمأساة!!

وعلى أنقاض حزيران، صنع نايف حواتمة جبهة جديدة، معلناً انطلاقة أول قوة عسكرية فلسطينية ماركسية تحت عنوان: الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين! من (الجناح التقدمي) في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان ذلك في الثاني والعشرين من شباط 1969...

ومنذ ذلك الوقت، نمت أجيال جديدة، وتداخلت أحداث وأسماء جديدة أيضاً: جاءت حرب أيلول المأساة عام 1970، ثم جاءت حرب تشرين بين العرب واسرائيل، ثم جاءت الحرب الأهلية اللبنانية، ثم جاءت هزيمة العرب الثالثة عام 1982، عندما اجتاح هولاكو الإسرائيلي لبنان بوحشية وسقطت بيروت مضرجة بدمها ودم الفلسطينيين الذين أرغموا على الرحيل عنها...

وخلال ذلك، لم يكن نايف حواتمة في خضم هذه الأحداث مجرد اسم، لقد أضحى حالة فعل. بدأت تماماً مع بداية حالات الفعل الأخرى التي تسجلها الذاكرة العربية منذ مطلع الخمسينات!!.

حالة فعل، عندما نُقلّب بعناية أوراق تاريخ المنطقة العربية بتعبيراتها. وهنا، نراه مشدوداً إلى حالتين: واحدة كانت ملكاً للأمة، هي تجربة جمال عبد الناصر، والحركة القومية العربية. والثانية كانت ملكاً لشعب، وهي: الثورة الفلسطينية.

ومن خلال تداخلات هاتين الحالتين، كان حواتمة يتشبث بالنظرية التي انْشَدَّ إليها منذ أول كتاب ماركسي قرأه في حياته، وهو كتاب لينين: (ماالعمل؟!)!!.

على هذا الأساس، يغدو التاريخ الشخصي لنايف حواتمة فاعلاً ومنفعلاً في سياق تاريخ الحركة القومية، وتجربة عبد الناصر، والثورة الفلسطينية وتطور الفكر الماركسي في المنطقة العربية.

وإذا كان هذا التاريخ، هو عامل الجذب الأساسي، الـذي دفعنـا للتفكير في الحـوار معـه، فإن جرأته السياسية، في أكثر من مرحلة تعطي بعداً آخر لهذا الجذب! وقد ظهـرت هـذه الجـرأة عندمـا حذّر حواتمة عبد الناصر علانية من وقوع الهزيمة، قبل الخامس من حزيران، ثم عندما طالبه شخصياً بوضع برنامج تطهير واسع في مصر بعد وقوع الهزيمة... كما ظهرت هذه الجرأة عندمـا أعلن قيـام الجبهة الديمقراطية مستقلاً عن الجبهة الشعبية، وبعيداً عن جـورج حبـش. وفيمـا بعـد عندمـا طرح موضوع السلطة الوطنية الفلسطينية ومشروع البرنامج الوطني المرحلي، فحاربه الجميع على برنامجه، ثم عادوا وتبنوه بشكل شرعي!!.

وبرغم هذه الجرأة، وذلك الجذب، قلت له مشاكساً: - إننا نميل في عاطفتنا إلى جورج حبـش، وفي عقلنا إلى نايف حواتمة!

وبالطبع لم يُعَقّبْ على قولي هذا، ولاأعرف إذا ما اعتبره نقداً أم إطراءً، لكنه وافق يومهـا على مشروع الحوار معه، دون أن يسأل: لماذا لم تبدأ مع جورج حبش أو أحمد جبريل أو حتى مع ياسر عرفات..

ثم تشعب الحوار، ورأيت نفسي أتذكر الروائي الجزائري الطاهر وطار، الـذي تخيّـل، في روايـة غريبة له (تجربة في العشق)، كيف يمكن استنباط (اللذات الكهربيـة للكـون!!)، و كيـف يمكـن أن يكون نايف حواتمة (محاضراً في اليهود الذين وفدوا مـن خـارج فلسـطين، والذيـن لم تتيقـظ خلايـا الإنسان في أمخاخهم!!!!)

إن الذي يحاور نايف حواتمة يكتشف أموراً قليلة عن عالمه الخاص، لكنه يتعرف على الكثير من سعة اطلاعه وصبره، وربما كانت هذه الصفات، هي التي أوحت للطاهر وطار بتخيله ذاك...

لقد تحول الحوار مع نايف حواتمة إلى عرض للتطورات العربية الصاخبة، مع استشراف للقـادم. ولكن كل شيء في هذا الحوار بدا و كأنه دراما حيّة مثلمـا رآهـا المسـرحي آرثـر أدامـوف في كـل الأشياء العادية من حوله! ولكن الدراما التي نقرؤها في الحوار مع نايف حواتمـة قوامهـا (التراجيديـا الفلسطينية) التي يبرز هو من الشخصيات الرئيسية فيها..

لقد جعلني نايف حواتمة أعيد صياغة مـا رآه أدامـوف ذات مـرة، عندمـا شـاهد متسـولاً أعمـى وأمامه فتاة تعبر الشارع وتغني:

عندمـــا أغمضـــت عيـــني بـــــدا لي العـــــالم رائعـــــاً

ففي (التراجيديا الفلسطينية)، التي يحكي عنها نايف حواتمة، كان الفلسطيني يشـق طريقـه وقـد أغمض عينيه كي لايرى صورة مأساته.

لكنه ومع مرور الأيام، وجد الكثيرين يفعلون مثله، ثم يغنون:

عندمـــا نغمـــض أعيننـــا يبـــدو لنـــا العـــالم ظالمـــاً!

دمشق في 2| 12| 1996

عماد عبد اللطيف ندّاف

الفصل الثاني

عند بوابة الذاكرة

■ عند بوابة الذاكرة

لا يمكن إخضاع نايف حواتمة لعملية تداعٍ قسرية! لذلك تبدو ذاكرته مترِيثة، أو أنه لايريد فتحها الآن للرياح التي تهب من الجهات الأربع!!

وعلى الرغم من أن مشروع حواري معه كان يتعلق بذاكرته، فإنه تمكن فعلياً من تحويل مجراه، فلم تعد الذاكرة تعني العودة إلى الماضي إلاّ بمقدار مايكون ذلك في خدمة الحاضر والمستقبل.

والذين يعرفون نايف حواتمة يدركون هذا، فهو ثوري دؤوب يعكف على نسج رؤيته السياسيه بصبر بينيلوب، ومن قماش متين لايتغير لونه عند الأزمات والمنعطفات.

ولكن محاولاتي في طرق بوابة ذاكرته كانت مفيدة أحياناً، لأنها على كل حال، أعطت ملامح حياة السياسي العربي الصعبة بدءاً من بيئته الاجتماعية ووصولاً إلى الأوسع والأشمل في سيرورة هذه البيئة التي يتفاعل معها.

ولأن نايف حواتمة كان طفلاً عندما وقعت نكبة 1948، ولأن الأطفال في مثل تلك السن يلعبون بالتراب، فقد حاول مثلهم ممارسة هذه اللعبة، ليكتشف أن التراب الذي بين يديه كان مجبولاً بالدم. ففي ذلك الوقت (كان عمري عشر سنوات) كما يقول، (وكانت المستشفيات تعجّ بالجرحى الذين أصيبوا في الحرب التي وقعت. لذلك انخرطت فوراً في العمل لمساعدة الجرحى، وكان دوري، من منظور حماسة الطفل، هو المساعدة على تلبية حاجيات هؤلاء الجرحى الإنسانية)!

وعلى هذا الأساس، انحرف مسار الحوار مع نايف حواتمة، باعتبار أن الذاكرة أضحت في قلب الفعل، يقرؤها هو بمنظار القائد السياسي الذي يعود إلى طفولته...

وفجأة!! امتقع وجهه بصبغة غامقة. وكأنه طفل هَرِمَ بسرعة البرق، وأحس بفقدان مرح وسعادة سنوات الطفولة الآفلة.. فما الذي يريده هذا الصحفي، الذي بدأ حواره بجأر جروح الزمن المستعاد، بتعبير مارسيل بروست؟!

قلت له، وأنا أحدق في ملامح وجهه المتشكلة على هذا النحو:

■ هناك في الذاكرة المحشوة بحكايا الطفل الذي انصبغت يداه بلون دم الجرحى، ثمة سياسي يتشكل، ثمة ثورة رمتها الأحداث في رأسك لتنمو...

هاهي آلة الزمن تعيدك إلى الماضي لتراه...

تمتم نايف حواتمة بكلمات لم أفهمها في أذن مستشاره الإعلامي علي بدوان، ثم قال:

■■ هناك عوامل كثيرة يمكن أن تشكل النواة الفكرية الأولى، إذا صح التعبير، للذاكرة الشخصية المتطلعة لما يدور حولها والتماس معه. لكن هذا برز بشكل أوسع في المراحل التالية: في الدراسة الإعدادية والثانوية، وتحت دويّ الحدث الكبير وصرخات ضحايا المجازر الإسرائيلية، التي تم ارتكابها في قرى وبلدات الضفة الغربية لنهر الأردن.

إن هذا، بالإضافة إلى الاعتداءات الإسرائيلية، شَكَّلَ الروافع اليومية لنضالاتنا المبكرة جداً.

■ وأين كنت تدرس وقتها؟

■■ في عمان.. في كلية الحسين بعمان، وهي الكلية الأبرز في ذلك الوقت. وكانت الإضرابات والمظاهرات تشغل معظم أيام السنة احتجاجاً على مذابح الإسرائيليين واعتداءاتهم.

إن مجازر كفر قاسم، قبية، نحالين، الطرود القاتلة (المفخخة) في غزة كانت بوصلة صخب الطلبة اليومي، وشعارها الشهير في وجه كل مجزرة:

(جندونـــــــا جندونـــــــا

للحـــــــدود أرســـــــلونا)

واحتجاجاً على مواقف قائد الجيش العربي الأردني آنذاك كلوب باشا وزملائه البريطانيين الذين يمسكون مفاصل الجيش وخطواته.

كنت مع مجموعة من الطلاب نشكل قطباً وتجمعاً قائماً بذاته بجوار تجمعات أخرى: شيوعية أو قومية.. بعثية أو إخوانية (نسبة إلى الإخوان المسلمين)...

■ كان ينبغي أن تلتحق بمجموعة من هذه المجموعات، فالمسارات تبدو واضحة أمامك!

■■ لا !...

أقول لك بلغة بسيطة متواضعة: إن مجموعتنا كانت تبحث عن الجمع بين الموقف السياسي السليم تجاه القضايا القومية الكبرى، وأهمها: القضية الفلسطينية والانتماءات العروبية. وبين المعضلات الاجتماعية التي كان الوعي المبكر تجاهها ناجماً عن حالة واقعية ملموسة.

■ كيف؟

أسند رأسه إلى الخلف، ونظر إليّ. رأيت عندها قميصه الأبيض المخطط بلون رصاصي، والمتناسق مع بنطاله الرمادي، وشغلتني هذه الألوان التي أعطت هيبته وقارها، وسمعته يقول:

■■ أنا أنتمي إلى أسرة فلاحية متوسطة تعتمد على الملكية الصغيرة للأرض.. ولكن هذه الأسرة لم تصمد أمام عاتيات الظروف الموضوعية.

كانت الملكيات الصغيرة للأرض تعتمد على مياه الأمطار، وعلى الجهد المباشر لأبناء الأسرة الفلاحية، وأنت تعلم أنه لم تكن هناك أي مكننة زراعية متقدمة تساعد الفلاحين. وبسبب هذه الظروف، وقعت أسر كثيرة، من هذا النوع، ضحية الطور البدائي الزراعي الذي كانت تعيش فيه، وضحية المرابين، وحسن أو سوء الأحوال المطَرِيَّة، لأن الأنهار والسدود والبحيرات ليست موجودة في محيطها..

وبالنتيجة دفع التدهور هذه الأسرة إلى حالة عمالية في المدينة. وأريد أن أضيف أن الحركة الشيوعية لم تكن قادرة على تشكيل عامل الجذب الحاسم، رغم أنها تخاطب المشاكل الإجتماعية. كما أن الحركة القومية لم تكن في صدد إعطاء الأجوبة على هذه المشاكل.

وأنا مع مجموعة الطلاب، في كلية الحسين، كنا نبحث عن دروب تحل هذه المعادلة، التي تجمع بين القضايا الوطنية والقومية والطبقية!

سألته مستوضحاً:

■ ومن تذكر من أولئك الذين كانوا معك في تلك المجموعة الطلابية؟

فتردد قليلاً، ثم قال:

■■ لم يحن الوقت بعد للحديث عنهم. هناك من أصبح حقوقياً وقاضياً كبيراً، وزراء، رجال أعمال، برلمانيين، وهناك من أصبح ضابطاً كبيراً في الجيش أو في المخابرات. وأيضاً هناك مَنْ شغل مكانة كبيرة في الحركة الوطنية الأردنية والفلسطينية، ومَنْ تجاوزت ميادين ومساحات نضالهم الحدود الجغرافية الإقليمية (القطرية) الضيقة إلى رحاب أوسع قومية ودولية.

إن السيرة الذاتية، في وقائعها، وحركة تطورها، تأتي في وقتها، فمهلاً علينا للزمان القادم.

أعدت طرح السؤال أكثر من مرة، ولكن اتضح لي أن نايف حواتمة لايريد الإفصاح عن هذه الأسماء ودنيا الذات، لذلك تجاوزت هذه النقطة، وقلت له:

■ لابأس... لنبق في إطار الحديث عن أسرتك، فأنت لم تحكِ الكثير عنها، وهي أسرة كبيرة كما أعلم..

و لم أكن أتصور أن ما سيقوله، جواباً على هذا السؤال، يمكن أن يشكل مرتكزاً لمشروع رواية حول حياة السياسي العربي الذي أنبتت أفكاره الأحداث وصقلتها المآسي والظروف الصعبة..

وجدت نايف حواتمة يتحدث ببساطة، ففرحت. وقلت في نفسي: (هاقد بدأت بوابة الذاكرة تنفتح أمام تداعيات الحوار...)!

قال نايف حواتمة:

■■ نحن أسرة في إطار التكوينات.. أقصد: التكوينات العشائرية. أي نحن أسرة تنتمي إلى عشيرة كبيرة نسبياً، وتعد بالآلاف، وهي موزعة فعلياً على فلسطين والأردن وسورية. والتواصل بين أبنائها قائم دوماً، وتكاد ظروف العشيرة أن تكون متشابهة من حيث درجة التطور المادي والاجتماعي والعلمي...

وصمت قليلاً، ثم أضاف:

■■ كنا تسعة أفراد في أسرتي. مات اثنان عندما كانا طفلين، وبقينا خمسة: أربعة ذكور وأنثى واحدة.. وأنا كنت الثاني بين الذكور. أما الأول، فهو (نجيب). ونجيب اضطر إلى ترك الدراسة مبكراً، منذ المرحلة الابتدائية، لينخرط في العمل اليدوي، ويتمكن بالتالي من مساعدة رب الأسرة على إعالتها.. وخطوة خطوة تحول نجيب إلى رب لهذه الأسرة... وبعد ذلك المهاجر ومالك الأراضي والعقارات، والثالث (عيسى)، الذي لم يتمكن في البداية من إكمال دراسته، وانتهى عند المرحلة المتوسطة، ليلتحق بسوق العمل من أجل المساعدة على تأمين الحياة مع أبيه وأخيه، فعمل في مهنة الميكانيك، التي أفادته فيما بعد، عندما بات ممكناً أن يعود إلى دراسته في مجال الهندسة، والآن هو مهندس الكترونيات ناجح.

أما أخي الرابع (أديب) فقد تابع دراسته، ثم انقطع عنها لسنوات.. كان عمره ثلاثة عشر عاماً عندما اعتقل كرهينة إلى أن يتم القبض عليَّ...

وتنهد نايف حواتمة، ثم قال:

■■ تم انكشاف نشاطاتي الوطنية السياسية والحزبية بين عامي 1957 و 1958. لذلك لوحقت، فاختفيت ثم انتقلت سراً من الأراضي الأردنية إلى سورية، ثم إلى لبنان حيث انخرطت في الثورة اللبنانية على رأس مجموع القوات المرتبطة بحركة القوميين العرب في طرابلس بشمال لبنان.

وفي ذلك الوقت صدر حكم الإعدام الأول عليَّ، ولأني لم أكن موجوداً احتجزوا (أديب) لسنوات، وبعدها الإقامة الجبرية في القدس، إلى أن التحق بدراسته الجامعية[1].

■ والفتاة.. هل نسيتها، وهل الأنثى تُنسى دائماً؟!

فرد ضاحكاً:

■■ لا... فليسَ لنا سواها، (نوفا) تعجلت الزواج، وقطعت الدراسة. وكان لها موفور الأبناء، الذين توفرت لهم فرص أوسع في التعليم، زوجها ملاّك وصاحب أعمال حرة، فأسهم بإمكاناته في مساعدتهم على إنجاز التحصيل العلمي الجامعي.

ثم لجم نايف حواتمة حصان ذاكرته، وعاد ليشرح الواقع الذي عاشت فيه أسرته، قائلاً:

■■ آل حواتمة ينتمون إلى الصف الوطني العريض في البلاد وكثيرون تعرضوا، كما تعرضت أسرتي، في ظل المناخ الوطني الذي كان سائداً وقتها إلى ظروف صعبة، سجون، معتقلات، مساءلات على يد الأجهزة الأمنية، وخاصة بعد انقلاب 1957 ضد حكومة سليمان النابلسي وهيئة الأركان وفي مقدمتها اللواء علي أبو نوار والضباط الأحرار الذين أسهموا في (تعريب) الجيش، ونهوض الحركة الوطنية.

وأيضاً وقعت صعوبات الحياة الاقتصادية الأفدح، مما أدى إلى هجرة (نجيب) الأولى إلى أمريكا اللاتينية ثم عاد إلى البلاد، واضطر للهجرة ثانية إلى أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة

---

(1) بعد خروجه من المعتقل، والخلاص من الإقامة الجبرية، تابع (أديب) دراسته، وأتم دراسة الحقوق في جامعة عين شمس في القاهرة. الآن من المحامين المشهورين في الأردن (عمان). وشغل منصب نائب رئيس نقابة المحامين الأردنيين.

بعد أيلول الأسود 1970. وقد أصيب بيته بقذائف الدبابات السلطويَّة وتهدم فعلياً حيث توفي له ابن تحت القصف، وأصبح (زبوناً) شبه يومي على سجون الاعتقالات.

كذلك غادر (عيسى) بعد أن (شبع) اعتقالاً ومساءلة، إلى ألمانيا ليتم دراسته في مجال الهندسة الألكترونية الميكانيكية ومازال مغترباً يعيش هناك.

وبعد أن تقاعد الأب، توفي في ظروف عام 1957 ولم يبق في البيت سوى الأم، التي راحت تتردد بانتظام إلى سجن عمان المركزي لزيارة (الابن) وتأمين حاجيات (المعتقل السياسي) ابن الثلاثة عشر ربيعاً.

ثم صمت حوالمة فترة من الوقت، فقلت له:

■ أنت لم تتحدث عن الجانب الديني في أسرتك...

فقاطعني بطريقة هادئة، وقبل أن أتم سؤالي:

■■ في السياق النضالي وفي سياق حركة التحرر العربية، وفي الجبهة الديمقراطية أيضاً... أعتقد جازماً أننا أكثر الناس إيماناً..

قاطعته بدوري:

■ إيماناً بماذا؟!

فقال بثقة:

■■ نحن الذين نناضل من أجل الديمقراطية والعدالة، من أجل شعوبنا، ومن أجل بني البشر أينما كانوا كي يعيشوا حياة حرة مستقلة وبعدالة اجتماعية.

نحن الذين نناضل من أجل التحرر وتقرير المصير والاشتراكية وحقوق الإنسان، نناضل من أجل بناء جنة اللّه على الأرض!

إن ذلك يؤدي إلى نمو منظومة من القيم الاجتماعية والإنسانية تجعل الناس أكثر صلاحاً وأقرب إلى السماء. لذلك أيضاً نحن الأكثر إيماناً، نحن الأكثر عمقاً.. وأولئك الرواد الطليعيون في النضال من أجل تقرير المصير والديمقراطية وبناء الاشتراكية هم الورثة الحقيقيون للأنبياء والرسل والصحابة ولكل الذين انطلقوا من أجل صلاح هذا العالم!!.

قلت له مرة ثانية:

■ ولكنني أتحدث عن أسرتك..

■■ أسرتي متدينة فعلاً، لكنها لم تنخرط في حياة سياسية دينية. كانت أسرتي تمارس حياتها الإيمانية وخاصة الوالدين. كانا أقرب إلى حياة المتصوفة، وذلك بالعيش والممارسة اليومية، ولكن بدون إبحار نظري في المسائل الدينية.

وأضاف نايف حوالمة:

■■ وهذا يشير إلى أن العشيرة بمتعلميها وأمييها، بكل الأجيال المكونة منها، لم تظهر انتماءات إلحادية، أو شيوعية كلاسيكية. بل نجد أن كل الانتماءات، التي ظهرت، كانت ذات

طبيعة قومية. وفي الأجيال الطالعة نجد انتماءات ماركسية. لكن الغالب فيها، في الخمسينات والستينات، كان ناصرياً.

إن الحالة الإيمانية عامية، بالحدود المتوافرة في درجات الوعي، حيث لم يخرج من بين صفوف هذه الأجيال من ذهب إلى «التمشيخ» أو الانتماء إلى مؤسسة دينية تبشيرية، ولا إلى الانخراط في مؤسسة دينية سياسيَّة.

لقد كان الاتجاه العريض العام الشامل، وطنياً عروبياً. أما الاتجاه اليساري، فقد أخذ مداه مع الأجيال الجديدة التي اكتسبت معرفة علمية، وكانت على تماس مع الحركة السياسية الطبقية.

قلت لنايف حواتمة، وقد أحسست أن كل ماقاله لايشير بدقة إلى الجواب الذي طلبته:

■ هل أنتم مسيحيون أم مسلمون؟

فقال ببساطة:

■■ **نحن غساسنة في الجذور – والأصول التاريخية. مسيحيون روم – روم شرقيون!**[2]

■ وأنت كم مرة ذهبت إلى الكنيسة؟!

■■ **ذهبت إلى الكنيسة والجامع كثيراً جداً!**

وسأقول لك إننا كشعوب عربية، نتشكل من سيكولوجية هي في تكوينها الحضاري والروحي وعاداتها وتقاليدها تشكل المحصلة لمجموع التراث العربي الاسلامي والمسيحي الشرقي ويبدو طبيعياً جداً الولوج إلى الكنيسة أو المسجد...

ومن تقاليدنا الإنسانية، وتعبيراً عن التماس الحميم مع أبناء الشعب، على الأرض وفي الميدان، وفي كل الأعياد الوطنية والدينية، نقوم بزيارة أضرحة الشهداء، والانطلاق إلى حيث نعيش مع أجواء روحية نتصابح فيها مع الفاتحة أمام ضريح مجمع الشهداء.

---

(2) من آل حواتمة من يدين بالإسلام ومن يدين بالمسيحية، وسألنا نايف حواتمة عن هذه الخارطة، فقال: (يصعب التفريق بهذه الجوانب الدينية والروحية في كثير من التكوينات الاجتماعية - العشائرية في فلسطين ولبنان وسوريا والأردن والعراق. وكان هذا أيضاً واسع الانتشار في الجزيرة العربية قبل الفتح العربي الاسلامي وبعده لقرون عديدة في القبيلة - العشيرة الواحدة. وتواصل هذا في شرق الوطن العربي حتى يومنا وخاصة في أقطار بلاد الشام والعراق ومصر. وهو محكوم بمسار التطور التاريخي الاجتماعي، والديني في صفوف قبائل الغساسنة والمناذرة، ومضر وربيعة وتغلب وديار بكر وطيء "شهيرها حاتم الطائي" وتغلب وبني الحارث وبني حنيفة وبني شيبان وبني إياد، وجذام ولخم، ومنهم الذين اشتهروا في المجتمعات العربية بالإيمان بالمسيحية قبل الفتح العربي وبعده أمثال النابغة الشيباني، النابغة الذبياني، عنترة بن شداد، حاتم الطائي، طرفة بن العبد، عروة بن الورد، زهير بن أبي سلمى، قسّ بن ساعدة الإيادي، ورقة بن نوفل بن أسد، النعمان بن المنذر، زنوبيا، الشاعر الأخطل التغلبي، الشاعر جرير.... الخ).

ومن المراجع المهمة التي ترصد هذا التطور التاريخي، عبد الملك بن هشام - السيرة النبوية - دار المعرفة - بيروت 1988 - ص 48، ابو الحسن البلاذري، فتوح البلدان (جزء 1/120/128/126،151). ياقوت الحموي - معجم البلدان (حزء 4/ 336). حواد علي - المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام - دار العلم للملايين/ بيروت 1970 (حزء 6/454، 463، 634 - 636). فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافة /بيروت/ 1982 (حزء 2/ 40). الامام محمد عبده - الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - دار الحداثة - بيروت 1988. أحمد أمين - فجر الاسلام - دار الناشر العربي - بيروت/ 1979 ص 16، 17، 22، 27. أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية/ بيروت 1986/ ص 49. عن المقريزي - المواعظ والاعتبار، دار التحرير - القاهرة 1956.

وأيضاً الجوانب الروحية مفتوحة أمام مناضلينا بما يترتب علينا، سواء بانعقـاد الصـوم، أو في الصلاة والعبادة! وفي قواعدنا العسكرية كنا دائماً، وفي شهر رمضان نترك الميدان مفتوحاً لكثير من رجالات الدين أن يعيشوا في قواعدنا ويواكبوا الحياة الروحية مع كل من يستجيب لها من المناضلين!

ولحن لم نقع في خطأ ماوقعت به العديد من الاتجاهات الإنسانية، في إقامة حالـة فصـل، بينهـا وبين التكوين الروحي والديني للناس.

■ عندما زرت عمان بعد غيـاب طويـل. مـاهو المكـان الـذي أحببـت أن تذهـب إليـه خـارج السياسة؟

■■ بكلمة أمينة: زرت ضريح والديّ!

وصمت نايف حواتمة، منهياً الحديث الخاطف عن الذكريات، وعرفت عندهـا أنـه أوصلني إلى بوابة الذاكرة، و لم يفتح هذه البوابة بعد...

الفصل الثالث

الحركة القومية...
وتحولات الخمسينات العاصفة!

(حركة القوميين العرب نموذجاً)

الحركة القومية..
وتحولات الخمسينات العاصفة!
(حركة القوميين العرب نموذجا)

نايف حواتمة، هو الذي أضاف عبارة: (تحولات الخمسينات العاصفة) على عنوان هذا الفصل! ربما فعل ذلك، لأنه عاش تلك المرحلة بصخبها العارم، الذي امتد إلى فلسطين والأردن وسورية ومصر والعراق ولبنان، بل إلى الوطن العربي كله!!

ففي تلك المرحلة، قامت ثورة 23 تموز المصرية، ثم وقع العدوان الثلاثي على مصر، ثم اشتعلت الأحداث في الأردن والعراق ولبنان. وكذلك قامت الوحدة بين سورية ومصر وسط جو عاصف أثاره مشروع ايزنهاور في المنطقة.

وضمن هذه التحولات | نهضت الحركة القومية، وأخذت حركة القوميين العرب |، تتلمس طريقها وعلى ظهرها حملت عبء النكبة (1948)، فترعرعت منذ مطلع الخمسينات لتصنعها الأحداث، ثم لتفككها، في المرحلة التالية، على أرضية عجزها كحركة قومية نشأت في أجواء الهزيمة وعجزت عن تقديم الأجوبة والحلول، وانهارت في أجواء النكسة!!

والحقيقة أن كثيرين كتبوا عن حركة القوميين العرب، وعن فترة الخمسينات، بل إن الكثيرين سيكتبون مجدداً عنها. ولكن **المسألة** التي يعالجها هذا الفصل، هي **جديدة فعلاً**، لأنها من وجهة نظر **نايف حواتمة**!

فبين هذه المحطات، رسمت مصير حركة القوميين العرب ملامح مراحل كاملة وظروف موضوعية في أكثر من موقع. ذلك أن حركة القوميين العرب، مع حزب البعث، ثم فيما بعد مع الاتجاهات الناصرية التي توالدت مع تصاعد وتجذر طروحات عبد الناصر.. إن هذه الحركة أعطت قادة دول، وقادة منظمات فلسطينية، بل وأعطت قادة أحزاب جديدة نشأت في سياق هذه السيرورة..

وخلال ذلك، وفي هذا الخضم، كان نايف حواتمة **متميزاً**، يمر في سماء تسطع فيها نجوم برّاقة كثيرة، وشيئاً فشيئاً أعطى وهجاً لافتاً متحولاً إلى **نجم كبير**، دافعاً تطور الحركة القومية نحو اليسار

على امتداد الأقطار العربية المشرقية، عندما أعلن مع الجناح التقدمي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (تنظيم حركة القوميين العرب على الساحة الفلسطينية – الأردنية) أنه قطع كل علاقة مع حركة القوميين العرب ثم أطلق شرارة الجبهة الديمقراطية، كفصيل ماركسي مسلح، في الثاني والعشرين من شباط عام 1969.

تعود قصة هذا الفصل إلى ذلك المشوار القصير الذي قمت به مع نايف حواتمة في أحد شوارع دمشق. وكان عائداً من عمان، وفي طريقه إلى جولة تشمل بلدان المغرب العربي. فعرضت له الفكرة، وهي فكرة خطرت لي في أثناء المراحل الأولى من حديثي مع الدكتور جمال الأتاسي، أحد كبار الناصريين في سورية[1]، عندما طلبت منه أن يحدثني في شوارع دمشق عن علاقة هذه الشوارع بتاريخ السياسة السورية في الخمسينات والستينات.

وبالفعل، وافق حواتمة، واتفقنا أن يتم المشوار بدءاً من نقطة محددة.. لم يسألني عن الهدف من ذلك، ولكني قلت له مازحاً، وأنا أحاول إبعاد جو الغموض عن فكرتي:

■ أقسم لك أن شوارع سورية هي الأكثر أمناً في الوطن العربي!

فضحك حواتمة ورأيته يمشي في شارع خالد بن الوليد الطويل وقد انتقيته بحجة أن الازدحام فيه قد يشعرنا بألفة أكثر مع المدينة التي تحتضن هذا الحوار..

مشينا في البداية بصمت، وكان هو يراقب حركة الناس وينتظر مني أن أبدأ. فقلت له، وقد سنحت الفرصة ليسمعني بوضوح:

■ مسكين جورج حبش!

لم ينتبه في البداية إلى قصدي! وربما ضايقته هذه الطريقة وهذا الجو المكتظ الذي نحن فيه، بالإضافة إلى الطلب الغامض الذي طلبته منه دون إحراج...

توقف عند حافة الرصيف، وقال:

■■ ماذا تريد أن تقول؟!

فتوقفت معه، وأجبته:

■ أريد أن تبدأ من الزمن الماضي. عندما قاد جورج حبش وجهاد ضاحي كتائب الفداء بعد نكبة 1948، ولم يعرف إلى أين يتجه بها!

رد حواتمة بحدة:

■■ المسألة ليست على هذا النحو؟!

فقاطعته قبل أن يتم إجابته، وكنا قد استأنفنا المسير:

---

(1) انظر: الدكتور (جمال الأتاسي يتحدث) مخطوطة محفوظة لم تكتمل بعد من إعداد وحوار عماد نداف، وهي تتناول المرحلة الممتدة إلى عام 1970 من الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية للدكتور الأتاسي، الذي كان عضواً في القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية في سوريا، كأمين عام لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي.

■ هو الذي جاء إلى ميشيل عفلق وقال له، خذ هذه الكتائب، واجعلها جناحاً عسكرياً لحزب البعث!

وأضفت بصوت سمعه المارة:

■ فعل حبش ذلك، لأنه لم يكن يعرف وقتها، ماالذي سيفعله بها، وإلى أين يمضي بها! [2]

فأجاب حوالمة:

■■ المشروع تخطاه الزمن الفلسطيني والعربي.. لقد جرى تجريب مثيله قبل النكبة الكبرى في معظم بلدان المشرق..

وأضاف، وهو يبطيء في مشيته:

■■ جرى ذلك بشكل خاص في فلسطين والأردن وسوريا ومصر والعراق.. ولكنه وصل إلى الحائط! المسألة أعمق وأبعد من إزاحة أفراد، على أرضية أن هذه الإزاحة تجعل طريق الخلاص سالكة..

أمسك حوالمة يدي، وجذبني باتجاه أحد المحلات التجارية، وتوقف ليقول:

■■ لننظر في الزمان والمكان، فماذا على الضفة الأخرى من الصراع: حركة صهيونية عصريّة تدق باب معضلات التجمعات اليهودية من كل القوميات في أوروبا وروسيا وأمريكا والبلدان العربية وآسيا... لإيجاد أعرض اصطفاف جماهيري، في كل الطبقات، بل وتلهب خيال البرجوازية الصغيرة الأكثر اتساعاً بين التجمعات اليهودية، فضلاً عن الرأسمالية اليهودية، وباليد مشروع استيطاني استعماري تحت بيارق الميثولوجيا التوراتية وشبكة علاقات وتحالفات عالمية تفرش إمبراطوريتها، وفي القلب منها فلسطين وبلدان العرب.

وعاد حوالمة إلى المشي، وهو يتابع:

■■ وبالمقابل هناك مشروع وطني عادل، ولكنه يراوح بين قيادات إقطاعية، لاصلة لها بالحركة الشعبية ولابتحالفات دولية. وبين مجموعات عنف تعتمد على العشرات وبرنامجها محشور بإزاحة أفراد، وأعمال شبه فاشية.

هكذا كان الحصاد المر... ومن هنا ضبطاً مأزق.. مقتل محاولة كتائب الفداء!.

تمتم نايف حوالمة كلاماً لم أفهمه، ثم صمت وكأنه أنهى فكرته، فقلت له:

■ أنت كنت صغيراً عندما حلّ جورج حبش وجهاد ضاحي كتائب الفداء، وبدأ يبحث عن طريق آخر. ترى أين كنت؟

فرد بقوله:

---

(2) التجربة الارهابية المرة (لكتائب الفداء) أدت لانقسام المنظمة ودفعت البعض لاعتبار البعث هو البديل، وكحل وسط اقترح جورج حبش على ميشيل عفلق أن تكون المنظمة ذراعاً عسكرياً للحزب، غير أن عفلق لم يقبل التعامل مع (الكتائبين) كمنظمة بل كأفراد، ومن هنا انتظم بعض من الكتائبيين فعلياً في البعث.

أكد ناجي ضللي، أن الاجتماع تم مع عفلق في بيته ببيروت، وحضره كل من: جورج حبش، هاني الهندي، محسن قطان، موسى حمدان، علي منكو، عبد الغني نابلسي، برهان حماد، وناجي الضللي.

* المصدر: حركة القوميين العرب ـ النشأة ـ التطور ـ المصائر ـ د.محمد جمال باروت ـ ص40، ص44، 1996.

■■ **كما قلت لك في مرة سابقة، كنت ابن العاشرة.. وقد حدثتك عن النكبة، وآثارها الجارحة في نفسي!.**

قطعنا الشارع، وتوقفنا على الرصيف المقابل للإطفائية القديمة، فسألته:

■ مالذي يوحيه لك هذا المكان؟

كان الشارع يعج بالناس، وبالمحلات التي تبيع الملابس القديمة، فتأمل حواتمة ماحوله بنظرة شاملة، وقال ضاحكاً:

■■ **هنا يشتري فقراء دمشق الملابس البالية!**

ثم عقّب بسرعة وجدّية:

■■ **لقد جئت بي إلى هنا، لتقول لي إن فوق رأسنا الآن يقع مكتب جهاد ضاحي شيخ كتائب الفداء التي تتحدث عنها!**[3]

* * *

وبالفعل، هذا ماأردته. لذلك هززت رأسي، وأنا أنظر إلى ذلك المكتب الذي يتشارك فيه الأخوان جهاد وسامي ضاحي. كانت أضواء المكتب منيرة في ذلك المساء. وكان يمكن أن نصعد ونفاجيء هذين الأخوين بزيارة غير متوقعة. ولكننا لم نفعل.. كنا مثل كل المارة، الذين يغذون السير كلٌّ في اتجاه يفكر في همه اليومي... أما نحن، فقد كان همنا، في تلك اللحظة، فتح حوار طويل عن حركة القوميين العرب، طلب حواتمة أن لايكون هذا الحوار في مشوار قصير، على رصيف في شارع خالد بن الوليد. لذلك قررنا العودة. ركبنا في سيارة أجرة، كما كان متفقاً، وقلت لسائقها:

■ إلى الأزبكية...

فقال حواتمة:

■■ **بل إلى المزة!!**

وذهبت بنا السيارة إلى هناك. قال لي:

■■ **تفضل، لنتابع الحديث في البيت!**

فأجبته:

■ لتكن الجلسة الأخيرة هنا!

ضحك وقال:

■■ **كما تشاء!**

ولكن، وعندما تابعنا الحوار حول القوميين العرب، التقينا في مكان ما من الأمكنة الكثيرة التي يتواجد فيها نايف حواتمة. وعلى غير عادة، وجدنا الكثيرين في انتظارنا..

كان هناك:

---

(3) فيما بعد قام نايف حواتمة بدعوة المحامي سامي ضاحي وعرفه علينا موضحاً له فكرتنا حول هذا الكتاب. وقد قدم سامي ضاحي بدوره كل الايضاحات التي سألناه عنها.

- رمزي رباح، عضو المكتب السياسي في الجبهة الديمقراطية.
- عبد الغني أبو خلدون نائب أمين اقليم سوريا.
- مطر عبد الرحيم (أبو حسين)(4).

وآخرون لم نتعرف عليهم، رحبوا بنا، ولكنهم تركونا بسرعة، و لم يبقِ إلاّ (العقيد فؤاد) الذي يرافق حواتمة باستمرار، والذي أخبرنا حواتمة أنه مهندس كهرباء..

عندما خرج الآخرون، وبقي العقيد فؤاد، خطر لي سؤال غريب:

■ هل كان العقيد فؤاد يراقبنا من بعيد في شارع خالد بن الوليد؟!!

ولكني استبعدت طرح هذا السؤال على نايف حواتمة.

هيأت نفسي لحوار طويل لأعرف تجربة حواتمة كاملة، و كنت قد بدأت أشعر بضيق المكان. كان قبواً رطباً مثل سجن، ولكنه كان يعج بالحركة كمركز أبحاث... ومن حوله تترامى أصوات الأطفال الذين يكبرون في قلب المخيم الذي نحن فيه، ودون شعور بالنبض الذي يترامى من حديثنا التاريخي هذا!!

لقد أوحى إليّ هؤلاء الأطفال بأن أبدأ حديثي مع نايف حواتمة حول حركة القوميين العرب بالعودة إلى طفولته هو... لكني كنت أعرف أنه سيبدأ من مرحلة كان فيها قد تجاوز الطفولة:

■ أصوات الأطفال الآن تأخذنا بعيداً إلى أصوات نايف حواتمة الطفل، الذي يكبر مع الأحداث الجسيمة. ومن حوله علا ضجيج السياسة بألوانها... ترى لماذا لم تستقطب الاتجاهات السياسية الأردنية نايف الفتى في ذلك الوقت؟!

فقال حواتمة:

■■ التيارات الثلاثة الحزبية، التي كانت موجودة على الساحة الفلسطينية – الأردنية كما في بلدان المشرق العربية، شهدت صعوداً واسعاً في النصف الأول من الخمسينات، أي بعد النكبة الكبرى، نكبة 1948.

وكان لكل تيار إشكالاته، فالتيار القومي قدم أجوبة وحلولاً طوباوية غامضة وهلامية عامة، للقضايا القومية المطروحة، تحت عنوان: الوحدة العربية. ولكن دون خط برنامجي ملموس، ودون مضمون اجتماعي يعطي لهذا التيار عمقه وبعده الأفقي في صفوف أعرض الجماهير.

والتيار الشيوعي، أعطى مضموناً اجتماعياً، لكنه كان قاصراً عن تقديم الأجوبة على الأسئلة المتعلقة بالخصوصيات القومية والوطنية. وذلك بسبب تأثره بالأطروحات الايديولوجية والسياسية الصادرة عن مركز الحركة الشيوعية العالمية: أي موسكو.

---

(4) تم اللقاء مع مطر عبد الرحيم أكثر من مرة، وقد قدم لنا كتاباً عن مرحلة هامة من سيرته الذاتية، عنوانه، ادفنوني هناك – سيرة فلسطيني يحلم بالوطن. يتحدث فيها عن ذكرياته المؤلمة في فلسطين أثناء الاستعمار البريطاني، وفيما بعد مع الوحشية الصهيونية التي أجبرته مع عشرات الألوف من الفلسطينيين على مغادرة أرضه إلى أن تبدأ مرحلة المقاومة في حياته.

أما التيار الإسلامي السياسي، فله إشكالياته الكبرى، في العودة إلى الحالة الماضوية السلفية، دون الاستعداد للجمع بينها وبين تقديم الحلول للقضايا المعاصرة. حيث تطرح الحياة على جدول أعمالها المكاني والزماني ضرورة الربط الحي بين الأصالة والحداثة.

في ضوء هذه المعطيات، برزت خصوصية اندفاعنا، في بواكير تلك المرحلة، دون الانخراط في أي من هذه التيارات، بل بمحاولة إيجاد حل وتوازن للمعادلة بين المحاور الوطنية والقومية والاجتماعية. وكنا طيلة المرحلة الثانوية نجمع بين الانخراط الكامل في النضال اليومي وبين القلق الباحث عن حلول لهذه المعادلة!.

■ ولكن في النصف الأول من الخمسينات، وقعت ثورة 23 تموز في مصر، وربما جذبتكم إليها بحماس!

■■ نعم، وبدأت هذه الثورة تفرض نفسها، وتنشر إشعاعاتها على مجموعة من البلدان العربية، وخصوصاً المشرقية. وهذه الثورة بدأت، من خلال سياستها التجريبية، تفك رموز المعادلة بين الوطني والقومي، وبين التحولات الطبقية الاجتماعية الواسعة.

اصطدمت ثورة 23 يوليو بالقوى الاستعمارية الرئيسية في الوطن العربي. أي الكولونيالية البريطانية والفرنسية. واكتسبت حرارة في الصراع ضد الاستعمار، على قاعدة رفض المعاهدة البريطانية المصرية، التي تكبل مصر ومشروعها النهضوي.

كانت قناة السويس محتلة من قبل أكثر من ثمانين ألف جندي بريطاني. وكان الأداء السياسي المدمر، للملكية الإقطاعية في مصر، أداءً فاشلاً في كيفية حل القضايا المصيرية والدفاع عن أرض فلسطين أمام الغزوة الصهيونية، بالإضافة إلى فضائح الأسلحة الفاسدة.ولعبة التواطؤ بين الأنظمة العربية الإقطاعية الحاكمة، التي حاربت عام 1948 في إطار خطة تقسيم فلسطين بين الغزوة الصهيونية والدول العربية المجاورة[5] ، وتحت إدارة تتحكم بها بريطانيا، وممثلة بكلوب باشا قائد الجيش الأردني آنذاك.

---

(5) (البحث عن كيان - د. ماهر الشريف 1993 دفاتر النهج ص 47) (الأنظمة العربية المختلفة، التي فرضت منذ العام 1945 وصايتها على الشعب الفلسطيني وتحكمت بقضيته الوطنية لم تكن متحمسة - رغم التنافس الذي كان يدور بين محاورها - لمبدأ قيام كيان فلسطيني مستقل).... وعندما قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية خلال الاجتماع الذي عقدته في الاسكندرية في 8 تموز 1948، تشكيل إدارة مدنية مؤقتة في فلسطين، أشارت إلى أن القضايا السياسية لن تكون من صلاحيات هذه الإدارة، بل ستبقى من اختصاص الجامعة العربية. وعندما تشكلت حكومة عموم فلسطين التي عارضها الأردن بحزم، رفضت الجامعة العربية أن تمارس هذه الحكومة أية سلطة سياسية فعلية على الأرض الفلسطينية..

• كما يمكن العودة إلى «Cahiers de L`Orient Contemporain» باريس - العدد 14-15 الفصلان الثاني والثالث من عام 1948 — والعدد 16 من عام 1948 ص 235، ص 236.

• كما في العودة لكتاب سميح شبيب - حكومة عموم فلسطين - مقدمات ونتائج - نيقوسيا - شرق برس 1988. حيث في ص 24: استهدفت الحكومات العربية من دخول جيوشها لفلسطين وفي المرحلة الأولى من القتال 5/15 وحتى 1948/6/10 تحقيق أمرين: 1- امتصاص الرأي العام الشعبي المطالب بالقتال. 2- تنفيذ ماهو أكثر من قرار التقسيم وتهيئة الأجواء المناسبة لضم الضفة الغربية للأردن والقطاع للادارة المصرية.

• في شباط/ فبراير 1948 طلبت الهيئة العربية العليا من الجامعة العربية الموافقة على إعلان حكومة فلسطينية بعد أن أعلنت بريطانيا عزمها إنهاء الانتداب في 15 أيار 1948، ولكن الجامعة العربية رفضت ذلك.⇐

في هذه الأجواء، جاءت ثورة يوليو، بطبيعتها الطبقية القادمة من صفوف الطبقة الوسطى، وبالتحديد من بين سلمها الاجتماعي الأدنى، وهو البرجوازية الصغيرة. فحملت معها الكثير من الأفكار الأولية التي تجمع بين إمكانية حل الإشكالات الوطنية، وبين تلمس دور مصر العربي والإفريقي، فضلاً عن الأبعاد الإسلامية، وطرح مشروع التنمية المستقلة في إطار مشروع يقوم على سلسلة من التحولات الطبقية، بدءاً من تصفية الإقطاع... وصولاً إلى اتفاقية الجلاء.

هذا يعني، أن تجربة 23 يوليو بدأت وقتها، تدق أبواب النصر لمشروع نهضوي وطني وقومي، وبمضامين تقدمية في التحولات الملموسة والعملية، أي بما يتجاوز الشعارات والبرامج العامة الغامضة للأحزاب العربية المشرقية.

أخذت هذه التجربة تشد طموحات وآمال وتطلعات الشبيبة الفتية على امتداد مصر وماحولها، وجيلي من بينهم!

■ عندما توقفنا قرب مكتب جهاد ضاحي في شارع خالد بن الوليد بدمشق، سألتك عن حركة القوميين العرب وكيف تم الاتصال بها، وربما يأتي الآن دور الإجابة على ذلك!

■■ دراستي الجامعية بدأت في القاهرة بين عامي 1955 – 1956. وكان العدد الأكبر من الطلبة الفلسطينيين والعرب يدرسون في جامعات القاهرة ودمشق ونادراً في الجامعات العراقية. لذلك، فإن كل التلاوين الحزبية المشرقية، كانت على مقاعد الدراسة الجامعية.

وفي القاهرة، سمعنا ولأول مرة بمنظمة قومية تحمل اسم: الشباب القومي العربي! ولاأخفيك فهذه المنظمة لم تترك آثاراً جدية مبكرة لحلّ المعادلة المعقدة، التي أشرت إليها في سياق حديثي. لأن منظمة الشباب القومي العربي، ضغطت بأفقها الفكري البرنامجي على جانب حساس، ولكن أحادي: هو جانب القضية الفلسطينية. وكان همّ هذه المنظمة، في طروحاتها السياسية والاجتماعية، على يمين تجربة ومسار ثورة 23 تموز الناصرية وعلى يمين الخارطة الحزبية المشرقية، كحزب البعث والأحزاب الشيوعية، بل وحتى على يمين أحزاب وطنية محلية مثل: الحزب الوطني الاشتراكي الذي كان يتزعمه سليمان النابلسي، والحزب الوطني الديمقراطي، الذي كان يتزعمه كامل الجادرجي... وغيرهما من الأحزاب الوطنية، التي حملت ملامح تقدمية.

⇐ • وعند عقد المجلس الوطني في غزة في تموز/ 1948، أعلنت الهيئة العربية العليا عن تشكيل حكومة عموم فلسطين، حيث عارضها الأردن بشدة واعتقل وزير خارجيتها جمال الحسيني، (محفوظات مركز الأبحاث في م.ت.ف. الوثيقة الأصلية لإعلان حكومة فلسطين ونصوص البرقيات) ص 46، كما قامت الحكومة المصرية بإبعاد الحاج أمين الحسيني عن قطاع غزة فوراً.

• كما أرسل الملك عبد الله رسالة إلى رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي، عارض فيها قيام دولة فلسطينية مستقلة بجوار الأردن ومما جاء في الرسالة (إننا نخشى على سلامة بلادنا ومركزها من أية دولة قد تتكون في فلسطين وتنتسب للعرب، فتضعف على البقاء أو يستحوذ عليها اليهود. إننا تفادياً من تسبب هؤلاء بحركاتهم، وأعني بهم أمين الحسيني ومن معه، من أن تشبثاتهم ستجر إلى مافيه إخلال عصمة الجامعة العربية واتحادها، أقول أنني سأحارب هؤلاء حيثما كانوا، كما أحارب اليهود أنفسهم). المصدر: مهدي عبد الهادي - المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية 1934 – 1974، صيدا – المكتبة العصرية – 1975، ص 173.

• بادرت الوكالة اليهودية في مساء 14 أيار / مايو إلى إعلان قيام دولة إسرائيل، وذلك قبل 24 ساعة من إنهاء بريطانيا انتدابها على فلسطين.

إن تماسنا مع منظمة الشباب القومي العربي، في القاهرة، لم يكن إغراءً فعالاً، ثم إن فترة الدراسة قطعت سريعاً إثر تأميم قناة السويس عام 1956، وذلك لانتقالنا تطوعاً إلى معسكرات مصرية دربتنا، ثم غادرنا مقاعد الدراسة، عائدين إلى بلادنا، بأمل أن يكون لنا الدور الذي يراود عنفوان جيلنا في دفع العدوان الذي يلوح بالأفق والذي يمكن أن يمتد إلى بلاد الشام: الأردن، فلسطين، سورية، ولبنان.

■ وكيف تعرفت على جورج حبش؟!

■■ جرى التماس بيننا، عن طريق عدد من الزملاء الذين كانوا معنا في القاهرة، وهنا أقول: العلاقة بدأت شخصية اجتماعية وانسانية. والذي كان يجمعنا هو سخونة القضية الفلسطينية، ولكن دون أن نستقر على قاعدة فكرية سياسية مشتركة، باستثناء قوة الجذب نحو القضية المباشرة الساخنة.

■ وكيف تشكلت حركة القوميين العرب؟!

■■ من نتاج توحيد محاولتين: مجموعة الشباب القومي العربي، التي ولدت في الجامعة الأمريكية في بيروت بعد فشل تجربة كتائب الفداء، وكانت تعمل تحت أكثر من عنوان، (منظمة شباب الثأر) - (هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل)، وأصدرت نشرة الثأر عام 1948. ومن أبرز أسمائها: جورج حبش، أحمد الخطيب، هاني الهندي، وديع حداد، الحكم دروزة.

والمجموعة الثانية، التي تشكلت قبلها في الجامعة الأمريكية، وكانت تعمل تحت عنوان: القوميين العرب، الذي أصبح اسماً للمجموعتين بعد وحدتهما عام 1953 دون علم منظمة الشباب القومي العربي في بيروت ودمشق وبغداد والكويت. ومن أبرز أسماء هذه المجموعة: حمد الفرحان، نزار جردانة، علي منكو، صلاح عنبتاوي، حاتم علوش، صبحي غوشة، وعبد الرؤوف السلفيتي... وآخرون.

إن هاتين المجموعتين توحدتا بذات الشعارات: وحدة – تحرر – ثأر.....، وتحت سقف أفق قومي طوباوي، كما هي الأحزاب القومية الأخرى! ولقد كان التشكل على ضفتي نهر الأردن من النسيج الموحد من أبناء شعبنا الفلسطيني والأردني، على امتداد المساحات من القدس إلى إربد، وكذلك في قطاع غزة، الذي احتفظ بالهوية الفلسطينية تحت الإدارة المصرية.

■ أيْن موقع كتائب الفداء العربي من منظمة الشباب القومي العربي، فالعلاقات كانت قائمة بين أجنحة ضاحي، حبش، حسين توفيق وآخرين؟

■■ نحن جيل جديد، لم تكن لنا صلة تاريخ أو علاقة بتلك المنظمة التي تشكلت من ثلاث مجموعات. أطللت على هذا الفصل ربيع 1958، وهو يكشف عن جذور النزعة القومية شبه الفاشية(6) للمجموعات الثلاث، وهي مجموعة كتائب الفداء العربي (جهاد ضاحي، سورية) –

---

(6) محسن ابراهيم، (لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين)، فصل: حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية، دار الطليعة – بيروت ص 50- 1970

مجموعة شباب الثأر (جورج حبش وهاني الهندي، مجموعة الجامعة الأمريكية في بيروت) - ومجموعة العربية الفتاة (حسين توفيق وعبد القادر عامر، مصر)[7] .

وتوحدت المجموعات الثلاث تحت اسم (كتائب الفداء العربي) في آذار 1949، وبقيادة الخمسة. ثم وفي 6 آب 1949، ألقت كتائب الفداء العربي القنابل في وقت واحد على المعبد اليهودي بدمشق، ومدرسة الإليانس اليهودية في بيروت، ومقر وكالة الغوث الدولية.

ودعت منظمة (الكتائب) إلى وحدة سورية، العراق، الأردن دون النظر إلى طبيعة النظام السياسية والطبقية (ملكي أم جمهوري)[8] ولكن سرعان ماتفككت هذه المنظمة بعد محاولة اغتيال نائب رئيس الأركان السوري أديب الشيشكلي في 12 كانون الأول 1950 على طريق دُمَّر - دمشق، وطرح مسألة اغتيال أكرم الحوراني لمعارضته وحدة سورية والعراق[9] .

وبعد هذا عادت منظمة شباب الثأر للعمل تحت اسم: الشباب القومي العربي في مطلع 1951 في بيروت ودمشق. وتأخر تشكيل منظمة الشباب في الأردن إلى عام 1952، وتمت الوحدة بينها وبين القوميين العرب (حمد الفرحان..) عام 1953.

■ لكننا نعرف أنك قدت تنظيم القوميين العرب في الأردن[10] ؟

■■ نعم فقد كانت الأحداث قد تداعت بتسارع مأساوي، حيث تم انقلاب نيسان 1957 في الأردن[11] ، والذي أطاح بهامش الحريات السياسية المحدودة الذي فرض نفسه في ظل النهوض الجماهيري العام على امتداد السنوات التي سبقت ذلك العام. والتي أدت أيضاً إلى إسقاط محاولة ربط الأردن بالحلف التركي - الباكستاني - الإيراني، وحلف بغداد، وإلغاء المعاهدة البريطانية الأردنية وتصفية القواعد العسكرية البريطانية، بالإضافة إلى تعريب الجيش.

لقد أراد انقلاب نيسان، الذي أطاح بكل هذه المكاسب، أراد إدخال الأردن في مشروع ايزنهاور، لنشر الهيمنة الأمريكية على البلدان العربية المشرقية بعد رحيل الهيمنة الاستعمارية البريطانية ومن قبلها الفرنسية. وكان قد شكل العدوان الثلاثي على مصر، ونهوض ثورة

---

(7) المجموعة لاحقة سياسية في سورية وقتذاك.

(8) محسن إبراهيم، هاني الهندي، (اسرائيل فكرة - حركة - دولة) ص 30 - ص 94
محسن ابراهيم: لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين (سبق ذكره) ص 21.

(9) كانت مجموعة (الفتاة العربية) على صلة بالمخابرات السورية عن طريق العقيد ابراهيم الحسيني، وكان عبد الرحمن مرسي من المجموعة، صلة الوصل بين الطرفين وكلاهما مؤيدان لوحدة سوريا والعراق تحت الحكم الملكي، ويعتبران الحوراني والشيشكلي عقبة في طريق هذه الوحدة السورية - العراقية. وبعد محاولة اغتيال الشيشكلي تم اعتقال جهاد ضاحي، حسين توفيق، هاني الهندي، عبد القادر عامر. المصدر ح. ق. ع. - محمد جمال باروت - سبق ذكره ص 37، ص 38.

(10) انظر نايف حواتمة يتذكر - مجلة الوسط - العدد 155 - ص 27 حيث يتحدث حواتمة عن قيادته للحركة في الأردن (الضفتين الغربية والشرقية) بعد نيسان 1957 وانتقال حبش للعمل السري، وكان التنسيق متواصلاً بين حواتمة وحبش.

(11) انقلاب 1957/4/10 في الأردن ضد حكومة سليمان النابلسي الدستورية الوطنية، التي اتخذت موقفاً مضاداً لمشاريع الأحلاف المطروحة وقتذاك. وأتت هذه الخطوة أيضاً في سياق الصراع المصري - الأمريكي ضد مشروع حلف الشرق الأوسط ومشروع ايزنهاور.

23 تموز وعبد الناصر بطلاً قومياً ووطنياً صامداً، فصل الغروب للهيمنة البريطانية والفرنسية على المشرق العربي!

هنا بدأت العلاقة الفعلية مع هذا التنظيم الذي كان يحمل عنوان: القوميين العرب، في حين كان يحمل عنوان الشباب القومي العربي في لبنان وسورية والعراق.

وأضاف نايف حواتمة:

■■ إثر انقلاب نيسان انهارت قيادات كثيرة، من قيادات الحركة الوطنية، وتم اعتقال أعداد كبيرة منها. وتعرض تنظيم القوميين العرب بدوره إلى انهيارات في صفوف قيادة الصف الأول والثاني والثالث، ولم يبقَ إلاّ جورج حبش الذي انتقل إلى العمل السري، في وقت أحجم فيه جميع أعضاء قيادة الصف الأول، على ضفتي نهر الأردن، عن النضال، وبتعبير آخر انهاروا أمام الحدث! وكذلك الصف الثاني والصف الثالث.

وفي هذه الظروف، بدأ تَلَمُّسُ سبب هذه الانهيارات، حيث تم اكتشاف أن الأغلبية الواسعة في قيادة هذا التنظيم كانت من كبار الرأسماليين وكبار رجال الأعمال والتجار، بمعنى آخر فرضت المصالح الطبقية نفسها فوق المصالح الوطنية والقومية للشعب، وأعطت التفسير لأسباب هذا الانهيار وهذا الإحجام[12] .

نتيجة لذلك اضطر جورج حبش إلى العمل السرّي، ووجدتِ نفسي فجأة أمام واجب وطني يدعوني إلى تحمّل المسؤولية الحزبية التنظيمية والسياسية والعسكرية عن مجموع تنظيم القوميين العرب في الضفتين.

■ هل كانت مواقعك التنظيمية تؤهلك لهذه المسؤولية؟

■■ كنت في التاسعة عشرة من عمري. وقد انتقلت من عضو خلية في القاعدة، إلى مسؤول حزبي عن محاور عمل التنظيم على امتداد الضفتين، أقوم بالتنسيق مع جورج حبش الذي بات في وضع سري.

■ كيف واجهت هذه المسؤولية، وإلى أي مدى استغرقك العمل في تلكَ الظروف؟

■■ رغم أنني كنت أحمل العديد من المواقف النقدية الفكرية والسياسية البرنامجية (الوطنية القومية والطبقية) تجاه طروحات التنظيم وصاحب حوارات بشأنها، بدأت العمل على كافة محاوره، لأكتشف مباشرة أن عدد التنظيم متواضع جداً جداً، ولايزيد عن بضع مئات في الضفتين. ولاحقاً اتضح أنه لايتجاوز العشرات في الأقطار العربية الأخرى حتى عام 1958.

---

(12) لم يكن معروفاً قبل انقلاب نيسان 1957 بالأردن من هو الصف القيادي الأول، وبناء المنظمة محكوم بالمركزية المغلقة من القمة إلى القاعدة، والتراتبية التنظيمية كلها بالتعيين من فوق لتحت، فلا وجود لانتخابات حزبية من القاعدة ولامؤتمرات منتخبة، والعلاقة المركزية تقوم على مبدأ (نفذ ثم ناقش).

* (ح. ق. ع - محمد جمال باروت - سبق ذكره - ص 75).

* (حركة القوميين العرب مشروع النظام الداخلي، ص1).

* وكثير من الناس قبل نيسان كان يشير إلى المواقع الطبقية لعدد من الأسماء (هذا ملك السفن، وذاك ملك السكر، ملك السيارات، ملك الشاي، ملك العقارات...) دون معرفة ارتباطاتها الحزبية أو أية مواقع سياسية لها، وبعد نيسان 1957 انكشف هذا على ضوء الدوامة التي عصفت بالحياة الحزبية والانهيارات والاعتقالات.

وعلى مدار أيام الأسبوع أحرث الضفتين من القدس حتى إربد حيثما تتواجد جماعات التنظيم، وشكلت المجموعات العسكرية تحت إدارتي، وثابرت على ذلك حتى مطلع كانون الثاني عام 1958، وذلك عندما تم إلقاء القبض على مجموعات عسكرية فدائية[13] قامت بعدد من الأعمال ضد مؤسسات أمريكية، حيث قدمت هذه المجموعات اعترافات حمَّلتني بها المسؤولية. ولذلك اضطررت إلى الاختفاء، أي إلى العمل السري، وهي فترة لم تطل، فتم ترتيب الانتقال السريع والسري إلى الأغوار الشمالية، ومن هناك مشيت قاطعاً نهر الأردن إلى داخل الحدود السورية، ثم إلى لبنان.

وفي تلك المحاكمات، حملت وسام حكم الإعدام الأول على الدور الوطني بروح رومانسية ثائرة[14]

■ ماالذي قدمته خلال قيادتك لمجموعات القوميين العرب في الأردن؟ وماهي الرموز التي عملت معها، وتطورت فيما بعد إلى مواقع بارزة؟!

■■ الفترة كانت قصيرة جداً! من نيسان 1957 إلى شباط 1958.

■ لابد أنك تركت بصمات من نوع ما؟

■■ البصمات الواضحة تتعلق بالحوار الوطني والطبقي الذي تم إطلاقه في قاعدة التنظيم، على ضوء الوقائع والتجربة الملموسة وانهيار قيادات، والروح الكفاحية والنضالية في صف القاعدة والجماهير التي أسهمت في تصعيدها. كذلك تم تشكيل مجموعات فدائية مناضلة قامت بضرب العديد من المؤسسات الأمريكية كما قلت.

ولكن هناك نقطة هامة، لابد من الإشارة إليها، وهي أن تلك الروح النضالية والمساءلة الايديولوجية والطبقية التي تصاعدت عند المناضلين الذين عملوا معنا آنذاك، دفعتهم إلى الانخراط في صفوف خط اليسار وتطوراته في مسار الحركة القومية، والذي بدأت ملامحه بالتشكل عام 1957، وتواصلت في كل الفروع التي تواجدت في عدد من الأقطار العربية، كما حسم هذا التيار موقفه بعد حزيران 1967 في صف الجبهة الديمقراطية عندما أعلنت انطلاقتها.

إن العديد من إطارات وكادرات الجبهة ينتمون في جذورهم إلى تلك الفترة، كما أن الأفكار الأولية التي كانت تتفاعل مع الأحداث المتسارعة، تركت تأثيراتها على هذا التنظيم

---

(13) من أبرزها مجموعة ناديا وابراهيم السلطي، ومجموعة أبو عيسى من مخيم الوحدات الذي انشق عن الجبهة الشعبية، وشكل في بداية السبعينات حزب الشعب الثوري الأردني. ويذكر أن أحداثاً عنيفة هزت الأردن بعد إقالة حكومة النابلسي حيث سيطر الشعب على الدوائر الحكومية واستوديو الإذاعة، وأعلنت نابلس: هنا عاصمة الجمهورية الأردنية.

* أمنون كوهين:(الأحزاب السياسية في الضفة الغربية، القوميون العرب، الحزب الشيوعي، ص93، ص94، دار دمشق 1986).

* كما قامت حركة القوميين العرب بسلسلة تفجيرات، أدت إلى اعتقال وجوهها المعروفة وفرار البعض الآخر. (محمد جمال باروت - ح. ق. ع - سبق ذكره - ص 11-).

(14) انظر: مجلة الوسط - العدد 155، 1995/1/16 ص 27 -- حيث يشير حواتمة إلى أن الحكم الذي صدر بحقه في الأردن بعد أحداث 1958 في الأردن، كان حكم الإعدام الأول. وتلاه ثلاثة أحكام في العراق والأردن، حيث أصبح مجموع أحكام الإعدام التي صدرت بحقه أربعة أحكام (ص 26).

بالضفتين، بالحالة الأردنية الفلسطينية في الخمسينات، وبدأت تترك تأثيراتها بشكل أوسع بعد انهيار تجربة الجمهورية العربية المتحدة الذي كان يعني انهيار الحلم والأمل بأن طريق الوحدة هو الطريق الموصل إلى حل القضية الفلسطينية، وترك هذا فعله في يسر انتقال العديد من أبناء هذه المنظمة، إلى مواقع الماركسية، إلى حمل الجهد الرائد بالنهوض بانطلاقة الجبهة الديمقراطية.

وأيضاً على الجانب الآخر، بدأت التأثيرات الوطنية اليسارية، وفي خمّى الصراع الدائر، على امتداد الأرض العربية، بدأت تتسارع في الإطار الأوسع، الإطار القومي العام، في داخل تنظيمات القوميين العرب في البلدان العربية الأخرى، وأيضاً التأثيرات على المناخ الفكري والسياسي في صف الأحزاب الأخرى بالاتجاه القومي: البعث والناصرية. وعلى الاتجاه داخل الأحزاب الشيوعية العربية: مشرقياً ومغربياً.

وفي هذه العملية، علينا أن نلحظ كيف تطورت الأمور بعموم هذا التنظيم. (حركة القوميين العرب)، وانتقال أغلبيته الساحقة إلى مواقع الماركسية، دون أن يتمكن الجناح القومي التقليدي، صاحب الشعارات العامة، الهلامية، والاتجاه اليميني، من أن يحتفظ بهذا التنظيم أو يعيد بناءه أو إحياءه... فساعة الزمن اكتملت دورتها على امتداد مساحة التحولات الفكرية والطبقية الملموسة بين 52 – 58 والتي بدأت الدوران بثورة 23 يوليو، ثورة الجزائر، وامتدت إلى سوريا بالوحدة مع مصر وتصفية الاقطاع والتأميمات لمراكمة رأس مال يشق طريق التنمية المستقلة، وصولاً إلى ثورة 14 تموز في العراق وتشقق جدران حلف بغداد ومشروع أيزنهاور. وعليه فالتطورات العاصفة وضعت الإيديولوجيا القومية المجردة وأحزابها خلف ظهر حركة الشعوب العربية.

■ إشارتك إلى الاتجاه اليميني في حركة القوميين العرب، ومسألةِ الانتقال إلى الماركسية، محطة هامة تستوجب التوقف عندها..

■■ أولاً أحب أن أقول إن هذه الحركة اتخذت عدة عناوين، ثم مالبثت أن رست على عنوان: (حركة القوميين العرب) في نهاية 1958. وحواتمة هو الذي أطلق هذا العنوان في العراق[15] !

وعلى امتداد السنوات العشر الأولى من عمر هذه التجربة، كانت في موقع اليمين. أقصد على يمين الحركة الشيوعية والبعث والناصرية[16] . وهذا الذي دفع بمصطفى بيضون عضو

---

(15) محمد جمال باروت – ح.ق.ع – (سبق ذكره) ص 70 – حيث يؤكد الباحث باروت أن القوميين العرب لم يستخدموا اسم الحركة وبالتالي (حركة القرميين العرب) إلا عام 1958، حين اضطروا في العراق إلى استخدام هذا الاسم تمييزاً لهم عن أعضاء حزب الاستقلال العراقي الذي كان أعضاؤه يوصفون بالقوميين العرب.

* كذلك كتاب نضال البعث – الجزء الرابع – دار الطليعة 1965، ص 338.

* والمقابلة الشخصية لحواتمة مع باروت في 1995/11/18.

(16) كتاب مع القومية (الحكم دروزة 1957)، كتاب لنتحد جميعاً لتحطيم الخطر الشيوعي (هاني الهندي 1959)، الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية (الحكم دروزة 1961 دار الفجر الجديد – بيروت)، لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، ح.ق.ع. من الفاشية إلى الناصرية (محسن ابراهيم دار الطليعة – بيروت 1970)، جريدة الرأي (عمان من 1953 إلى 1954)، جريدة الرأي دمشق (954 – 958) صادرة عن منظمة الشباب القومي العربي – نشرة الثأر.

القيادة القومية للحركة، وباسم مجموعة من الكوادر في سورية ولبنان أن يقترح حل حركة القوميين العرب مباشرة بعد الوحدة المصرية – السورية. وخاصة أنها أيدت حل الأحزاب في سورية (بيان آذار 1958)!!.

وتفادياً للحل، وبعد أن عجزت عن تشكيل ظاهرة حزبية جماهيرية، فقد تم الوصول إلى حل وسط، وهو اعتبار حركة القوميين العرب نفسها أداة طوعية بقيادة عبد الناصر: (القيادة الرسمية للثورة العربية)، والالتحام بالناصرية، مقابل عدم حل المنظمة[17].

والواقع أنه ومنذ عام 1958، أخذ التطور نحو الناصرية مجراه....

إن ضغط كل التطورات التي وقعت في صفوف حركة التحرر العربية، كتطورات التجربة الناصرية. وتطورات ثورات التحرر والتقدم في العالم الثالث، ونهوض الثورة العالمية وفي المقدمة الاتحاد السوفييتي وبلدان المعسكر الاشتراكي... كل هذا ترك فعله على صف العديد من القيادات والإطارات الفتية الشابة في مجموع التيار القومي، بما فيه حركة القوميين العرب.

وبالنسبة لي، وللعديد من العناصر الفتية، كان سِفْرُ التكوين الرابط بين الوطني والقومي والطبقي بدأ بالتجارب الملموسة في مجرى النضال على الساحات الأردنية، الفلسطينية، السورية، اللبنانية، اليمنية، أما سِفْرُ التطور، من مواقع الوطنية والقومية بالشعارات الغامضة، إلى الماركسية، فقد تكون على الأرض العراقية، التي كانت تمور بالصراعات الايديولوجية الوطنية والطبقية والقومية في أوسع مدى لها...

ومنذ ذلك الوقت، بدأ يتطور الوضع في التيار القومي بين يمين ويسار، وكان الميدان الأبرز لهذا التطور هو في تجربة ثورة 23 تموز (يوليو)، بمبادرة وقيادة عبد الناصر وفي حركة القوميين العرب.. وبدرجة أخرى في حزب البعث.

إن التطور باتجاه يمين ويسار، تسارع بوتائر أعرض وأوسع في التجربة الناصرية... تجربة 23 يوليو/ تموز.

في حركة القوميين العرب أخذ التطور نحو اليسار يشق طريقه على يد الجيل الجديد، ومع مطلع النصف الثاني من الخمسينات، واكتسب زخم التحولات الحاسمة باتجاه الماركسية إثر انهيار تجربة الوحدة المصرية – السورية.

ولقد سبق فرعا العراق واليمن الفروع الأخرى، فقد أصبحا حزبين جماهيريين واسعين، ولهما قواعد عمالية وفلاحية، بجانب أبناء الطبقة الوسطى، وتحت التأثير الواسع للتحولات الطبقية والفكرية الجارية في العديد من الأقطار العربية، مصر، سورية (بعد الوحدة)، العراق (بعد ثورة 14 تموز 1958)، اليمن (ثورة سبتمبر / أيلول 1962)، وصدى ثورة اليمن في الجنوب (ثورة تشرين الأول/ اكتوبر 1963)...

---

(17) (ح.ق.ع – محمد جمال باروت – سبق ذكره – الفصل السادس ص 114).

كان اليمن أمام معضلات النضال من أجل الاستقلال وفتح الطريق نحو بناء مجتمع عصري وتوحيد الجنوب المفتت إلى أكثر من واحد وعشرين كياناً إقليمياً إماراتياً وإقطاعياً.

ومنذ عام 1963، قطع فرع القوميين العرب في اليمن علاقته مع الحركة. وبنى تجربته الخاصة: فالجبهة القومية تطورت بتسارع، وفي مجرى النضال ضد الاستعمار وضد التجزئة وضد التخلف إلى مواقع الماركسية وما اشتقته من برامج، وفي مقدمتها: حمل السلاح للخلاص من الاستعمار والتجزئة والحكم الإقطاعي السلاطيني.

وفي شمال اليمن، وبعد ثورة 26 أيلول/ سبتمبر 1962، التي تعتبر امتداداً للتجربة الناصرية، تبنت إيديولوجيا وشعارات الناصرية. ومباشرة، انتقل فرع حركة القوميين العرب، في اليمن الشمالية، بما كان في صفوفه من تطورات إلى مواقع الإيديولوجيا التقدمية فالماركسية.

هذه التحولات كانت تجري في العراق بتسارع، وكان فرع الحركة هناك، قد بدأ سياسته الاستقلالية عن سياسة حركة القوميين العرب المركزية والشعارات القومية المغلقة والغامضة. كما بدأ هذا الفرع يعطي أجوبة على قضايا الثورة والتطور التي تمر بالصراع والتحولات الساخنة الاجتماعية والسياسية، الوطنية والقومية، والطبقية، وهذا الذي حَثَّ الخطا على طريق الماركسية. ولم يأتِ عام 1964 إلا وكان فرع العراق قد أخذ سياسة استقلالية كاملة بعنوان حزبي آخر هو: الحركة الاشتراكية العربية.

وفي سورية، انتهى فرع الحركة نهاية أخرى، حيث تم الاتجاه نحو الاندماج مع الاتحاد الاشتراكي العربي (1962) الذي تشكل فعلياً من حركة القوميين العرب التي تطورت نحو اليسار في مسارها مع ناصرية عبد الناصر من 1958، وأقسام واسعة من البعث وعديد من العناصر اليسارية الوطنية الأخرى.

وفي الخليج العربي تسارعت العملية، وعام 1966 كان كل شيء قد اختتم بفروع مستقلة قائمة بذاتها في كل بلد من بلدان الخليج. وقد انحازت نحو اليسار، ماعدا منظمة الكويت التي انشطرت إلى يسار ويمين.

وفي الحالة الفلسطينية – الأردنية، كانت عملية التحول الخطوة الأخيرة، وبعد هزيمة حزيران 1967 بالتحديد، وعلى قاعدة تنامي جناحين: جناح وطني يساري، وجناح قومي تقليدي. ولكن تم حسم المسألة فكرياً وبرنامجياً في آب 1968، إلاّ أن هذا الحسم لم يشق طريقه بسلاسة لوقوع ردة انقلابية عليه!..

لقد استمر الصراع دائراً بعد آب، إلى أن أخذ مجراه من جديد في شباط 1969 بانطلاقة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، واحتفظ الجناح الآخر بعنوان: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ومن الضروري الإشارة إلى أن الجناح القومي (الجبهة الشعبية) لم يتمكن من البقاء في حالة المرواحة بإطار الايديولوجيا القومية المجردة. وتحت ضغط مجموع الأحداث العاصفة في الساحة

الفلسطينية، وفي إطار الحركة الأردنية بفعل مجموع التطورات التي وقعت بالتجارب الوطنية العربية والحركات الحزبية بعد هزيمة حزيران/ يونيو 1967، ونهوض المقاومة الفلسطينية.... انتقل الجناح اليميني إلى تبني الماركسية رغم غلبة اللون القومي المتطرف عليه حينذاك!

وهنا، أود أن أضيف نقطة هامة، وهي أن العوامل الموضوعية، التي فتحت الدروب للتطور، من مواقع الإيديولوجيا القومية الوطنية العامة، إلى مواقع الماركسية بخصوصيات وطنية وقومية، استوعبت – وإن بدرجات متفاوتة – الربط الجدلي بين الضرورة الوطنية والقومية، وبين الحلول والبرامج المرحلية والتحالفات والمضامين الطبقية لحل معضلات التحرر وتقرير المصير – كما في حركة شعبنا. وحل معضلات التنمية المستقلة والدمقرطة بالتعددية وحقوق الإنسان والتداول السلمي للسلطة، والعصرنة والتقدم إلى أمام والعدالة الاجتماعية في الأقطار العربية التي نالت الاستقلال، بالإضافة إلى عمليات الربط الجدلي الحي واليومي بين الوطني والقومي... بين القطري والمشروع النهضوي الوحدوي.

إن التطور إلى الماركسية فتح الطريق للانتقال بالتركيب الطبقي الاجتماعي داخل فروع الحركة من مجموعات مغلقة ذات تكوين برجوازي كبير، وقليل من أبناء الطبقة الوسطى حتى عام 1958، إلى سلسلة من التغيرات الكمية والنوعية في البنية الطبقية تحت راية الانفتاح على الماركسية – الاشتراكية العلمية (الناصرية).

وعلى امتداد سنوات قليلة بعد عام 1958، تمَّ تغيّر كامل في مجموع البنية الطبقية. فتطورت نحو صفوف أبناء العمال والفلاحين والطبقة البرجوازية الوسطى من بين صفوف البرجوازيين التقدميين. وهذا شمل فروع لبنان وسورية والعراق واليمن وفلسطين والأردن، وبعض مواقع الخليج، وأصبح كل فرع من هذه الفروع يضم آلافاً من البشر. ولم يعد ممكناً بقاء الحركة في إطار الإيديولوجيا القومية المجردة، وانحسر بتسارع كبير تأثير المجموعة القومية الفوقية المركزية، التي لم يكن بيدها سوى الشعارات العامة!.

■ وكيف تشكل الفرع الأردني – الفلسطيني الذي عدت وتواصلت معه بعد هجرة قسرية لمدة عشر سنوات[18] ؟

■■ الفرع الأردني – الفلسطيني من حركة القوميين العرب كما أوردنا كان وليد مجموعتين، أو حلقتين، نشأتا في الجامعة الأمريكية في بيروت. المجموعة الأولى، وهي الأقدم، ومن أبرز عناصرها: حمد الفرحان وعلي منكو: الأول، وكان ملاكاً كبيراً. فيما كان الثاني أيضاً مليونيراً كبيراً.

---

(18) حواتمة غادر الساحة الأردنية – الفلسطينية سراً وبعد فترة اختفاء في عمان (شباط 1958) وعاد بعد حزيران 1967. ثم غادرها ثانية بعد خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن إثر معارك أحراش جرش وعجلون عام 1971، وعاد مرة أخرى بزيارة أولى في أيلول/ سبتمبر 1990 بعد غياب قسري استمر عشرين عاماً.

* الوسط العدد 155 – 1995/1/16 – ص 28.

وكانت المجموعة الأولى تضم: نزار جردانة، حاتم علوش، صلاح عنبتاوي، وآخرين من كبار الملاك والتجار!! أما المجموعة الثانية، فكانت تضم: جورج حبش ووديع حداد.

اندمجت هاتان المجموعتان تحت عنوان: القوميون العرب، وفيما بعد ضغطتا على المسألة الحساسة اللاهبة في الأردن، وهي (القضية الفلسطينية) فتشكلت مجموعات جديدة من أبناء المخيمات الفقراء وعدد من أبناء الطبقة الوسطى على ضفتي نهر الأردن.

ورغم كل هذا فإن العدد في الفرع الأردني – الفلسطيني لم يتخطَّ الثلاثمئة عضو حتى أوائل الستينات.

لقد كان هذا الفرع، هو الفرع الوحيد المتخلف عن الفروع الأخرى، بفعل نمط تركيبه الاجتماعي وهيمنة القيادة القومية التقليدية كما هو واضح، إذ ليس هناك بنية طبقية عريضة. كما أن المناخ، أو الاتجاه الفكري، الذي كانت تتمرس فيه المجموعة القيادية هو المناخ القومي التجريدي العام. وكانت المكتبة الأردنية على امتداد تلك الفترة من 1958 إلى 1967 مغلقة على الكتاب اليساري – الماركسي، ومغلقة على الدوريات ذات الاتجاهات التقدمية، فضلاً عن منع وصول مجلة الحرية ووثائق وتجارب الاتجاه اليساري في الأقطار العربية الأخرى.

لقد تمترس الاتجاه القومي التقليدي في هذا الفرع، وهذا ماجعل الوضع يأخذ طابعاً غير سلس. كما أخذ أشكالاً من العنف، بعد أول انفتاح في جداره إثر وبعد هزيمة 1967، وكان الاتجاه القومي اليميني هو المبادر إليها في الساحة الأردنية – الفلسطينية (الضفتين).

أما في قطاع غزة، فقد بدأ التململ بحثاً عن الهوية، والدور الوطني الفلسطيني يفتح دروبه تحت تأثير تجربة ثورة 23 تموز/ يوليو الناصرية. فالقطاع تحت إدارة مصرية، ومن هنا أخذت تنبت كالفطر محاولات بناء منظمات فلسطينية (مستقلة) بجانب فروع الأحزاب المشرقية العربية بتياراتها الثلاثة، (القومية: ناصرية، بعث، قوميين عرب – الحزب الشيوعي الفلسطيني وعلاقته مع الحركة الشيوعية المصرية ودون رابط مع الحزب الشيوعي الأردني، الذي بقي موحداً بالضفتين حتى عام 1982 – الإخوان المسلمين في غزة وهو تيار امتداد للإخوان المسلمين في مصر. وفي الضفة امتداد للإخوان المسلمين في الأردن).

وثانياً: بدأت الإدارة المصرية[19] بإطلاق (كتائب فدائية فلسطينية) في غزة، ومنها ومنذ مطلع 1958 شكلت الإتحاد القومي الفلسطيني في غزة ومخيمات سورية مباشرة بعد الوحدة، كما بادرت إلى إطلاق حكم ذاتي فلسطيني له مجلس تشريعي وتنفيذي فلسطيني (مقره الآن مقر مجلس الحكم الذاتي وفق اتفاق أوسلو 1993).

---

(19) عيسى الشعيبي (الكيانية الفلسطينية - الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي)، (مركز الأبحاث م.ت.ف. 1979) حيث يشير ص 47/ الفصل الثاني إلى البدايات الكيانية الأولى على الصعيد الفلسطيني (الاتحاد العام لطلبة فلسطين، تشكيل نواة فتح، حركة الأرض.....) والمساهمة العربية (العراق - فوج التحرير الفلسطيني) و (مصر - الاتحاد القومي العربي الفلسطيني) وإطلاق يد المقاومة في قطاع غزة (كتائب الفدائيين)... وصولاً إلى تأسيس م.ت.ف برافعة مصرية بقيادة عبد الناصر. وسبقه إنشاء مجلس تشريعي وتنفيذي فلسطيني في قطاع غزة عام 1958 وكان الحاكم الإداري المصري هو رئيس المجلس... المصدر السابق ص 73.

وبعد انهيار وحدة مصر وسورية عام 1961، دعا عبد الناصر شعب فلسطين لتشكيل حركته الوطنية، وأخذ دوره في عملية تحرير فلسطين. وفعلاً أخذت التنظيمات الفلسطينية المستقلة عن أحزاب حركة التحرر العربية تتوالد بكثافة، وبلغت عام 1961 – 1962 أكثر من 36 تنظيماً. ومع ذلك فإن (اللجنة التنفيذية للحركة) لم تخطُ خطوة واحدة نحو ملامسة هذه التطورات في قطاع غزة ومخيمات سورية ولبنان، وشعار (طريق الوحدة طريق تحرير فلسطين) هو السائد في عمل منظمات القوميين العرب في الساحة الفلسطينية – الأردنية (الضفتين) وفي مخيمات سوريا ولبنان، وكذلك في قطاع غزة، رغم كل هذه التطورات العاصفة الفلسطينية والعربية وبين 1959 – 1963 تحت ضغط هذه التطورات العاصفة، تشكلت لجان فلسطينية في كل فرع غير مستقلة وتحت إدارة وقيادة الفروع الإقليمية (السوري، اللبناني، الأردني، الكويتي...).

أما بعد تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية، فقد تشكلت قيادة العمل الفلسطيني في الخارج (الشتات) أواخر عام 1964. شملت مخيمات سورية ولبنان، ولم تشمل الضفتين وقطاع غزة، وبقي الحال هكذا حتى هزيمة 1967 وتحت هيمنة الاتجاه القومي التقليدي. وغلبت على البعث ذات النظرة القومية حتى حزيران 1967. أما الحركة الشيوعية العربية المشرقية، فلم تتلمس أي شيء من هذا وبقيت حتى آذار/ مارس عام 1970خارج سياق اتجاه الريح. أما حركة الإخوان المسلمين، فبقيت خارج السياق كلياً حتى إعلان حماس في آب 1988.

بعد هزيمة 1967 فقط، انهارت السدود القومية التقليدية وانفتحت آفاق بناء حركة فلسطينية قائمة بذاتها ولها خصوصياتها الوطنية... فالوهم القومي المجرد سقط بعد هزيمة 1967.

■ كان لبنان في ذلك الوقت يكافح ضد كميل شمعون ومبدأ ايزنهاور...

■■ نعم!.. لقد نشبت الثورة اللبنانية ضد محاولات كميل شمعون وحكومته ربط لبنان بمشروع ايزنهاور وتحويله إلى بؤرة مضادة لقوى التحرر العربية، فضلاً عن كبح رياح التطور التي أخذ يضج بها لبنان وتقرع أبوابه نحو لبنان الوطني وليس لبنان الامتيازات والتكوينات الطائفية.

وعندها كان دخولي إلى لبنان سيراً على الأقدام على رأس قافلة كبيرة من السلاح من حمص عن طريق السلسلتين الجبليتين حتى طرابلس، حيث تحملت مسؤولية القيادة الحزبية التنظيمية والسياسية والعسكرية لتنظيم الشباب القومي العربي (أي القوميين العرب) في طرابلس، ناضلنا معاً في إطار قيادة موسعة في مقدمتها رشيد فهمي كرامي، برهان غليون، محمود طبّو، عصام حداد، مصطفى صيداوي. وكان التنسيق مع الرئيس رشيد كرامي وحزبه (حركة التحرير العربي) الذي حمل السلاح، ونشأت بيننا صداقة عميقة منذ عام 1958 حتى لحظة استشهاده المأساوي (بمؤامرة) لم تكشف فصولها بعد، ومع حزب البعث الذي حمل السلاح أيضاً وقيادته (عبد المجيد الرافعي وآخرين) واستمر ذلك حتى تم التوصل إلى حل وسط بين الجمهورية العربية المتحدة بزعامة جمال عبد الناصر، وبين فؤاد شهاب الذي أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية

ولأخفيك، ففي سياق هذه الأحداث كانت أفكاري تتبلور باتجاه التماسّ المكثف مع الماركسية... وبعد ذلك انتقلت إلى بغداد!

■ من الضروري التوقف عند المؤتمرات التي عقدتها حركة القوميين العرب فهذه النقلة توضح جوانب تطور الحركة السياسي!..

■■ كان مؤتمر بيروت، الذي انعقد في نيسان 1963، وشارك فيه عدد من فروع حركة القوميين العرب، هو المؤتمر الأول والأخير. وتم بغير انتخابات من القاعدة، بل بمشاركة الهيئات الإقليمية في معظم الفروع، وهذا تطور كبير يحدث لأول مرة، بينما قبل هذا كان كل شيء يتم على يد مجموعة مركزية مغلقة لايتجاوز عددها أصابع اليدين.

وطرحت في المؤتمر وثيقة نظرية، لأول مرة، على نطاق مجمل فروع الحركة. هذه الوثيقة التي أكدت الانحياز للاشتراكية، وذلك استجابة لسلسلة التحولات التي عصفت بالمنطقة والعالم، والتي جرت في معظم الفروع، وكنت مع عدد من الزملاء الذين شاركوا في هذا الاتجاه وخاصة الثلاثي الذي قاد سلسلة التحولات الايديولوجية والسياسية والتنظيمية الطبقية (نايف حواتمة - محمد كشلي - محسن ابراهيم) ويمكن القول إن الذين قادوا الاتجاه نحو الاشتراكية هم من العناصر الشابة[20] .

ولقد استجابت كل الفروع، لنتائج أعمال هذا المؤتمر الذي انتقل، بأغلبيته الساحقة، نحو اليسار. في حين تم رفضها في الاتجاه القومي التقليدي في المركز أو في الهيئة المركزية[21] ومن قيادة الفرع الأردني الفلسطيني فقط!.

■ وكيف انعكست استجابة الفروع لذلك؟!

■■ في سياق مجموع هذه العملية من التحولات اندفعت الفروع نحو ممارسة برامجها القطرية بما يستجيب لطبيعة المرحلة التي يمر فيها هذا القطر أو ذاك من منظور: إما استكمال عملية التحرر الوطني كما هو الحال في جنوب اليمن مثلاً، أو الشروع في حل معضلات قضايا الثورة الوطنية الديمقراطية في بلدانها، مثل اليمن الشمالي والعراق وسورية ولبنان وبلدان الخليج.

ففي اليمن الشمالي، اتخذ الفرع عنواناً ينسجم وطبيعة المرحلة: الحزب الديمقراطي الثوري (1962) بأمانة سلطان أحمد عمر، جار اللّٰه عمر، يحيى الأرياني، عبد الكريم الشيباني، مالك الارياني، وفي جنوب اليمن: الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن 19 آب 1963، بقيادة

---

(20) راجع لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين (سبق ذكره) لمحسن ابراهيم وخاصة النقد الذاتي وتردده الايديولوجي مقابل الخط الماركسي (حواتمة، كشلي).

* كذلك كتاب (ح.ق.ع. وانعطافاتها الفكرية) لسهير التل، (سبق ذكره) - الفصل الثالث ص 115 والفصل الرابع ص 187.

* كما يشير المحامي سامي ضاحي أحد قادة الحركة في سوريا في لقاء خاص معه 1996/11/11 إلى أن حركة القوميين العرب تأثرت بالناصرية لدرجة الالتحاق بها. ثم تبع ذلك الانصهار ثم الانتقال إلى التمايز وأخيراً الاستقلال اليساري. ويعتبر أنه لولا الناصرية لما كان هناك حركة قوميين عرب في سوريا.

(21) جورج حبش، هاني الهندي، وديع حداد.

* راجع (محمد جمال باروت - ح.ق.ع. سبق ذكره....)

عبد الفتاح اسماعيل، سالم ربيع علي، علي عنتر، علي صالح عباد، عبد الله الخامري، علي سالم البيض، فيصل الشعبي، محمود عشيش، فيصل العطاس، سالم صالح محمد، محمد صالح مطيع، عبد العزيز عبد الولي، محسن، علي ناصر محمد، صالح مصلح.

وفي العراق: الحركة الإشتراكية العربية (أواخر عام 1963) بقيادة عبد الإله النصرواي، أمير الحلو، العميد صبحي عبد الحميد، سلام أحمد، باسل كبيسي، نوري الموسوي.

وفي لبنان: منظمة الاشتراكيين اللبنانيين (محسن إبراهيم، محمد كشلي، عصام حداد، مصطفى بيضون، مصطفى صيداوي، رشيد فهمي كرامي، حكمت عيد، برهان غليون، زهير رحّال، د. معن زيادة، عدنان زيباوي...).

وفي الكويت: انشطرت المنظمة إلى يسار باسم الحركة الشعبية الثورية، وبرز من قياداتها النقابي البارز حسين اليوحة، ناصر الغانم، د. أحمد الربعي، ناشي سعد، أحمد الديين، عبد العزيز دعيج، راشد محارب، وكلهم من الجيل الثاني وأبناء طبقة متوسطة. أما الاتجاه القومي التقليدي، فشكل (تجمع الديمقراطيين الكويتيين) بأمانة الدكتور أحمد الخطيب، عبد الله النيباري، سامي منيّس. والاتجاه الثالث، وهو قومي ناصري شكّل (التجمع الوطني) برئاسة جاسم القطامي.

وفي عُمان: الجبهة الديمقراطية الشعبية العمانية (محمد أحمد الغساني، عبد العزيز القاضي...)

وفي البحرين الجبهة الشعبية لتحرير البحرين (عبد الرحمن النعيمي، أحمد حميدان، عبد الرحمن كمال) وكلها ذات اتجاه ماركسي...

أما في سورية، فقد تم باكراً، وبعد الردة الانفصالية، اندفاع الفرع ذاتياً وتحت فعل الصراع الوطني والطبقي الساخن في الشارع السياسي والزلزال الذي هزَّ كل الخارطة الحزبية إلى اليسار الناصري الماركسي كما أدى زلزال الصراع إلى انقسامات واسعة في صفوف الحركة القومية (مثلاً: البعث ثلاثة انقسامات: قومي عام، انفصالي: أكرم الحوراني وصلاح البيطار، ناصري يساري: سامي صوفان، وأديب النحوي).

حدث ذلك في سورية دون أي تماس مع الاتجاه اليساري العريض في الفروع الأخرى، وتم الانخراط في الإتحاد الاشتراكي العربي في سورية (1962) ومن أبرز العناصر القيادية: سامي ضاحي، زهير صندوقة، طارق مدوّر، مهدي جراد، زكي قاسمو، عبد الرحيم سويد، فتحي كيتكاني وأسامة هندي الذي ساند الخطوة فقد كان لحظتها معتقلاً، بينما وقفت القيادة القومية التقليدية مستسلمة لقرار الخط اليساري ومشجعة له تحت شعار: (قاتلوا في قلب الحركة الشعبية الناصرية!). كما يؤكد سامي ضاحي الذي كان في مقدمة الصف القيادي اليساري، وكله من الجيل الثاني وأبناء طبقة وسطى، بينما الصف الأول القومي التقليدي ينتمي كله إلى عائلات الملاك وكبار التجار: المهايني... العابد... العائدي... الحراكي.

■ وتجربتك في فرع العراق للحركة؟!

■■ لقد تفردت تجربة العراق بالنسبة لحركة القوميين العرب بالتمايز، منذ نهاية عام 1958، تحت اسم حركة القوميين العرب، وليس تحت اسم الشباب القومي العربي أو القوميين العرب.

لقد تم هذا بعد فترة قصيرة من انتقالي لبغداد وتحمل مسؤولية قيادة الفرع هناك. كان هذا الفرع يُعد بالعشرات فقط، وبالدقة (27) عضواً من أبناء عائلات برجوازية كبيرة وإقطاعية بعد أكثر من عشر سنوات من عمر الفرع. إن رقم (العشرات) هذا يتكرر في سوريا ولبنان والأردن والكويت بعد عمر عشر سنوات، فقد وصلت التجربة إلى الحائط تحت سقف تركيبها القومي التقليدي والطبقي والتنظيمي المغلق.

■ لماذا هذا العنوان: حركة القوميين العرب؟!.

■■ كان التيار القومي هناك، وعلى اختلاف أطيافه: بعثي – ناصري – قومي محلي. يطلق عليه: (القوميون العرب) الجميع قوميون عرب، ودون تمييز بين حزب وآخر. وعند بدء المسؤولية في بغداد كان فرع الحركة يُعَنْونُ بياناته باسم: الشباب القومي العربي. وبذلك لم يكن ممكناً التميّز بحزب قائم بذاته، إلاّ باتخاذ اسم جديد يقوم بذلك، فكان اسم: حركة القوميين العرب.

وفي مجرى عملية التطور المتسارعة، اتخذ عنواناً جديداً لاحقاً، يتناغم مع طبيعة التحولات الفكرية والطبقية الاجتماعية والبرنامجية اليسارية في صفوفه، بعد أن أصبح حزباً جماهيرياً عدد أعضائه عام 1963 يزيد عن خمسة آلاف عضو!

وتوقف حواتمة لحظة عن الكلام، ثم قال متذكراً لحظات صعبة في مجرى النضال والتحولات الثورية:

■■ لقد تم اعتقالي الثاني في العراق، بعد خروجي من السجن بأقل من شهر! وكنت قد خرجت يوم الانقلاب الذي قاده البعث – عبد السلام عارف في 8 شباط 1963. ولكنهم أعادوا اعتقالي على يد الانقلاب الجديد بعد شهر واحد فقط، عندما أصدرنا الجريدة اليومية (الوحدة)[22] التي دعت إلى الديمقراطية والديمقراطية التعددية، وتأميم الثروة النفطية، وحل القضايا الاجتماعية والتنمية المستقلة العالقة داخل العراق، وإعادة بناء العلاقة بين العرب والأكراد. فضلاً عن بناء دول اتحادية (فدرالية) بين العراق والجمهورية العربية المتحدة حلاً للعلاقة بين الخصوصية العراقية والعملية الوحدوية العربية.

وكان رأينا أن يتم حل هذه القضايا على قاعدة ديمقراطية بعيداً عن العنف الذي يلوح في الأفق. ووقتها ربطنا في النضال، بين إنجاز مهمات الثورة الوطنية الديموقراطية العراقية، وبين ضرورات الترابط القومي والتطلع نحوبناء دولة اتحادية، بين العراق وسورية ومصر.

ولذا تم إغلاق الجريدة في أقل من شهر. كان امتيازها باسم رئيس تحريرها الشهيد الرفيق والصديق باسل كبيسي، وناضلنا معاً، على امتداد هذه الفترة، وكنت كاتب الافتتاحية اليومية ومعظم الصفحات الأولى فيها[23].

---

(22) يشير حواتمة لمجلة الوسط العدد 155 – ص 27 – 1995/1/16 إلى أن جريدة الوحدة الناطقة باسم (ح.ق.ع.) في العراق عاشت 27 يوماً فقط وأغلقت على يد سلطة شباط وتم الاعتقال الثاني لحواتمة، ثم أُبعد لمصر. كما يشير حواتمة إلى أن اعتقاله الأول في العراق كان على يد سلطة عبد الكريم قاسم التي جنحت نحو الدكتاتورية الفردية.

(23) يشير العميد الركن والوزير العراقي السابق عبد الكريم فرحان في كتابه (حصاد ثورة) تجربة السلطة في العراق 1958 – 1968، الصادر عن دار البراق – لندن – طبعة اولى – 1994 – ص 65، إلى (دور رموز حركة القوميين العرب "حواتمة، باسل كبيسي وغيرهم" في التفاعل مع القضايا العالقة في العراق). ويشير ص 65 إلى لقاءات عدة في بيت المحامي والضابط ⇐

■ إذا كنت لاتود الحديث بشكل موسع عن فترة السجن في حياتك، فهل بالإمكان إعطاء لمحة عن فترتي الاعتقال في العراق؟!

فضحك حوامة وقال:

■■ الواقع أنني خرجت من العراق بحكمي إعدام!

وأضاف، دون أن يقدم تفاصيل وافية:

■■ الاعتقال الأول كان خلال حكم عبد الكريم قاسم. وكانت التهمة: العمل المشترك في الشارع، ومع مجموعات عسكرية واسعة لتغيير الأوضاع الديكتاتورية، والفتح من جديد على اتجاه ناضلنا أن يكون ديمقراطياً وتقدمياً.

وفي هذا الاعتقال، تجاورت في السجون مع العديد من القيادات البعثية أو الناصرية أو الشيوعية، التي زَجَّ بها عبد الكريم قاسم في المعتقلات في فترة حكمه الأخيرة.

كنت مشبوحاً (مصلوباً) لشهور في زنزانة منفردة في سجن الأمن العام المركزي في بغداد. بعدها نقلت إلى سجن بغداد المركزي (بجوار وزارة الدفاع)، وكان معي هناك صالح مهدي عماش وعلي صالح السعدي، والعشرات من الذين تسلموا القيادة في شباط 1963، وكان السباق على إزاحة دكتاتورية قاسم بين مجموعاتنا القومية العسكرية وبين المجموعات البعثية قد قارب أيامه الأخيرة. فقد بدأ العد التنازلي لمن يفوز بالسباق وقد مضت على اعتقالي شهور متنقلاً بين سجن الأمن العام وسجن بغداد، والعراق يموج بالشائعات الانقلابية واضطرابات الطلبة. فتمت إعادتي إلى سجن الأمن العام وبانتظاري موجة تحقيقات جديدة وموصولة الليل بالنهار مع عودة إلى استكشاف خطي بعد أن تجاوزت هذه المرحلة، وفشلت مصلحة التحقيقات في الربط بين (البرنامج السياسي والاجتماعي) الذي

⇐ المتقاعد جميل السعودي بين نايف حواتمة وباسل كبيسي ومن الجانب الآخر ممثلو اللجنة القومية العليا (بعث، قوميون) (أحمد حسن البكر، عبد الكريم فرحان، صبحي عبد الحميد، صالح مهدي عماش)...، كما يتحدث عن (لقاءات حواتمة - الكبيسي مع مجموعة اللواء الركن عبد العزيز العقيلي أحد قادة الجيش العراقي، ويؤكد فرحان في كتابه أن هذه اللقاءات كانت تدور من أجل خلاص العراق من الأوضاع النسيئة التي كان يعيشها في ظل عهد عبد الكريم قاسم).

* من جانب آخر يذكر حواتمة لمجلة الوسط (سبق ذكره) ص 27 أن رفاق الأمس في التنسيق المشترك دفعوا به إلى السجن في عهد ائتلاف "عارف والبعث" بسبب النفوذ الواسع للحركة في الجيش ومايصدر عن صحيفة الوحدة وعن (ح.ق.ع.).

* ويشير د. باروت في كتابه (ح.ق.ع. /سبق ذكره/) ص 287، ص 288 إلى اتصال (ح.ق.ع.) بشخص قيادييها الشابين حواتمة وكبيسي بمختلف الكتل العسكرية القومية في الجيش العراقي في وقت واحد. كل على انفراد، واتفقت مع كتلة اللواء عبد العزيز عقيلي ومع كتلة الضباط القوميين بقيادة عبد الكريم فرحان، صبحي عبد الحميد، عبد الرزاق عارف، واللجنة القومية المشتركة برئاسة أحمد حسن البكر، وكتلة العميد عبد الهادي الراوي والمقدم حداد. حيث دارت الاتصالات للتخلص من حكم عبد الكريم قاسم الدكتاتوري.

اعتقل حواتمة ولم يطلق سراحه إلا في 1963/2/8 حيث وجهت له تهمة (المؤامرة) ضد نظام قاسم. ويسجل د. باروت أن حواتمة قام بدور المنسق السياسي بين التنظيمات القومية بالجيش، وكان الاتفاق على حركة مشتركة بين البعث والقوميين، ولكن بعد اعتقال البكر، عماش والسعدي في 3، 1963/2/4 دفع ميشيل عفلق البعث في العراق للتعجيل بخطة الإطاحة بالنظام وهي الخطة التي كانت مقررة بين ح.ق.ع. والبعث. يسجل أيضاً أن القوميين تلمسوا مؤشرات خاصة بعثية في الجيش مما دفعهم لتحديد موعد خطتهم المستقلة في 23/ 2/ 1963، إلا أن انقلاب عبد السلام عارف - البعث استبق الأمر في 1963/2/8.

اكتشفوه بين (خبايا) البيت الذي اعتقلوني فيه، وبين الخط الذي كتبته باليد الأخرى. والبرنامج مقدم إلى المجموعات العسكرية وموضع حوار بيننا ليشكل برنامج العمل بعد إزاحة ديكتاتورية قاسم.

وأضاف حواتمة وقد أخذته الذاكرة قليلاً إلى الماضي:

■■ الاعتقالات في القيادة البعثية البارزة تمت يومي 3 و 4 شباط. وصباح 8 شباط خرجت من زنزانتي بسجن الأمن العام، فوجدت علي صالح السعدي ورفاقه، وبدأ الحوار بيننا لمن (العملية الانقلابية العسكرية) وكل منا يصّر أنها للآخر، فكل يعتمد كلمة سر تاريخ عمليته الانقلابية الخاصة. وكانت عمليتنا الكبرى في 23 شباط في أول أيام عيد الفطر ويطلق شرارتها الرئيس الأول الركن فاروق صبري عبد القادر على الدكتاتور قاسم في نادي الضباط، ثم تتحرك القطعات العسكرية والمجموعات الشعبية المسلحة وكان للبعث تاريخ آخر...

وعند وصول التعليمات بالافراج عن حواتمة والسعدي اتضح أن العملية نتاج ائتلاف عبد السلام عارف – البعث. وهنا أفصح السعدي لي في اللحظة التي خرجنا فيها من الأسر أن البعثيين قدموا (انقلابهم) لقطع الطريق على (انقلاب القوميين)، فقد تسربت (معلومة) تقول أن خطوة مجموعاتنا القومية هي في شهر شباط/ فبراير دون تاريخ دقيق، ولذا سارعوا مع عبد السلام عارف.

وبعد أقل من شهر عدت إلى السجن إياه على يد (زملاء الأمس)، عدت إلى سجن الأمن العام المركزي، إلى أن غادرت بغداد إلى القاهرة فبيروت وبلدان الشرق، وبتدخل من عبد الناصر وميشيل عفلق[24].

وصمت حواتمة برهة وهو يوقف سيل ذاكرته، ثم أضاف باعتزاز و كبرياء:

■■ لقد فزت بفترة نضال في العراق امتدت نحو خمس سنوات تقريباً بخدمة شعب العراق. وفي مجرى النضالات السرية، من بغداد إلى الموصل إلى كربلاء والنجف الأشرف حتى البصرة، رأيت، بعيون مفتوحة، الشّهادة غير مرة. وفي مجرى التحولات نحو اليسار والانتقال بمجموع فرع حركة القوميين العرب إلى الماركسية فزت بالتأثير على الأحزاب الأخرى التي تتجه أكثر فأكثر يساراً، وفزت بشبكة صداقات شعبية وسياسية عراقية جذورها عميقة وواسعة حتى يومنا، حية لاتنتهي تنعش الروح تدفقاً في النضال على مدى مساحات الحياة!

■ كيف حلت حركة القوميين العرب؟!

■■ الحركة انتهت في المحتوى الفكري والطبقي الأساسي منذ عام1958 عندما قررت القيادة الالتحام بالناصرية، ومسألة حل الشكل أصبحت واقعية منذ عام 1966. ومع ذلك، وفي صيف

---

(24) كانت قيادة حركة شباط تخطط لتسليم حواتمة للحكومة الأردنية رغم علمها بحكم الاعدام عليه بعد محاكمات ناديا وابراهيم السلطي وأبو عيسى ولذا تدخل عبد الناصر لإبعاده إلى القاهرة، وتدخل ميشيل عفلق لإبعاده إلى دمشق دفعاً لفضيحة مدوّية وربما تختتم بجريمة كبرى صاحبة لايستطيع حزب البعث حمل ثقلها في العراق وسوريا بعد أن تدخل عبد الناصر.

عام 1968، جرى اجتماع تشاوري بين مندوبين عن كل الفروع، وقرر حل حركة القوميين العرب، وحق كل بلد في أن يشق طريقه مستقلاً، وأن يطور أوضاعه وفقاً لمهمات مراحل التحرر والثورة الوطنية الديمقراطية، والخيارات الاستراتيجية (والتحالفات المطروحة) على جدول النضال إلى الأمام. وتم إعلان هذا ببيان 10 شباط/فبراير الصادر عن اللجنة القومية لعموم الحركة.

لقد كانت هذه المحاولة من أجل الاحتفاظ بالحدود الممكنة للتنسيق بين كل هذه القوى. ولكني أقول بصراحة: إن اختتام الفصل الأخير لحركة القوميين العرب، كان في عام 1966. عندما شق كل فرع من الفروع طريقه وأخذ عنوانه وصاغ برنامجه الخاص لوحده. وهذه العملية فرضتها التطورات الموضوعية وتم تسريع وتائرها في كل بلد وفي المنطقة بفعل تأثير الرواد الذين قادوا هذا التيار في كل فرع وبلد.

والواقع أننا في عام 1968، جئنا لكي نبحث في كيفية استمرار التنسيق بين الفروع التي استقلت وشقت دروبها الخاصة. لذلك أعلنا ماكان قد وقع: أنه لم يبقِ شيء من حركة القوميين العرب بالتكوين الايديولوجي والسياسي والطبقي الذي سارت عليه حتى عام 1958 حيث انتقلت بالتجاور مع التيار الناصري بخطا متسارعة نحو اليسار الماركسي غير التقليدي.

وكان رد فعل ماتبقى من حاملي الاتجاه القومي، وبالتحديد في الساحة الأردنية – الفلسطينية، هو محاولة إحياء الحركة بالتقاط مايمكن التقاطه وتشكيل فروع جديدة تحت نفس العنوان. لكنهم لم يستطيعوا إيجاد المجموعات التي تعيد إنتاج ماثبت أنه في طريق مسدود. فالتاريخ لايعيد نفسه.

■ هذا يعني أن الحركة حُلَّتْ دون مؤتمر فعلي منتخب، بل إن المؤتمرات المنتخبة غائبة عن تاريخ الحركة، هل كانت هناك إعاقة في هذا الجانب؟

■■ الهيكل الهرمي كان هيكلاً مقنناً بالمركزية المغلقة من أعلى إلى أسفل. وكانت هناك مراتبية، ولكن في التعيين، وليس في الانتخاب. فهناك مجموعة (فوق) تسمي نفسها (الأمانة العامة)، ثم (تحتها) تأتي قيادة الفرع ثم لجنة كذا، ومنطقة كذا.... ثم الرابطة، ثم الخلية. وحتى الخلية كانت قائمة على قاعدة المركزية، من أعلى إلى أسفل، ومقننة بالتعيين!

وهذه المسألة واحدة من العوامل، التي تفسر التخلف، حتى في الهيكلية التنظيمية على يمين أحزاب حركة التحرر العربية التي كانت قائمة.

لقد كانت العملية محصورة (فوق) بعدد متواضع جداً من الأشخاص هم الأمانة العامة: (جورج حبش – حمد الفرحان – هاني الهندي – أحمد الخطيب).

وفي مرحلة لاحقة في أوائل الستينات أضيف إلى هذه الأمانة محسن ابراهيم. أما في الأمانة العامة التي جاءت بعد عام 1963، فكان هناك أربعة أشخاص: (جورج حبش – نايف حواتمة – هاني الهندي – ومحسن ابراهيم).

إن طبيعة تركيب الهيكل التنظيمي القائم على المركزية المغلقة، وكل شيء بالتعيين، لايفتح الباب لانعقاد المؤتمرات بالمطلق.

والواقع أنه لم يعقد في تاريخ حركة القوميين العرب لا مؤتمر شامل منتخب ولا حتى غير منتخب. وكان الصراع يتنامى بدءاً من عام 1957 بين اتجاه فتي شاب يدفع نحو اليسار، واتجاه آخر قومي يميني.

بعد مؤتمر نيسان 1963، تم تشكيل لجنة سداسية للتحضير لمؤتمر منتخب (كشلي، حواتمة، ابراهيم، الهندي، حبش، حداد) أي (3+3)، ولكن العناصر القومية التقليدية عطلت هذه العملية، واتخذت مساراً آخر يتمسك بالعلاقات والهيكلية التنظيمية المركزية.

■ ولكنك كنت في القيادة، وفي مرحلة ما أسست للتنظيم الأردني الفلسطيني والعراقي ولعبت أدواراً بارزة في شطري اليمن وفي الخليج إلى لبنان وسورية. فهل حاولت العمل لإنشاء حالة تداولية قريبة من المؤتمر؟

■■ في العراق واليمن بدأت الديمقراطية الحزبية مطلع عام 1960 وأخذت العملية الانتخابية، من القاعدة إلى القمة طريقها. في حين كانت هذه العملية في الفروع الأخرى متأخرة. وعلى الصعيد المركزي تمثلت الخطوة الأولى الواسعة بمؤتمر نيسان 1963 الذي جمع لأول مرة في تاريخ حركة القوميين العرب قيادات الفروع، وشكلت الخطوة تطوراً خطيراً شكلاً ومحتوى فلأول مرة ينتقل القرار إلى مؤتمر الفروع ويتم كسر الحلقة المركزية المغلقة على عدد أصابع اليد الواحدة.

وبدءاً من عام 1968 أخذت فروع الحركة – ماعدا الفرع الفلسطيني الأردني ـ تعقد مؤتمراتها المنتخبة، وبناء العلاقات الداخلية على قواعد ديمقراطية من القاعدة إلى القمة (العراق، شطري اليمن، لبنان، بلدان الخليج...).

وإذا كان المقصود هو الحديث عن المرحلتين في الاطار الأردني – الفلسطيني، فالمرحلة الأولى (مرحلة التكوين) هي مرحلة قصيرة ذات مهمات نضالية أمام الوضع الذي نشأ في الأردن،وقتها في النصف الثاني من الخمسينات.

ولكن بعد عام 1967 (المرحلة الثانية) أخذنا بعملية تجميع وتفعيل ودفع للعناصر اليسارية داخل الفرع الأردني الفلسطيني، وباتجاه: إشاعة الفكر اليساري/ الماركسي. والتحضير لمؤتمر لكل الفرع بتلاوينه المختلفة لحسم الاتجاه يساراً، وتقديم برنامج لحل المعضلات الداخلية والاستجابة للنهوض الوطني العام.

وهنا ينبغي التوقف عند أجواء التحضير لهذا المؤتمر. فقد كان أمامنا العديد من القضايا: دور اليسار الماركسي في حركة التحرر العربية والفلسطينية الناهضة. ودور اليسار في حل معضلات الائتلاف الوطني بين الفصائل الفلسطينية[25] على برنامج مشترك، ودوره في إعادة بناء

---

(25) يشير حواتمة هنا إلى بروز تسمية فصائل المقاومة الفلسطينية بدلاً من تسمية العمل الفدائي التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ويوضح أن اليسار الفلسطيني (الجبهة الديمقراطية) هو من أطلق هذه التسمية لأن المقاومة تتعلق بالمحتلين والغزاة والعدو الخارجي أو الاستيطاني. في حين أن العمل الفدائي يمكن أن يكون ضد عدو ويمكن أن يكون في أعمال داخلية. ويورد طرفة على لسان خالد الحسن عندما قال له: (يا أبا النوف لقد حولتنا إلى فصائل خيل...).

العلاقات الفلسطينية الأردنية على ضوء الوقائع الجديدة المتمخضة عن احتلال مجموع الضفة الغربية والقدس وغزة.

كذلك دور اليسار الماركسي في حل التعارضات التي بدأت تبرز على السطح بين المقاومة الوطنية الفلسطينية للاحتلال، ومايترتب عليها من صلات مع القوى الوطنية الأردنية وشؤون شعبينا وجانب آخر من مقاومة الأعمال العدوانية الإسرائيلية، التي برزت مبكراً، باجتياز نهر الأردن إلى غور الأردن ونشوب معركة الكرامة بشكل مبكر. وهذا ماشكل أيضاً التعارضات بين المقاومة الفلسطينية بكل طيفها وبين السلطة الأردنية وضرورة حل هذه التعارضات.

لقد تنبهنا لهذا باكراً، ولذلك بدأنا الاعداد لمؤتمر يبحث عن حلول لهذه القضايا. وفعلاً لأول مرة يشهد الفرع الأردني الفلسطيني لحركة القوميين العرب، والذي بات يحمل عنوان: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مؤتمراً عاماً موسعاً بمندوبين عن الهيئات، لأن الفريق الآخر رفض عملية ديمقراطية انتخابية من الخلية إلى المؤتمر. فهو لم يعتد على هذه التقاليد بل إنه اعتبر عقد المؤتمر الموسع لأكبر عدد من الهيئات القيادية بدعة جديدة!!

لقد انعقد هذا المؤتمر في آب 1968[26]، وقدمت شخصياً وثيقته الرئيسية المعروفة بعنوان: برنامج آب 1968. وحضر هذا المؤتمر الاتجاهان الوطني اليساري والقومي الكلاسيكي. وكان في مقدمة المشاركين: نايف حواتمة، أبو علي مصطفى، حمد الفرحان، عبد الكريم حمد، عمر القاسم، عبد الغني هللو، سعيد البطل (أبو مشهور)، حمدي مطر، د. نظمي خورشيد، مها بسطامي، حسين سالم، وعدد واسع....

وفعلاً أنجز المؤتمر أعماله، فأقر تقرير آب، وأقر برنامجه، وانتخب قيادة. وفور انتخاب القيادة، التي كانت بأغلبية واسعة من اليسار، حوصر مقر المؤتمر في إحدى القواعد العسكرية بجبال السلط، وطولبنا تحت ضغط السلاح بضرورة التراجع عن قراراته وقيادته المنتخبة، وكاد يقع الصدام الدامي لولا تدخل اليسار...

فقد اقترحت بلغة واضحة جداً، أن نعتمد: أولاً تقرير آب للعمل بموجبه. وبعد إقرار الجميع باعتماد هذا التقرير يتم التراجع من قبل اليسار عن نتائج انتخاب القيادة!!

وحدث هذا فعلاً، فتشكلت قيادة مؤقتة أغلبيتها من الاتجاه القومي التقليدي، ومن الاتجاه اليساري اقترحنا التمثيل الرمزي، فكنت وحيداً، شرط عقد مؤتمر منتخب من القاعدة خلال ثلاثة أشهر[27].

---

(26) مؤتمر آب/ 1968، عقد في قاعدة عسكرية تقع في جبال السلط الأردنية ضمن خيمة كبيرة مخصصة بالأصل لتكون مشفى ميداني ـ حضور وعضوية المؤتمر كانت بحدود (50) عضواً. استمرت أعمال المؤتمر لمدة خمسة أيام. (مقابلة شخصية مع عبد الغني هللو – عضو المؤتمر – تموز 1996).

(27) ويورد محمد جمال باروت في كتاب (ح.ق.ع، سبق ذكره ص 486، ص 487) المشهد التالي لمؤتمر آب/1968:
(عقد مؤتمر آب 1968 في قاعدة عسكرية للجبهة الشعبية، حيث مثلت فيه سائر المؤتمرات القاعدية للجبهة، وتمكن الجناح الراديكالي الشاب من امتلاك زمام المبادرة في الإعداد له... وتم انتخاب لجنة مركزية ثلثاها من الفريق اليساري، إلا أن الفريق الآخر رفض الاعتراف بهذه النتائج، ولم يكن هناك مفر من تسوية تنظيمية نتج عنها تشكيل قيادة توفيقية مؤقتة رهن الفريق ⇐

وتنهد نايف حواتمة، ثم استطرد قائلاً:

■■ لكن الرياح لم تأتِ كما تشتهي السفن المتقدمة في الثورة... فقد لجأ الاتجاه الآخر، وبشكل مبكر، إلى أعمال العنف والاعتقالات بل وذهبت (الأعمال) إلى ماهو أبعد بكثير، وسحب نفسه على مجرى إعادة بناء العلاقات الأخوية والتحالفية.

كان هذا يجري في الشارع، وتحت سمع وبصر كل القوى السياسية، وكل فصائل المقاومة الفلسطينية مما دفع العديد منها إلى محاولة حل الأمور بوسائل سلمية.

وأذكر أن من بين الذين قاموا بهذه المحاولات كل من ابراهيم بكر، وكان نائباً لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وصلاح خلف (أبو إياد) عضو اللجنة المركزية في حركة فتح، وأبو ماهر غنيم عضو مركزية فتح أيضاً بالإضافة إلى سليمان النابلسي أبي الحركة الوطنية الأردنية في ذلك الوقت[28].

وتردد حواتمة، كأنه يريد أن يفصح عن أشياء مخفية، إلاّ أنه عاد وقال:

■■ مع الأسف... كل تلك الجهود، لم تأخذ مجراها مما دعا إلى محاولتنا الأخيرة التي قامت على الدعوة الواضحة، وأمام جميع القوى والفصائل:

- تعالوا إلى حل ديمقراطي!!

⇐ اليساري "يسميه باروت الراديكالي" مشاركته فيها بنايف حواتمة فقط بمدى التزام هذه القيادة بالتقرير السياسي الأساسي للمؤتمر. وتضمنت التسوية عقد مؤتمر آخر بعد ثلاثة شهور على قاعدة انتخابية، تخرج الجبهة من خلاله بقرارات موحدة).

وحسب باروت فإن المشهد الانقسامي اكتسب بعد ذلك آلية انقسامية جديدة تمثلت في اتهام الفريق (الراديكالي) لما يسميه بـ (اليمين) من أنه انحنى لبرنامج اليسار انحناءة لفظية ليوافق على كل ماطرحه الفريق اليساري نظرياً ثم يرفضه عملياً من خلال الممارسة اليومية بدءاً من اليوم الأخير للمؤتمر. في حين ينفي الفريق الآخر (أية مشكلة مع التحليل النظري والسياسي العام للتقرير المقدم للمؤتمر). (والذي كتبه نايف حواتمة ص 488 المصدر نفسه).

* في الموسوعة الفلسطينية - المجلد الثاني - الطبعة الأولى - بيروت 1984 ص11، النص التالي: (يعتبر التقرير السياسي الأساسي الصادر عن مؤتمر آب/ 1968 للجبهة الشعبية الأساس الفكري والسياسي الذي بنت عليه الجبهة الديمقراطية استقلالها الايديولوجي والسياسي والتنظيمي، لذا استطاع الجناح الماركسي آنذاك أن يفرض طروحاته على المؤتمر، ويؤكد التقرير انتقال الجناح اليساري في الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب إلى مواقع الماركسية - اللينينية).

(28) يسجل د. باروت، المصدر السابق/ ص 490 مايلي:

(تراكمت مقاطع الخلاف بين التيارين واكتسبت توترات المشهد الانقسامي طابعاً درامياً حين قررت قيادة الجبهة الشعبية حسم الموقف ضد الفريق التقدمي بالقوة، فأقدمت في 28 كانون الثاني 1969 وبعده بأيام قليلة على اعتقال أربعة عشر كادراً من كوادر الفريق التقدمي، وتحدثت مصادر اليسار عن عمليات تعذيب وطالب مكتب التنسيق الفدائي والقوى التقدمية العربية بالتدخل... فيما اعتبرت الجبهة الشعبية أن الأمر إجراء انضباطي مؤسف كان لابد منه... ولم تنف الجبهة الشعبية أنها اتخذت قراراً سياسياً بحسم الموقف نهائياً وبالقوة ضد الفريق التقدمي). (وفي 1969/2/10 دعا التيار اليساري في بيان علني لحل المسألة بروح ديمقراطية بعد فشل حلها بالجهود الحزبية الداخلية). (وإثر تدخل م.ت.ف. أصدر الفريقان بيانين مستقلين ومتزامنين بإنهاء الخلاف بينهما، وقرر الفريق التقدمي في الجبهة الشعبية في 1969/2/21 العمل بشكل مستقل تحت اسم الجبهة الديمقراطية).

* بيان م.ت.ف حول إنهاء الخلاف بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية ص 200، ص 201 الوثائق الفلسطينية لعام 1969 - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت.

* تصريح الناطق الرسمي باسم الفريق التقدمي 1969/2/10، في الوثائق الفلسطينية - العربية لعام 1969، مؤسسة الدراسات الفلسطينية/ بيروت ط1 - ص 53، ص 54. وبيان تأسيس الجبهة الديمقراطية ص 199، ص 201.

ويعني هذا الحل، أن يأخذ الاتجاه الوطني اليساري طريقه، ويأخذ الاتجاه القومي طريقه.
وفي ذلك الوقت، استخدمت تعبير:
تعالوا إلى طريق طلاق ديمقراطي، وإن كان أبغض الحلال عند ا لله هو الطلاق!!
وهكذا كان....

وصمت نايف حواتمة. ونظر إليّ نظرة هادئة، و لم أكن أعرف أن حواتمة يمتلك مثل هـذه القـوة منذ ذلك الوقت..

■ لابد من السؤال عن كيفية تشكيل الجبهة الشعبية من حركة القوميين العرب!

■■ لقد جرت مجموعة من التحولات في فصائل حركة التحرر والتقدم العربية. وعلى تفاوت هذه التحولات، كانت الساحة الفلسطينية تضج بالتململات والمحاولات لاستعادة تظهير الموقع والدور الخاص لشعب فلسطين وحركته الوطنية. وهذا ماأدى إلى تشكيل وتفريخ العديد من المجموعات، التي تتلمس الهموم الفلسطينية الخاصة.

بدأ ذلك في غزة تحت الإدارة المصرية/ الناصرية، ثم انتشرت في بلدان المشرق بعد انهيار وحدة مصر وسورية وتشكلت عدة فصائل فلسطينية منها: حركة فتح وجبهة التحرير الفلسطينية ومنظمة التحرير وجيش التحرير.

وهذا مادفع فرع الحركة الفلسطينية – الأردنية في حركة القوميين العرب والامتدادات الحزبية الفلسطينية في أقطار اللجوء، والتي كانت جزءاً لايتجزأ من الفروع العربية في هذه الأقطار، إلى فتح حوار واسع أدى إلى بروز جناحين في الرؤيا:

الجناح الأول، وعناصره الرئيسية يسارية أخذ يبحث ويتلمس الدور الوطني الخاص. أما الجناح الثاني، فقد واصل الرهان على المشروع القومي العام طريقاً لفلسطين. وتحت إدارة عناصر من الجناح الأول اليساري، تشكلت مجموعات أولية فدائية من الاتجاهين وكان مسؤولها عبد الكريم حمد[29] وهو من العناصر البارزة في صف اليسار داخل المخيمات اللبنانية. وتحت إدارته تمت أول عملية فدائية تحت عنوان (شباب الثأر)، وسقط فيها الشهيد خالد الحاج أبو عيشة في 1964/12/2.

وارتباطاً بذلك كانت العملية الأخرى التي استشهد فيها كل من: محمد حسين يماني ورفيق محمد عساف وسعيد العبد سعيد في 1966/10/21[30].

---

(29) عبد الكريم حمد (أبو عدنان) (سنديانة فلسطين)، من مواليد (نحف) قضاء عكا شمال فلسطين عام 1927، وأحد قادة حركة القوميين العرب في الخمسينات، تولى مسؤولية العمل الفدائي الفلسطيني في الحركة في لبنان في منتصف الستينات. ويعتبر أحد رواد الجناح اليساري وأحد مؤسسي الجبهة الديمقراطية ومن مؤسسي م.ت.ف فهو عضو المجلس الوطني الفلسطيني الأول (القدس 1964) الذي وضع أسس م.ت.ف، تحمل مسؤولية تنظيم الجبهة الديمقراطية في لبنان بين الأعوام 1969 – 1971. وعضواً في اللجنة السياسية العليا لـ م.ت.ف في لبنان، إضافة لعضويته في المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وعضوية المجلس الوطني الفلسطيني، استشهد في 1992/8/11.

* كتاب (سنديانة فلسطين) – الاعلام المركزي – الجبهة الديمقراطية، 1992 – بيروت.
* بيان الجبهة الديمقراطية في نعي الشهيد 1992/8/11.

(30) عبد الكريم حمد – شريط مسجل بصوته 1972/12/25 – بيروت.

وبالإضافة إلى منظمة (شباب الثأر) تشكلت منظمة أبطال العودة من مجموعة حركية وإطارات مستقلة. ونشأت حوارات من أجل تشكيل تنظيم فلسطيني يحمل السلاح، أي الانتقال بفرع حركة القوميين العرب على الساحة الفلسطينية الأردنية إلى تنظيم فلسطيني فدائي. وأذكر أن أول لقاء مع منظمة فتح كان بين عبد الكريم حمد وياسر عرفات في جنوب لبنان، وتحت شعار التنسيق المشترك بالعمليات الفدائية، وكان هذا عام 1964.

وعندما وقعت هزيمة 1967، كانت جميع القوى في حركة القوميين العرب قد استكملت تطورها إلى مواقع القومية الوطنية بمضامين ايديولوجية جديدة، وتحديداً: الماركسية ماعدا الفرع الفلسطيني الأردني، الذي بقي محتفظاً باسمه وخطه الفكري القومي التجريدي!

كانت هزيمة حزيران الحافز الكبير من أجل التسريع بانتقال هذا الفرع إلى تلك المضامين. وتمت هذه الخطوة بعد أشهر من الهزيمة، وبعد حوار مع فصائل أخرى، أسفرت عن تشكيل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في 1967/12/11.

لقد تشكلت الجبهة من الجناحين الوطني اليساري والقومي في الفرع الأردني الفلسطيني لحركة القوميين العرب وفروع سورية ولبنان ومن: جبهة التحرير الفلسطينية (أحمد جبريل) ومنظمة فلسطين العربية (العقيد أحمد زعرور، ضابط متقاعد في الجيش الأردني).

ولكن هذا الائتلاف لم يتمكن من الاستمرار داخل إطار الجبهة الشعبية، ولم تحدث عملية الاندماج أو التطور أو التعايش. لذلك، فقد غادرت جبهة التحرير الفلسطينية وأعلنت عن تشكيل: الجبهة الشعبية – القيادة العامة في 10 تشرين أول 1968، ثم غادرت منظمة فلسطين العربية، وتواصل الحوار بين الاتجاه الوطني اليساري والاتجاه القومي اللذين بقيا يشكلان الجبهة الشعبية. فتمسك الاتجاه القومي بخطه الفكري العام ومحاولة فرض الهيمنة على التيارين المتجاورين. وكانت المحاولة الكبيرة للتعايش بين التيارين، على طريق الانتقال بهما إلى المواقع اليسارية أو الوطنية بايديولوجيا يسارية، هي الحوار الذي تم في عمان بيني وبين جورج حبش، ولكن كل هذه المحاولات انتهت إلى الحائط تحت ضغط مجموعات من الاتجاه القومي – اتخذت أشكالاً من العنف[31]. وبذلك أصبح واضحاً وملموساً أن فرص التعايش والتطور المتحد مغلقة فتم إعلان انطلاقة الجبهة الديمقراطية الاستقلالية في 22 شباط 1969.

■ ماالذي كان يتصوره جورج حبش في ذلك الوقت؟

■■ كان يتمسك بالخط القومي العام. كما أن الصراع السياسي، داخل التيارين، كان قد قطع شوطاً بعيداً، وكانت مجموعات من الجناح القومي قد بدأت بأعمال عنف تجاه إطارات قاعدية وقيادية يسارية. وهذا ماجعلنا لا نتبين فضاء أو مساحة إمكانية حل التعارضات

---

(31) هدد وديع حداد بنسف مجلة الحرية، لأنها مسؤولة عن تفسخات (ح.ق.ع) من خلال نشر طروحات الفريق اليساري والتي هي حسب حداد - ثرثرات ايديولوجية لاطائل منها.

* محمد جمال باروت (ح.ق.ع) سبق ذكره ص 486، مقابلة خاصة باروت /كشلي.

* الوثائق الفلسطينية لعام 1969 - مؤسسة الدراسات طبعة أولى - بيروت 1971، ص 67 تشير رسالة وديع حداد في 11 كانون الثاني 1968 (بضرورة العمل لتصفية اليسار وتجويع القواعد الفدائية التقدمية ومحاولة تصفيتها).

العميقة على قاعدة التنوع في إطار التجاور المتحد. كما أن رياح التطور العاصفة نحو اليسار كانت قد أنجزت خطواتها في عموم فروع الحركة ,كما أشرت لك.

■ هل يمكن القول إن إعلان قيام الجبهة الديمقراطية دفع بمجموعات يسارية أخرى إلى الاندماج معها؟

■■ هذا ماحصل.. ففي المرحلة الأولى من حياة وتطور الجبهة الديمقراطية نشأ الحوار مع منظمات يسارية كالمنظمة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كان من أبرز قادتها: عبد اللطيف أبو جبارة وحمزة البرقاوي ويسار عسكري والعقيد سمير الخطيب والعقيد عبد العزيز الوجيه (عضو اللجنة التنفيذية فيما بعد) ورئيس أركان جيش التحرير.

وواصلت أعداد من هذه العناصر العمل في صفوف الجبهة الديمقراطية، فيما عاد عدد آخر إلى حزب البعث مثل يسار عسكري.

ولم تكن المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين الوحيدة التي انضمت للجبهة الديمقراطية بل انضمت أيضاً عصبة اليسار الثوري، بالإضافة إلى عدد واسع من الشخصيات والإطارات اليسارية المستقلة.

■ إذا تحدثنا بلغة الأرقام، هل كان هناك رقم محدد للجبهة الديمقراطية عند انطلاقتها؟

■■ كانت الأرقام، وفي تياري فرع الحركة حتى عام 1967، تعد بالمئات. ولكن وبعد عام 1967، وعند تشكيل الفصائل الفلسطينية، وفيما بعد عند انطلاقة الجبهة الديمقراطية انضم جزء من التنظيمات الفلسطينية في سورية ولبنان وعلى امتداد الشتات الفلسطيني إلى كلا التيارين، ويمكن القول إن انطلاقتنا، كما هي انطلاقة الفصائل الأخرى، كانت بالمئات، ولكن هذه النوى هي التي شقت طريقها لينخرط معها الألوف، حقاً، وبنسب متفاوتة باتت مرئية أمام أعين شعبنا والرأي العام العربي والعالمي.

وبانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني (أيلول 1969) شاركت الجبهة الديمقراطية فيه، وتشكلت اللجنة التنفيذية للمنظمة من: فتح – الجبهة الديمقراطية – الصاعقة – الشخصيات المستقلة (اللامنتمية تنظيمياً)، بينما أحجمت الجبهة الشعبية وقاطعت تحت شعار (رجعية المجلس الوطني) إلى أن شاركت بدورة المجلس عام 1971 والتنفيذية المنبثقة عنه.

وبدءاً من أواخر عام 1969 تناقلت وسائل الإعلام العالمية أن فتح والديموقراطية والجبهة الشعبية هي الفصائل الرئيسية الثلاث في ائتلاف منظمة التحرير الفلسطينية.

■ المعروف أن قيام الجبهة الديمقراطية، أو إعلان استقلالها عن الجناح الآخر في الجبهة الشعبية، تم دون أن يكون جورج حبش موجوداً، ففي شباط 1969 كان حبش معتقلاً في سورية[32]،

(32) في 1968/3/19 اعتقل عبد الكريم الجندي مدير المخابرات العامة بدمشق آنذاك كلاً من جورج حبش، فايز قدورة، علي بشناق، إثر مراجعة الوفد بقضايا ثنائية مع السلطات المعنية. وفي 4 ت1968/2 تمكن حبش من الإفلات أثناء نقله من مكان لآخر وانتقل إلى عمان، كما أن عبد الكريم الجندي ـــ اعتقل بعد فترة قصيرة رموز وأقطاب الجناح اليساري للحركة (جورج كتن، وليد مبيض...) ولوحق آخرون (المحامي سامي ضاحي...) وذلك في 1968/12/28 بتهمة قتل عضو يساري في الحركة (كمال عز الدين) الذي اغتالته مخابرات الجندي. كما يؤكد المحامي سامي ضاحي (مقابلة شخصية 1996/7/5).⇐

ولذلك لابد أن اللقاء معه بعد الخروج من المعتقل سيكون ذا طبيعة خاصة!! كيف التقيت مع جورج حبش؟!

■■ لنصحح الوقائع!

فالرفيق جورج حبش كان في عمان منذ تشرين 1968/2 وعلى رأس الجناح القومي في الشعبية، ثم أقول لكم إن ذات مخابرات الجندي التي اعتقلت الرفيق حبش، شنت حملة اعتقالات بعد فترة قصيرة شملت قادة الاتجاه اليساري الفلسطيني في الجبهة في سورية، ومنهم: وليد مبيض وجورج كتن. ولوحق تحت الاعتقال المحامي سامي ضاحي، وكل هذا بتهمة ملفقة. وبقي الرفاق بين معتقل وملاحق إلى أن صدر قرار براءة الجميع عن محكمة الجنايات برئاسة القاضي محمد علي اسطواني في 1971/12/11.

وعندما وصلت معلومات الاعتقالات والاتهامات كان تعليقي الفوري: هذه (استراتيجية البينغ بونغ) ضربة على اليسار ـ ضربة على اليمين، لشل الحوار الديمقراطي الداخلي بين القوى الوطنيه وضرب انطلاقة تيار رئيسي في الثورة الفلسطينية.

على كل حال، لم يحن الوقت بعد للحديث عن جوانب معينة، تدخل في باب الشخصنة!

ولكن، بالفعل وبعد انتقال جورج حبش إلى عمان، بدأت حواراتنا وتكثفت، بعد اعتماد الجناح القومي على العنف لحل قضايا ايديولوجية وسياسية وتنظيمية وتحالفية، تم حلها بكل فروع حركة القوميين العرب بوسائل ديمقراطية وسليمة منذ سنوات. وأيضاً وبعد اعتماد العنف منذ آب 1968، وأثناء حملة الاعتقالات الواسعة في صف اليسار في 28 كانون الثاني 1969، كان الرفيق جورج في عمان، وكذلك طوال التداعيات العنيفة اللاحقة!.

■ سأعود مرة أخرى إلى السؤال، فما أقصده من سؤالي هو كشفُ نوعية الحوار الذي تم بينك وبين حبش بعد خروجه من السجن. هل كان على أرضية الخصومة والعداوة بينكما؟

■■ مرة أخرى أقول لك: من الخطأ أخذ الأمور في إطار تقليدي، بل يجب أخذها في سياق التطورات الشاملة الجارية في كل فروع حركة القوميين العرب في الأقطار العربية، وفي فرع الحركة على الساحة الأردنية ـ الفلسطينية، فضلاً عن التطورات العاصفة في خارطة أحزاب حركة التحرر العربية: الناصرية، البعث، الشيوعية... فما جرى على هذه الساحة، هو حلقة أخيرة من السلسلة، وقد وصلت كل فروع حركة القوميين العرب إلى ختامها عام 1966، هذه نقطة توقفنا عندها!

⇐ ـ خضع المعتقلون لعمليات تعذيب واستغرقت محاكمة المتهمين ثلاث سنوات. إلى أن صدرت براءتهم بقرار من محكمة الجنايات في 1971/12/11 برئاسة رئيس المحكمة محمد علي الاسطواني والمستشارين عبد الكريم علواني، مصباح حلبي والنائب العام نورس بيطار، ورافع عن المتهمين المحامي سامي الرفاعي من لبنان والمحامي د. مظهر الشوربجي من سورية. وأطلقت المحكمة سراحهم فور صدور البراءة.

ـ وفي 1976/3/9 تم تصديق حكم البراءة بمحكمة النقض برئاسة القاضي توفيق الأسود رئيساً وعضوية حسن اسماعيل، وحيد أتاسي.

* والمحامي سامي ضاحي أحد المتهمين بالقضية من أبرز قادة اليسار في (ح.ق.ع) بسوريا ومن قادة ج.د حتى العام 1970.

■ أسألك عن هذه النقطة وألح عليها، لأن هناك من قال: إن نايف حواتمة استغل وجود جورج حبش في كركون الشيخ حسن وشق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين!

فقاطعني نايف حواتمة:

■■ سامح الله من يتسلى بالقال والقيل، فهذا دليل تسطيح وتبسيط وجهل غريب بالوقائع. ولا علاقة للاستقلال بين الجناح اليساري تحت عنوان: الجبهة الديمقراطية والجناح القومي تحت عنوان: الجبهة الشعبية وبين ظروف فردية لأي إنسان، مع أن الرفيق جورج كان في عمان منذ مطلع تشرين الثاني 1968.

وقال حواتمة بعد هنيهة مشدداً على وجهة نظره:

■■ هذا تسطيح ساذج لأن مجموع التطورات التي وقعت في مجموع حركة التحرر العربية ومجموع حركة القوميين العرب ومن بينها الفرع الأردني ـ الفلسطيني، كان حلقة في سياق تطورات تلك الفترة.

وهذه التطورات الطبقية الواسعة والايديولوجية هي التي أخذت مجراها كاملاً، وبالتالي لايمكن أن يتم تسويز ما تبقى منها ـ أي فقط الفرع الفلسطيني الأردني من الحركة ـ بسور صيني مغلق.

وأضاف بنبرة واثقة قائلاً:

■■ لقد أخذت هذه التطورات تفعل فعلها في مجموع فصائل أحزاب حركة التحرر العربية بلا استثناء. ثم إن التيار الذي دفع به اليسار في جميع فروع حركة القوميين العرب، وقدم الجديد، فانتقل بهذه الفروع إلى أوضاع جديدة تماماً في الايديولوجيا والبرنامج والشعارات والتكتيكات والتحالفات، في البنية الطبقية العريضة وفي دمقرطة العلاقات الداخلية. إن هذا الفعل الواسع لهذا التيار، ما لبث أن ترك تأثيراته على العديد من فصائل حركة التحرر العربية من الأقصى إلى الأقصى، بما فيه يسار الناصرية ويسار البعث وعلى العديد من الأحزاب الشيوعية العربية.

كما ترك تأثيره على جميع فصائل الثورة الفلسطينية، فتبنت جبهة النضال الشعبي الفلسطيني وجبهة التحرير الفلسطينية والقيادة العامة ويسار فتح وعدد من قادة الصاعقة.. كل هؤلاء تبنوا الماركسية.

ولم يكن ممكناً أمام الجبهة الشعبية نفسها، أو التيار القومي الذي حمل عنوان الجبهة الشعبية، إلا إعلان الانتقال إلى مواقع الماركسية وتبنيه لها.

ثم هدأت حدة إجابته، وقال مبتسماً:

■■ أحياناً ينشأ نمط من المقولات الساذجة المسطحة ربما يصدقها بعض الناس! ولكن عندما توضع تحت الفحص، وعلى تماس من الوقائع، فإنها تنهار وتتساقط كأوراق الخريف، لأنه لا خلفية لهذه المقولات سوى الادعاء، أما عالم الواقع، فيكون قد أخذ مجراه!

فقلت، وأنا أتراجع عن إلحاحي:

■ المدقق، يلاحظ أن هناك شخصاً واحداً هو نايف حواتمة هو الذي يسعى باستمرار بدفع الاتجاهات اليسارية نحو الماركسية.. ترى من هم الآخرون الذين وقفوا إلى جانبك في القيادة، وتم التنازل عنهم في آب 1968. ثم هل بقيت أنت العنصر الطليعي في تثبيت الخط الماركسي في الجبهة الديمقراطية؟!

■■ في مجرى مجموع العمليات الثورية، وفي ميادينها القطرية المتعددة، برز صف واسع من القيادات والكادرات التي شقت الدروب للانتقال من الايديولوجيا الوطنية القومية التجريدية اليمينية إلى ايديولوجيا وطنية قومية بمضامين طبقية اجتماعية يسارية.

لقد ظهر هذا في مجرى النضال، وأخذ دوره الذاتي المتواصل، حلقة بعد حلقة.. وفي الإطار الأردني - الفلسطيني (الضفتين) وفي الشتات وقطاع غزة، تقدَّم صف من العناصر الآخذة في التكوين الفكري باتجاه الماركسية يشق طريقه رغم خبراته السياسية والنضالية المتفاوتة وكان هؤلاء قد وجدوا أنفسهم في مؤتمر آب 1968. وقد اتخذت الأغلبية اليسارية قرار التمثيل الرمزي في المؤتمر، بحثاً عن حلول سلسة ديمقراطية سلمية.. ومن الإطارات الفاعلة الرائدة في المؤتمر:

1. **الشهيد عبد الكريم حمد، عضو المكتب السياسي (أبو عدنان) لاجئ من (لحف) - قضاء عكا - منطقة الجليل، واستشهد بتاريخ 1992/8/11 على أرض المخيمات اللبنانية.**
2. **الشهيد عمر قاسم، من القدس، عضو لجنة مركزية منذ مؤتمر آب 1968، عميد في القوات المسلحة الثورية للجبهة، وعرف على المستوى الوطني العام باسم: مانديلا فلسطين، وقد استشهد في السجون الإسرائيلية في ختام واحد وعشرين عاماً في السجن في عام 1989[33].**

ولابد من التذكير، أن عمر قاسم اعتقل بعد أن قاد عملية مسلحة ضد قوات الاحتلال داخل الضفة الغربية، وانضم إلى الجبهة الديمقراطية في السجن، وكان منذ اللحظة الأولى عضواً في اللجنة المركزية ومن قادة الاتجاه اليساري منذ آب 1968. وفي السجن كان يُعْرَفُ بعميد أكاديمية الحركة الأسيرة، لأنه تخرج على يديه المئات من الكوادر التي لعبت دوراً كبيراً هائلاً في الانتفاضة.

3. **العقيد سعيد البطل (أبو مشهور)، طيرة - حيفا، عضو اللجنة المركزية في آب 1968، شباط 1969، قائد قوات الجبهة في الجولان 69، 70 ثم أغوار الأردن، استشد في 1973/7/9.**
4. **الشهيد الحاج سامي أبو غوش، المشهور بالحاج الأحمر، عضو اللجنة المركزية من قضاء رام الله. وقد استشهد مرتين الأولى، في تموز 1981 في قصف المقر الإداري للجبهة، وخرج ينزف دماً وجراحاً، والثانية بعد شهرين في الفاكهاني!![34].**

---

(33) عمر القاسم مواليد 1941 - القدس - مانديلا فلسطين، عضو اللجنة المركزية ج.د، والقائد البارز في التيار اليساري (ح.ق.ع) أُسر في عملية عسكرية ضد قوات الاحتلال في ت1968/1 لدى قيامه بقيادة المجموعات العسكرية داخل الأرض المحتلة. - أعلن من سجنه التزامه ببرنامج اليسار وبرنامج ج.د منذ تأسيسها، وانتخب في مختلف كونفرنسات ومؤتمرات الجبهة عضواً باللجنة المركزية، رفضت سلطات الاحتلال مبادلته في كل صفقات الأسرى التي تمت. - تعرض بفعل الاعتقال الطويل للعديد من الأمراض حتى استشهد في سجون الاحتلال في 1989/6/4 وشيعته جماهير القدس في موكب مهيب.
* المصدر الحرية 1989/6/8. - * نعي ج.د 1989/6/4. - * نعي اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف 1989/6/4.

(34) الحاج سامي أبو غوش، مواليد عمواس - رام الله 1945، عضو اللجنة المركزية لـ ج.د أصيب بجراح في الغارة الإسرائيلية على المقر الإداري في الفاكهاني (بيروت) 1981/7/17، استشهد في عملية تفجير مفخخ استهدفه من قبل القوى والأجهزة ⇐

5. العقيد خالد أحمد نزال، من قباطيه ـ قضاء جنين ومسؤول الجناح العسكري لقوات الداخل، واستشهد في أثينا على يد الموساد الإسرائيلي في 1986/6/9.

وقد تطورت القوات التي كان مسؤولاً عنها فيما بعد إلى كتائب الجناح العسكري للجبهة الديمقراطية في الأرض المحتلة.

6. عبد الغني هللو (أبو خلدون)، عضو اللجنة المركزية للجبهة ـ من يافا ومن سكان مخيم اليرموك بدمشق.

7. الشهيد حسين سالم (أبو محمد)، من أم الفرج قضاء عكا، وعضو مؤتمر آب 1968، وهو عامل نسيج من سكان مخيم اللاجئين الفلسطينيين بمدينة حمص/سورية. وعضو اللجنة المركزية في انتخابات آب 1968.

8. الشهيد الدكتور نظمي خورشيد (طبيب قلبية)، من ترشيحا قضاء عكا ومن سكان مخيمات بيروت، استشهد في عام 1991.

9. مها البسطامي، وهي المرأة الوحيدة في المؤتمر.

وأضاف حواتمة:

■■ ومن المناضلين الرواد:

- **قيس عبد الكريم، عضو المكتب السياسي، من كبار بناة الجبهة الديمقراطية والمقاومة وائتلاف منظمة التحرير، وقد عاد في ربيع 1996 إلى رام الله في الوطن المحتل.**
- **تيسير خالد، عضو المكتب السياسي، من منطقة نابلس وعضو اللجنة التنفيذية منذ عام 1991 في المنظمة.**
- **علي أبو هلال، عضو المكتب السياسي، وهو شخصية وطنية بارزة في القدس المحتلة وعضو المجلس الوطني.**
- **جودت سويركي، من مدينة غزة، وعضو لجنة مركزية وفي المجلس الوطني الفلسطيني.**
- **عبد الحميد أبو جياب عضو اللجنة المركزية في غزة وعضو المجلس الوطني الفلسطيني.**
- **داود تلحمي: عضو المكتب السياسي، بيت لحم في الضفة الغربية[35] عضو المجلس الوطني الفلسطيني.**
- **عمر عساف: عضو المكتب السياسي ـ رام الله ـ جامعة بيرزيت، عضو المجلس الوطني الفلسطيني.**
- **هشام أبو غوش: عضو المكتب السياسي، (منطقة القدس) عضو المجلس الوطني الفلسطيني.**

⇐ المرتبطة مع العدو الإسرائيلي في متفجرة الجامعة العربية ـ شارع الطيبي ـ بيروت 1981/10/1 واستشهد معه زوجته مها حسن محمد سعيد ومرافقه عبد الله محمد عبد الله وبقيت طفلته (لارا) على قيد الحياة ـ الآن جامعية. ـ * المجلد الثاني لشهداء الجبهة الديمقراطية، الطبعة الأولى ـ بيروت 1984ـ ص166.

(35) التقينا مع داود تلحمي في مكتبه بدمشق قبل سنوات من إنجاز هذا الكتاب، وهو شخصية جذابة هادئة، وفي وجهها الشبه بوجه لينين، يكتشف من يتعرف عليه ملامح مثقف من نوع خاص، ويدعوه الروائي يحيى يخلف بقديس الثقافة الفلسطينية.

- **فهد سليمان: عضو المكتب السياسي (عكا - مخيمات بيروت) عضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية.**
- **رمزي رباح: عضو المكتب السياسي (الجليل - كفر برعم - مخيم عين الحلوة في لبنان)، عضو المجلس الوطني الفلسطيني.**
- **ماجدة المصري: عضو اللجنة المركزية، نابلس، عضو المجلس الوطني الفلسطيني.**
- **صالح زيدان، عضو المكتب السياسي - (الدامون - عكا) (بطل تل الزعتر)، عضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية.**
- **صالح ناصر: عضو اللجنة المركزية في غزة.**
- **محمود العجرمي: عضو اللجنة المركزية في غزة.**

حقاً القائمة تطول وتطول، حيث الرواد كثر، والأجيال الطالعة الشابة والمسؤوليات شاملة في الوطن والثورة وعشرات الآلاف في صفوف الجبهة والنفوذ الجماهيري العريض[36] .

بحثت وأنا أهتم بختام هذا الفصل مع نايف حواتمة عن السؤال الأخير الذي يمكن أن أطرحه عليه، فوجدت نفسي أتذكر جمال عبد الناصر... وعلى هذا الأساس قلت، وقد عرفت أن ذلك سيهيئ لفصل قادم:

■ (القومية العربية) هي عبارة تدل على انتماء!

ولكن جمال عبد الناصر حولها ذات يوم إلى مصطلح سياسي. ويمكن القول إن حركة القوميين العرب هي تعبير آخر عن هذا المصطلح فهل يمكن عقد مقارنة بين القومية العربية في مفهوم حركة القوميين العرب والقومية العربية كما رآها عبد الناصر؟!

فرد حواتمة، و لم يبد عليه أنه تعب من الحديث الطويل:

■■ القومية العربية ليست شعاراً أو عنواناً عاماً، بل هي التعبير عن التكوين التاريخي لشعوب البلدان العربية التي تمثلت الحضور والسيرورة العربية، وأقصد بهذا الشعوب القديمة ذات التكوينات التي اندمجت أو تمثلت في الإطار العربي بعد الفتح الكبير، وشكلت في مسارها أمة عربية بنت امبراطورية واسعة وعلى امتداد قرون طويلة. هذا التكوين التاريخي استند ويستند إلى لغة ـ تاريخ بمراحل تطوره والتكوين السيكولوجي المجتمعي المشترك بتراثه وعاداته وتقاليده.

وفي العصر الحديث، استوحى التكوينات الوطنية والقومية التي نهضت ونضجت وشكلت الوحدة الجغرافية والديمغرافية لكل شعب خاصة بعد عصر النهضة وعصر الصناعة وانتصار الثورة الوطنية البرجوازية في أوروبا والعديد من بلدان العالم الذي شهد تفكك الإقطاع ونهضة المدينة وتوحيد الجغرافية والسوق الوطنية في إطار الدولة المركزية.

---

(36) اثنا عشر من الأسماء المذكورة داخل الأرض المحتلة وفي مناطق سلطة الحكم الذاتي، يقومون بواجبهم النضالي في صفوف الشعب، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في قطاع غزة والقدس والضفة الغربية، عدد منهم أمضى سنوات طويلة في سجون الاحتلال، ولاحقاً في سجون سلطة الحكم الذاتي.

أما في بلدان العالم الثالث، فعلينا أن نلحظ أن إنجاز هذه العملية المعروفة في وحدة الشعب والبلد بإطار دولة مركزية، قد تم إنجاز عديدها على يد الحركات الوطنية المناضلة ضد الكولونيالية والإقطاعية، في بلدان أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وتم بناء دول قومية مستقلة، وتطمح لعلاقات خاصة بين بلدان أمريكا اللاتينية التي تجمعها وحدة اللغة والتركيب الاثني والتطور التاريخي السيكولوجي في العادات والتقاليد.

وفي آسيا وبلداننا العربية والأفريقية، مازالت هذه العملية تدور بحالة متفاوتة من حيث الإنجاز أو الفشل حتى الآن، ليس فقط بفعل ضغط الكولونيالية والامبريالية والتشكيلات الطبقية شبه الإقطاعية شبه الرأسمالية فضلاً عن التكوينات القبلية الواسعة في آسيا وأفريقيا، بل وبالأساس، بفعل قصور برجوازية المدن الناجمة عن طبيعة تشكلها نصف الرأسمالي والمتداخل مع الإقطاعية. ولذلك عجزت عن مراكمة القوى لإنجاز طموح الشعوب في إنجاز الوحدة القومية بدولة مركزية.

وفي القرن العشرين، تلحظ أن الوحدات القومية تم ويتم إنجازها على يد القوى اليسارية والوطنية الشعبية، التي ربطت وجمعت بين تحرير الشعب والوطن من الأجنبي والإقطاعية، وبين المشروع الوطني القومي التقدمي لتوحيد البلاد في دولة مركزية. فحيث عجز حزب البرجوازية في الصين (الكيومنتانغ) عن إنجاز هذه المهمة أنجزها الحزب الشيوعي الصيني، وفي فيتنام أنجز الحزب الشيوعي الفيتنامي الوحدة القومية... أما في الهند، فقد أنجز حزب المؤتمر (حزب البرجوازية الوطنية) الاستقلال، وعجز عن صيانة وحدة القارة الهندية التي انشطرت إلى الهند وباكستان وبنغلادش، وانتشرت فيها: التمزقات الإثنية والدينية والمذهبية...

وفي إفريقيا تمت الوحدة القومية في البلد الذي قادت نضاله القوى اليسارية (جنوب إفريقيا، تنزانيا، موزامبيق، انغولا) بينما تتخبط البلدان التي قادتها الأحزاب البرجوازية والقبلية المحلية حتى الآن.

أما في بلداننا العربية، فإننا نضيف إلى العناصر المذكورة في بلدان آسيا وأفريقيا، ضغوط التوسعية الصهيونية الإسرائيلية، وعندما نفحص مشروع عبد الناصر النهضوي الوحدوي نجد أنه تطور من مواقع الوطنية المعادية للكولونيالية البريطانية وقواعدها الإقطاعية إلى المشروع النهضوي القومي وعلى القواعد الطبقية الشعبية (عمال - فلاحين - طبقة متوسطة - أنتلجنسيا وطنية متنورة) ولذلك تمكن من امتلاك قلب الأمة العربية وتحريك عشرات الملايين عند المفاصل الساخنة في مجرى هذا المشروع. إلا أن هذا المشروع لم يتمكن من مواصلة شق طريقه بسبب افتقاره إلى أجوائه الجماهيرية المنظمة (الحزبية والنقابية)، وبسبب افتقاده إلى الحريات الديمقراطية والتعددية. كذلك بسبب اعتماده الأساسي على أجهزة المخابرات والأمن والدولة القديمة الموروثة عن التداخل والتشابك الواسع مع بقايا الإقطاعية والبرجوازية القديمة المصرية.

أما فصائل الحركة القومية الأخرى المنبثقة عن شرائح من الطبقة الوسطى وايديولوجيتها الغامضة والعامة: القوميين العرب - البعث - الناصريين - وعديد الأحزاب الأخرى، فكلها

تصب في مجرى القومية العربية من دون أن تراكم قوى الشعوب بما يفتح الطريق لإنجاز هذه العملية القومية، أي أن وحدة البلاد العربية ومشاريعها الوحدوية انحسرت في حدود المصالح البيروقراطية البرجوازية الجديدة ذات الجذور الطبقية المتوسطة، وفي الجغرافيا القطرية وأدوارها الإقليمية.

أما الحركة الشيوعية العربية، فقد وقعت في إشكاليات ايديولوجية وسياسية عطلت دورها في العملية التوحيدية القومية، بل ولعب بعضها أدواراً سلبية لا تتقاطع أبداً مع الايديولوجيا الماركسية والمصالح الأعرض لأغلبية المجتمع في الإطار القطري والقومي، بينما قادت الكتلة اليسارية والوطنية الشعبية في بلدان آسيا وأفريقيا عمليات الربط بين التحرر الوطني والوحدة القومية والتقدم الاجتماعي.

وأقول أخيراً: إنه لا شيء ذو نكهة خاصة يجمع بين راية القومية العربية بالمضامين التي تطرح نفسها نحو وحدة شعوب الأمة العربية والتي طرحها وناضل في مجراها جمال عبد الناصر بطاقات 23 يوليو المصرية والعربية وبين تسمية حركة القوميين العرب والتي مرت بأسماء قومية أخرى. وأخذت هذه التسمية متأخرة على أرض العراق في نهاية 1958 للتمييز بين تنظيم سياسي، وبين التيار القومي العام، حيث كان من يطرح قضايا المصير القومي المشترك يطلق عليه: قوميين عرب!

صمت نايف حواتمة، وعرفت أنه يريد الاكتفاء بما خصصه لنا من وقت لهذا الموضوع، ولكني قلت له وأنا أهم بجمع أوراقي:

■ ألا تلاحظ معي أن حديثاً خاصاً عن جمال عبد الناصر وتجربته ينتظرنا في جلسة أخرى!

أشرق وجه نايف حواتمة، و كأن لديه رغبة عارمة في فتح هذا الموضوع وقال:

■■ **بكل سرور!**

و كان قد حان وقت ذهاب الجميع إلى راحتهم!!

الفصل الرابع

جمال عبد الناصر...
(والحرية)...
والصدفة!!

■ جمال عبد الناصر....
(والحرية)....
والصدفة!!

ربما كانت صدفة!

ولكن نايف حواتمة هو الذي حدد المكان!

حدد المكان بطريقة جازمة لم نعتدها من قبل قائلاً:

■■ نلتقي في مكاتب (الحرية) !

فقلت له:

■ زرنا مكاتب (الحرية)، ما رأيكم لو نعود إلى المكتبة؟

وقال علي بدوان: الجو حار هناك، ليكن الموعد في الأزبكية! وصمتت الصحفية فرات زكريا التي حضرت جلسة الحوار بعد أن وافقت على أن الجو حار فعلاً، فردد حواتمة وكأنه لم يسمع شيئاً:

■■ إذاً نلتقي في مكاتب الحرية!

عندها أجبت، كي ننتهي من المسألة، ونمضي إلى بيوتنا، بعد حديث طويل عن أحداث أيلول:

■ حسناً! في مكاتب الحرية، والحديث عن جمال عبد الناصر.

وهز برأسه، وكأنه يضمر شيئاً، وانطلقنا...

وصباح ذلك اليوم، الذي كان علينا أن نلتقي به في مكاتب الحرية، أصرت فرات على شراء باقة من الورد وتقديمها لنايف حواتمة. وبالفعل تم ذلك، وذهبنا في العاشرة والنصف، بعد شراء هذه الباقة، ولم ننتبه إلى أننا في يوم 23 تموز/ يوليو ذكرى الثورة التي قادها جمال عبد الناصر.

أما حواتمة، فكان يعرف هذا، أخذ باقة الورد من يدنا بسرور بالغ، وقال:

■■ إنها مناسبة تستحق الورد فعلاً!

و لم أفهم قصده إلا بعد تفكير، وبعد أن أخذني من يدي، إلى غرفة في الممر الضيق، وقدمني إلى معتصم حمادة رئيس تحرير الحرية، وهو يقول:

■■ في مجلة الحرية نشر صلاح عيسى مقالاته التي أثارت عبد الناصر!

في تلك اللحظة عرفت لماذا أصر حوائمة على مكاتب الحرية، وعرفت أيضاً أننا نتحدث عن عبد الناصر في ذكرى ثورة عبد الناصر... فسخرت من نفسي لتأخري قليلاً في ربط كل هذه الأمور التي بدت و كأنها اجتمعت كصدفة محضة!.

* * *

كان الجو حاراً جداً، رغم وجود بعض الغيوم في السماء، و كانت الكهرباء مقطوعة، وهذا يعني أن المراوح معطلة، ولذلك بدا الجو صعباً منذ بداية الحديث!

قلت لنايف حوائمة:

■ لم يعد جمال عبد الناصر موجوداً الآن لنقيّمه بشكل نحسب معه حسابات سياسية معقدة. إن جمال عبد الناصر رحل إلى ربه عام 1970، ولكنه ترك الأثر الكبير على مجمل حركة التحرر العربية. ومن بين الملايين الذين تأثروا بعبد الناصر أنت، لأن شبابك ارتبط بصعود نجم جمال عبد الناصر، لذلك يحق لي أن أبدأ معك الحديث عن نظرتك لهذا الزعيم...

تأنى قليلاً في إجابته، إلى الدرجة التي بدت فيها عباراته، و كأنها صيغت بهدوء، وعلى مدار وقت طويل... قال:

■■ إن جمال عبد الناصر، الابن الفذ المقدام الطليعي حقاً، لمشروع نهضة مصر والعرب والعالم الثالث، تكوّن في ذروة حُمّى الصراع... في ذروة تناقضات الصراع بين الطبقات الشعبية من جانب، وبين الكولونيالية والغزوة الصهيونية والطبقات الإقطاعية شبه الرأسمالية، التي شكلت الاحتياطي الكبير، المتقاطع في مصالحه الطبقية مع الكولونيالية، من جانب آخر.

لقد تكوّن عبد الناصر في حُمّى صراع الشارع المصري ضد احتلال بريطانيا للأرض المصرية والملكية الإقطاعية الفاسدة... في حُمّى حركة الطلبة والعمال الذين قادوا النضالات الجماهيرية[1].. حُمّى حصار الفالوجا، عندما تمكنت القوات الصهيونية من محاصرة عبد الناصر وقطعته العسكرية هناك، أثناء حرب 1948، وكان محروماً من إمداد السلاح والبشر.. ولذلك من الفالوجا، كتب عبد الناصر، بأن: (مصير فلسطين يتقرر في القاهرة)، وليس على أرض الفالوجا، حيث الاسلحة الفاسدة واللاإمداد للجيش المصري بعد أن زجت به الحكومة الملكية في معركة مسقوفة بعملية تواطئية بين الكولونيالية البريطانية والأنظمة العربية التي تحت مظلتها.

---

[1] في سياق ما يجري بفلسطين، وضمن الصراعات المتلاحقة داخل الشارع المصري ومع احتلال القوات البريطانية لمواقع مصرية والسيطرة الكاملة على الممر الحيوي للعالم "قناة السويس"، في هذه الأثناء وقعت حادثة الكوبري على نهر النيل "4 شباط/1942" حث سقط عشرات الطلبة الجامعيين والمتظاهرين في النيل وهم يعبرون نحو ميدان التحرير وهلك الكثير منهم، فضجت مصر بأكملها، وأضاف هذا الحادث حافزاً للنقمة الشعبية الواسعة ضد نظام الملك فاروق وضد الاستعمار الانكلوفرنسي. * أنور السادات، (أسرار الثورة المصرية)، ص161. سلسلة كتب الهلال ـ تموز 1957.

لقد تبدى هذا صارخاً في تكثيف حركة الضباط الأحرار بطيف ايديولوجي سياسي مفتوح لكل التيارات، وذلك تسريعاً لوضع نهاية لدراما الفالوجا، وفتح الطريق للمشروع النهضوي المصري والعربي الوحدوي، وعبر التجربة تعلّم وعلّم الكثير... تطوّر وطوّر مُشكّلاً الحالة اللامعة الملهمة لحركة الجماهير العربية، التي استجابت لندائه في الشوارع، عند كل مفصل من مفاصل حركة النضال، للخلاص الوطني والقومي من الكولونيالية ومشاريع الأحلاف والمعاهدات والقواعد العسكرية، وفتح الدروب والشروع بتصفية الإقطاع والملكية بالإصلاح الزراعي وشق طريق التصنيع نحو التنمية الاقتصادية المستقلة.

عبد الناصر الفتى تكوّن في حمّى الصراع الوطني العام ليكتشف منذ أن وجد نفسه في السلطة أن النضال الوطني لا أفق له إلا بمضمون طبقي جديد يعطيه مدى، ويفتح الفضاء نحو نهضة جديدة طالت قروناً عديدة من الحياة المصرية والعربية، منذ العصور الوسطى، وعلى امتداد فترات الانحطاط، التي طالت أكثر من عشرة قرون...

وكثّف حواتمة وجهة نَظَرِهِ قائلاً:

■■ لقد تكون وعي عبد الناصر في ظروفه المكانيةوالزمانية إياها، وكان كشخص من نسيج جديد على الحياة المصرية والعربية: عقله متفتح، يلتهم يومياً ساعات المعرفة من مواقع الممارسة بالتجربة والخطأ، ومن مواقع الانحياز وبتسارع إلى صف الجماهير العاملة، الفلاحية والفقيرة... صف أغلبية الشعب... وهذا الذي مكّن عبد الناصر من التقاط ما تاقت له حركة الشعوب العربية تاريخياً، وبشفافية، ويستوعبه ويشتق المهمات منه. فانتقل من ضابط صغير، ابن عائلة متواضعة، في بداية سلم الطبقة الوسطى، إلى عبد الناصر الكبير، الذي إذا فرح فرح لفرحه ملايين وعشرات الملايين من العرب، وإذا غضب غضبوا لغضبه دون أن يدروا ما السبب!

■ هذا يعني أن جماهير عبد الناصر هي جماهير عفوية لذلك تفككت بعد وفاته...

■■ ترسخت مصداقية عبد الناصر وثبتت وصمدت في صف الملايين من شعوب الأمة العربية من مواقع الممارسة الوطنية والاجتماعية والقومية. ولم تكن الجماهير العريضة التي استجابت لمشروع عبد الناصر النهضوي أبداً جماهير عفوية. بل بنت اندفاعها نحو المشروع الوحدوي التقدمي والسير تحت مظلته على الخبرة الملموسة المتراكمة على امتداد فترة عصر عبد الناصر.

أما إذا كان القصد من السؤال أن هذه الجماهيز لم تكن مؤطرة في حياة حزبية منظمة، فهذا صحيح، مع أن المحاولات تمت بدءاً من حركة التحرير إلى الاتحاد القومي حتى عام 1961، إلى الاتحاد الاشتراكي بعدها، والحزب الطليعي الذي مدّ شبكاته داخل الاتحاد الاشتراكي[2] ومحاولة نقل هذه التجربة إلى عديد البلاد العربية، في إطار الاتحاد الاشتراكي لسورية والعراق وليبيا

---

(2) في ظل الناصرية انحسرت الحزبية في مصر وتم حل الأحزاب، وترسخت الحزبية الناصرية بعد العام 1961 في إطار الاتحاد الاشتراكي العربي، وسار الناصريون في العديد من الدول العربية الأخرى بهذا الاتجاه وتبلورت معظم الصيغ الناصرية في لبنان، سورية، اليمن، العراق، السودان، ليبيا، في إطار الاتحاد الاشتراكي العربي.

والسودان ومثيلها في صنعاء، لكن جميع هذه المحاولات، لم تتمكن من التطور والحياة، فقد حملت منذ البداية، أزمتها البنيوية في اختلاط الألوان الفكرية المتعددة في تكوينها، وهيمنة الإطارات القيادية الجديدة والتي تشابكت مصالحها الطبقية والاجتماعية مع شرائح واسعة من البيروقراطية القديمة والطبقات الإقطاعية البرجوازية القديمة!

ومن هنا، كانت هناك مساحة واسعة هائلة، بين ناصرية عبد الناصر، في المنهج الفكري والسياسي، والتحولات الهائلة الطبقية في بناء التنمية المستقلة والمجتمع الحديث، وبين الناصريين ومعظم مجلس قيادة الثورة وأجهزة الدولة..

إن هذه المساحة لم تكن في صالح ناصرية عبد الناصر أبداً، بل كثيراً ما احتوت هذه الناصرية، وأفرغتها من مضمونها تحت ذات الشعارات التي يطرحها عبد الناصر!. وقد برز هذا باكراً في مجلس قيادة الثورة، منذ قانون الإصلاح الزراعي (1953) وتصفية الإقطاع والتأميمات ومسألة الديمقراطية والأحزاب إلى أن ظهرت في الذروة بعد تأميم قناة السويس (1956)[3] .

وقد وقع هذا بوضوح أكبر بعد أن عطل مجلس الأمة المصري عام 1964 خطة التنمية الخمسية لصالح خطة سنوية تركز على ما يستجيب لمصالح البرجوازية البيروقراطية الجديدة وعلاقاتها مع القوى القديمة.

والأخطر من هذا، اعتماد عبد الناصر على أجهزة الدولة القديمة الموروثة عن فترة ما قبل ثورة 23 يوليو، وذلك قبل وبعد الوحدة السورية المصرية، وهي أجهزة متخلفة ذات طبائع رجعية واستبدادية تستجيب لمصالح القوى المضادة لحركة التقدم إلى أمام، ولمصالح القوى الطبقية القديمة شبه الإقطاعية شبه الرأسمالية، وتحن بل وتتطلع إلى العودة لمد الجسور مع الكولونيالية والامبريالية، والبحث عن حلول ما، بالتأكيد ليست عادلة مع التوسعية العنصرية الصهيونية... وبرز هذا على السطح صارخاً عندما انهارت وحدة مصر وسورية، وعندما تفاقمت المحاولات التكتلية الانقلابية في جيش مصر وبشكل مذهل، وانقلبت مصر الناصرية

---

(3) ضم مجلس قيادة الثورة (14 عضواً) بأطياف سياسية وايديولوجية عديدة:
* جمال عبد الناصر - (وسط تطور إلى الاشتراكية العلمية).
* عبد المنعم عبد الرؤوف، كمال الدين حسين، حسين الشافعي (يمين).
* محمد نجيب (يمين الوسط).
* يوسف صديق، خالد محي الدين (يسار شيوعي).
* عبد الحكيم عامر، حسن ابراهيم، عبد اللطبيف البغدادي، عبد المنعم أمين، زكريا محي الدين، جمال سالم (وسط، يمين وسط).
* صلاح سالم (وسط اتجه إلى الماركسية).
المصدر: خالد محي الدين - والآن أتكلم - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة 1992. وبرز التباين داخل مجلس قيادة الثورة منذ قانون الإصلاح الزراعي 1953، وفي ذات السياق بعد الإنزال الانكلوفرنسي على مصر وبدء العدوان الثلاثي 1956، حيث طرح صلاح سالم ومعه عدد واسع في اجتماع بمجلس قيادة الثورة أثناء العدوان والإنذار لعبد الناصر، بأن يذهب عبد الناصر ويسلم نفسه للسفارة البريطانية، وكرر صلاح سالم هذا بحضور عبد الناصر الذي أجاب أذهب إلى الشعب، وفعلاً كان خطابه الشهير في الأزهر الشريف وارتفعت رايات الصمود ونداء (الله أكبر... فوق جيش المعتدي)... ثم انفجر الصراع مكشوفاً بعد تأميمات 1961، لرسم طريق تطور مصر والتنمية المستقلة، وبعد هزيمة 1967... إلخ.

على نفسها على يد الجناح اليميني من داخل مؤسسة الدولة والجيش والاتحاد الاشتراكي في 16 مايو 1971[4] بعد أشهر قليلة من رحيل عبد الناصر.

سألت جوالمة:

■ وكيف كان اللقاء الأول مع عبد الناصر، وإلى أي اتجاه ذهب الحديث؟

فراحت نظراته بعيداً، وقال يستعيد الماضي:

■■ في المؤتمر الذي دعا إليه الرئيس الراحل هواري بومدين، تحت عنوان: (الاشتراكيون العرب)، جاءتنا الأخبار، بأن عبد الناصر أغلق مضائق تيران ـ خليج العقبة، وكان معنا في الجزائر وفد مصري كبير برئاسة الوزير كمال رفعت، أحد رجالات الثورة، وعضوية رئيس مجلس الأمة المصري في ذلك الوقت لبيب شقير. وقدمت أنا وقتها مداخلة في إطار ضيق من المؤتمرين بحضور كمال رفعت، لبيب شقير، الوزير السوري سليمان الخش، كلوفيس مقصود وآخرين، تمنيت فيها أن يشكل المؤتمر وفداً لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر، ويطلب منه أن يعيد قوات الأمم المتحدة إلى مواقعها في مضائق تيران، وعرضت تحليلاً مختزلاً، يشير إلى أن إغلاق الخليج، وإبعاد قوات الأمم المتحدة، يعطي إسرائيل والولايات المتحدة مبرراً تكتيكياً للعدوان الشامل على مصر، وللمرة الثانية بعد عدوان 1956، وقلت: إن الخطط الإسرائيلية الأمريكية في الحروب الخاطفة، لا تقابلها إمكانية عربية ومصرية بذات الاتجاه، وأن الأوضاع العربية غير جاهزة لاستيعاب الحرب الخاطفة التي يمتلك العدو تفوقاً حاسماً بها كما حصل عامي 1948 و 1956.

فألقى كمال رفعت كلمة طمأن فيها الإطار المحدد من المؤتمرين، وردّ على ما قلت: مؤكداً أن الجيش المصري، هو الجيش الأقوى في الشرق الأوسط، وبجانبه الجيش الرديف: الجيش السوري الشقيق، ولذا لم يأخذ المؤتمرون باقتراحي.

وفي طريق عودتنا، توقفنا في القاهرة، كان ذلك في الثاني من حزيران 1967، وهناك تم اللقاء الأول مع عبد الناصر حيث كررت ملاحظاتي التي أوردتها في مؤتمر الجزائر، وعندما انتهيت، طلب عبد الناصر مدير مكتبه سامي شرف، وطلب منه ملفاً خاصاً، وفعلاً أتى به، فعرضه علينا: كان الملف يحتوي على صور التقطها الطيران المصري في سماء الدولة العبرية، يرصد المطارات والمنشآت العسكرية الإسرائيلية.

ثم قال عبد الناصر: إن الحرب قادمة مئة في المئة، وبين لحظة وأخرى، وستكون حرباً قاسية طاحنة، ولكن لا يمكن لأي طرف من الطرفين، التقدم باتجاه أراضي الطرف الآخر.

---

(4) انقلاب مايو 1971، قاده السادات ضد الجناح اليساري الناصري، الذي كان ممسكاً بكل مفاصل الدولة والاتحاد الاشتراكي، انطلت على قادته مناورات السادات فقدموا له استقالة جماعية بدلاً من ترحيله، وبذا أصبحت طريق انقلاب مايو سالكة، فأطاح باليسار الناصري وأودع قادته السجون سنوات طويلة: علي صبري، شعراوي جمعة، الفريق محمد فوزي، عبد المحسن أبو النور، لبيب شقير، ضياء الدين داود، أمين هويدي، سامي شرف، محمد فائق، وأخرين.

* للتفاصيل: كتاب (خريف الغضب) ـ محمد حسنين هيكل ـ قصة بداية ونهاية عصر السادات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ بيروت 1983 ـ طبعة سادسة ص107.

قال هذا بثقة مطلقة! فكررت من جديد أمنيتي قطع الطريق على نشوب هذه الحرب المؤكدة إلاّ أن الرئيس عبد الناصر أكد على ضرورة الاطمئنان لطاقات مصر!

وخرجت من اللقاء، ليحدث ما حدث بعد ثلاثة أيام!!

■ هذا يعني أن اللقاء الثاني مع عبد الناصر سيكون ساخناً!

■■ تم اللقاء الثاني في 17 حزيران 1967، وأذكر أنني انتظرت ثلاثة أيام حتى تم اللقاء... ولكن وعندما استقبلنا عبد الناصر بادرنا على الفور:

ـ كنت أعلم بوجودكم منذ ثلاثة أيام، ولكني كنت في حالة تمرين للذات، بعد الذي حصل، والذي لم يكن متوقعاً أبداً.

وهنا فتح الحديث، فذكر أنه كثيراً ما أعطى إشارات بأن قدراته في الجيش ليست مطلقة، وبأن عبد الحكيم عامر صاحب اليد الأولى في الجيش، والتقارير التي كانت تقدم له، أي لعبد الناصر، لم تكن ترصد الأمور على حقيقتها داخل الجيش المصري، فذهب وذهبت مصر ضحية المشير عامر وهيئة أركانه، التي كانت تسيطر على كل المفاصل الرئيسية في القوات المسلحة المصرية!

لقد دعوت الرئيس عبد الناصر للنزول ببرنامج جديد، في مقدمة خطواته، يتضمن: إعادة بناء أجهزة الدولة المصرية الموروثة، وعلى قاعدة شاملة من التجديد والتطهير وخاصة القوات المسلحة. ثانياً، إعادة بناء الحياة السياسية، بدءاً من إطلاق الديمقراطية الحزبية والنقابية التعددية وإعادة بناء الاتحاد الاشتراكي، وأيضاً على قاعدة التطهير الواسع والتجديد، ليكون قادراً على المنافسة التعددية، والوصول إلى قلب الجماهير العريضة... وكل هذا في إطار برنامج يدفع نحو تمكين تحالف طبقات الشعب العامل، كما كان عبد الناصر يسميه، من نشر نسيجه بإطار إعادة بناء أجهزة دولة جديدة حديثة وحياة حزبية متطورة تنتشل الاتحاد الاشتراكي من حالته العاجزة والمختلة.

وعلى الفور رد عبد الناصر:

ـ إن هذا يعني أن يفعل كما فعل ماوتسي تونغ بمغادرة السلطة والعمل الحزبي الجماهيري المباشر... ومثل هذا في ظروف مصر غير ممكن.

ثم بيّن عبد الناصر أن كل همه ينصب، منذ تلك اللحظة وحتى تصفية آثار عدوان 1967، على إعادة بناء وتحديث الجيش المصري، وبعدها لكل حادث حديث!

■ كان عمرك وقتها نحو ثلاثين سنة، وهذا يعني أنك كنت شاباً، وإذا ما تحدث شاب مع عبد الناصر بمثل هذه الطريقة، فإنه سيصاب بالغرور، ولكي لا أفتري عليك، سأسألك سؤالاً محدداً هو: هل بُحت بما جرى بينك وبين عبد الناصر لأحد ما، أو هل نشرته بعد حصوله؟!

نفى حواتمة بحركة من رأسه، وقال موضحاً وجهة نظره:

■■ كتبتُ الكثير حول القضايا الفكرية والطبقية الخاصة بتجربة عبد الناصر، ونشرتُ ما كتبته في مجلة الحرية، بدءاً من عام 1963، سجلت نقد تجربة 23 يوليو بذات القضايا، وقبل حزيران 67 بسنوات.

أما بشأن ما جرى عشية الخامس من حزيران وما بعده، فقد احتفظت به لنفسي طويلاً، ما عدا إشارة خفيفة وردت مع حلقات نشرت في مجلة الوسط[5].

وقبل هذه الحلقات، لم أشر لما ورد بيني وبين عبد الناصر لأي منبر إعلامي، لاعتبارات أساسية تبدأ بالأمل في حدوث تطورات على يد عبد الناصر، على قاعدة برنامج 30 مارس/آذار 1968. وعلى أمل إعادة بناء الجيش الحديث، والمناخ الذي تخلقه هذه العملية في صفوف جنوده وضباطه، بالإضافة إلى ارتفاع وتيرة النقد للنظام وأجهزته، وخاصة الأذرع المخابراتية والأمنية - بعد هزيمة 1967.

ثم جاء رحيل عبد الناصر المبكر، واندفاع قوى الامبريالية والصهيونية والتخلف العربي، بالإضافة إلى بدء هجوم اليمين الناصري على عبد الناصر ومشروعه وإنجازاته، كل هذا، طرح علينا ضرورات الدفاع عن مشروع عبد الناصر، في وجه أعدائه ومخاصميه، وعدم تمكين هذا المعسكر، من التقاط أي واقعة يمكن أن يستند إليها للتشهير أكثر فأكثر بهذا المشروع..

■ سأقول لك شيئاً، فلو قابلت أنا جمال عبد الناصر في الثلاثين من عمري، وقرأت ما قرأته عن الديكتاتورية والقمع، لما تجاسرت وقلت لعبد الناصر ما قلته أنت!

لكن الزمن لا يمكن قسره!!

بمعنى آخر: يقولون عن عبد الناصر أنه ديكتاتور، فكيف يجرؤ نايف حواتمة، وهو في بداية حياته الثورية السياسية أن يقول للديكتاتور: هذا خطأ! وبعد أيام يعود ويستمع من هذا الديكتاتور كيف أن الخطأ قد وقع فعلاً...

لماذا لم تخف من جمال عبد الناصر؟!

راق هذا السؤال لنايف حواتمة، لأنه وجده مدخلاً لقول وجهة نظره الحساسة في هذه المسألة، ولكنه سارع ليرد بحزم:

■■ لا أوافق على صفة الديكتاتور[6] !

وقال، وهو يفند خطأ هذه الفكرة:

■■ إن عبد الناصر قاد سلسلة مذهلة من التحولات، في النضال القومي والاجتماعي والطبقي والإيديولوجي، لدفع مسار حركة الثورة الوطنية الديمقراطية العربية إلى أمام، وباتجاه

---

(5) في العدد 156 من مجلة الوسط الصادرة في لندن بتاريخ 1995/1/23 بيّن نايف حواتمة في الحلقة الأخيرة من الحوار معه، كيف التقى عبد الناصر في المرة الأولى. والطريف أن حواتمة يذكُرُ في لقائه مع مجلة الوسط، كيف روى عبد الناصر أن السادات تهَمَّشَ دوره منذ صباح الثورة وبات حضوره شكلياً، بل إن عبد الناصر تكلم عن سلوك السادات ليلة الثورة إذ جاء إلى القاهرة وذهب إلى السينما بدلاً من الذهاب إلى بيت عبد الناصر ليتعرف على دوره، حيث إذا فشلت العملية يكون في حرز حريز، وإذا نجحت فليس من الضروري أن يكون على علم بالموعد الدقيق لها.

(6) محمد حسنين هيكل:

* جمال عبد الناصر (14) ألف معتقل سياسي خلال (18) عاماً من حكمه،
* أنور السادات تجاوز (37) ألف معتقل سياسي خلال (11) عاماً من حكمه،
* حسني مبارك تجاوز (50) ألف معتقل سياسي من العام 1981 حتى الآن 1996/12/20.

نهضة حديثة معاصرة، وبأمل طي التخلف والانحطاط، الذي تواصل على امتداد ألف عام تقريباً، منذ انهيار حكم الدولة العباسية في طورها الأول...

وعلينا أن نلحظ أن أفلح وأنضج نهضة فكرية ثقافية وسياسية بعد النكبة، كانت فترة عبد الناصر. وأقول لك بوضوح: إن مبدعي مصر، وحتى يومنا هذا يكون هذه النهضة!!

وإذا استثنينا فقدان العمل الحزبي المنظم، خارج إطار الاتحاد الاشتراكي، والحياة النقابية، وهي مسألة أساسية ومصيرية في مصر وكل مشروع نهضوي وطني تحرري وقومي وجدوي، ما عدا هذا، فإن كل شيء كان مباحاً في مصر!

كما أن أبرز الإبداعات الروائية والشعرية والموسيقية والسينمائية والتلفزيونية والثقافية عموماً كانت في فترة عبد الناصر... بل إن التدهور والانحطاط الواسع تم فيما بعد. لماذا؟ لأن عبد الناصر بمشروعه النهضوي، فتح الفضاءات الرحبة أمام مبدعي الطبقات المقهورة لتستيقظ بعد نوم طويل!

وأضاف حواتمة بسخرية:

■■ إن التوصيف السهل بالديكتاتورية، لا يأخذ التجربة بكل جوانبها، بل يأخذ جانباً منها. فعبد الناصر شيء، والديكتاتوريات الاستبدادية الدامية والتوتاليتارية، التي عرفتها أمريكا اللاتينية وبلدان أفريقية وآسيوية، من بينوشيت إلى موبوتو إلى ضياء الحق إلى سوهارتو والشيشكلي والملكيات الأوتوقراطية، شيء آخر تماماً!!

فقلت لنايف حواتمة:

■ ربما يكون هذا، ولكن المباح الذي تحدثت عنه، قد يكون نتيجة للاستقلالية النسبية بين بُنى المجتمع. ففي كثير من الحالات الديكتاتورية والاستبدادية نلاحظ نمواً في الفن والثقافة وجوانب أخرى محددة!

رد حواتمة وهو يهز برأسه علامة الموافقة:

■■ هذا صحيح. فهذا هو التعبير عن مجرى الصراع الدائر في المجتمع بين الطبقات الحاكمة والمحكومة، بين التيارات الدافعة إلى التقدم وبين الأخرى السلفية المضادة للتطور والنهضة. وأبرز الأمثلة سطوعاً روسيا القيصرية، قلعة الرجعية الأوروبية، بعد أن تقدمت عليها أوروبا، بانتصار الثورة البرجوازية الديمقراطية ونهضة الرأسمالية وهزيمة الأوتوقراطيات الملكية الإقطاعية. إن أغنى وأجمل نهضة أدبية ثقافية، زاخرة بقيم الثورة الإنسانية نهضت في مجرى الصراع ضد القيصرية والإقطاعية، وفي المقدمة أدب تولستوي.. ديستويفسكي... تشيخوف... غوركي... إلخ.

وثورة يوليو/ تموز وتجربة عبد الناصر، سلسلة من التحولات الثورية البرجوازية والتقدمية العاصفة، التي تناولت كل جوانب الحياة الاقتصادية، الاجتماعية، الطبقية، الفكرية، الأخلاقية، السياسية، والروحية... إنها عمليات ثورية مترابطة الحلقات بفعل تطور عبد الناصر في مجرى التجربة ـ الصراع مع الاستعمار والتوسعية الصهيونية، وفي الداخل المصري والقومي مع قوى

الانحطاط والتخلف الإقطاعية، الملكية الاستبدادية، الرأسمالية الطفيلية (الكومبرادور) وتعبيراتها السياسية والفكرية والحزبية.

إن ثورة عبد الناصر واحدة من الثورات الكبرى في تاريخ مصر والأمة العربية، والنهضة العالمثالثية الحديثة. وناصرية عبد الناصر في حركة تطورها... إنجازاتها الاستراتيجية عظمى، وأخطاؤها كبرى، وفي المقدمة: العداء للحياة الحزبية الوطنية والثورية، غياب الديمقراطية التعددية، تطاول الأذرع المخابراتية والأمنية على البشر وخلايا المجتمع، والقفز عن القانون ورفض احترام مؤسسات المجتمع المدني فضلاً عن التضاد مع ضرورات تطورها.

لنتذكر أن الكثير من هذا وقع مع الثورات الكبرى: الثورة الفرنسية، وكم سفكت الدماء فيها ودفعت ملوك فرنسا فوراً إلى المقصلة، وقتلت أبطالها كالقطة التي تأكل أطفالها... الثورة الأمريكية البرجوازية، من إبادة شعب البلاد الأصيل إلى هلاك 70 مليون أسود بنظام الرقيق، إلى تحرير عبيد الأرض وتوحيد البلاد تتويجاً لانتصار الثورة البرجوازية الديمقراطية بزعامة الجنرال جورج واشنطن، لنكولن، جيفرسون... ثورة أكتوبر الاشتراكية بدأت بدون دماء وقبضة حديدية على يد لينين باستلام السلطة سقط من جانبي المتراس الطبقي (68) قتيلاً فقط. ولكن الرجعية بادرت لشن الحرب الأهلية مدعومة بتدخل (14) دولة رأسمالية (أوروبا، أمريكا) لمنع تجديد روسيا ومحاولة إعادة القيصرية والإقطاعية الاستبدادية لتبقى شرطي أوروبا وسوقها الاستهلاكية. وهنا سال نهر الدماء عريضاً وتكونت عناصر ديكتاتورية الحزب الواحد (وليس الطبقة العاملة حيث التعددية الحزبية أيضاً بين شرائحها حيث تتباين المصالح النسبية) التي انتهت عام 1929 إلى الديكتاتورية البيروقراطية ومصادرة الديمقراطية الاشتراكية في المجتمع وبين أجهزة الحزب والدولة والشعب وخاصة الطبقة العاملة والفلاحين...

حقاً. لنفحص كل ثورة، على قاعدة حركة الواقع، وقانون التطور المتفاوت، في ظروف هذا المجتمع أو ذاك، ودرجة انسداد أفق التطور الديمقراطي فاندلاع الثورات...

بدا نايف حواتمة، و كأنه ابتعد عن الموضوع في رده المسهب، فقاطعته بقولي:

■ إن ردك هذا يدفعنا جميعاً إلى البحث الجدي في مقومات ثورة يوليو/ تموز وأخطائها وإنجازاتها مقارنة مع الثورات الأخرى التي عرفتها الشعوب... والحقيقة، أنني لا أهتم بإطلاق صفة الديكتاتور على جمال عبد الناصر! ولكني أعرف، ويعرف الكثيرون، أن عبد الناصر سجن الكثيرين، ومن بينهم صديقك صلاح عيسى، الذي طالبت أنت عبد الناصر شخصياً بإطلاق سراحه.

إن ذلك يجعلنا نسأل: لماذا يسجن عبد الناصر السياسيين، بل والمناضلين الفلسطينيين (معين بسيسو)؟ لماذا تفتح السجون في عهده... كلنا مع عبد الناصر في مشروعه الوطني والقومي. ولكن لماذا يدافع نايف حواتمة عن مسألة القمع، ويهوِّنُ من فقدان التعددية الحزبية والنقابية؟!

رد نايف حواتمة بإسهاب وحدّة، و كأنه لا يريد لأحد أن يمس هذه التجربة بسوء، وقال:

■■ يكون الديكتاتور ديكتاتوراً في واحدة من ثلاث: يأخذ بكامل السلطة لقطع الطريق على الحركة الجماهيرية الصاعدة، الدافعة نحو التقدم بجوانبه الاجتماعية والثقافية والديمقراطية. أو يضع يده على السلطة كاملة لإرغام حركة التقدم الجماهيرية، على التراجع إلى الخلف، وضبطها في إطار مصالح القوى والطبقات القديمة. أو البدء بمسيرة من الديمقراطية لا يلبث أن ينقلب عليها عندما يبلغ المجتمع درجة من التقدم والتطور ولا يستطيع الحاكم أن ينفتح عليها ويفتح لها طريقها.

إن جمال عبد الناصر، لم يكن في أي خانة من هذه الخانات بل جاء في مجرى حركة جماهيرية انخرطت فيها كل الطبقات الشعبية من أجل التقدم والخلاص من الملكية الرجعية ومن الإقطاعية والشرائح الرأسمالية الطفيلية وتحرير محاولات النهضة بمصر من الهيمنة الاستعمارية وقيودها في المعاهدة الشهيرة وردع التوسعية الصهيونية، حتى يصبح بالإمكان الانطلاق بأدوار أوسع عربية وإفريقية تطورت لاحقاً إلى عالمثالثية.

لقد قلت لك إن تجربة ناصرية عبد الناصر كانت تفتقد للديمقراطية التعددية الحزبية والسياسية والتعبوية الإعلامية، فاقدة للديمقراطية التعددية النقابية. وهذا شكّل الحلقة المركزية الأضعف في التجربة بل شكّل مقتل التجربة.

وهذا بالضبط، ما كان موضع نقدنا المبكر لتجربة 23 يوليو وعلى قاعدة التحالف مع النقد، هذا النقد، الذي وجد طريقه علناً في حياة عبد الناصر واستوعبه دون ردود فعل حادة سلبية وواصل احترامه لهذه الرؤيا، رغم أننا وعموم قادة الثورة الفلسطينية، كنا في موقع النقد للقرار 242 نظراً لقصوره عن حل القضية الفلسطينية... ورغم نقدنا لمبادرة روجرز، التي دعت لحل ثنائي.

إن عبد الناصر لم يُصَبْ، كغيره من قادة عرب، بردّات الفعل، بل واصل إعلانه لحق الثورة الفلسطينية بالاعتراض على القرار 242 ومبادرة روجرز. كما واصل تأكيده بأن موقف الجبهة الديمقراطية... موقف نايف حواتمة بنّاء ومعقول[7].

وأضاف حواتمة بحدة:

■■ بعد هذا أقول: إنني لم أدافع في يوم من الأيام عن افتقار تجربة عبد الناصر إلى الديمقراطية التعددية، بل كان هذا موضع نقد بارز في حياة عبد الناصر!

---

(7) كتاب: من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية - إعداد عبد المجيد فريد الأمين العام لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة منذ 59 وحتى رحيل عبد الناصر 1970، إصدار مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت 1973. في محضر لقاء عبد الناصر مع الملك حسين في قصر رأس التين بالاسكندرية 1970/8/21 - أن عبد الناصر طلب من الملك حسين وقف تشنج المسؤولين الأردنيين ضد القوى الفلسطينية، حيث شكى الملك للرئيس عبد الناصر بعض ما يصدر من إذاعة صوت فلسطين بالقاهرة، ومن الموقف الإعلامي الفلسطيني ضده، رد عليه عبد الناصر قائلاً ص250: (جلالة الملك أرجو أن تأخذ الأمور بالصبر من أجل شعبكم، وشعب فلسطين، ولا تنسى أن سيدنا أيوب كان من سكان نهر الأردن ولهذا أعتقد أنك ستكون قادراً على التصرف باتزان وحكمة رغم وجود بعض التطرف لدى أطراف فلسطينية. وفي الوقت نفسه توجد بينهم عناصر كثيرة متزنة... وقد أبلغني فاروق أبو عيسى "وزير خارجية السودان" من ثورة السودان، أنه اجتمع مع اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة، وهم أناس معقولون وأفكارهم بناءة وأنصح بفتح الحوار مع الاتجاه البناء والمعقول).

لقد أدنت سياسة حل التعارضات بين قوى وتيارات الصف الوطني العريض بالقوة: أي الاعتقالات والسجون التي طالت صفوف اليسار سواء الناصري أو الوفدي وصولاً إلى الشيوعيين. كذلك كنت في موقع النقد والتخطئة لهذه السياسة، مع القوى التي تقف على اليمين، رغم استناد هذه القوى للعنف والاغتيالات كما وقع مع عبد الناصر شخصياً أثناء الاحتفال بثورة 23 يوليو عام 1954 بالاسكندرية[8].

وفكر حواتمة قليلاً، ثم مضى يقول:

■■ أتذكر هنا جولات الحوار مع الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، كان نقاشنا يدور حول ضرورة أن تتجاوز الثورة الجزائرية أخطاء التجربة المصرية الناصرية، وذلك بالانفتاح على الديمقراطية التعددية الحزبية والسياسية والنقابية. وكان جواب بومدين: إن الزمن بيننا!.

وفي جولة من هذه الجولات، تمت بعد رحيل عبد الناصر ـ وكان يمين الناصرية المتحالف مع البيروقراطية القديمة قد انقلب، في 15 مايو/ أيار 1971، على تجربة عبد الناصر، وعلى يد إطارات قيادية بارزة في قلب الاتحاد الاشتراكي، بل في قلب الحزب الطليعي فيه ــ أعدت حديثي مع بومدين حول الديمقراطية والتعددية، مدعماً هذا الحديث بما حصل مع عبد الناصر ومحذراً من وقوع مثل هذا مع التجربة الجزائرية، وهنا جاء رد بومدين بأكثر من صيغة، وفي أكثر من جولة حوار: (الزمن معنا)... (أنت مستعجل علينا يا سي حواتمة)... (نحن نريد أن نستكمل بناء الثورة الصناعية بخيارات استراتيجية تقوم على التصنيع الثقيل)... إلخ. وكثيرة حواراتنا مع قادة الدول العربية في سورية، العراق، ليبيا، اليمن (الشطرين) بذات الاتجاه ومن مواقع الحوار النقدي المتبادل.

وهكذا لم تقع الاستجابة لدعواتنا لأن عديداً من الحكام يعتقدون أنهم مخلدون والحياة الزمنية مفتوحة لهم بلا حدود!!

وانفعل حواتمة وهو يختتم فكرته بالقول:

■■ وعندما تقع المفاجأة... تقع الكارثة!

لكنه عاد إلى تجربة عبد الناصر بحرص ظاهر على احترامه له، عندما تتم مقارنتها بتجارب أخرى، وقال:

■■ لقد كانت تجربة عبد الناصر متقدمة على غيرها من التجارب التي حاكتها، فالثورة الجزائرية كانت محكومة بإيديولوجيا الشعبوية Populist، وكانت القسمات الطبقية مطموسة فيها. وتحت عنوان: كلنا فقراء... لا طبقات داخل شعب الجزائر... وكلنا مناضلون... كل الشعب الجزائري يرنو باتجاه الاشتراكية.

---

(8) (ثبت لاحقاً مسؤولية الإخوان المسلمين عن محاولة الاغتيال). المصدر: الهيئة العامة للاستعلامات ـ وزارة الإرشاد القومي المصرية، وبعد ذلك أصدر مجلس قيادة الثورة قراره بحل تنظيم الإخوان في 15/يناير/1954.

* (خالد محي الدين ـ والآن أتكلم ـ سبق ذكره ـ ص243).

ومثل هذه التجربة متخلفة عن إيديولوجية ناصرية عبد الناصر، منذ ميثاق 1962 إلى برنامج 30 مارس/ آذار 1968، القائمة على الوضوح الطبقي، واعتماد برنامجها الطبقي على: تحالف قوى الشعب العاملة... والتجارب العربية الأخرى التي وصلت فيها قوى وأحزاب وشخصيات من أبناء الطبقة الوسطى، وحملت إيديولوجيتها وبرنامجها، في منتصف الطريق، تحت شعارات الاشتراكية والمشروع النهضوي القومي، حاكت ناصرية عبد الناصر في التحولات الاقتصادية الاجتماعية، وتجاه قضايا الديمقراطية التعددية، مؤسسات المجتمع المدني، حقوق الإنسان، التداول السلمي للسلطة، ومن على يمينه فكرياً، وواصلت أجهزة الدولة البيروقراطية المتبرجزة مدّ أذرعها السياسية والمخابراتية والأمنية فوق القانون... المسافات بعيدة بين دولة مؤسسات المجتمع المدني وبين سلطاتها الخاصة.

ويتضح من هذا أننا ميّزنا بين تجربة ودور عبد الناصر ومشروعه النهضوي وإنجازاته الكبرى وبين الحلقة الغائبة (الديمقراطية)، ومايتم اشتقاقه منها: بكيفية حل التعارضات في صف الحركة الشعبية، ومع الطبقات القديمة الاقطاعية والرأسمالية الطفيلية والمتخلفة، والتي تصر على المحافظة على القديم ومنع الجديد ومنع التقدم إلى أمام، محمية بجسورها المفتوحة على الكولونيالية، الامبريالية، والتطلع إلى فتح الجسور مع التوسعية الاسرائيلية الصهيونية، إضافة إلى الرجعيات الكلاسيكية والدولية.

قلت لنايف حواتمة:

■ ولماذا اعتقل عبد الناصر صلاح عيسى؟!

فقال:

■■ جاء اعتقال صلاح عيسى بعد أن نشرت له مجلة الحرية سلسلة مقالات عام 1966[9] تقوم على المراجعة النقدية للثورة الناصرية. وأذكر أنها كانت تحت عنوان: (تجربة يوليو بين المسير والمصير) لقد أثارت مقالات الكاتب المصري صلاح عيسى جمال عبد الناصر، فتم اعتقاله!■

■ في مقال له ينشره بعد خروجه من السجن يقول صلاح عيسى إن نايف حواتمة طالب عبد الناصر شخصياً بالإفراج عنه، فرفض ذلك.. وأنت، هل تذكر ما قلته لعبد الناصر بهذا الشأن؟![10]

---

(9) صلاح عيسى (الثورة بين المسير والمصير) - مجلة الحرية - ثلاث حلقات نشرت في الأعداد 328، 329، 330 - في أيلول 1966. حيث كان مراسلاً لمجلة الحرية في القاهرة واثارت هذه المقالات الانتقادية غضب الكثيرين في دوائر السلطات المصرية، ويكتب صلاح عيسى، (قيل فيما بعد إن الرئيس عبد الناصر كان على رأسهم، وانتهى هذا الغضب، بأن كتب علي صبري، الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي، مذكرة للرئيس عبد الناصر، لخص فيها المقالات، وأشر الرئيس في ذيلها عبارة «يُعتقل ويُفصل»). * مذكرات أحمد فؤاد نجم - المقدمة بقلم صلاح عيسى. دار سفنكس - الطبعة الأولى1993 - القاهرة.

(10) يورد الكاتب المصري صلاح عيسى في مقدمته التي كتبها لمذكرات الشاعر أحمد فؤاد نجم - الصادرة عن دار سفنكس للطباعة والنشر والتوزيع في القاهرة في طبعتها الأولى عام 1993، الحادثة التالية:

(والغريب أن الشاعر الصعلوك - أحمد فؤاد نجم - لم يكن من عملاء مراكز القوى، أو من الذين يرتدون قميص عبد الناصر وهو الوصف الذي كان الاعلام الرسمي يطلقه على معارضي الرئيس السادات - بل كان من المعارضين لحكم عبد الناصر، ومن المعتقلين في أواخر عهده - بين منتصف عام 1968 ومنتصف 1971 بسبب أشعاره السياسية مع زميله المغني الضرير ⇐

■■ تم الحديث عن مسألة اعتقال صلاح عيسى وأحمد فؤاد نجم، عندما دار الحديث مع عبد الناصر حول قضايا الديمقراطية والثقافة والايديولوجيا وارتباط ذلك مع تجربة 23 تموز/ يوليو، وقلت إن مقالات صلاح عيسى هي عملية نقدية ومكتوبة بروح إيجابية وتدخل في النقد الإيديولوجي والطبقي من موقع تبنيه لتجربة 23 يوليو، وحرصه على تطوير هذه التجربة في مسارها، وابتعادها عن الانتكاسات التي قد تحصل!

ولكن نبوءة صلاح عيسى كانت بالمصير السلبي، والانتكاسة الكبيرة للتجربة. ويجب أن ننوه إلى أن صلاح عيسى كان ولايزال حتى يومنا هذا مثقفاً ماركسياً بألوان ناصرية.

■ ومالذي قاله عبد الناصر؟

■■ عبد الناصر كان رافضاً لاعتبار 23 يوليو تجربة أو ظاهرة، بل يراها ثورة ومسارها يتواصل ومصيرها مضيء واصل إلى بر السلامة، بالانتقال بمصر إلى سلسلة لاتتوقف.

■ يعني قال إنه يرفض إطلاق سراح صلاح عيسى؟

■■ أستذكر هنا ما كتبه صلاح عيسى نفسه بقوله: إن هذا المطلب بإطلاق سراحي كان صعباً، وإن أي مطالب أخرى هي قابلة للحل.

إن إطلاق سراح صلاح عيسى، في تلك اللحظة، لم يكن ممكناً حله على المدى المنظور.

■ عادة ما يلجأ بعض الناصريين، وقد حدث هذا من قبل، إلى القول: إن مراكز القوى وأجهزة المخابرات هي المسؤولة عن الاعتقالات والتنكيل بالسياسيين المصريين على أساس أن عبد الناصر لم يكن على علم بهذه الممارسات. ولكن إجابتك تدل على أن عبد الناصر يعلم ومقتنع بما يمارسه.

ألا ترى أن عبد الناصر كان بشكل أو بآخر لايريد سماع صوت معارض له بشكل جدي!!

أثار هذا السؤال نايف حواتمة مجدداً، وبدت الفترة التي أمضينا فيها هذا الحوار قد طالت، ومع ذلك كان حاداً في إجابته، عندما قال:

■■ أولاً، لا أوافق على أن عبد الناصر، أو أي حاكم لأي بلد، لايعلم بالاعتقالات ذات المدلول الإيديولوجي والطبقي والسياسي والحزبي والثقافي وكذلك النقابي، وبأن مثل هذه الاعتقالات تتم على أيدي الأذرع الأمنية دون علمه.

إن هذه المقولة، تقود إلى نظرية أكثر سخفاً، وهي أن الحاكم جيّد، ولكن المشكلة هي في الحاشية!! هذه الادعاءات خاطئة، ودعاتها يبرّرون للحاكم ليضمنوا رضاه.

⇐ الشيخ إمام، وبعد اعتقاله انتهز الزعيم الفلسطيني نايف حواتمة رئيس الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين – فرصة لقاء بينه وبين عبد الناصر، فقال إن لديه طلباً يتمنى أن يكرمه الرئيس ويحققه له... وابتسم عبد الناصر قائلاً:

– أأمر يانايف.. !

فتشجع حواتمة، وقال إنه علم أن هناك ثلاثة من الكتاب والأدباء معتقلون بالسجون المصرية، هم صلاح عيسى، أحمد فؤاد نجم، الشيخ إمام، وأنه يتمنى أن يستجيب الرئيس لوساطته ويفرج عنهم.

وتجهم وجه عبد الناصر، وقال بجفاء، لم يفلح في إخفائه:

ـ ماتتعبش نفسك.. التلاتة دول مش ح يطلعوا من المعتقل طول ما أنا عايش).

لقد علمتنا التجارب كلها، أن مثل هذه المقولات ليست صحيحة. بل مسقوفة بمنظومة من المصالح الطبقية اليمينية والرجعية وعمليات الفساد والإثراء غير المشروع، إنها تتداعى لإسدال الستار على التناقض بين نمو الطبقة البرجوازية الجديدة، على مائدة النظام: (مايسمى بطبقة القطط السمان) والخطاب الايديولوجي اليساري.

وثانياً، بالتأكيد ليس الحاكم على علم بكل تفاصيل الاعتقالات، لأن مراكز القوى، أو مراكز المصالح الطبقية الاجتماعية والسياسية والمعنوية المتعددة، داخل أجهزة الدولة، وفي ظل غياب الديمقراطية، تتسلح بالخط العام، في كيفية حل التعارضات في صف القوى الوطنية، أو حل التناقضات مع القوى المضادة لحركة التطور والتقدم إلى أمام، فتعطي لنفسها أوسع مدى في تجاوز حدود الضروري، في نظرية الحاكم، وفي الخط العام الذي يعطيه لحركتها.

إن هذا وقع في مصر، وفي البلدان العربية، وفي بلدان العالم الثالث يقع هذا أيضاً... وقد وقع أيضاً في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية. ووقع في أوروبا والولايات المتحدة واليابان. ولكن هذه البلدان الأخيرة سبقتنا في ثورتها البرجوازية الديمقراطية بأكثر من مئتي عام، ولذا وعلى امتداد كل زمان الصراع والتطور، اكتسبت ديمقراطيتها البرجوازية الكثير من مقومات الديمقراطية الفعلية وصيانة حقوق الإنسان والتداول السلمي على قمة السلطة.

عندما تغيب أو تهمش وتعلّب الديمقراطية، تغيب الرقابة وينتشر أخطبوط الأذرع المخابراتية والأمنية، وينخر الفساد أجهزة الدولة، وتظهر على سطح الحياة والمجتمع الخنادق العميقة بين خطاب حزب الحكم، والذي يدب على الأرض في جسد المجتمع... إنها بوابات الصعود نحو الهاوية!!

■ جميل أن تصف ذلك بـ (الصعود نحو الهاوية)... إنها رواية من نوع ما.. أتذكر رواية (الكرنك) لنجيب محفوظ؟ لقد سمح عبد الناصر فعلاً بهامش للكتابة والفن والثقافة، ولم يتم قمع مثل هذه الحريات الإبداعية. ولكن قل لي، ألا تدلّ رواية (الكرنك) على استفحال حالة القمع في الجهاز الناصري؟!

■■ **صحيح!!**

ثم عاد وهزّ رأسه بارتياح، وكأنه يريد إعادة صياغة الجواب على نحو آخر، ثم قال:

■■ **تدل على وجود أشكال من القمع.. قمع مرشح للاندفاع نهجاً مبرمجاً ومتكامل الحلقات. أو فإننا نكون أمام وضع آخر: حكم بوليسي بكل مدلولاته!**

فقاطعته:

■ هذا مآل النهج الديكتاتوري مهما بدا محدوداً!

فردّ بهدوء:

■■ **أنت تنسى النهضة التي تمت في زمن عبد الناصر: إيديولوجياً وثقافياً وتنويرياً للطبقات الصاعدة (عمال، فلاحين فقراء، طبقة وسطى، انتلجنسيا تحفر دروب التحديث والعصرنة إلى الأمام).**

أنت تذكر (الكرنك)، وفي زمن عبد الناصر لم يتم منع أي عمل إبداعي ثقافي ناقد للتجربة ذاتها... وهناك أعمال مثل: ميرامار.. السُمان والخريف.. ثرثرة فوق النيل.. اللص والكلاب.. أولاد حارتنا. ومن أعمال يوسف إدريس يمكن تذكر الكثير، وكذلك عبد الرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن الخميسي وصلاح أبو سيف ويوسف شاهين وكمال الشيخ، وينابيع الثقافة الليبرالية والاشتراكية، بالإضافة إلى الأعمال الناقدة للتجربة الناصرية على كل الأصعدة، في المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون، كلها كانت مسموحة، إلاّ عندما تصل المسألة إلى العمل الحزبي والنقابي المنظم، خارج إطار التجربة الحاكمة، فالديمقراطية التعددية والتداول السلمي للسلطة محرمان في قاموس تجربة يوليو/ تموز. والتجارب العربية الأخرى حاكتها، وإن بتلاوين مختلفة.

إن الفضاءات أو الهوامش التي نتحدث عنها في التجربة الناصرية غابت في زمن السادات. بل طفا على السطح سيل من كتابات النفاق وتبرير التراجعات عن إنجازات عبد الناصر القطرية والقومية في كل ميادينها، واتسع القمع المبرمج: السياسي، الثقافي، الطبقي، الصحفي، وتدهورت شؤون الفكر والثقافة والفن الهابط..

ونظر نايف حواتمة إليّ يشير لي إلى نهاية إجابته. كنت أتوقع أن يفيض في حديثه أكثر، لكنه كان ينتظر سؤالاً جديداً، فقلت له:

■ أنت تتحدث باستمرار عن المشروع القومي النهضوي لجمال عبد الناصر، لنعد الآن إلى هذا المشروع، هل كان متكاملاً في مرحلته التاريخية، كيف كنت تراه، وما الذي كان ينقصه؟!

ربما أعاد هذا السؤال نايف حواتمة إلى مرحلة من شبابه و كتاباته، لذلك بدا مندفعاً في الحديث عنه، وعن عوامله و كأن الإجابة كانت مكتوبة من قبل فقال بتلقائية:

■■ ثلاثة عوامل رئيسية كانت غائبة عن مشروع عبد الناصر النهضوي الوحدوي التقدمي. العامل الأول: هو الانطلاق بدون برنامج مبني على منهج وطني وقومي وطبقي واضح برؤياه وخطه الايديولوجي والاجتماعي والسياسي، وحلول التجريبية محل الخط البرنامجي الذي يجري تطويره وتعديله ودفعه إلى الأمام على ضوء التحولات العملية.

لقد انطلقت ثورة 23 يوليو/ تموز من المبادىء الستة الشهيرة، التي تشكل مؤشرات محكومة بقانون التجربة والخطأ[11] ولاتشكل المبادىء الستة منهجاً برنامجياً يقود مسار التجربة. لذا

---

(11) المبادىء الستة لثورة يوليو:

1- القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين.

2- القضاء على الاقطاع.

3- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم.

4- إقامة عدالة اجتماعية.

5- إقامة جيش وطني قوي.

6- إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

* فلسفة الثورة - جمال عبد الناصر - الطبعة التاسعة - المطبعة العالمية بالقاهرة ص 37 - عام 1962.

نلاحظ مثلاً أن التجربة بدأت بخط فكري وسياسي معادٍ للاستعمار والاشتراكية، معادٍ للإقطاع والرأسمال (إذا استخدمنا مقولات التجربة الناصرية نفسها) في نفس الوقت.. ومعادٍ للقوى الحزبية والنقابية واليسارية السياسية.

وعلى هذا الأساس، اعتمدت هذه التجريبية على امتداد عمرها على أجهزة الدولة بشكل رئيسي، بتكوينها الموروث عن النظام القديم، وعلى قاعدة مطواعيتها للحاكم.

العامل الثاني: إبقاء أجهزة الدولة القديمة كما هي، إضافة للاعتماد عليها مع تغييرات فوقية محدودة في المفاصل الحساسة. وكانت هذه العملية أقرب إلى الغندرة Make Up للأجهزة القديمة دون المساس بكل مقوماتها البيروقراطية والاجتماعية المتخلفة وولاءات الكثير منها إلى الطبقات القديمة. وبهذا بقي مصير التجربة معلقاً بشخص عبد الناصر، بالإضافة إلى الإطار القومي على قمة أجهزة الدولة.

وعندما بدأت التجربة تدخل في الإستعصاءات أو الأزمات الناتجة عن التقدم في خطط التنمية المستقلة وتصفية البنية التحتية الإقطاعية والرأسمالية الطفيلية، ظهرت مقاومة يمين قادة 23 يوليو ويمين الناصرية والقوى القديمة من داخل جهاز الدولة البيروقراطي نفسه في التعطيل والتخريب والتآكل. وبأشكال من التحالف بينه وبين القوى والأحزاب الرجعية والقديمة.

ومن هذا المخزون جاء مقتل وحدة الجمهورية العربية المتحدة، وجاءت كل أشكال التخريب والتعطيل على هذا المشروع القومي. ثم جاء الانقلاب علىٰ مجمل التجربةِ وعلى يد يمينها نفسه بانقلاب 15 مايو/ أيار 1971.

العامل الثالث: غياب الديمقراطية، وقد أدى هذا إلى نتيجتين متناقضتين، غياب الرقابة الشعبية الديمقراطية على التجربة وأجهزة الدولة الموروثة، ثم اللجوء إلى حل التعارضات في صفوف الشعب، صاحب المصلحة في الثورة، بوسائل إدارية وأوامرية قمعية، قائمة على الاعتقالات وتسعير عداء أجهزة الدولة وأدواتها الإعلامية لليسار وقوى التقدم المنظمة وشبه المنظمة الحزبية والنقابية تحت شعارات: الخطر الشيوعي الموهوم.

إن الديمقراطية التعددية الحزبية والنقابية الإيديولوجية والسياسية كانت الحلقة الغائبة، الأكبر والأفدح تاثيراً على مجموع هذا المشروع النبيل كلما تحركت القوى الظلامية إياها، وكثير منها كان قد صعد من جديد كما كان قبل الثورة، وقبل الوحدة وعلى أرضها إلى قمة النفوذ (الحكومة – الهيئة التشريعية – مفاصل أجهزة الدولة).

هذه العوامل الثلاثة، تشير إلى أن عبد الناصر حاول أن ينهض بمشروعه الوطني والقومي، على أكتافه واكتاف أعداد بسيطة حوله في القمة، لذلك لم يسمح هذا المشروع لعبد الناصر باستيعاب عشرات الملايين من الحركة الشعبية، التي ساندته من موقع تلمسها لسلسلة التحولات الوطنية والقومية والاقتصادية والفكرية... وبعبارة أدق: سلسلة التحولات الطبقية على طريق إنجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية، القطرية والقومية الوحدوية.

بمعنى آخر. لقد حاول جمال عبد الناصر أن يمضي بمشروعه دون إطلاق يد الطبقات الشعبية العريضة صاحبة المصلحة وبناء الجسر البشري الطبقي الحديث والمنظم، وإنما اكتفى بهذه الكتلة البشرية من عشرات الملايين في الشوارع، ولكن في (منطقة الظل) وفي موقع «المتفرجين لا الفاعلين المنظمين» في التحضير لهذه التحولات والدفع بها أكثر فأكثر في قلب الشعب ونهوضه المنظم.

وأضاف حوالمة، وهو يحاول جمع أفكاره وتكثيفها:

■■ بكلمة واحدة، كان جمال عبد الناصر يحاول القيام بمشروع نهضوي ثوري تقدمي، يجمع بين ما أنجزته الطبقة البرجوازية في أوروبا، وبين فتح الأفق باتجاه الانتقال اللاحق نحو الاشتراكية. حاول ذلك بالاعتماد على الأجهزة القديمة، وهنا كانت مراوحة المشروع في منتصف الطريق ثم توجيه الطعنات القاتلة له!!

وهذا كله يعلمنا أن لاثورة وطنية بدون ديمقراطية تعددية. لااشتراكية بدون اشتراكيين. وهنا أتذكر أنه عندما أذاعت القوى الانقلابية القديمة من دمشق بيانها الأول بالانفصال، كنت في ظروف العمل شبه السري في بيت السياسي القومي الكبير صدّيق شنشل في بغداد، ومعنا عدد كبير من المناضلين (باسل كبيسي ومصطفى شنشل وآخرون) عندما فاجأنا هذا البيان، فعلقت على الفور:

– هذا مصير من يبني الاشتراكية بدون اشتراكيين ومن يريد أن يدفع الثورة بدون ثوريين!!

وهنا قلت لنايف حوالمة، وأنا أتوقع منه إجابة طويلة:

■ لقد سعى آخرون لتقليد عبد الناصر، وربما وقعت تجربتهم بما وقعت فيه تجربته... ترى كيف نقيم هذه التجارب؟

وجد حوالمة فكرة الإجابة بسرعة، وكأنها رد بديهي، ثم عاد، وحلّل جوانبها بتكثيف ودقة:

■■ راوحت في منتصف الطريق! ثم أخذت بالجمود، فالتراجع نحو اليمين...

وأضاف بعد صمت قصير:

■■ إن التجارب التي وصلت إلى الحكم بعد ثورة 23 يوليو/ تموز 1952، بثورة استقلال وطني أو عمليات انقلابية عسكرية دون أحزاب خلفها، أو انقلابية عسكرية حزبية.. كلها أخذت المكونات الرئيسية لتجربة عبد الناصر، ولكن بألوان من الشعارات، تمتد من (الشعبوية Populist إلى القومية الهلاميّة، وتداخلات مشدودة إلى الموروث السلفي الاجتماعي والثقافي، والديني السياسي).

ولذا راوحت هذه التجارب بخطها الفكري والطبقي يمين الاتجاه الذي تطورت فيه تجربة عبد الناصر (برنامج 30 مارس/ آذار 1968 والمناخات الفكرية التقدمية الثورية الواسعة) واحتفظت بعناصر التجربة الأخرى من الاصلاح الزراعي، وفك قيود الأحلاف والمعاهدات الاستعمارية إلى محاولات التنمية المستقلة إلى غياب الديمقراطية التعددية واستفحال دور الأذرع المخابراتية والأمنية.

ومن هذه التجارب، ما سقط في أول الطريق بالعودة إلى القديم والديكتاتورية لكبح التطور إلى أمام (تجربة السودان المايوية – جعفر النميري)، ومنها ما راوح وأدخل البلد كله في طريق مسدود ونزيف لايتوقف يدفع بالضرورة إلى الخلف وعمليات التشقق الداخلية التي تهدد حتى الوحدة الإقليمية (القطرية) للبلد والشعب، بعد أن تشظت الشعارات الشعبوية والقومية العامة. وآخرها تجربة يمين منظمة التحرير الفلسطينية المسقوفة باتفاقات أوسلو!

كل هذا أدى إلى اختلالات داخلية، وعربية عربية، وماتفتحه من عمليات تراجع عن المشروع النهضوي الوطني والقومي الوحدوي التقدمي والبحث عن حلول محلية مع القوى القديمة التي ثارت وانقلبت عليها بالأمس في داخل البلد، وحلول إقليمية ثنائية مع التوسعية الصهيونية والمصالح الأمريكية. وتحت ضغط تراجع المشروع النهضوي ينبت فطر الاقتتال الأهلي وحروبه الدموية المحلية بألوان أخرى تقوم على تكفير تيارات أخرى في المجتمع وماتنتجه من دوامة تآكل ما تم إنجازه تحت مظلة العنف والعنف الأهلي المضاد الذي أطل برأسه منذ منتصف السبعينات واستشرى في الثمانينات حتى يومنا.

إن فتح أبواب الديمقراطية التعددية على مصاريعها دون حواجز يجعلنا نعيد بناء المشروع النهضوي الوطني (القطري) والعربي (القومي) الديمقراطي بالتقدم إلى أمام والجمع الحي بين الأصالة والحداثة، بين دخول عصر الصناعة والتكنولوجيا وبين شبكة العدالة الاجتماعية حلم شعوبنا وحلم البشرية النبيل، نحو تجديد بلداننا مساهمة في تجديد العالم!

■ وهناك أحزاب ناصرية توالدت حتى زادت عن حاجة الشارع السياسي... أين أصبحت اليوم؟ وهل يمكن أن تكون فاعلة في هذا الشارع المتغير؟!

■■ المحزن أن الأحزاب الناصرية، وخاصة خارج مصر، تجمدتْ عند تجربة عبد الناصر، قبل الميثاق القومي (1962). وبالتأكيد، المسافات واسعة.. فاصلة بين ماتطورت إليه ناصرية عبد الناصر (برنامج 30 مارس/ آذار 1968) وبين ناصرية أغلبية هذه الأحزاب، ولذلك تراجعت أدوارها، وكثير منها بات مهمشاً بلا دور، فهي لم تلتقط ناصرية عبد الناصر فيما تطورت له، وتبني، تؤسس عليه، وتنطلق في صف الشعب وطبقاته العاملة والفلاحية والوسطى والمتنورين من أبناء البرجوازية الكبيرة إلى أمام.

إن أغلبية الأحزاب الناصرية، تجمدت عند الشعارات القومية التقليدية، وبعضها لايحمل من الناصرية سوى حروفها. وأعجب لماذا لاتنضم إلى الأحزاب التي تمجدها وتتذيل لها.

العالم عندنا وحولنا تغيّر ويتغيّر، وحتى تكون الأحزاب الناصرية فاعلة، فإن عليها أن تلتقط الجديد وتشتق البرنامج النهضوي الديمقراطي الجديد قطرياً أولاً، وقومياً ثانياً. وهذا لايلوح مع الأسف في مصائر... في أفق هذه الأحزاب!.

■ في هذه الحالة يتراءى في الأفق مصير ما للناصرية لذلك أجد نفسي مضطراً للسؤال: ماهو مصير الناصرية في مستقبل العرب؟!

■■ ناصرية عبد الناصر، فكراً وممارسة قدمت سلسلة تحولات كبرى في تطور وتطوير مصر والبلدان العربية ومساهمة بارزة عالمثالثية وإكساب الوطنية والقومية مضموناً جديداً في التقدم والحداثة في التحولات الطبقية والفكرية، لطيّ عصور الانحطاط نحو الثورة الصناعية وما بعدها. وهذا ماورثته تجربة عبد الناصر عن نضالات أجيال التنوير والتقدم والديمقراطية منذ تلمس طريق النهضة منتصف القرن التاسع عشر، التقطه عبد الناصر، بنى عليه، وأطلق قطاره، ولكن مشروعه لم تتكامل حلقاته، ولم يتم حل عقد محاوره القاتلة التي أبرزناها في أكثر من موضع.

ناصرية عبد الناصر فكراً وتحولات هائلة خزان ثوري كبير، يشكل النهر الكبير في مجرى العملية الوطنية والثورية (القطرية والقومية). جاهدنا وكثيرين غيرنا لبلورة وبرمجة الروافع الاستقلالية والديمقراطية ودروبها الاشتراكية العلمية للمشروع النهضوي العصري الوطني والقومي حتى تتكامل أعمدة المسار حتى إكمال المشوار.

في مجرى التطور والثورة علينا جميعاً فتح الجسور والقنوات بين القوى الشعبية وتياراتها الرئيسية الديمقراطية والقومية التقدمية والسياسية الدينية المناضلة ضد التناقض مع العدو الخارجي وضد الإقطاعية والأوتوقراطية الاستبدادية بتلاوينها وعلى قاعدة الإقرار بالديمقراطية التعددية. ابتداءً بتفاعل هذه التيارات الشعبية في مجرى النضال والعمل المشترك وفي الميدان وصولاً إلى الجوامع المشتركة نحو الدمقرطة ودخول عصر الصناعة ومابعدها بالترابط الحي بين الوطني والقومي بين الأصالة (وليس موروث عصور الانحطاط) والحداثة..

بهذه العملية الفسيحة، الصبورة والمحمومة نفتح الدرب الجديد لاعادة بناء ومواصلة تحقيق المشروع النهضوي الوطني والقومي الوحدوي الديمقراطي لشعوبنا واتحاد أقطارنا، ووضع موقعنا بين الدول والأمم.

■ إذا جلست اليوم إلى جانب رمز من رموز الناصرية الحالية (ضياء الدين داود، جمال الأتاسي... الخ) ستقول عن نفسك إنك ماركسي... ولكن مالذي تقوله عن د. جمال الأتاسي؟

ضحك لصيغة السؤال، وقال:

■■ الرفيق الأتاسي مناضل كبير في دفع الحركة القومية نحو الاشتراكية العلمية... نحو الماركسية.. بل إن له دوراً مبكراً منذ أن جمع بين قادة حزب البعث وقادة الحزب الاشتراكي في إطار حزب عربي اشتراكي!

والدكتور الأتاسي لم يتوقف عند حدود (اشتراكية غامضة) وإنما مايز بين (الاشتراكية العربية) وبين التطبيق العربي للاشتراكية، الذي دعت له وثائق عبد الناصر (الميثاق 62، برنامج مارس/ آذار 68) والتي أعلنت بوضوح الانحياز إلى الاشتراكية العلمية.

وأضاف حواتمة بتواضع:

■■ إنني أسمح لنفسي بتقدير ناصرية الدكتور جمال الأتاسي الماركسية!

فاجأتني إضافته المختصرة هذه، ورأيت نفسي مرتبكاً في متابعة الأسئلة، فقلت له، وأنا أحاول طرح السؤال الأخير حول الموضوع:

■ بقيت نقطة تفرض نفسها....

فطالما نحن في إطار الحديث عن التجربة الناصرية وعن عبد الناصر. فإن سؤالاً يحتني على أن أنقله إليك، فقد توجه عبد الناصر نحو التسوية بموافقته على مشروع روجرز. وهذه محطة هامة في مسار الصراع العربي الاسرائيلي.

لذلك، فأنا أسألك، أو أضع السؤال بين يديك: كيف تقيم هذه الخطوة... وخاصة أنها جاءت عشية طرح الجبهة الديمقراطية للبرنامج المرحلي؟!

جمع حوائمة أوراقه الموجودة أمامه، وأخذ يرتبها بعضها فوق بعض ثم قال بمرارة:

■■ هزيمة عام 1967 لم تكن هزيمة عسكرية فقط. بل كانت هزيمة لمجموعة من البرامج الوطنية التي أخذت تراوح منذ سنوات في منتصف الطريق!

ولذلك كانت أطروحاتنا تتحدد بنقد تجارب الأنظمة العربية، التي صعدت فيها شرائح من الطبقة الوسطى إلى الحكم، وطرح البديل الذي يدعو إلى التوجه يساراً بإحلال الديمقراطية التعددية، وبجانبها طرح برنامج يساري للشعب واضح في تحولاته لإعادة بناء وتأطير القوى المتنورة المتقدمة في صفوف الطبقات الشعبية، بأحزاب يسارية جديدة تتخطى خارطة الأحزاب القائمة، وخاصة التي صعدت قياداتها إلى الحكم، ومن ثم الشروع بلا تردد في التطهير الواسع لأجهزة الدولة على طريق تجديدها وإنهاء (صيغة دولة المخابرات ومراكز القوى) التي أعلن عبد الناصر عن سقوطها في مصر ولم تسقط، والتجارب العربية التي حاكتها، وهذا يتطلب برامج جديدة أعمدتها الأساسية: إطلاق الحريات، صيانة حقوق الإنسان، التعددية الحزبية، التسليم بنظرية التداول السلمي على قمة السلطة، التمثيل النسبي المنتخب في الهيئات التشريعية والتنفيذية المنتخبة وفي النقابات والتحالفات الطبقية والسياسية، وبعبارة ناصعة: الأخذ ببرنامج دولة المؤسسات الديمقراطية والقانون... دولة المجتمع المدني على أنقاض دولة مراكز القوى والمخابرات البيروقراطية المتبرجزة.

وفي إطار الرد على العدوان، دفعنا نحن أبناء اليسار في الحركة الفلسطينية وفي م.ت.ف، وفي الحركة القومية نحو الجمع بين الإصرار على هذه التحولات والنضال من أجلها، وبين صياغة البرامج على هذا الأساس، وحمل السلاح ضد العدوان. وبصياغة تحالفات وطنية وقومية... أممية ودولية جديدة تتضمن الوحدة الوطنية لكل طبقات شعب فلسطين على قاعدة البرنامج المشترك.

والنقطة المباشرة التي نجمت عن عدوان 1967 هي تمسكنا بعبد الناصر، وبكل ما هو إيجابي في تجربة الخارطة الحزبية والاجتماعية في مشرقنا... وعلى قاعدة المراجعة الذاتية والعامة النقدية، ودعونا إلى برنامج مشترك يقوم فعلاً على إطلاق الديمقراطية التعددية فضاء لتجهيز كل القوى للزج بها في ميدان تصفية آثار العدوان وشن المقاومة الوطنية ضد الاحتلال، تحديث أجهزة الدولة في بلدان الطوق العربية بشكل خاص، وإعادة تحديث الجيوش والأذرع الأمنية وتطهيرها من أساطين خصوم الحركة الشعبية، فهذا طريق تصفية آثار العدوان...

وفي ذلك الوقت، قلنا إن القرار 242 ليس كافياً. ومنذ البداية لم نتخذ سياسة تقول (لا) مطلقة لهذا القرار، كما فعل الاتجاه الآخر في الحركة الفلسطينية، وأيضاً تمايزنا عن الاتجاه الآخر الذي قال (نعم) مطلقة للقرار 242 دون تطويره!

لقد أعلن عبد الناصر بوضوح إن من حق المقاومة الفلسطينية رفض القرار المذكور لأنه يحصر القضية الفلسطينية بقضية لاجئين، ولا يلبي الحقوق الوطنية السياسية الفلسطينية بالحضور الجغرافي والديمغرافي والسياسي على خارطة فلسطين والشرق الأوسط والعالم. وعبد الناصر الكبير كان حقاً كبيراً في موقفه الوطني والقومي، فهو لم يقم تعارضاً بين قبول مصر بالقرار 242 وبين المقاومة الفلسطينية بتياراتها التي ترفض أو لاتقبل هذا القرار كما هو.

كذلك عندما وافق عبد الناصر على مبادرة روجرز[12] بحل ثنائي بين مصر والدولة العبرية عام 1970، أعلن أن هذا الحل الثنائي يجب أن يشتمل تصفية آثار العدوان كاملة على الجبهة المصرية كما وقع عام 1956، أي: انسحاب المحتلين الاسرائيليين إلى ماوراء خطوط الرابع من حزيران/ يونيو عام 1967 من كل سيناء وتفكيك المستوطنات منها ومن كل قطاع غزة. إن في الخطوة شكلاً من أشكال التمرحل في حل قضايا الصراع المصري والعربي – الاسرائيلي التوسعي.

وبذات الوقت أعلن عبد الناصر أن من حق المقاومة أن ترفض مبادرة روجرز، ولم يقم تعارضاً بين قبول مصر بها ورفض المقاومة الفلسطينية لها لأن مبادرة روجرز لاتلامس القضية الفلسطينية والحقوق الوطنية لشعبها، حق تقرير المصير والاستقلال والعودة.

مرة أخرى، كان عبد الناصر كبيراً في هذا، ولم تصدر عنه معالجات قائمة على ردات الفعل تجاه هذه التعارضات لأن ردات الفعل تحولها إلى تناقضات. ولقد كانت دائماً صيحته الشهيرة تدوي:

– المقاومة الفلسطينية أنبل ظاهرة أنجبتها الأمة العربية، ولدت لتعيش إلى أن ينجز شعب فلسطين حقوقه في إطار الشرعية الدولية!!

---

(12) مبادرة روجرز أطلقت في 1970/6/20 على يد وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية، سلمت إلى محمود رياض وزير خارجية مصر، وتركزت المبادرة حول النقاط التالية:

* أن توافق مصر واسرائيل على العودة لوقف إطلاق النار (وقف حرب الاستنزاف).
* قبول القرار 242 بكل أجزائه.
* الوصول إلى اتفاق سلام دائم يستند إلى الإقرار المتبادل بين مصر والأردن من جهة واسرائيل من جهة أخرى للسيادة وسلامة الأراضي والاستقلال السياسي للطرف الآخر، والانسحاب الاسرائيلي من أراضٍ احتلت عام 1967.

ويذكر أن عبد الناصر قبل المشروع حسب مدير مكتبه عبد المجيد فريد (ص 214، في محاضر اجتماعات عبد الناصر، سبق ذكره) لأسباب تكتيكية تتمثل في كسب الوقت لبناء جدار الصواريخ على القناة وتوفير مظلة جوية فوق منطقة القناة مما أثر لاحقاً على عبور قناة السويس في حرب 6/ ت1/ 1973). وبالمقابل رفضت م. ت. ف. وسوريا المشروع المذكور. - (الوثائق الفلسطينية 1970 – مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت). كما تم تعطيل مبادرة روجرز على يد حكومة اسرائيل، فقد اصرّت على المفاوضات الثنائية المباشرة مع مصر في إطار حدود فلسطين - 15 مايو 1921 التي رسمتها بريطانيا بين مصر وفلسطين الانتدابية. ورفضت اسرائيل التفاوض على حدود 4 حزيران - يونيو 1967 لأنها تتضمن الانسحاب من قطاع غزة كما وقع عام 1956 وعودة الترابط بين مصر والأرض الفلسطينية (قطاع غزة).

وصمت نايف حواتمة، وتحرك لينهض ظاناً أن أسئلتي قد انتهت، فسألته، وأنا أنهض مثله عن الكرسي المقابل له:

■ وأنت تتحدث عن عبد الناصر برقت في عينيك دمعة من نوع ما! لقد لاحظت ذلك أثناء الحديث قل لي صراحة:

هل هي حالة فيزيولوجية، أم أنك اندفعت حزناً على عبد الناصر؟

لم يتوقع حواتمة هذا السؤال، لكنه قال بعفوية وحزن:

■■ إنها من النوع الثاني!

وتابع نهوضه عن كرسيه بقلق!

الفصل الخامس

الرايات السود...

(أحداث أيلول 1970)

■ الرايات السود...
(أحداث أيلول 1970)

عشية أحداث أيلول 1970، كان جمال عبد الناصر الوحيد، الذي تصور كم سيكون الثمن باهظاً، إذا ما اندلعت الحرب الأهلية، لإخراج المقاومة الفلسطينية من الأردن!

وخلال سعيه المكثف، الذي أودى بحياته فيما بعد، لوقف التدهور بين الطرفين، نصح الملك الأردني بالحوار مع أصحاب الخط البنّاء والمعقول وسمّى نايف حواتمة، للبحث عن مخرج سياسي للأزمة[1].

لكن الملك حسين لم يأخذ بهذه النصيحة. ووقعت الحرب... سقط من القتلى والجرحى عدد يقارب العدد الذي توقعه جمال عبد الناصر. بل وأودت الحرب، بمعنى أو بآخر، بعبد الناصر نفسه، الذي توقف قلبه، بعد توديع آخر زعيم عربي شارك في القمة، التي انعقدت من أجل وقف النزيف في الأردن!!

وتلك النصيحة، التي قدمها عبد الناصر للملك حسين، تثير عند نايف حواتمة هاجسين حزينين:

الأول: هو حجم الكارثة التي وقعت فعلاً كما توقع عبد الناصر...

والثاني، ذلك المشهد المؤثر الذي رآه حواتمة في المخيمات الفلسطينية أثناء تلك الحرب، حيث اكتست بيوت تلك المخيمات رايات حزن سوداء حداداً على عبد الناصر!!

وعلى الرغم من أن عبد الناصر رأى في شخصية نايف حواتمة، أو في الجبهة الديمقراطية، وسيلة للتفاهم بين الأردنيين والفلسطينيين، فإن هذه الشخصية كانت، مع شخصية جورج حبش،

---

(1) من كتاب محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية 1967 - 1970. محضر اجتماع عبد الناصر - الملك حسين (21 آب 1970) قصر رأس التين - الاسكندرية. الطبعة الأولى 1979 - ص 250 - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت. اعداد عبد المجيد فريد - أمين عام رئاسة الجمهورية العربية المتحدة من (1959 - 1970 وفاة عبد الناصر).

الشخصيتين المثيرتين في تلك الأحداث. بل وأعلنت الحكومة الأردنية، خلال الحرب، أنهما مطلوبان بأي ثمن (Wanted)، وأن هناك جائزة لمن يأتي بهما، أو بأحدهما، حياً أو ميتاً[2] !!

لذلك، قلت لنايف حواتمة بلا مقدمات:

■ أنتم متهمون بتفجير الحرب الأهلية في الأردن عام 1970!

فسألني بعفوية وسرعة:

■■ من نحن؟!

فأجبته:

■ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

هزّ رأسه، وفكر قليلاً وهو يعود بذاكرته إلى تلك الأيام ثم قال[3] :

■■ هذه تهمة غير مسندة. لاوقائع موثقة لها... بل تتناقض تماماً مع خطنا /برنامجنا/ رؤيانا أو ممارساتنا التي دعت بإلحاح إلى حل التعارضات في صف يجمع القوى الفلسطينية والأردنية، وبين هذه القوى والدولة الأردنية، على قاعدة الائتلاف والتحالف بين الجميع ضد العدو المشترك.

---

(2) أعلن الحاكم العسكري العام في الأردن، إبان محنة أيلول، المشير حابس المجالي في بيانه رقم (33) عن منح مكافأة قدرها (10.000) دينار أردني لمن يلقي القبض حياً أو ميتاً على كل من نايف حواتمة، جورج حبش، أو يرشد القوات الأردنية إلى مكان وجودهما.

* المصدر: هيئة الإذاعة البريطانية - نشرة الاستماع - الثلاثاء 1970/9/22 نشرة الساعة (18) و (15) بتوقيت غرينتش.

* كتاب المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني - دراسة تحليلية لهجمة أيلول. بإشراف د. نبيل شعث، مركز الأبحاث م.ت.ف. بيروت 1971 ص 402.

• اللواء معن-أبو نوار - قائد الحرب النفسية، (وضعنا ثمناً على رأس حواتمة وحبش، وحبش من حسن حظه أنه خارج الأردن، وحواتمة إلى جانب عرفات في جبل اللويبدة، والحسين أمر بعدم قصفه لأن عرفات هناك). المصدر السابق ص 482.

• كما أشارت والدة الشهيد سامي أبو غوش إلى الواقعة التالية في لقاء معها في عمان، جبل التاج، آب/1996 حيث قالت: (أذيع في حينه في الراديو والتلفزيون أن من يدلي بمعلومات عن نايف حواتمة له مكافأة "10 آلاف دينار"، وفي هذه الأثناء كان نايف وبعض الرفاق الشباب موجودين في بيوتنا في جبل التاج المطل على بقية جبال عمان. وفي صباح ذات يوم ذهب والدي وهو جد الشهيد سامي إلى بيت ابنته، وهي خالة سامي وأم زوجته الشهيدة مها، فلما دخل عتبة البيت وهو صالون كبير رأى بعينه شباباً نائمين وأسلحتهم بجانبهم على الأرض، فقال من هؤلاء ؟ فقالت له أختي أم الوليد: هل تحب أن تحصل على مبلغ "10 آلاف دينار"، فأجابها نعم، ولكن من أين؟ فأجابت لقد أذاع الراديو والتلفزيون أن من يبلغ عن نايف حواتمة له مكافأة "10" آلاف دينار، وهذا هو نايف حواتمة بدمه ولحمه ومعه بعض رفاقه، فأجابها جد سامي باستغراب "شو يابنتي" أنا يطلع مني هذا الشيء. قطع رقبتي أهون عليّ من أن أخون. فقالت له: أنا بامزح يا أبتي، فإننا والحمد لله طول عمرنا عائلة مناضلة ونحب المناضلين وندافع عن الثورة).

(3) ادعاء لاأساس له، بلا وقائع، فحملة أيلول هي الخامسة. الأولى في 20 شباط/ فبراير/ 68، الثانية في 4 ت1/ اكتوبر 68 مع فتح وفصائل أخرى، بينما انطلاقة ج.د بعد هذا بزمن في 22 شباط 1969. وفي الحملة الثالثة والرابعة بعد هذا التاريخ لم ترد أية إشارة إلى اليسار الفلسطيني في م. ت. ف. (نيسان/ ابريل، حزيران/ يونيو 1970). وصرح كمال ناصر الناطق الرسمي باسم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير (القيادة الفلسطينية) عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة في المؤتمر الصحفي في مقر نقابة الصحفيين اللبنانيين ببيروت (25/ 1970/9) تعليقاً على هذا بمايلي (هناك محاولات لشق الثورة الفلسطينية، لكن الثورة باقية ولن تشق، وإن كل فصائل حركة المقاومة تشكل قيادة هذه الثورة، ومحاولة شق حركة المقاومة هي محاولة مشبوهة).

• النهار اللبنانية - بيروت 1970/9/26. • لوموند الفرنسية - باريس - اريك رولو من عمان 25/ 1970/9. • تصريحات المسؤولين: (16) ألف أسير بينهم يهود واسرائيليون وصينيون، 25 ألف رجل ميليشيا في عمان... الخ في سياق الادعاءات يساراً ويميناً.

دعوتنا كانت حريصة، لحظة بلحظة، على إعلان هذه الصيغة لكل الشعب الفلسطيني والأردني. والحوار النشط مع جميع القوى الفلسطينية والأردنية، وبشكل خاص: الدولة الأردنية لحل التعارضات بحلول هادئة سليمة وسلميّة.

إن برنامجنا / خطنا في الجبهة الديمقراطية يمايز بين التعارضات والتناقضات، ويُغَلِّب دائماً التناقض على التعارض، وبعبارة أخرى: التناقض مع العدو الخارجي، أي التوسعية الإسرائيلية الصهيونية، التي تحتل الأراضي الفلسطينية والأردنية والجولان وسيناء آنذاك.

كان هذا يستدعي بالضرورة وحدة الجميع: دول، وحركات، وأحزاب، ومقاومة في النضال من أجل حل التناقض، بما ينسجم مع مصالح الجميع على اختلاف المسافة بين اتجاه واتجاه.

وصمت نايف حواتمة قليلاً، ثم تابع:

■■ وقائع الحياة .... بالإضافة إلى الوثائق الصادرة عن الجبهة الديمقراطية، وحواراتنا الداخلية، الفلسطينية والأردنية، بما فيها حواراتنا مع الدولة الأردنية... كل ذلك يشهد على هذا. وكل الذين رصدوا تلك الفترة من 1967 حتى أيلول 1970 وكتبوا ووثقوا يؤكدون أن هذه سياسة الجبهة الديمقراطية المعمول بها، والتي سعت حتى اللحظة الأخيرة لدفع مجموع الحركة الفلسطينية والوطنية الأردنية للعمل بها!

وأحالني إلى مجموعة كتب، أورد أسماءها من ذاكرته[4]، تعرض الوقائع التي يتحدث عنها، وقال:

■■ إن هذه المراجع متنوعة: مصرية رسمية على مستوى القمة بين عبد الناصر والملك حسين، وفلسطينية على مستوى مركز الأبحاث، وكتب أعدها من ليس في الجبهة الديمقراطية. بل وكما هو واضح، فإن أغلبية الكتّاب ذوي اتجاه يميني. لكن أمام الوقائع لم يكن بيدهم إلاّ احترام الحقيقة!

---

(4) كتاب عبد المجيد فريد - من محاضر اجتماعات عبد الناصر - سبق ذكره.

* كتاب - المقاومة الفلسطينية للكاتب الفرنسي جيرار شاليان، الذي أمضى فترة غير قصيرة في قواعد الجبهة الديمقراطية. وأشار إلى تعرفه على أسلوبها السياسي والنضالي وجرأتها وإخلاصها.

* جيرار شاليان - المقاومة الفلسطينية - ص 171 - دار الطليعة. بيروت 1970 - ترجمة صباح كنعان.

* الدكتور صادق جلال العظم: دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية - دار العودة - بيروت 1973 - ص 95 - منه المقطع التالي: (لابد من الاشارة هنا إلى أن الجبهة الديمقراطية تميز في كتاباتها بين التناقض الرئيسي والتناقض الأساسي. التناقض الأساسي يحدد طبيعة مرحلة تاريخية معينة، ويكمن في أساس جميع التناقضات الأخرى، ويمهد لنشوئها وبقائها، إلا أنه ليس بالضرورة التناقض الرئيسي في طور من الأطوار "المرحلة التاريخية"). ووفق ذلك يستند د. صادق العظم إلى تقرير المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية المقدم للمؤتمر التأسيسي، آب /1970/، (في وضعنا الخاص في هذا الطور من المرحلة فإن التناقض الرئيسي هو التناقض القومي مع العدو الصهيوني).

* ويسجل د. العظم: إن حواتمة وفي تحليل شامل قدمه بعد أيلول 1970 لأوضاع المقاومة يعتبر أن التناقض بين حركة المقاومة والنظام الأردني، تناقض ثانوي، حيث عمل هذا على تغليب الثانوي مع الحركة الوطنية الفلسطينية على التناقض الرئيسي ضد اسرائيل.

* المصدر السابق ص 95، ص 96.

* مقابلة حواتمة مع شؤون فلسطينية عدد (5)، ت2/ 1971 - ص 49.

قلت له مقاطعاً:

■ ولكن كتاباً صدر عن مركز الأبحاث، نشر ملحقاً عن تلك الحرب، وفي هذا الملحق بلاغات أردنية تتهمكم بإشعال فتيل الحرب. هذه نقطة، والنقطة الثانية أن ذاكرتنا الشخصية كمواطنين، تعود بنا إلى اتهامات أخرى لكم، وهي: أن الجبهة الديمقراطية هي التي مارست أعمالاً استفزازية دفعت بالآخرين إلى الاستياء. مثلاً: كانت ترفع الأعلام الحمراء على مآذن المساجد. كانت تحاول نشر الشيوعية في الأردن.... الخ.

فأجابني حواتمة بثقة وهدوء:

■■ كثيرة جداً بيانات السلطة الأردنية التي اتهمت الجميع بلا استثناء. وكانت سهام الاتهام تجاه الجبهة الديمقراطية هي الأضعف، بما فيه الترويج لتسويق عدد من الأكاذيب الصغيرة والسمجة، مثل كذبة رفع الأعلام الحمراء على المآذن.

إن هذا لم يقع أبداً ونحن لم نقع في تاريخنا في فخ خلق أي إشكالية بين برنامجنا ومسارنا وتحالفاتنا الوطنية والقومية والأممية. وبين أي مناخ متديّن أو اتجاه سياسي ديني. فمثل هذه الأكاذيب تتناقض بالكامل مع خطنا البرنامجي الداعي إلى حل التعارضات بين جميع المتضررين من الاعتداءات في عمق أقطار الطوق العربية. وكنا دائماً على درجة من اليقظة لتنقية هذا الخط من أي شوائب يمكن أن تشاغب عليه، وحريصين حرصاً كاملاً على عدم تمكين القوى المعادية، بما فيها القوى التي تتصيد في المياه العكرة للتعارضات من تعميقها لدفعها وتحويلها إلى تناقضات.

أما مسألة القول بنشر الشيوعية، فنحن لم نكن مهمومين بنشر هذا الاتجاه. كذلك لم نقع كخط رئيسي في الجبهة الديمقراطية بمرض الطفولة اليسارية، ولكن لا ننفي أن عدداً من أعضاء الجبهة، ربما كانوا قد اندفعوا في اتجاهات طفولية.

إن هذا يقع في كل حركة وطنية، في كل حزب تقدمي، وفي كل بلدان العالم. ولكن علينا أن نميز بين تصرفات لمجموعات... لأفراد... لأنصار... بإطار محدود وبين الخط الرئيسي.

لقد كان الخط الرئيسي في الجبهة الديمقراطية ناضجاً ويقظاً في طروحاته وممارساته لحل التعارضات والتناقضات في الاتجاه الذي يوحد الجميع ضد الاحتلال والعدو الخارجي.

■ والآخرون؟!

■■ كنت سأتكلم عن هذه النقطة. فعلينا أن نأخذ الخارطة بكاملها من الوقائع، فعملية تعميق التعارضات وتحويلها بالتراكم إلى تناقضات جاءت على يد قوى أخرى!

ولم يتردد حواتمة في إيضاح ذلك. قال بصوته الواثق الحاد:

■■ يجب رصد ذلك على مجموع الخارطة الفلسطينية، فالمسؤولية الأبرز في دفع التناقضات نحو التوتر،وانفجار الأزمات، تمت على يد حركة فتح داخل المدن الكبيرة، بما فيها العاصمة عمان. وكان ذلك استناداً إلى إعلانات صادرة عن عواصم عربية، وركوب موجتها في تفعيل

الأزمة مع الدولة الأردنية وأجهزتها. ومثالنا الصارخ على ذلك بعد اشتباكات شباط/فبراير وحزيران/ يونيو 1970 في عمان ومدن أخرى(5):

تلك الاشتباكات دارت بين مجموعات فتحاوية وبين القوات الأردنية. وقد أعلن مجلس الثورة العراقي في ذلك الوقت وضع قواته المرابطة في الأردن تحت تصرف ياسر عرفات. وتحت عنوان: الدفاع عن الثورة الفلسطينية!

لقد شكل هذا الإعلان مركباً جرى امتطاؤه من قبل الذي كان في موقع المسؤولية عن حركة فتح وعن منظمة التحرير الفلسطينية.

وهنا علينا أن نلاحظ، أن شكاوى الملك حسين أثناء اجتماعه مع جمال عبد الناصر في آب 1970 أشارت إلى قوى أخرى، تحت عنوان: أخطاء العمل الفدائي. وكان رد عبد الناصر بأنه يدرك أن ضغطاً أمريكياً وإسرائيلياً يجري من أجل ضرب المقاومة الفلسطينية، وتمنى أن لا تقع استجابة لذلك، وأن يتم حل الإشكالات بالحوار وبطرق سلمية، ونصح بفتح الحوار معنا، ومع الأسف لم يقع هذا الحوار، بل كان كل شيء قد اتجه نحو الصدام الشامل.

وتابع بحدة الصوت نفسها:

■■ وأيضاً علينا أن نتذكر أن وضع اليد على مرافق بارزة في عمان، مثل فندق الانتركونتننتال، واحتجاز رهائن أجانب، والمجيء بطائرات مخطوفة إلى مطار المفرق تم على يد الأخوة في الجبهة الشعبية(6) في حين لم يسجل على الجبهة الديمقراطية أبداً أية أعمال ذات طبيعة مغامرة، لا على الأراضي الأردنية ولا العربية ولاعلى نطاق الخارطة العالمية.

■ وكيف كان تميزكم في العمل المسلح الذي طرحتموه في ذلك الوقت؟

■■ الجبهة الديمقراطية قدمت رؤية جديدة مختلفة عن غيرها للكفاح المسلح، فنحن نعتبره أحد أشكال النضال الرئيسية، وليس الشكل الوحيد كما فعلت الفصائل الأخرى عندما تم

---

(5) وقعت المواجهة المسلحة الأولى في الأردن بين الجيش والمقاومة في 1968/2/10. انظر تفاصيل ذلك في - لوموند 1968/2/14 والدستور الأردنية 1968/2/16.

* والمواجهة المسلحة الثانية في شباط 1970. وفي هذه الجولة اعتبر عرفات (أن القوات العراقية في الأردن قوات احتياطية بيد م.ت.ف). وجاء ذلك بعد تصريحات وزير الدفاع العراقي "حردان التكريتي" التي أعلن فيها بأن "القوات العراقية المرابطة في الأردن سوف تفي بالتزاماتها في حماية تطلعات الجماهير" - النهار البيروتية 1970/2/13.
* انظر بيان مجلس قيادة الثورة العراقي: وضع القوات العراقية في الأردن تحت أمرة عرفات.
* المواجهة الثالثة في حزيران/ 1970.
* المواجهة الرابعة في أيلول 1970.
* المواجهة الخامسة انتهت بخروج العمل الفلسطيني المسلح من الأردن 1971.

(6) قامت الجبهة الشعبية بالاستيلاء على ثلاث طائرات، اثنتين أمريكيتين وثالثة سويسرية، وفشلت محاولة الاستيلاء على رابعة اسرائيلية. وحطت الطائرات في مطار المفرق في الصحراء الأردنية وانضمت طائرة بريطانية إليهما، ماعدا طائرة أمريكية واحدة حطت في مطار القاهرة وتم نسفها بعد إنزال ركابها (صحف بيروت - نهار - المحرر - الحياة 1970/9/7) - (بيان الجبهة الشعبية 1970/9/7). وتم نسف الطائرات بعد نقل ركابها إلى فندق انتركونتيننتال/ عمان. بالمقابل اتخذت القيادة المركزية لمنظمة التحرير قراراً بتجميد عضوية الجبهة الشعبية في م. ت. ف. لعدم التزامها بقرارات القيادة المركزية التي دعت للإفراج عن ركاب الطائرات مقابل عدد من الفدائيين المعتقلين في عدد من الدول الأوروبية.

* (المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني - سبق ذكره - ص 157).

تعديل الميثاق الوطني عام 68. وفي كل مرحلة يبرز الشكل المناسب الرئيسي، ففي المرحلة من عام 67 وحتى 82، كانت المقاومة المسلحة هي الشكل الرئيسي ثم بعدها العمل الجماهيري والمسلح بالأرض المحتلة. ومنذ العام 87 أصبحت الانتفاضة تحتل موقع ومكانة الشكل الرئيسي في نضالنا.

ومنذ اللحظة الأولى لانطلاقة الجبهة الديمقراطية، أعلنا رفضنا للمفاهيم السائدة والتي تحصر العمل ضد الاحتلال بالبندقية والقنبلة وتقتصر المشاركة فيه على أعداد قليلة تمثل النخبة (والطليعة) لذا جاء بيان الجبهة التأسيسي يؤكد على نشر المقاومة الشعبية في الأرض الفلسطينية المحتلة والعمل على نقل العمليات الكفاحية، السياسية، المسلحة، الجماهيرية، إلى أرض الوطن، واعتبار أن الجبهة المحيطة بفلسطين جبهة مساندة وجسور إمداد للداخل.

وأعلنا في حينه خوضنا كل أشكال النضال وتطوير المفاهيم العسكرية الصرفة حتى يتحول العمل الفلسطيني ضد الاحتلال من عمل خاص بمجموعات عسكرية محدودة إلى عمل شعبي تشارك فيه أوسع وأعرض قطاعات الشعب. وميدان المقاومة الرئيسي هو الأرض المحتلة، الأغوار، الجولان، جنوب لبنان، ونقاط التماس الأخرى بفلسطين[7] .

■ أين أصبح أولئك الذين اندفعوا في اتجاهات يسارية مغامرة داخل الجبهة الديمقراطية، والذين أشرتم إليهم في كلامكم السابق؟

■■ في مجرى عمليات أيلول لمس عدد من هؤلاء لهيب الحرب الأهلية، فغادروا صفوفنا والنيران مشتعلة، فقد اعتقدوا أن صفوف الثورة قد غرقت، وعدد آخر التحق بسياسة يمين منظمة التحرير الفلسطينية وسلطة الحكم الذاتي. ومرة أخرى تثبت الحكمة الثورية: (أقصى اليسار في خدمة أقصى اليمين).

إن قطار الثورة ـ كل ثورة ـ يحمل ألوان الطيف الفكري السياسي والطبقي، وليس كل من يقلع في المحطة الأولى يصل إلى المحطة الأخيرة. الكثيرون ينزلون على الطريق.. والكثيرون يصعدون ويواصلون حتى المحطة الأخيرة.. حتى إنجاز الحقوق الوطنية في تحرير الوطن وتقرير المصير.

■ كلنا يتذكر أن السلطات الأردنية أعلنت عن اسمي: نايف حواتمة وجورج حبش كمطلوبين للعدالة (Wanted) بل ودفعت جائزة مالية لمن يقبض عليهما أو على أحدهما حيّاً أو ميتاً... بينما لم تضع اسم ياسر عرفات في القائمة.

كان الخوف من هاتين الشخصيتين هو الأشد... ربما لأن حبش يقود جبهة قامت باختطاف الطائرات، وربما لأن حواتمة قد يفكر بالاستيلاء على السلطة!

التفت نايف حواتمة إلى علي بدوان، وطلب منه مقالاً نشر منذ سنوات في صحيفة النهار اللبنانية، ثم توجه إلي وسألني[8] :

---

(7) انظر ملحق الوثائق – وثيقة رقم –1– البدايات للعمل العسكري المقاوم في الجبهة الديمقراطية.

(8) يشير حواتمة إلى المادة التي كتبها الأديب اللبناني عصام محفوظ تحت عنوان (متغيرات إلى أعلى وأسفل، عرفات ثائر أم تاجر ونشرها في صحيفة النهار البيروتية "1993/9/25" بعد توقيع اتفاقيات أوسلو –1– حيث حمّل محفوظ عرفات ⇐

■■ هل تعرف عصام محفوظ؟!

وقبل أن أجيبه على السؤال، تابع يقول:

■■ إنه أديب لبناني لايكتب بالسياسة. وبعد توقيع اتفاقات أوسلو كتب مادة في صحيفة النهار، ذكر فيها أنه جاء في أيلول عام 1970 إلى عمان، واجتمع معي في مكان ما حيث كنت أقيم في أثناء الحرب. وسألني نفس السؤال الذي تسأله أنت الآن: لماذا تطالب السلطات الأردنية برأسي حبش وحواتمة، ولم تطالب برأس عرفات، مع أن عرفات هو البارز على السطح، وهو الذي يتقدم الصراع بصفته رئيساً للجنة التنفيذية؟!

أثارتني طريقة ربطه للأمور على هذا النحو، فسألته:

■ وبعد؟ ماذا قلت له؟!

■■ في البداية أجبته جواباً هادئاً قلت فيه: أنا أحمد الله إن وقع هذا، لكي يبقى من يتابع العمل... هذا مريح، وأفرح له فعلاً! إنهم يرغبون في تحريض بعضنا على بعض.

وهز حواتمة رأسه، وهو يحاول استعادة الواقعة الحقيقية التي جرت في عام 1970، وقال:

■■ بالفعل، تعرضت أنا وياسر عرفات وآخرون إلى حادثتين كادت، كل واحدة منهما، تودي بنا إلى استشهاد محقق! المرة الأولى كانت في الأشرفية بعمان، عندما أصيب البيت الذي كنت فيه وياسر عرفات وخليل الوزير (أبو جهاد) وصلاح خلف (أبو إياد) وأبو المعتصم، بقذيفة مدفعية[9] .

لقد اخترقت القذيفة جدار الغرفة، وأصابت خزانة حديدية فانفجرت بها. لكن الخزانة وقعت فوقنا وحمتنا.

وتنهد حواتمة مدهوشاً، وكأن الحادثة وقعت لتوها، وقال:

■■ كان يمكن أن نستشهد! ففي مجرى الثورة كل مناضل مشروع شهيد.

ثم برقت عيناه، وهو يتذكر الحادثة الثانية:

= المسؤولية الكبرى تجاه ماوقع منذ النكسة الأولى في الأردن، إلى النكسة الثانية في لبنان، التي لم يجاهر بتحمل مسؤوليتها إلا ليقنع الاسرائيليين أخيراً بأنه يستطيع أن يحكم غزة وأريحا مادام استطاع أن يحكم لبنان).

* كما أن عصام محفوظ يهزأ من ادعاءات أصحاب اتفاقات أوسلو ويقول: (إن التاريخ يحفل بالانتصارات والهزائم، لكن لم يحدث أن تحولت الهزيمة إلى انتصار، بقوة الكلام إلا في تاريخنا حتى صارت صفة ملازمة للحياة السياسية العربية منذ نكبة فلسطين... فالعدو صار حليفاً في إطار السلام العادل على أنقاض ركام من الكلام المكتوب يكفي لسد مجرى النيل والفرات لأيام... وفي ظل هذا السلام سيجلس عرفات على كرسي رئاسة من كرتون... في شراكته مع اسرائيل).

* وفي إشارته للقاء جرى مع حواتمة عام 1970 يقول محفوظ: (زعيم الثورة الفسطينية لشدة براعته في المساومات، تحتار حوله هل هو ثائر أم تاجر. في العام 1970، إثر النزاع على السلطة في الأردن، وإدارة عرفات، وضع الملك جائزة عشرة آلاف دينار ثمناً لرأس كل من جورج حبش ونايف حواتمة، وفي لقائي مع حواتمة وكان يختبىء في عمان سألته في حديث لصحيفة "النهار" عن السبب في استثناء الملك لرأس عرفات وهو الرأس الأكبر، قال: "يرغبون في تحريضنا على بعضنا البعض، المهم أن يبقى منا أحياء يواصلون المقاومة". ولمس حواتمة أنني لم أقتنع، وأعدت طرح السؤال، فقال جملة طلب أن لاتكون للنشر "يقولون إنه رأس للمساومة").

(9) نايف حواتمة لمجلة الوسط 1995/1/16 لندن - العدد 155 - ص 23 حيث يذكر الواقعة وتفاصيلها.

■■ الحادثة الثانية كانت في جبل الحسين وكان في البيت ياسر عرفات وضافي جمعاني وفاروق القدومي (على ماأذكر) وحواتمة، وأيضاً اخترقت القذيفة جدران البيت ولم تصبنا!. وفيما بعد اكتشف عرفات خيانة أحد مرافقيه الذي كان يرشد على موقعنا، فأعدمه!

وعاد إلى موضع السؤال:

■■ لذلك قلت لعصام محفوظ إنني أحمد الله لبقاء من يتابع فيما لو تحققت بلاغات الحاكم العسكري.

لكن عصام محفوظ لم يأخذ كلامي على محمل الجد، فقال: لا! مرة أخرى أطرح السؤال عليك: لماذا أنت وحبش، وعرفات لا؟!

قلت له: أنا سأقول لك!

أنا مصرّ على العامل الأول. وأنا فعلاً سأكون فرحاً!!

ولكن العامل الثاني، الذي أشترط أن لاتنشره، هو أن "عرفات رأس للمساومة كما يقولون"، ويمكن المساومة معه سياسياً محلياً وعالمياً بحلول لايقبل بها نايف حواتمة ولايقبل بها جورج حبش!

وفعلاً، احتفظ عصام محفوظ بإجابتي حتى عام 1993، عند اتفاق أوسلو، حيث كتب مقالاً في صحيفة النهار تحت عنوان (متغيرات إلى أعلى وأسفل، ياسر عرفات ثائر أم تاجر)؟! وأورد هذه المقاطع!!

قلت لنايف حواتمة:

■ في ذلك الوقت، كان شعار: تحرير فلسطين يمر من عمان، شعاراً مرفوعاً، وأنت في الثاني والثلاثين من عمرك، ربما ساورك الشك في إمكانية الاستيلاء على السلطة في الأردن!

فرد بتلقائية، وسرعة:

■■ فوراً أقول لك وبصراحة تامة: لم أفكر يوماً في إطار جغرافي إقليمي ما. دائماً كانت أفكاري تتجه نحو القضايا العادلة، وليس نحو الأوضاع القطرية في هذا البلد أو ذاك... وإلاّ لماذا قاتلت في الثورة اللبنانية (1958) وفي العراق (1958–1963) واليمن أكثر من جولة (66–68).

وأضاف بهدوء:

■■ القضية الفلسطينية هي القضية العادلة التي شغلتني، أصابت مواجع القلب وألهبت الخيال منذ سن العاشرة، وشكلت نجمة الصبح الهادية والعشق الكبير للنضال.

إن الهاجس الذي تشير إليه لم يخطر بالبال. بل إنه يتناقض تماماً مع تكويننا الذاتي، ومع الخط الرئيسي في الجبهة الديمقراطية باتجاه تحشيد القوى ضد الاحتلال الاسرائيلي وحماته.

إن حل التعارضات بين الحركة الفلسطينية والنظام الأردني وأي نظام عربي في إطار سلمي لتوحيد وتعبئة كل القوى ضد الاحتلال، هو هاجسنا.

وبهذا كنا متناغمين مع تكويننا.. مع برنامجنا!

■ تلك الأهوال التي مرت بكم في تلك الأحداث، هل جعلتك تحتفظ بسر ما، وقد آن الأوان لتبوح به في هذا الحوار؟!

تردد حواتمة قليلاً، ثم قال:

■■ **بلى.. هناك سر!**

لكنه رفض نشر هذا السر. فقلت له:

■ لن ننشره هذا وعد... إلاّ عندما يحق لنا ذلك في العرف السياسي! أي بعد عشر سنوات.

ودون أن يستمر في تردده، أغلق آلة التسجيل، وقص علينا ما يخالجه. ثم قال:

■■ **بإمكانك متابعة الحوار الآن!**

فقلت له، في محاولة لإعادته إلى أجواء تلك الأحداث:

■ النظام الأردني كانت لديه الإمكانية لحرب طويلة مع الفلسطينيين عام 1970، لأن لديه جيشاً وإمدادات وغير ذلك. أما المقاومة فكان وضعها صعباً جداً... ترى كيف كانت تصلكم الإمدادات وبالتالي كيف تمكنتم من الاستمرار في هذه الحرب في أماكن أغلقت عليكم؟!

■■ **أولاً أريد أن نثبّت جميعاً ماثبّته قادة الإدارة الأمريكية والدولة العبرية، الذين كتبوا فيما بعد عن أيلول المأساة. كلهم أكدوا أن أيلول الأسود تم بالتنسيق بين الإدارة الأمريكية والسلطات الاسرائيلية. وبعضهم قال إنه تم تحت ضغط هذين الطرفين، وليس بالتنسيق فقط. ويمكن الرجوع إلى وثائق كثيرة بهذا الشأن[10] لقد سالت الدماء في أيلول الأسود أنهاراً، والدمار الذي حصل كان مجبولاً بدماء الأخوة الذين يقتتلون. أما الرابح الوحيد، فهم المحتلون الإسرائيليون والإمبريالية. بينما كان كل الذين نشبت بينهم التعارضات من الخاسرين.**

توقف حواتمة عن الكلام، و كأنه شعر بغصة حزن، ثم أضاف:

■■ **الأسلحة التي كانت بيدنا هي أسلحة خفيفة فردية، وخاصة: الكلاشينكوف والآر بي جي (B2 + B7) المضاد للآليات والدبابات... وقليلة جداً أسلحة المدفعية التي كانت بحوزتنا (82 ملم و 120ملم) وهذه الأسلحة كانت بغالبيتها من عدد من البلدان العربية، وبالذات المشرقية. أو أنها كانت مشتراة من أسواق السلاح، وتدفق السلاح الصيني إلى الأخوة في فتح. وحتى عام 1973 لم يكن الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأوروبية يفكرون بمساعدة المقاومة بالسلاح والعتاد!**

لقد اعتمدت المقاومة ضد الاحتلال والدفاع عن النفس في الحرب الأهلية، على الشجاعة الإنسانية للمقاتل بشكل رئيسي، والاحتضان المذهل من التجمعات البشرية الفلسطينية والأردنية برغم كثافة نيران التطويق والمحاصرة والقتل، لأن هذه الكتل البشرية عاشت الحلم

---

(10) من أبرز الشخصيات التي كتبت وبحثت حول هذا الموضوع الرئيس جمال عبد الناصر، هنري كيسنجر، محمود رياض، محمد حسنين هيكل، والفريق محمد أحمد صادق.

* والرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون قال للصحفيين – الخميس 1970/9/17: (إن أحد الأهداف الرئيسية للسياسة الأمريكية هي تمكين حكومة سلام في الأردن وضرب بؤر الارهاب) (الغارديان 1970/9/22).

الواعد النبيل بأن المقاومة الفلسطينية ستقدم لها على المدى، ومهما طال، تعويضاً عن كل هذه الخسائر والآلام، ستقدم لها وطناً حراً لشعب من الأحرار، وخلاص من مواجع الشتات وعذابات الروح.

وفي القواعد العسكرية، كان يأتينا جانب كبير من التموين من البلاد العربية، وخاصة البعيدة عن خطوط التماس، كالسعودية ودول الخليج الأخرى ودول المغرب العربي الكبير. كذلك كانت الصين الشعبية تقدم كميات كبيرة (بالمقاييس الفلسطينية) من التموين، وكانت تحتضن تدريب العديد من الكوادر العسكرية! لذلك كانت علاقات الثورة جيدة مع الصينيين. والصين أول دولة أجنبية اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية ووقعت معها اتفاقات عسكرية وسياسية عام 1965[11]، وهنا تخطرني طرفتان مع الرئيس الصيني الراحل ماوتسي تونغ...

وسألني حواتمة:

■■ أتعرف قصة ماوتسي تونغ مع الملك حسين؟!

فقلت باستغراب:

■ لا... لم أسمع بها!

فقال حواتمة، والابتسامة تعلو شفتيه:

■■ التقيت مع الرئيس الصيني الراحل ماوتسي تونغ مرتين، وفي المرة الأولى، وبعد أن انتهينا من المحادثات. أحب أن يروي طرفة، حدثت معه، فقال:

– جاءني الملك حسين، واجتمعت معه، عرض لي سياسة بلده. وكان يقول: المملكة ترى كذا.. والمملكة ترى... المملكة.. المملكة. ولم يستخدم كلمة الأردن! فقاطعته: كم عدد سكان الأردن؟

أجابني الملك حسين: ثلاثة ملايين. عندها قلت له: ولَم لم تأتِ بهم في الطائرة!

وأجبت فوراً، نحن شعوب صغيرة العدد في الشرق الأوسط، ونعاني من التشطير الاستعماري.

ضحكنا، وكان حواتمة سعيداً بهذه الطرفة. التي ذكرته على ما يبدو بقصة ثانية مع ماوتسي تونغ، فقال:

■■ في المرة الثانية، التي التقيت فيها معه، كان متعباً، وكانت معه مرافقته التي تفهم على حركة شفتيه. وبعد جلسة قصيرة شاركني بها الرئيس اليمني السابق سالم رُبَيِّعْ علي، نهضنا، فقلت له وأنا أودعه:

– إن شاء الله، في الزيارة القادمة تكون بصحة جيدة!

فَرَدَّ ماوتسي بشكل طريف قائلاً:

---

(11) أول دولة في العالم اعترفت بـ م.ت.ف. كانت جمهورية الصين الشعبية، حيث زارها وفد رسمي فلسطيني في النصف الثاني من العام 1965، برئاسة أحمد الشقيري، الرئيس الأول للجنة التنفيذية للمنظمة.

* (وثائق م.ت.ف. 1966 – اليوميات الفلسطينية 1965 – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت).

– في المرة القادمة أكون عند الرفيق الأعلى، لكني أعدكم.. أعدكم بالقيام بمظاهرة أحتج فيها على عدم إنصاف الشعوب الفقيرة!

فقلت لنايف حواتمة ضاحكاً:

■ كان يجب أن تقول: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾!

فضحك حواتمة أيضاً!

قلت له:

■ إذا كانت الذاكرة قد بدأت تأخذك بعيداً. فما الذي تستعيده في ذاكرتك الآن من تلك الحرب الأهلية الأليمة؟!

غابت نظراته بعيداً، راحت إلى الأردن، وبحثت في ثنايا ذاكرة البلاد عن قصة، ثم برقت عيناه بسرعة في الوقت الذي قال فيه:

■■ كان ذلك في عمان!

وصمت قليلاً، ثم أضاف:

■■ عندما بدأ الهجوم، كان حشد الدبابات الأردنية يتم على مقرات القيادة الفلسطينية بمخيم جبل الحسين مع أنه المخيم الأصغر في عمان، ويقع في مدخل العاصمة...

كان الحشد مذهلاً، وكان يمكن أن تكون الضربة الأولى هي الضربة العاصفة. لذلك سقطت خطوط الدفاع الفلسطينية واحدة وراء الأخرى. وكانت القيادة الفلسطينية في مخيم الحسين. وكان صلاح خلف (أبو إياد) في مكان آخر فوصلت إليه الدبابات واعتقلته!

عندما أضحت الدبابات قريبة منا. تركت ياسر عرفات، وخرجت نحوها... خرجت إلى جو المقاتلين المتراجعين لأخلق جواً حماسياً. ضرب المقاتلون دبابة بقذيفة B7، فتعطلت. انحشرت الدبابات التالية لها، وأضحت في مشكلة، فصعدت إلى الدبابة المصابة، وخاطبت الجنود من فوقها، وكانوا في حالة نفسية صعبة، فلم يطلقوا النار على جمعنا[12] !

دبَّ الحماس بالمقاتلين أيضاً، فتحمسوا وهم يشاهدونني فوق الدبابة. رأيتهم يندفعون نحو الدبابات الأخرى بصوت واحد: – الله أكبر... الله أكبر!

قلت لمقاتلينا: – لاتطلقوا النار!

وقلت للجنود: – لاتطلقوا النار!

هدأ الجو! سادت لحظات غريبة مدهشة ونادرة. ثم رأيت المقاتلين والجنود يتصافحون، فقلت للجنود: – هيا تراجعوا!

فتراجعوا مع دباباتهم!! تذكروا أنهم كانوا أخوة السلاح بالأمس في معركة الكرامة... فلماذا يتذابحون اليوم؟!

■ وياسر عرفات؟ كيف قابل خروجك هذا؟ ماذا قال لك عندما عدت إليه؟!

ضحك حواتمة، وهو يرد:

---

(12) رويتر، وكالة الصحافة الفرنسية 1970/9/25، النهار اللبنانية 1970/9/26 – 1970/10/5 – 1970/10/10 ص8.

■■ بالطبع عندما عدت.. قال لي:

– هذا عمل مجنون! عمل مجنون!

ثم تابع حواتمة حديثه، دون أن ينتظر سؤالاً مني:

■■ حدث هذا في اليوم الأول، في 17 أيلول 1970، وفي الساعات الأولى من بدء المعارك! ولكن الأوامر جاءتهم ثانية. فقاموا بالهجمة الكبرى التي تجاوزونا فيها، فدخلوا في العمق، وبقينا نحن محاصرين في جزيرة من النيران!!

وعندما جاء الليل، حملنا سلاحنا، وخرجنا مشياً على الأقدام، من جبل الحسين إلى جبل اللويبدة.

وبعد أيام، أوفد عبد الناصر رئيس الأركان المصري الفريق محمد أحمد صادق للالتقاء بنا في السفارة المصرية بجبل اللويبدة. وذهبنا بالفعل، لكنه نزل في الفندق، ولم يتمكن من الوصول إلينا... وأخيراً عاد دون لقائنا!! لكنه كان قد بلّغ رسالة جمال عبد الناصر إلى الملك حسين.

■ من الذي كان موجوداً من القيادة الفلسطينية؟

■■ عرفات، حواتمة، أبو ماهر غنيم وضافي جمعاني أمين عام الصاعقة في ذلك الوقت.

■ وجورج حبش وأحمد جبريل؟!

■■ جورج حبش كان في زيارة إلى كوريا الديمقراطية. أما أحمد جبريل، فلم يكن في عمان.. أعتقد أنه كان في إربد!

ثم استأنف حواتمة حديثه قائلاً:

■■ عندما لم نتمكن من رؤية رئيس الأركان المصري الفريق محمد أحمد صادق، وكانت المعارك مستمرة دون توقف، خرجنا ليلاً من اللويبدة إلى مخيم الوحدات، وأيضاً سيراً على الأقدام.. وكان عبد الناصر قد دعا إلى قمة عربية لمناقشة الوضع في الأردن. وبعث بوفد آخر إلى عمان، والوفد كان برئاسة الرئيس السوداني السابق جعفر النميري، وفاروق أبو عيسى وزير الخارجية السوداني، والشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت وآخرين.

ثم ذهب ياسر عرفات إلى القمة متخفياً بزي كويتي، ومن بين الذين رافقوه: ابراهيم بكر، وكان نائباً لرئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. وقد سأله عبد الناصر في القاهرة مطمئناً عليّ، وذلك عندما التقاه في مؤتمر القمة.

وفي الثامن والعشرين من أيلول، كنّا في مخيم الوحدات: كمال عدوان وأنا ويوسف القطناني نائب أمين الصاعقة، وخليل الوزير.

جاءنا نبأ رحيل عبد الناصر ليلاً، الظلام الدامس يلفنا، فلا كهرباء ولا ماء... وعلى هدى قنديل الكاز كتبت نعي عبد الناصر للشعب الفلسطيني وأحرار العالم وغلبت عليه النزعة العاطفية، فطلب يوسف القطناني (الصاعقة) تخفيف الزخم العاطفي، وكان هذا على خلفية النزاع بين عبد الناصر والبعث... لكنني من جديد تذكرت السر الذي حدثتك عنه!

ثم خرجنا من المخيمات المدمرة، كان ذلك صبيحة اليوم التالي لوفاة عبد الناصر. وكانت عمان بكاملها، أردنياً وفلسطينياً، قد اتّشحت بالسواد... لقد رفع كل بيت راية سوداء حزناً على جمال عبد الناصر الكبير دون أن يطلب أحد ذلك... رفعت البيوت الفلسطينية دون استثناء راياتها السود وقلنا في بياننا: إن عبد الناصر شهيد الثورة الفلسطينية.

إنها مصداقية عبد الناصر عند شعبه والشعوب العربية!

كان حواتمة يتحدث بحزن، وبثقة بما قام به في الأردن في أثناء تلك الأحداث، وعندما انتهى من حديثه عن وفاة عبد الناصر، صمت و كأنه لا يريد متابعة الموضوع، فقلت له:

■ كيف غادرت الأردن؟

لم يسمعني في البداية، لذلك كررت السؤال عليه:

■ لم تحك لي كيف غادرت الأردن!

فقال:

■■ بعد وقف المعارك، بقينا شهوراً في عمان. ثم بدأ الضغط الجديد لتجريد المخيمات من الأسلحة، تحت عنوان: الانتقال إلى منطقة عجلون في الغور الشمالي لمقاومة العدو من ضفاف تلك المنطقة.

كان الوضع يتراجع شيئاً فشيئاً. فبدأ تجميع السلاح في المدن بإشراف اللجنة العربية العليا، لذلك اختلفنا وقلنا إن تجميع السلاح يعني إلقاؤه. وكان الباهي الأدغم رئيس اللجنة العربية ورئيس وزراء تونس هو الذي يؤكد لنا أن السلاح المجمع سيكون تحت الرقابة ومضموناً.

انفردت حركة فتح في الموافقة. وكان العنصر الرئيسي التنفيذي لتجريد المقاومة من السلاح في مخيمات عمان العميد أبو المعتصم، وهو إنسان طيب القلب وضابط متقاعد في الجيش الأردني انضم إلى حركة فتح. لذلك وفور الانتهاء من تجميع السلاح وتجريد المليشيات والمخيمات منه طالبوا القيادة وخاصة الموجودة في عمان بالمغادرة. وهكذا كان... إنها إشارة الترحال من جديد.

انتقلنا جميعاً إلى أحراش جرش وعجلون في الغور الشمالي!!

بعد هذا الانتقال، بدأ الحصار الثالث، إلى أن استكمل بهجوم شامل من قبل القوات الأردنية على القوات المحاصرة في الأحراش. فاستشهد من استشهد، أما القوات التي تمكنت من فك الحصار، فقد انتقلت سيراً على الأقدام باتجاه الحدود السورية وإلى داخلها. وكنت أنا وياسر عرفات وضافي الجمعاني وجورج حبش وعدد كبير من القيادات من بين هؤلاء.

■ كيف كانت علاقتكم مع الجبهة الشعبية والقيادة العامة!

■■ وحدة المقاتلين والتنسيق بين المحاور الميدانية كانت متوفرة في عمليات الدفاع عن المدنيين وعن المقاومة.

أما بشأن غرفة العمليات المركزية في عمان وأيضاً في كل محافظة ومنطقة. فهذه مسألة أخرى محكومة بسقف تركيب ائتلاف منظمة التحرير.

فمنذ دورة المجلس الوطني الفلسطيني في أيلول 1969 تشكلت اللجنة التنفيذية من: فتح – الديمقراطية – الصاعقة – والشخصيات المستقلة. بينما قاطعت الشعبية تلك الدورة ولم تشارك بالتالي في اللجنة التنفيذية. كما لم تكن القيادة العامة ممثلة فيها.

وأيضاً، لم يكن هذان الفصيلان شريكين في الهياكل العسكرية والسياسية والاجتماعية الائتلافية (مؤسسة الكفاح المسلح – اللجان السياسية... الخ) ولهذا كانت العلاقة على محاور الدفاع، بينما القيادة اليومية المشتركة السياسية والعسكرية وإدارة العمليات المركزية بيد الفصائل الثلاث والشخصيات العاملة في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والهياكل المشتركة قبل أيلول وفي سياقه وبعده، لمرحلة ليست قصيرة.

■ يقال إن جماعة عرفات قاموا بتصفية (أبو علي إياد) في أحراش جرش! أيعقل ذلك؟!

■■ لا.... لاأعتقد ذلك! لم يكن هناك أي إشكالات بين الطرفين!

ربما كان أبو علي إياد على خلاف مع بعض أعضاء اللجنة المركزية، ولكن كنّا نملك حيزاً موفوراً من المعلومات بأنه استشهد أثناء حصار الأحراش!

وهنا سألت حواتمة:

■ أحداث أيلول مازالت في الذاكرة... ولكن الأرقام قد تؤكد هول ماحدث! ترى كم سقط من الضحايا في أحداث أيلول. وكم سقط من الجبهة الديمقراطية؟!

فرد بقهر:

■■ تجاوز عدد الذين سقطوا في صفوف الشعب والمقاومة خمسة وعشرين ألف شهيد، وأضعاف هذا الرقم من الجرحى. وهذه أرقام أعلنتها مؤسسات م.ت.ف، بالإضافة إلى الدمار الواسع في كل مكان، وخاصة في مخيمات: الوحدات – البقعة – الحسين – غزة لأن بناءها كان هشاً، وتكفي قذيفة واحدة لتدمير حارة كاملة!!

وأقول إن غالبية الشهداء هم من المدنيين، وليسوا من حملة السلاح. وبين حملة السلاح سقط الآلاف. وفي عداد هؤلاء تجاوز من سقط في صفوف الجبهة الديمقراطية (مقاتلون أو أنصار، وعائلات مقاتلين) الألف شهيد!!!

قلت له محاولاً إخراجه من حزنه المفاجىء:

■ ربما يتوجب على كل من عاش تلك المأساة أن يتوقف عند أخطائه فيها. والجبهة الديمقراطية قد تكون فعلت هذا واقعياً بعد تجربة الألف شهيد التي تحدثت عنها.

هل وجهتم النقد الذاتي حول تلك المرحلة؟

فهز رأسه، وأجاب بعد لحظات:

■■ نعم..[13] وسلاح النقد قدمناه لشعبنا والعالم، وذلك في المراجعة النقدية الذاتية والعامة الملموسة التي قامت بها اللجنة المركزية بعد أيلول مباشرة، وتم نشرها في كتاب صدر تحت

---

(13) فور الخروج من الأردن عقدت اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، دورة عمل لها، وأصدرت المراجعة النقدية تحت عنوان: (حملة أيلول والمقاومة الفلسطينية) دروس ونتائج. إعداد المكتب السياسي.⇐

عنوان: (أيلول والمقاومة الفلسطينية – في النقد الذاتي – (دروس ونتائج). وقد حددنا أين أصبنا، وأين أخطأنا في برنامجنا.. تكتيكنا.. ممارساتنا.. أشرنا إلى ذلك في الجبهة الديمقراطية أولاً، ثم في عوالم حركة المقاومة الفلسطينية ثانياً.

والجبهة الديمقراطية كانت القوة الوحيدة التي قدمت نقداً ذاتياً ومراجعة عامة أمام دورة المجلس الوطني الفلسطيني (حزيران/ يونيو 1971 في القاهرة) مما أثار الارتياح والذهول معاً في صفوف المجلس! الارتياح للجرأة النقدية الذاتية والذهول بنشر غسيلنا على السطح وأمام بصر أجهزة الاعلام. وهذا يحدث لأول مرة في تاريخ ثورتنا المعاصرة.

■ إذا عدنا الآن إلى ذلك النقد، ماذا نقرأ؟!

■■ في هذه العودة نلمس أعمدة البرنامج السياسي الجديد الذي شرعت الجبهة الديمقراطية بشق طريقه حلقة حلقة في تطويره وحتى بلورته بالبرنامج الوطني المرحلي، وطرحه لشعبنا ولمنظمة التحرير الفلسطينية والعالم في (آب 1973). وقد ناضلنا إلى أن انتصر بعد عام حينما أقره المجلس الوطني الفلسطيني في حزيران 1974، وأصبح برنامجاً موحداً لكل منظمة التحرير وشعبنا. ومن خلاله شقت حقوق شعبنا الوطنية (تقرير المصير والعودة والدولة) طريقها نحو الإقرار العربي لأول مرة في (قمة الرباط – نوفمبر/ تشرين الثاني 1974)، فالعالم الاشتراكي وعالم سلام الشرعية الدولية وأيضاً لأول مرة، وبهذا البرنامج تسلحت منظمة التحرير الفلسطينية بجواز مرور إلى هيئة الأمم المتحدة ممثلاً شرعياً وحيداً لشعبنا، وأخذت قرارات الأمم المتحدة تصدر حتى يومنا بحقوق شعبنا المحددة في إطار سلام شامل متوازن.

والواقع أن نظرية التمرحل في الحل الوطني والقومي والدولي أخذت تتبلور خطوة خطوة منذ أيلول 1970. وكان أيلول الفيصل في المراجعة النقدية، فالجذور تمتد إلى ماقبل أيلول بسنين طويلة، تمتد إلى إعادة بناء الهوية الوطنية الفلسطينية في مواجهة المشروع التوسعي الاستيطاني الصهيوني وحق الشعوب في تقرير المصير، فقد انهار كل هذا في النكبة الكبرى عام 1948.

إن مأساة أيلول علمتنا الدرس الكبير حتى لا نعود إلى ملحمة قابيل وهابيل، ففي تلك الليالي المرة من المأساة، ولدت مرحلة مابعد أيلول، عدنا إلى الجمع بين النضال السري والعلني. فما زلت مطلوباً حياً أو ميتاً.

وفي دارة ابن الثورة والجبهة الدكتور نافذ العطعوط، حيث أحد سقوف التنقل السري، التقيت إبراهيم بكر نائب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (حينذاك). كما التقيت ياسر عمرو عضو اللجنة التنفيذية وممثل الصاعقة وعضو القيادة القطرية لحزب البعث وهو الآن مسؤول حقيبة التربية والتعليم في سلطة الحكم الذاتي. وَطَرَحْتُ الأفكار الأولية التي بدأت تتبلور لديَّ على طريق إعادة صياغة وبناء العلاقات بين الشعبين، فالبلدين فلسطين

⇐ تميزت هذه الدراسة بالروح النقدية لتجربة المقاومة، والجبهة تحديداً قبيل وفي أثناء أيلول/ 1970 وحتى حصار جرش والخروج من الأردن. وفي العدد الواسع من مقابلات حواتمة الصحفية وتطرقه إلى تجربة المقاومة في الأردن وتقييمها من حيث الأخطاء والانتكاسات. (مثلاً) شؤون فلسطينية /ملحق خاص/ العدد 9، أيار 1972. مركز الأبحاث – م.ت.ف – بيروت.

والأردن... قدمت أفكار بناء العلاقة الجديدة على قاعدة تقرير المصير والدولة المستقلة والاختيار الديمقراطي الحر لامكانية بناء اتحادية بين دولتين.

تراجعت حدة حرارة حديث نايف حواتمة، أخذته الأفكار إلى تلك النقطة الهامة التي عبّر عنها لأول مرة في بيت الدكتور نافذ العطعوط... ثم كَفَّ عن الحديث، كأنه يريد أن يترك شيئاً ما له. فقلت:

■ لدي سؤال يطرح نفسه قبل أن نقفل ملف أيلول، هذا السؤال حول الدور السوري في تلك الأحداث... فقد اتهمت سورية أيضاً بدعم المقاومة في الأردن، وتصعيد الموقف هناك... وأنت تعلم أن الحركة التصحيحية لم تكن قد قامت بعد!!

فقال حواتمة:

■■ ليس سراً أن سورية ساندت العمل الفدائي المنطلق من الأراضي السورية قبل هزيمة 1967. وكثيراً ماتغنى علناً قادة فتح (عرفات – صلاح خلف – خليل الوزير وآخرون) بانطلاقة فتح من سورية، وقرار حزب البعث بانخراط العديد من الإطارات البعثية في فتح!

وقبل أيلول 1970، قدمت سورية ومصر وعديد الدول العربية أشكالاً متنوعة من الدعم والمساندة للمقاومة، ولكن لم تطلق وعوداً تصب في تعميق أزمة علاقات التعارض بين المقاومة والسلطة الأردنية. ونعرف هذا جيداً من حواراتنا المتواصلة مع القيادة السورية قبل أيلول.

في أيلول، وعند اندلاع مأساة الحرب الأهلية، وبعد فشل نداء الأقطار العربية لوقف اقتتال الأخوة، وتواصل تدفق نهر الدم على امتداد الساحة، اتخذت سورية خطوة مساندة مباشرة للمقاومة الفلسطينية وحقها في الحياة والبقاء ضد الاحتلال، وتدخلت علناً لفك التطويق والحصار في شمال الأردن.

والفصل الآخر ظهر فوراً بانذارات الاحتلال الاسرائيلي والولايات المتحدة الأمريكية للتدخل العدواني بكل ألوانه ومطالبة القوات السورية بالعودة إلى ماوراء الخطوط السورية.

■ بقي لدي سؤال أود طرحه.. هل يرسم لنا نايف حواتمة صورة مازالت راسخة في ذاكرته عن أحداث أيلول 1970؟!

فكر حواتمة طويلاً قبل أن يجيب، وبدت صور أيلول الأسود راسخة كلها في ذاكرته، لكنه حصرها في صورة واحدة عندما قال:

■■ بصراحة... المشهد الأكثر مأساوية، الذي يثبت في ذاكرتي إلى اليوم، هو مشهد النيران الهائلة التي تشتعل في مخيم الوحدات، من أقصاه إلى أقصاه والدمار، والبشر العراة في حالة الذعر الرهيب يستظلون في الشوارع والجدران المهدمة، بالاضافة إلى المجموعات الكبيرة منهم، التي يحمل فيها الناس أشياءهم ويهيمون على وجوههم باحثين عن ملاذ... إنه مشهد سوريالي بحق: يختلط الدم بالدمار والحريق... بشحوب الناس... بصخب الأطفال.

تابع حواتمة وهو يبلع غصته ويضيف:

■■ هاجني المشهد على مد البصر... إنه أخصب من خيال بيكاسو، ولوحته الإسبانية الخالدة... وأطلقت الصرخة المكتومة: (قابيل ماذا فعلت بأخيك هابيل؟!) هل دخلنا عالم الأخوة الأعداء[14] أم نحن على طريق سفر تكوين جديد؟!

الحرب بين الأخوة أصعب وأقذر الحروب... إنها الحرب الأهلية!!!!

وصمت نايف حوالمة بإجلال!!

(14) عنوان قصة دستويفسكي (الأخوة كارامازوف) وقصة كازنتزاكي (الأخوة الأعداء).

الفصل السادس

لمن تَقرع الأجراس؟!

• الحرب الأهلية اللبنانية..

■ لمن تقرع الأجراس؟!
الحرب الأهلية اللبنانية

لمن تقرع الأجراس؟

سؤال يطرحه نايف حواتمة حول جدوى الحروب الأهلية، وهو يستند إلى عدة معطيات، منها: رؤيته لقانون التعارض والتناقض بالنسبة لحركة التحرر الوطني. ثم جرأته الواضحة، التي يستند بها إلى التاريخ، في إمكانية فتح حوار مع الآخر، رغم اصطفافه التعارضي، وإعادة صياغة التحالفات على أرضية مواجهة التناقض الأول. بالإضافة إلى الهم الإنساني الذي يشغله، نظراً لما تجلبه الحروب الأهلية من كوارث!

وفي كل الأحوال، لانستطيع القول إن نايف حواتمة يملك ذاكرة إنسانية فقط. بل هو يحمل ذاكرة سياسية أيضاً، وهي سمة من سمات شخصيته الوطنية.

وإذا كانت الحرب الأهلية اللبنانية، مثل تلك التي وقعت في الأردن عام 1970، قد تحولت إلى حدث في سياق التاريخ الوطني، فإن هذه الحرب لاتزال تفرز نتائجها حتى الآن، وكما يقول حواتمة: (ما زلنا نحصد الكثير من المر، وما زالت التحالفات التي تشظت، في ذلك الزمن، نعاني من جراحها)!

إن نايف حواتمة، لايفعل مافعله الكثيرون في أثناء حديثهم عن الحرب الأهلية، وتحليل أبعادها ونتائجها، عندما دخلوا في متاهات كثيرة. بل يفهمها ببساطة المحارب الذي يرنو إلى عدوه بعين يقظة، وبرؤية السياسي الذي يقيس حركته بمنظار المستقبل.

وفي حديثي معه، حاولت ربط الحرب الأهلية في الأردن مع هذه الحرب، فوجدته يربط كل الحروب الأهلية مع بعضها، في فهم خاص لكل حرب. ثم يخلص إلى سؤال كبير، طرحه هيمنغواي من قبل، هو:

- لمن تقرع الأجراس؟!

* * *

قلت له:

■ الفارق الزمني بين الحرب الأهلية في الأردن والحرب الأهلية اللبنانية نحو خمسة أعوام. وقد خرجتم من الأردن، وفي صدركم جرح كبير، يتبدى من خلال الدمار والضحايا الذين سقطوا، وأيضاً من خلال الخروج الحزين، إن لم نقل المذل، من الساحة الشاسعة التي كانت مهيأة لكم للانطلاق نحو فلسطين..

ولكن، على عكس المتوقع، فإن الحالة تتجدد في لبنان، وكأن الدروس التي تعلمتها المقاومة في الأردن، ذهبت أدراج الرياح في لبنان... إنها مفارقة في حياة الثوريين!

كان حواتمة يتتبع سؤالي بعناية، ثم رأيته يتهيأ لرد مسهب. ففي حديثه عن الحرب الأهلية في الأردن، كان يتحدث بمرارة الإنسان الوطني المصدوم بفجيعة حلّت بمصائر الشعب الفلسطيني والأردني و كذلك فعل في حديثه عن الحرب الأهلية اللبنانية ـ لقد توقعت منه هذا!!

ثم فجأة أمسك القلم الذي أمامه، وأخذ يرسم خطوطاً متوازية، كأنها طرق راحت تغلق في نهاياتها بخطوط أخرى تعارضها ـ نظر إليّ بابتسامة ترسم خلفها ملامح حزن ما، ثم قال:

■■ تطرحون مسألة بلوحتها، بخطابها، أو مسارها الشامل، وبأمل أن تكون الدروس الأساسية مضيئة على طيف مجمل الثورة الفلسطينية. وهنا فوراً أريد أن أقول: إن قانون التطور والرؤيا الايديولوجية والسياسية المتفاوتة، لا تمكّن من تحويل هذه الدروس إلى عملية تمليك شاملة لكل ألوان الطيف. وفي المقدمة صدى البرق الموجع: قابيل ماذا فعلت بأخيك هابيل؟!

وباللغة الملموسة: تجاوز أخطاء التجربة المرّة على الأرض الأردنية، باقتتال قابيل وهابيل. والبديل تحشيد كل القوى على قاعدة حل التعارضات التي تنشأ بالضرورة على الأرض اللبنانية. وأن يتم التعاطي، بين قابيل وهابيل، بروح العدالة والمساواة، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية اللبنانية، مهما كانت المواقع الايديولوجية والسياسية لألوان الطيف اللبناني، الأكثر تنوعاً وصخباً وجموحاً في الخارطة التاريخية اللبنانية.

وأضاف بثقة:

■■ هذا مافعلناه في الجبهة الديمقراطية، وسعينا لأن نحفر مجراه بشكل واضح لأعين الجميع في تضاريس الخارطة الفلسطينية الواسعة التفاوت في استيعابها لدروس التجربة المرة على الأرض الأردنية.

واستدرك، وكأنه يصحح خطأ وقعت فيه خلال سؤالي:

■■ المقاومة الفلسطينية لم تصل إلى الأرض اللبنانية بعد الهجرة الجديدة من الأردن. بل كانت نامية في لبنان وبجوارها: القوى الوطنية اللبنانية، حيث بدأت تشق طريقها منذ عام 1967.

لقد دخلت المقاومة الفلسطينية ممر الصدام المفروض عليها مبكراً، عندما تعرضت قوافل مجموعة شهداء سقطوا في جنوب لبنان، للإطباق المسلح في الكحالة عام 1969[1].

---

(1) مجزرة الكحالة في أيار/ 1969، حيث تعرض تشييع موكب الشهداء لاطلاق النار على الجماهير المرافقة مما أوقع بها **بحدود** (30 شهيداً).

وقع ذلك بعملية اختلطت فيها عناصر كتائبية مع أخرى شمعونية ومخابراتية. وكأن هذا الممر الدامي جرس إنذار لنا ولغيرنا حتى لانقع في مأساة قابيل وهابيل واقتتال الإخوة من جديد.

والمحزن أننا لم نتعلم كلنا من أخطائنا على الأرض الأردنية، بل إن أكثر من فصيل كرر ذات الأخطاء، أو أغلبها. وعلى سبيل المثال، تحاشينا في الجبهة الديمقراطية كلياً، بناء أي محاولة حزبية مسلحة أو غير مسلحة ملتصقة بالجبهة أو ملحقة بها. ونادينا بضرورة هذا باعتبار أن الجماهير العريضة وكل القوى الوطنية اللبنانية إلى جانبنا. وعلى الجميع أن يعتمد هذه القوى، دون أن يلجأ إلى بناء قوى محلية خاصة، هذا في مراجعتنا النقدية ودرسها الأول من تجربة المقاومة على الأرض الأردنية[2] .

وتردد نايف حواتمة قليلاً، ثم قال:

■■ لكن قوى أخرى لم تفعل ذلك، وبلغت عملية تفريخ قوى جديدة على يد فتح أكثر من 74 حزباً وتجمعاً مسلحاً مثلت عملية استتباع فتحاوية بالسياسة والممارسة والتعاطي مع الشؤون الداخلية اللبنانية. وكذلك فعلت فصائل أخرى في هذا الاتجاه. وهنا السقوط الكبير في أول امتحان لجدية حالة النقد والنقد الذاتي.

ثم إن عدداً من الفصائل الأخرى أخذت بخط الانحياز إلى هذا الاتجاه أو ذاك بما فيه الدخول في الصراعات الداخلية اللبنانية – اللبنانية، فضلاً عن انخراط أكثر من فصيل في سياسة المحاور الاقليمية والتنقل بين محور وآخر (فتح، جبهة الرفض).

إن هذه الممارسات عقّدت إمكانية حل التعارضات بوسائل أخويّة وسلميّة، وكثيراً ما دفعت هذه الممارسات بالأمور باتجاه التناقض والصدامات، بل وأسهمت في التسريع بتشكل المعسكرات المتناحرة في لبنان. وسمحت أيضاً لبعضها باستخدام هذه الأخطاء للنفخ بها وتزوير وقائع التاريخ اللبناني تحت شعار: المساواة بين العدو الاسرائيلي التوسعي وبين الأشقاء، المساواة بين التعارض والتناقض، بل ووضع التعارض مع قوى لبنانية. قبل التناقض مع العدو الاسرائيلي.

إن الأخطاء، التي وقعت على يد عدد من الفصائل الفلسطينية، قدمت الأسلحة التكتيكية الضرورية للقوى التي تقف على الجانب الآخر من المتراس، لتعود إلى مد جسورها باتجاه العدو التوسعي الاسرائيلي، ومن يقف وراءه. وهذا كله تم تحت شعارات بدأت بالتصنيف بين (الفدائي الشريف والفدائي غير الشريف)، على حد قول الشيخ بيير الجميل، ومدرسته اللبنانية، وصولاً إلى شعار (حروب الآخرين على أرضنا).

■ أنت تورد الشاهد في تفريخ وتوليد المنظمات والأحزاب التابعة من جبهة اليمين الفلسطيني فقط، ولكن اليسار الفلسطيني قام بذلك أيضاً. وقد يكون ذلك بدعم لفصائل معارضة للأنظمة. ربما كان هذا الدعم متفاوت القيمة. ولكن لابد من السؤال: هل قمتم أنتم بدعم مثل هذه القوى؟ لنفترض أن قوة محددة طلبت دعماً منكم ماذا تقولون؟!

---

(2) كتاب (أيلول والمقاومة الفلسطينية – دروس ونتائج)، في النقد الذاتي، إصدار المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية – بيروت – دار الطليعة 1971.

■■ فعلنا هذا! ولم نفعل هذا أبداً باتجاه تفريخ وتوليد أحزاب وقوى لبنانية ملحقة بنا، فعلناه مع أحزاب وقوى في إطار الحركة الوطنية اللبنانية وعبر قياداتها، وبشكل نظامي ومسؤول مع هذه القيادات، ولكن لماذا؟ لأن الحركة الوطنية اللبنانية احتضنت المقاومة الفلسطينية والمخيمات، ودافعت عن حق المقاومة المشتركة اللبنانية الفلسطينية ضد الاحتلال والغزوات العدوانية الإسرائيلية وضد التحالف الذي نشأ بين الدولة العبرية والقوات اليمينية اللبنانية التي فتحت النيران على المقاومة الفلسطينية بغير حق وبلا مبرر منذ مذبحة الكحالة عام 1969.

فعلنا هذا بحدود المساندة المالية والسياسية، وبشكل ما مع أحزاب شرعية في بلدان عربية وخاصة أحزاب اتخذت سياسة مناهضة لكامب ديفيد.

■ ولكن الحديث عن التعارضات والتناقضات.. عن قابيل وهابيل، كما عرضتها لنا، يبيح فتح حوار مع الآخر... مع القوى الموجودة في الجانب الآخر من المتراس!

■■ وقعت أكثر من جولة حوار مع الجانب الآخر من المتراس، وتحديداً مع القوى الرئيسية ممثلة (بحزب الكتائب)، (المردة) وخاصة سليمان فرنجية، (الكتلة الوطنية) وفي المقدمة العميد ريمون إده رائد السياسة المارونية العقلانية.

لقد جرى بيني وبين أمين الجميل، قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية وبعدها، حوار في هذا الاتجاه. وفي أثناء الحرب الأهلية، كان أمين الجميل يتبنى شيئاً فيه من الواقعية التي ترى ضرورة مدّ الجسور مع الثورة الفلسطينية، ومع الاتجاهات التي تتفهم بشكل أسلم الخارطة الداخلية اللبنانية.

وأيضاً كان أمين الجميل أكثر واقعية من غيره في قيادة حزب الكتائب تجاه الأوضاع الإقليمية العربية، وخاصة العمق المحيط بلبنان، أقصد: سوريا!

كما وقعت أكثر من جولة حوار مع ماكان يصطلح عليه الكتائبيون بـ (جيل الشباب): مع كريم بقرادوني... ميشيل سماحة... الخ. وهم يتمتعون برؤية تقوم على البحث عن نقاط مساحة مشتركة ما مع الثورة الفلسطينية، وهم يعون جيداً علاقة لبنان مع محيطه العربي.

ولكن ومع الأسف، كل هذه المحاولات لم تعطِ أكثر من تبريد، بين فترة وأخرى، لحالات ساخنة، لأن ميزان القوى داخل حزب الكتائب، أو داخل القوات اللبنانية – الجبهة اللبنانية المارونية، كان مختلاً اختلالاً واسعاً لصالح الاتجاه الانعزالي والعدواني ضد الفلسطيني والعربي، وكان قد أوغل في علاقاته مع الدولة العبرية المحتلة.

كذلك كانت شبكة علاقاته، تريد جر عموم المنطقة، أكثر فأكثر، تجاه السياسة الأمريكية وحلولها لمشكلات الشرق الأوسط، بما فيه البحث عن صفقات مع الدولة العبرية.

■ هذا يعني أن رؤيتكم هذه ربما كانت قد دفعتكم إلى فتح حوار مع الجانب الآخر الأردني بعد السبعين؟!

■■ بصراحة: لا! بوضوح: لا! لأن الجانب الأردني كان قد أقفل على سياسة محدّدة تواصلت منذ عام 1970 وحتى تموز 1989. عرفات التقى الملك حسين بعد أيام من وقف إطلاق

النار، على امتداد الأيام تردد بانتظام على عمان. ومع ذلك لم تزهر الحلول التي تعيد صياغة العلاقة الفلسطينية – الأردنية. وبإمكانك أن تلحظ أننا عدنا لأول مرة إلى عمان في أيلول 1990[3] ومن البوابة الشعبية، عندما نظمت القوى الوطنية الأردنية مؤتمر القوى الشعبية العربية بعد أن لاحت في الأفق سلسلة العمليات التحضيرية لحرب الخليج الثانية وتدمير العراق. ووقتها كان طوفان الحالة الأردنية شاملاً، يحمل رغبة في الدفاع عن العراق من الملك شخصياً إلى الحركة الشعبية، وكل له أسبابه ودوافعه.

■ أنت تبدو منسجماً في رؤيتك لمسألة التعارضات والتناقضات وفي ممارستك للجوانب المتعلقة بها. ولكني أريد أن أقول إن التنظير تَمَّ، في حالات كثيرة، على أساس أن الجانب الآخر مرتكز للخارج/ اسرائيل.

وفي هذه الحالة ألا ترى معي أن هناك شيئاً من التناقض؟!

■■ هذا القانون – أي قانون التعارضات والتناقضات – ليس جامداً. إنه ينبع من طبيعة كل مرحلة تمر فيها حركة التحرر الوطني وحلول قضايا الثورة الوطنية الديمقراطية.

فعندما تكون المرحلة محكومة/ مسقوفة بالصراع مع العدو الخارجي، سواء بصيغته التوسعية الصهيونية الاسرائيلية، أو القوى الاستعمارية ممثلة بالقواعد والمعاهدات العسكرية والسياسية أو بالهيمنة بوسائل أخرى. عندما تكون المرحلة على هذا المستوى، يصبح مطروحاً على حركة التحرر الوطني، وعلى الثورة الوطنية الديمقراطية، ضرورة الأخذ بقانون التعارض والتناقض، بمعنى آخر: يصبح من الضرورة الوطنية، في ظل جدول الأولويات، إخضاع التعارضات الداخلية الطبقية والسياسية والاجتماعية وأحياناً الطائفية، والبحث عن حلول داخلية لها بمساحات تتسع أو تضيق في صالح تحشيد وتعبئة أوسع القوى ضد التناقض مع العدو الذي يحتل الأراضي الوطنية ويندفع نحو توسيع هذا الاحتلال وفقاً لخططه.

وأورد نايف حواتمة أمثلة كثيرة من تاريخ الشعوب من الصين إلى فيتنام إلى الجزائر إلى أنغولا إلى جنوب أفريقيا[4] فقلت له:

---

(3) عاد نايف حواتمة إلى الأردن في أيلول 1990 في أول زيارة له بعد مغادرته وخروج المقاومة الفلسطينية. واستقبل عند نقطة الحدود السورية – الأردنية – استقبالاً شعبياً من كل القوى الوطنية الأردنية والفلسطينية، وحضر افتتاح أعمال مؤتمر القوى الشعبية العربية حيث ألقى كلمة في المؤتمر دعا فيها إلى قطع الطريق على حرب التدمير الشامل بعد الحشودات الهائلة في الخليج إثر احتلال الكويت واقترح أن تبدأ خطوات قطع طريق التدمير الشامل ابتداءً بسحب القوات العراقية إلى الحدود المتنازع عليها مع الكويت والتفاوض بين الدولتين تحت علم الجامعة العربية.

(4) ورد في هوامش فصل (الرايات السود) موقف الجبهة الديمقراطية من موضوعة التعارض والتناقض. ويمكن العودة لكتاب د. صادق العظم دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية/ دار العودة 1973 – بيروت. وإلى كتاب جيرار شاليان – المقاومة الفلسطينية – دار الطليعة – بيروت 1971 إضافة إلى وثائق الجبهة.

* حركة المقاومة الفلسطينية (دراسة نقدية) أيلول 1969 طبعة اولى، دار الطليعة.
* حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (تحليل وتوقعات)، ت2/ 1969، دار الطليعة.
* مقدمة حواتمة للكتابين السابقين 10، 13 أيلول 1969.
* الفلسطينيون شعباً، تأليف كزافييه بارون – دار سيكامور – نوفمبر 1977 الطبعة الفرنسية – باريس. XAVIER BARON

⇐.(Les Palestinians un peuple), Le Sycomore 1977

■ ولكن التعارضات أدت إلى سقوط نحو 25 ألف قتيل في الأردن ونحومئة ألف قتيل في لبنان!
فصمت مطولاً، ثم قال بصوت هادىء:

■■ الثابت أن ضحايا التعارضات الداخلية هم أضعاف أضعاف ضحايا التناقض مع العدو التوسعي الاسرائيلي الصهيوني. وكل مادفعه شعبنا وأمتنا والجيوش العربية، بمقاومتنا وحروبنا الدفاعية، في مواجهة هذا العدو، على امتداد الحروب الأربعة: 1948 – 1956 – 1967 – 1973، وحتى يومنا هذا، لايصل إلى حجم الضحايا في حروب التعارضات: الحروب الأهلية.

نحن شعوب العالم الثالث، وبنهوضنا لحل معضلات التحرر، ثم معضلات مابعد التحرر والتقدم إلى الأمام، محكومون بقانون تطورنا المتفاوت بين شعب وآخر، وبين طبقة وأخرى، وبين تيار إيديولوجي سياسي وآخر، ولذا، فإننا كثيراً مانقع في خنادق مهلكة تضيع فيها الأولويات، فتصبح التعارضات أولاً والتناقضات أخيراً.

إن الحروب الأهلية هي أبأس أنواع الحروب، فحرب المقاومة ضد المعتدي توحد الجميع، وكل رصاصة تذهب باتجاهها الفاعل. بينما في الحروب الداخلية الأهلية يختلط الحابل بالنابل، البريء بالمذنب، وتدخل في خانة الخسارة الصافية لنا، والربح الصافي لعدونا.

وأضاف حوالمة، وهو يتابع إجابته الهادئة:

■■ لسنا وحدنا الذين دفعنا الثمن في مثل هذه الحروب بل إن كثيراً من شعوب العالم الثالث، أو عالم حلقات التطور الرأسمالي الضعيفة، قدمت عشرات الملايين من البشر ضحايا لهذه الحروب... مثل هذا وقع في الاتحاد السوفييتي بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى، ويقع الآن بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في روسيا الاتحادية وبلدان الرابطة. وقع في الحرب الأهلية الصينية، الكورية، الأنغولية، الجزائرية، وفي جنوب أفريقيا.

والآن نشهد الحروب الأهلية وبحار دمها تجاوزت الخيال الخصيب كما يقع في أفريقيا السوداء بوروندي الحاضرة على الشاشة والتي حُصِدَ فيها مئات الألوف خلال أسابيع(5).

■ متى شعرتم أنكم أصبحتم طرفاً فعلياً في الحرب الأهلية اللبنانية؟

■■ عملية التفخيخ ورمي الشباك بدأت باكراً، كما أشرت، إلى أن وصلت إلى نقلة نوعية، وجدت فيها الثورة الفلسطينية نفسها فريقاً في العملية: (مذبحة عين الرمانة وردود الفعل عليها).

⇐ * منظمة التحرير الفلسطينية - تاريخ واستراتيجيات - نحو الدولة الفلسطينية: آلان غريش - دار سباغ 1983 - باريس، Alain Gresh (OLP Histoire at stratégies Vers l'état Palestinian) SPAG- Popyrus 1983. والفصلين:

* ج.د: سياسة مبدعة متميزة من ص 63 – إلى ص 168.
* ج.د: برنامج السلطة الوطنّية من ص 154 – إلى ص 157.
* وكتاب: الخط السياسي العام في المرحلة الراهنة.
* إصدار ج.د: الاعلام المركزي - بيروت 1972.

(5) ومن الحروب الأهلية أيضاً ما يقع حالياً في أفغانستان، والانقسامات الداخلية الواسعة التي راح ضحيتها عشرات الآلاف، رواندا، زائير، يوغسلافيا السابقة....

وفي رأينا في الجبهة آنذاك أنه كان بالإمكان عدم الوقوع في الفخ ومحاصرة تفعيلات عين الرمانة. لكن مرة أخرى، دفع الأخوة في فتح الأمور بالعمق وبعيداً بردود الفعل التي جعلت مسرح الحرب مفتوحاً وعلى امتداد كل القوى، التي جهزت نفسها/ طاقاتها الذاتية/ تحالفاتها، على جانبي المتراس[6].

لقد وجدنا أنفسنا في حُمَّى الحرب الأهلية، دون قرار منا، أو دون علمنا في قيادة الثورة الفلسطينية.

فوراً بعد مجزرة عين الرمانة.... انصبت المدافع والقذائف وقال لي أبو صالح: بسيطة!

وسأقول لك شيئاً: إن أغلب الحماقات الكبرى في الأردن وفي لبنان، وفي العلاقات الفلسطينية – العربية كانت من يمين فتح والاتجاه المغامر، لأنها كانت محكومة بقانون التحالفات المحورية الإقليمية. وكل ذلك من أجل فائدة فئوية وحسابات مغلوطة!

■ لقد اندفعت المسألة أبعد من ذلك، لأنه في أثناء الحرب الأهلية اللبنانية (75 – 76) برزت مقولة: (إقامة النظام الوطني الديمقراطي على كامل لبنان) ومن خلال ذلك يتحول لبنان إلى قاعدة انطلاق..

■■ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين فصيل أساسي في مسار الحياة والقيادة المشتركة الفلسطينية – اللبنانية. ونحن في الجبهة الديمقراطية لنا خطنا البرنامجي، الذي أضاء على منهج آخر تماماً... إننا نرى في هذا الخط ضرورة حل التعارضات بوسائل سلمية، على أساس أن كل الجهود يجب أن تكون لتحشيد القوى في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي وعدوانه الذي لايتوقف على الأراضي اللبنانية والمخيمات الفلسطينية وتغليب هذا على الصراعات الداخلية والمتشابكة.

كنا نرى ذلك، ونضيف أن الحالة ليست ناضجة، أو أنها ماقبل النضج، في حل التعارضات النامية الداخلية، باتجاه إقامة أنظمة وطنية ديمقراطية، كما أن فصل جسور التشابكات والصراعات المحورية الاقليمية مع القوى داخل كل بلد ليس بالأمر اليسير.

■ ولكنني أرى أن مشاركة الجبهة في القوات المشتركة[7] أقصد في التحالف الفلسطيني مع الحركة الوطنية اللبنانية، يعني بشكل أو بآخر، أنها توافق على توجهات ذلك التحالف.

لقد ذهبت تلك التوجهات إلى الأقصى، والمقاومة الفلسطينية في جانب منها، ساهمت في هذا الذهاب إلى الأقصى!!

■■ هذا صحيح، لقد تلمسنا حركة الواقع/ المعادلة الصعبة التي تفرض نفسها، خطوة خطوة لاعتبارات محلية ومحاور إقليمية عربية تصطرع مع بعضها بعضاً بدلاً من تحشيد القوى لمقاومة التناقض الرئيسي وحله.

---

(6) يقول جورج حاوي في حواره (الوسط)، العدد 228، تاريخ 10/ 6/1996، ص 32 بعد حادثة عين الرمانة أن (هناك من ضبط نفسه وتعقل... في حين كان الآخرون مع الرد العسكري، وفي هذه الأجواء طرحت شعار عزل الكتائب).

(7) القوات المشتركة: عنوان القوات الفلسطينية + قوات الحركة الوطنية اللبنانية، حيث قيادة مشتركة تقود وتوجه عمل القوات المشتركة. ومن أبرز الأحزاب اللبنانية في القوات المشتركة، الحزب الشيوعي اللبناني، المرابطون، الحزب التقدمي الاشتراكي، الحزب السوري القومي الاجتماعي، منظمة العمل الشيوعي، الناصريون بمختلف أحزابهم وحركة أمل.

وبذات الوقت، نحن فصيل أساسي على الأرض، وموقعنا في إطار القيادة المشتركة وبالتجاور مع الحركة الوطنية اللبنانية، وهذا يسحب تأثيراته إيجاباً وسلباً على الجميع... ولقد بذلنا جهدنا لدفع الأمور باتجاه اللاتصادم انطلاقاً من سياستنا ونظرتنا للتحالفات والقواسم المشتركة.

واستدرك قائلاً:

■■ لكن الأعمال ليست دائماً نتاج صحة الرؤيا والخُطا التي تحث عليها، بل هي نتاج حركة موازين القوى: كيف تتشكل... كيف تتبلور على الأرض وفي الميدان محلياً وإقليمياً. وفي هذا المجرى اختل ميزان القوى، أكثر فأكثر، في صالح الرؤيا التي اندفعت نحو محاولة حل التعارضات الداخلية بقوة السلاح بينما الحصاد المر للشعب وعلى الجميع، والأخطاء يصعب فرزها بنظر أغلبية الناس، ويتم صبها على أكتاف كل القوى بدون دقة تمييز مهما بلغ صراع خط التصويب ونقد الذات.

■ في ذلك الوقت، كان الموقف السوفييتي نقطة علام في العلاقات الفلسطينية – السوفييتية. وكان التقارب بينكما قد تم وقتها. ولكن السؤال الذي يراودني الآن هو عن حقيقة الموقف السوفييتي من الحرب الأهلية اللبنانية.

■■ السوفييت كانوا ضد الحرب الأهلية اللبنانية، ومع تحشيد القوى ضد الاحتلال وعدوانه المتواصل على لبنان والمخيمات. وكانوا أيضاً ضد سياسة الانتقال من التعارض إلى التناقض، وعبروا عن ذلك بمواصلة جسور العلاقة مع الجانب الآخر من المتراس (الكتائب، الجبهة اللبنانية...).

وقد انصبت نصائح السوفييت باتجاه الابتعاد عن تقسيم واقتسام الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وقوات المتراس الآخر (الجبهة، القوات اللبنانية) بين المحاور الاقليمية المتصارعة لأن الجهود السوفييتية كانت مشدودة لتطبيق قرارات الشرعية الدولية لتصفية آثار هزيمة 1967، لأن الجرح السوفييتي كان كبيراً مادياً ومعنوياً من نتائج تلك الهزيمة. والهم تضاعف باتجاه ماترتب على ذلك، وكلفة هذا على المواطن السوفييتي كانت كبيرة بما قدم السوفييت من ترسانة سلاح بمنظومات متكاملة في معظمها تبرعاً بلا مقابل[8].

■ لقد رفضت دمشق في ذلك الوقت استقبال ألكسي كوسيغين نظراً لموقف الاتحاد السوفييتي من دخول القوات السورية إلى لبنان.

---

(8) اللقاء الأول الذي عقد بين وفد فلسطيني عالي المستوى ووفد سوفييتي، إثر الحرب الأهلية اللبنانية كان في 28/ 11/ 1975 حيث مثل الجانب السوفييتي أندريه غروميكو وزير الخارجية، وبوريس بوناماريوف رئيس دائرة شؤون الشرق الأوسط. واللقاء الثاني تم بتاريخ 30/ 5/ 1976 مع الكسي كوسيغين رئيس الوزراء السوفييتي آنذاك. والموقف السوفييتي اتصف باتجاه الابتعاد عن التقسيم في لبنان، والابتعاد عن إحداث انشقاقات أو ضرب للثورة الفلسطينية. الوفد الفلسطيني كان موسعاً من (عرفات، حواتمة، الفاهوم، زهير محسن، أحمد صدقي الدجاني، حامد أبو ستة وآخرين) وبذات الخط كان اللقاء الأسبق مع كوسيغين في موسكو (اكتوبر 1973) بمشاركة الفاهوم، عرفات، حواتمة، زهير محسن وآخرين (من محاضر الاجتماع –ج.د).

* صحف بيروت 27/ 11/1975- 30/ 5/ 1976.
* الحرية، 12/ 11/ 1975- 6/ 6/ 1976.
* وثائق الحرب الأهلية – دار المسيرة – بيروت 1977 ص 140 إلى ص 190.

■■ هذا صحيح. فالسوفييت وبشخص كوسيغين لم يكونوا مع دخول القوات السورية إلى لبنان. وهذا بات مشهوراً، ولم يعد سراً، لأن السوفييت، وانطلاقاً من نفس المنظور الذي حدثتك عنه، كانوا يدعون لعدم الدخول في الصراعات الداخلية، باعتبار أن ذلك يفتح الميدان لإسرائيل والأمريكان للدخول على الخط، ولذلك كانوا في موقع آخر.

وينبغي أن تتذكر أن الكتائب وشمعون أعادوا مد الجسور مع الدولة العبرية بعد ستة عشر يوماً فقط من دخول القوات السورية إلى لبنان[9].

ومن المحزن أن إحدى عواصم دول الطوق العربية هي التي دعت هذه القوى لمد الجسور، وهكذا كان!

■ ولكن الذي شاع في ذلك الوقت أن السوفييت كانوا يؤيدون تمدد الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية على كامل الساحة اللبنانية لإقامة نظام وطني ديمقراطي فيها!

■■ لم يكن موقف الاتحاد السوفييتي بهذا الإتجاه. كانت له سياسة أخرى تماماً. وأنا شخصياً متأكد من هذا، من خلال كل مباحثاتنا مع القيادة السوفييتية[10].

■ لنتذكر الآن أن نايف حواتمة كان يناقش مسألة دخول القوات السورية إلى لبنان مع حلفائه الآخرين... ماذا كان موقفك؟

■■ كان موقفنا عشية دخول هذه القوات وفي أثناء ذلك أن لا صدام على يد المقاومة الفلسطينية. بل إن سعينا ذهب أبعد من هذا، أي نحو الدعوة إلى اللاصدام على يد المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية[11].

■ لم-تقل لي ماذا كان موقفك الشخصي. ماذا قلت؟

---

(9) كتاب زئيف شيف، ايهود يعاري، حرب الموارنة في لبنان.

(10) وقعت المباحثات مع كوسيغين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي الأسبق في 30/ 5/ 1976 بدمشق، وذكر مضمون اللقاء في هامش سابق.

(11) انظر مثلاً نايف حواتمة في مؤتمر صحفي في بيروت 1976/4/7، أعلن (أن هناك قوى إقليمية تعمل لتطويق الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية وتوسيع شقة الخلاف مع سوريا للدفع باتجاه التصادم... لذلك حذرت الجبهة الديمقراطية التحالف الوطني العريض من هذه الخطط.... وضرورة إقلاع بعض القوى الوطنية عن ممارسة لعبة المحاور العربية.. كما أشار حواتمة في نفس المؤتمر الصحفي إلى مبادرة فلسطينية لتصحيح العلاقة بين دمشق والحركة الوطنية اللبنانية تسهم الجبهة الديمقراطية في إعدادها، وذلك على قاعدة التكافؤ وعلاقات احترام إرادة كل طرف في الاتفاق والاختلاف... وقطع الطريق على محاولات الايقاع بين أبناء الصف الواحد).

المصدر: * الحرية 10/ 4/ 1976. * فلسطين الثورة 11/ 4/ 1976. * كراس نايف حواتمة: تحالف الثورة والحركة الوطنية اللبنانية ـ ضمان الانتصار - منشورات الاعلام المركزي - ج. د بيروت 11/ 4/ 1976.

* كما طرح حواتمة هذا الأمر في مهرجان قاعة اليونسكو بمناسبة يوم الأرض 31/ 4/ 1976 - بيروت، ومن بين الخطباء كمال جنبلاط، عرفات، حواتمة وآخرون، وقال: (لا للصدام بين أخوة السلاح ولا لضغط عواصم إقليمية عربية دافعة نحو الصدام). وشكلت الجماهير الحاضرة استفتاءً صارخاً بالاستجابة الحارة لدعوة حواتمة بالتصفيق الطويل وهتافات القاعة، بينما لم تكن الاستجابة واسعة لدعوات التحدي والوعيد التي تبشر بالصدام.

* الحرية 1/ 5/ 1976.

* فلسطين الثورة 2/ 5/ 1976.

■■ كلنا محصور بالنار. سياسة تحالفية وتكتيكية خاطئة غَلَّبت تعارضاتنا الداخلية على توحيد قوانا ضد العدو الرئيسي: علينا أن لانسمح للصدام العريض الدامي بين القوى الفلسطينية وبين القوات السورية.

وأضاف حواتمة:

■■ أحياناً تجري الرياح بما لاتشتهي السفن. وهكذا كان! بدأ الصدام بين الأخوة، ومرة أخرى: التراجيديا الإغريقية تفرض نفسها، ولكن بثوب شرقي (قابيل وهابيل) بين قوات المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية وبين القوات السورية، والصواريخ لاتميز وتختلط الألوان، فهي ليست من صنف الصواريخ الذكية الجوالة حاملة العقول الالكترونية. وكان أعداؤنا طربون. ثم تسارعت الأحداث، جاء إعلان السادات عن استعداده للرحيل باتجاه الدولة العبرية وزيارة القدس المحتلة، ليضع نهاية لحالة الأزمة والصدام، ويجعل كل الفرقاء يتأملون أمام الهول الداهم بغوله المتوقع في صالح الصفقات الثنائية الجزئية والإقليمية.

وهذا ماأدى بالقوى المنتمية إلى الصف القومي والوطني أن تعيد صياغة التحالفات، على الأرض وفي الميدان، حتى لاتقع الكارثة!

■ لابد أنك كنت تلتقي مع الرئيس السوري حافظ الأسد في ذلك الوقت!

■■ العلاقات مع الرئيس حافظ الأسد كانت، وعلى امتداد الحرب الأهلية اللبنانية ومابعدها، عميقة وموصولة، وغنية بتنوع محاور كل لقاء بيننا..

لقد تمَّ أكثر من لقاء خلال حرب السنتين، وتمَّ بحث ممهدات الحرب الأهلية اللبنانية ومجرياتها ومابعدها... وكان البحث يتم حول السياسات والخطوات المتعلقة بحجم هذه الحرب وأبعادها الإقليمية، حتى لاتجد الحالة اللبنانية عوامل تكبر أكثر فأكثر بتوسيع دائرة الحرب وتداخلها، بما فيه دفرسوارات العامل الاسرائيلي إلى قلب هذه الحرب. كل هذا كان موضع بحث، فنحن من دعاة تغليب التناقض الرئيسي مع العدو التوسعي الاسرائيلي على كل أشكال التعارضات الفلسطينية ـ اللبنانية ـ العربية، بما فيه العلاقات الفلسطينية ـ السورية.

■ هل وقع صدام مباشر بين الجبهة الديمقراطية والقوات السورية؟

■■ صدام خاص لم يقع!

اشتباكات في إطار الصدام العام وقعت حيثما تكون قوات مشتركة على الأرض!!

■ هل كانت الجبهة الديمقراطية وحيدة عندما طالبت بمنع التصادم؟

■■ كانت معنا قطاعات من فتح ومن فصائل أخرى، بالإضافة إلى القاعدة الجماهيرية الأوسع في مخيماتنا. وكنا معاً صفاً واحداً متحداً ضد الصدام من أي فريق جاء، فالتجربة على الأرض الأردنية مازالت ساخنة في عالم القواعد والمخيمات، وكسر المعادلة اللبنانية – اللبنانية دونه استعصاءات لبنانية وإقليمية ودولية كبرى.

لقد مارسنا وواصلنا هذه السياسة بشكل متحد مع شعب المخيمات، وكانت القاعدة الجماهيرية بحسها وخبرتها التاريخية والملموسة ترى وتضغط بوضوح باتجاه اللاتصادم لأنها كانت ترى بعيونها نتائج التصادم الكارثية على جميع الأطراف.

■ أين كنتم من الناحية العسكرية من وقائع الحرب الأهلية وماجرى على أرض لبنان؟

■■ **كما ذكرنا في سياق الإجابات المحددة، كنّا منذ البداية مع تجنب كل أشكال الصدامات على أرض لبنان، ومع الابتعاد عن كل المعارك الجانبية التي تستنزف طاقاتنا وجهودنا، لذا شاركنا في لجان المراقبة ولجان الارتباط مع الجيش اللبناني والقوى اللبنانية الأخرى. واستشهد لنا ضابط الارتباط العقيد جورج حداد (ابراهيم أبو زغلان – نابلس، بيت دجن) قائد قوة الطوارىء المركزية في الجبهة الديمقراطية برصاص القنص الانعزالي في بيروت يوم 12/ 11/ 1975. وهو ينقل على خط التماس الناري ضابطاً جريحاً من الجيش اللبناني، وقد نعاه رئيس الوزراء رشيد كرامي ببيان انساني شهير.**

ومع تصاعد حدة الهجوم الكبير على قوى الثورة والشعب كان موقعنا الطبيعي في الاصطفاف إلى جانب جماهير شعبنا وجماهير لبنان، وخاضت قوات الجبهة في إطار القوات المشتركة معارك التصدي الكبرى للقوى التي فتحت نيرانها على مخيماتنا ومحيطها اللبناني في بيروت وطرابلس والجبل ومعارك الدامور (ك2/ 1976) واستشهدت الأعداد الكبيرة من صفوف القوات المسلحة للجبهة والميليشيا وأنصارها، في مقدمتهم الشهيد عاطف سرحان (سالم) من النبي صالح قضاء رام الله وعضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية، الذي استشهد وهو يقود عملية الدفاع عن شعبنا في شمال لبنان في 6/ 8/ 1976. والعقيد بهيج المجذوب (مراد) ابن صيدا البار، عضو اللجنة المركزية للجبهة، الذي استشهد أيضاً على رأس قوات الجبهة والثورة والحركة الوطنية اللبنانية في الدفاع عن جماهير لبنان وفلسطين بمنطقة صيدا يوم 7/ 6/ 1976. والرائد صالح أبو النعاج من (صفورية – الناصرة) بطل الدفاع عن جماهير مخيم تل الزعتر وقائد الحماية الذي سقط إثر الهجمات المتلاحقة على المخيم يوم 1/ 7/ 1976.

لكن في الوقت نفسه، فإن الجهد الأساسي لقواتنا المسلحة كان باتجاه الانتشار جنوباً على خطوط التماس مع العدو جنباً إلى جنب مع قوات الثورة والحركة الوطنية اللبنانية. وفي هذا المجال فإن النمو المتسارع لقواتنا العسكرية من حيث العدد والعدة، ومن حيث مجال وسعة مناطق الانتشار، أوجد حالة جديدة أصبحت فيها قوات الجبهة تملك بنية عسكرية شبه نظامية تحيط بها قوات الميليشيا المنتشرة في كل مخيمات وتجمعات شعبنا حيث قارب ملاك هذه الميليشيا الآلاف من المقاتلين والمقاتلات تحت السلاح.

وهكذا أصبحت قوات الجبهة تملك انتشاراً في قطاعات الجنوب اللبناني الثلاث، وتحمل رايات كتائب عز الدين القسام، صلاح الدين، ترشيحا، الشهيد مراد، عبد القادر الحسيني، قوات الجليل، دير ياسين، تل الزعتر، بيسان، القوة الخاصة، قوة الطوارىء، قوة الاستطلاع،

الدفاع الجوي... إضافة للكتائب الخاصة بمدفعية الميدان والهاون والمدفعية الراجمة الصاروخية (كتيبة المدفعية الأولى، كتيبة المدفعية الثانية، كتيبة المدفعية الثالثة...)

وهذه التشكيلة العسكرية المتطورة مكّنت الجبهة الديمقراطية من أخذ دورها الريادي الوطني في القتال الخاص والموحد ضد العدو على جبهة جنوب لبنان، ولم تخلُ معركة من معارك الجنوب إلا وكانت قوات الجبهة في مقدمة حملة الراية والسلاح. حصل هذا في الاجتياحات الاسرائيلية المتكررة وخاصة الاجتياح الأول (عملية الليطاني في آذار 1978) وسقط لنا في مواقع مفصلية في الجنوب عشرات الشهداء على رأسهم الرفيق الرائد بشير زقوت (المجدل، غزة) ابن مخيم الشاطىء (ابن غزة المناضلة) والطالب الجامعي في كلية الهندسة بجامعة دمشق والمفوض السياسي لقوات الجبهة في جنوب لبنان (يوم 4/ 4/ 1978)، كما سقط لاحقاً العديد من رموز وحاملي رايات الكفاح الأولى في مسيرة الجبهة ومنهم الرفيق الشهيد الرائد محمد شاكر خزعل (فايز ابو حميد) ابن مخيم برج البراجنة ومن (البصة – قضاء عكا) يوم 16/ 3/ 1978 في موقع القنطرة جنوب لبنان. والرائد معروف أبو السعود، أبو محمود الفوريكي (بيت فوريك – نابلس)، الذي استشهد بمعارك يوم 21/ 3/ 1981 في جنوب لبنان.

كما أن العمليات المسلحة العسكرية ضد قوات الاحتلال في مناطق الشريط اللبناني المحتل ومناطق شمال الدولة العبرية لم تهدأ بل شهدت تطوراً ملحوظاً طوال أعوام السبعينات وصولاً للاجتياح الكبير في حزيران 1982.

■ وهل كان للداخل الفلسطيني مكان في العمل العسكري خلال هذه المرحلة؟

■■ لاننسى أن البيان العسكري الأول للعمليات الفدائية لقوات الجبهة انطلق من نابلس (16/ 3/ 1969) وبالتأكيد، فهناك منظمات الجبهة الديمقراطية على امتداد الوطن، وجناحها العسكري الذي كان يسمى آنذاك قوات الداخل، والجناح المساند تحت اسم قوات إسناد الداخل بقواعد التدريب القريبة من الوطن والخاصة بالمقاتلين القادمين من الأرض المحتلة.

وسلسلة العمليات المسلحة التي تمت داخل الوطن حملت بيانات وتواقيع قوات الداخل/ الجبهة الديمقراطية، بدءاً من عمليات القدس في ميدان صهيون وسط المدينة 13/ ت2/ 1975 مروراً بالعديد من الفعاليات العسكرية كإلقاء القنابل على دوريات ومخافر ومراكز قوات الاحتلال، وزرع العبوات الناسفة في مراكز انطلاق جنود العدو كما حدث لعدة مرات داخل بتاح تكفا في أعوام 77، 78، 79. ووصولاً للعمليات الخاصة التي تمت بمشاركة مزدوجة بين قوات الداخل وقواتنا في الخارج، هذا ماوقع في عملية بيسان، وعملية ترشيحا (معالوت)، طبريا، عين زيف، رامات مكشميم، بيسان، شريشوف، عمليات القدس الأولى والثانية، ومعالوت (ترشيحا) الثانية الخ.....

وتجدر الاشارة إلى أن أجهزة العدو أدركت بشكل جلي الدور الريادي لقوات الداخل في الجبهة الديمقراطية، لذا صبت جهودها باتجاه ضرب كوادرنا المسؤولة عن قيادة العمل العسكري في الوطن. ويمكن أن نشير إلى اغتيال الرفيق خالد نزال، عضو اللجنة المركزية

للجبهة، ومسؤول العمل المسلح داخل الوطن في أثينا 9/ 6/ 1986 على يد الموساد الاسرائيلي، في أثناء تواجده هناك وقيامه بمهمات الاتصال مع خلايا العمل المسلح داخل الوطن المحتل.

■ لقد كانت نتائج الحرب كلها كارثية.. وقد تحولت كلها الآن إلى ثنايا الذاكرة.. بمعنى آخر إلى تاريخ شخصي بالنسبة لمن عاشها، وتاريخ عام بالنسبة للمنطقة والشعبين اللبناني والفلسطيني.

وأريد أن أسأل: مالذي تستثيره هذه الكارثة في ذاكرة نايف حواتمة؟

لنقل إنها حالة تداعٍ من نوع خاص... ترى ماذا يقول نايف حواتمة؟!

ربما كان نايف حواتمة يتوقع سؤالاً من هذا القبيل، لأنه عرف، الجلسة التي سبقتها، أن الحديث سيكون عن ذاكرة الحرب الأهلية اللبنانية.

لذلك بحث بين أوراقه عن صفحتين... نظر إلى كل صفحة منهما، وألقى نظرة شاملة على سطورهما..

ثم صمت طويلاً. لم أشأ أن أكسر طقس الصمت لديه، لكني وجدته يمسك بقلمه، ويعاود رسم الخطوط والأقواس أمامه، ويقول:

■■ إن تداعيات الحرب الأهلية اللبنانية، أكثر تزاحماً... ثراء... عنفاً ومخاطرَ من الحرب الأهلية (القصيرة والعاصفة) التي جرت في الأردن عام 1970.

يمكن اعتبار تلك الحرب، حرباً صغيرة، قياساً بما جرى في لبنان: لقد كان حجم القوى المتصارعة في لبنان مذهلاً لبنانياً وفلسطينياً، إقليمياً وعربياً، إسرائيلياً بشكل مباشر وغير مباشر ودولياً أيضاً.

لذا أقول إنه يصعب حصر التداعيات بلوحة واحدة.

وعاد إلى صمته، ثم قال بعد لحظة:

■■ يقفز إلى الواجهة فوراً: السبت الأسود، حواجز الكحالة، وتل الزعتر[12] .

وأضاف:

■■ السبت في التقاليد اللبنانية المارونية، وهنا أستعير اللغة المحلية اللبنانية، هو في التاريخ: سبت النور، يبشر بالأحد، الذي هو العيد. ولكن هذا السبت، انقلب على يد أصحاب هذا التقليد إلى (السبت الأسود)!

---

(12) بجزرة السبت الأسود وقعت يوم 6/ 12/ 1975 وذهب ضحيتها 70 قتيلاً، 300 مخطوف، على يد حزب الكتائب مما أدى إلى اشتعال المعارك في كل أنحاء بيروت ولبنان.

* حرب لبنان - دار العودة 1977 - اعداد ليلى عيتاني. * السفير 7/ 12/ 1975. * النهار 7/ 12/ 1975.

وتبع بجزرة السبت الأسود إقامة الحواجز في الكحالة وغيرها. وبالنسبة لمخيم تل الزعتر الواقع في المنطقة الشرقية من بيروت، فخضع لحصار دموي عنيف امتد من 22/ 6 حتى 12/ 8/ 1976، وذلك من قبل تحالف اليمين اللبناني (حزب الكتائب، حزب الأحرار، حراس الأرز، حزب التنظيم) وقوى يمينية أخرى. وسقط آلاف الشهداء، وتم تشريد (12) ألف مواطن فلسطيني وسوري ولبناني هم سكان المخيم ومحيطه، وسقط للجبهة الديمقراطية وحدها في حصار المخيم (128) شهيداً. كان نائب قائد القوات المشتركة المدافعة عن المخيم صالح زيدان عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية.

المصدر: * النهوض مرة أخرى - شهادات واقعية من تل الزعتر - علي حسين خلف - الاعلام المركزي ج. د بيروت ك2/ 1977.

لقد نُصبت الحواجز على حافة خط الفصل، بين شرق وغرب بيروت، وبدأت الكتائب والقوات اللبنانية بنشر سلسلة من الحواجز التي تذبح على الهوية!

المئات من الأبرياء كانوا الضحية!

لالشيء، بل لأنهم لبنانيون مسلمون أو فلسطينيون وهنا أقول: مع الفلسطينيين انمحت الهوية الطائفية فمجرد أن يعرف أنه فلسطيني يقتل مباشرة سواء كان مسلماً أو مسيحياً.

وردد نايف حواتمة وقد تهدج صوته فعلاً:

■■ هذه اللوحة تبين كم كانت تلك الحرب قذرة ظالمة، لاذرة من المشروعية لها.

وكلما نشج أنين سبت السواد، يأتي الجواب: (بالناقص واحد من اللبنانيين والفلسطينيين المتحالفين!).

في حواجز الكحالة، كانت اللوحة ذات قساوة، ولكن أكثر طرافة!!

لقد تم فرز اللبناني عن الفلسطيني على الهوية، حيث يدعى كل منهما ليعدد أنواع الخضار، فإذا ماوصل إلى كلمة (بندورة) يكتشفون إذا كان فلسطينياً أم لبنانياً! والفلسطيني إلى المقصلة والقتل فوراً.

هذا لأن اللبناني يلفظ كلمة (بندورة) بفتح النون، أما الفلسطيني فيلفظها بتسكين النون!!

رسم حواتمة على شفتيه ابتسامة سخرية مرة، ثم أردف قائلاً:

■■ وهكذا فالإنسان الذي تقول الأديان عنه إن الله خلقه على شاكلته... على صورته ومثاله... والتي يؤمن بها أصحاب حواجز الكحالة، هذا الإنسان يُنحر من قبلهم برخص تسكين أو فتح النون، بينما بغير ظروف الحرب الأهلية القذرة دائماً يكون الإنسان هو صانع الحضارة والتقدم إلى الأمام.

ثم تابع تداعياته:

■■ من التداعيات مجزرة تل الزعتر!

وتل الزعتر هو المخيم الأكثر تطوراً بين المخيمات الفلسطينية في لبنان. يقع بجوار منطقة صناعية، ويشتغل شبابه وشاباته عمالاً فيها... كان المخيم ينتمي فعلاً إلى الطبقة العاملة وتقاليدها، وكان الأكثر حيوية ونظافة وثقافة!

لقد أطبقوا عليه بزنار من النار، ومن جميع الجهات، وبكل أنواع الموت... على امتداد خمسين يوماً تمَّ عجنُ كل تلة... كل حارة فيه بدماء بشرية. وكان أولئك الذين يحاصرونه يرقصون ويخمرون ويطربون على نيران المحرقة التي تلتهم المخيم ببشره!

■ ومن هم الذين فعلوا ذلك؟!

■■ القوات اللبنانية... الكتائب... حراس الأرز.

وتلبد وجه نايف حواتمة، ربما لأن محاولة استثارة تداعياته، أخذته إلى البعيد، داخل الصورة الإنسانية للمشهد، لذا بدا وجهه منصبغاً بحمرة واضحة، وكأنه يصارع شيئاً في داخله. وبعد لحظة صمت جديدة قال:

■■ **سقط تل الزعتر تحت النار والجوع قطعة قطعة. وأذكر آخر برقية، أُرسلت إلينا، من آخر متر مربع فيه، تقول:**

سقط كل شيء، الكل مات... بقيت أعداد بسيطة من الأطفال والشيوخ. ونحن سنغادره بعد لحظات. نأمل أن ننجح بخرق الحصار، سنقوم بذلك باتجاه مونتيفردي – الجبل... التوقيع: صالح زيدان[13].

وقال نايف حواتمة:

■■ **وهذا كان فصل الختام، بتشييع كل المخيم... أصبح وراء الظهر. ثم مُسح عن وجه الأرض، وبالجرافات... إلى الأبد!**

وتتحول صورة التداعيات في حديثه، إلى مسارها الذي لايريد الابتعاد عنه كثيراً. تختلط فيها دراما ماحصل مع إصرار من نوع خاص على الاستمرار. لذلك أخذ نايف حواتمة يسرد ماتبقى بطريقة أخرى، فتناول من أوراقه صفحة مكتوبة وتأملها قليلاً، ثم تابع:

■■ **القلة الأحياء وصلوا في اليوم الثالث من خرق الحصار. وأتذكر عندما دخل وفد القيادة الحية الباقية إلى غرفة العمليات في الفاكهاني، كنا جمهرة واسعة: كمال جنبلاط، جورج حاوي، محسن ابراهيم، ابراهيم قليلات، عبد الله سعادة، إنعام رعد، سمير صباغ، وياسر عرفات وحواتمة وصلاح خلف وأبو جهاد الوزير وتيسير خالد، وسعد صايل... كنا كثر. وكان معنا الشاعر الفلسطيني الراحل معين بسيسو، فلم يتمالك نفسه، وخرج من الغرفة.**

وفي صباح اليوم التالي، كان ينشد قصيدته التي ذاع صيتها في ذلك الوقت: النجمة الحمراء[14].

---

(13) صالح زيدان – عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية – مواليد 1949 من (الدامون) فلسطين الجليل الأعلى، تشردت أسرته إلى لبنان، عاش في مخيم تل الزعتر – وحوصر هناك، ثم في بيروت 1982، ثم أثناء حرب المخيمات في بيروت 85 – 1986، وأطلقت عليه المخيمات لقب بطل الحصارات الثلاثة وانتخبته ممثلاً لها في المجلس الوطني الفلسطيني.

(14) من قصيدة الشهيد معين بسيسو: (عنوانها نشيد لكل المقاتلين):

النجمة الحمراء والمتراس والبندقية
إلى الأمام يا بنادق الحرية
إلى الأمام وردة ومطرقة
إلى الأمام منجلاً وخندقاً
إلى الأمام سنبلة
إلى الأمام قنبلة
تحيا الخطى الحمراء
في أرضنا الخضراء
أرضنا الحمراء قادمة
التين والزيتون للمقاومة
لاخطوة إلى الوراء
لامساومة
المجد للمقاومة
لوحدة السواعد المقاتلة ⇐

كانت قصيدة معين بسيسو تحية لصالح زيدان، وهو القائد الأشهر للمخيمات الآن في لبنان ومن جديد في قطاع غزة، وقد لحنها المبدع المصري عدلي فخري فيما بعد، وأصبحت نشيد القوات المسلحة الثورية للجبهة.

قال حوائمة ذلك باعتزاز واضح، ثم أضاف:

■■ والأهم أن من بقي حياً انتقل إلى الدامور المدمرة أيضاً. البشر كانوا (بقايا صور)... لاباب، لانافذة، لاغطاء، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء!!

وهنا كانت المفاجأة والمفارقة، حيث أن هؤلاء تجمعوا في ساحة الدامور: دبكوا... رقصوا... غنوا!! وكان ذلك استبشاراً بالأمل القادم!!

ثم أمسك ثانية بالورقة الموجودة أمامه، وقال وهو يتأمل سطورها:

■■ انتمى الغناء الذي غنوه في الدامور إلى عالمين: عالم تل الزعتر، ما قبل الحصار... ما قبل المحرقة، وهو عالم كثيراً ماشدني إليه، كما أخبرتك، عالم العمال والشغيلة وثقافة اليسار. وعالم ينتمي إلى المستقبل... إلى الأمل يعني إلى ما بعد تل الزعتر!

كانوا يدبكون ويغنون من موقع التمسك بالثورة... بالحق الوطني. وهذا هو التعبير عن خط سير المصير لهذا الشعب الذي يتموج بالالتواءات الحادة من الانتصارات والانكسارات!

⇐ يدا إلى يد لنحفر الخنادق
يدا إلى يد لنطلق البنادق
يدا إلى يد لنرفع البيادق
قلبا إلى قلب يدق: هذه بلادنا
وهذه أنهارنا وهذه سماؤنا
وهذه الجبال في بلادنا جباهنا
وهؤلاء القادمون من أشجارنا: أطفالنا
فعبئوا بالقمح هذه البنادق
وعبئوها بالورود والزنابق
وانظروا: فكل شجرة
تعطي إلى الشهيد: ثمرة
واسمعوا: صيحة الجبل
الشعب وحده: هو البطل
وأرضنا الحمراء قادمة
فرفرفي بنادق المقاومة
رفرفي سنابلا ورفرفي مشاعلا
ورفرفي جداولا
ومثلما قال الشهيد
اتحدوا: لكي أعود
كل جراحي ورود
النجمة الحمراء والمتراس والبندقية
إلى الأمام يابنادق الحرية.

وأخذ نايف حواتمة يدندن مقاطع من تلك الأغنيات[15]، ثم قرأ من ورقته مقاطع من أغنية مدونة فيها بخط يده. أخذتها منه دون أن يمانع، ووضعتها مع وثائقي التي أجمعها، وانتظرت أن يتابع غناء تداعياته المرة والحلوة معاً، التي تراءت له في تلك اللحظة. لكن نايف حواتمة، الذي احمرت عيناه تماماً، توقف لحظة ثم قال:

■■ في حينها أدركت أن تاريخنا المعاصر قد أُرِّخَ للتو تحت عنوان: ما قبل وما بعد تل الزعتر! فقد تشظت سلسلة من التحالفات الوطنية والإقليمية والقومية بناها الشعب بغد الأمل، بدم الشهداء ودموع اليتامى والأرامل. وأطلت برأسها أنواع أخرى من التحالفات، فاختلطت الأوراق.

فعلاً تشظى كل شيء: في الصف الوطني والقومي العريض. وظل يواصل نزيفه حتى إعلان زيارة السادات للقدس المحتلة. وكنت في برلين، حيث انتقلت فوراً إلى ليبيا، لأشارك في المؤتمر الشعبي الليبي العام، الذي كان منعقداً، وهناك شاركت الخطباء الذين تكلموا في المؤتمر: العقيد معمر القذافي، والعقيد أبو بكر يونس، الرائد عبد السلام جلود... ودعوت لبناء جبهة صمود عربية، وقدمت اقتراحات ملموسة. ولذلك اشتعلت القاعة بالتصفيق من مواقع إصرارها على ضرورة محاصرة خطوة السادات، ووقف تفعيلاتها بلعبة الدومينو التي تفضي إلى سلسلة من التراجعات.

وفعلاً بادرت القيادة الليبية إلى التنقل بين عدد من العواصم العربية. وجئت مع الرائد عبد السلام جلود إلى دمشق للبحث مع القيادة السورية. وذهب أبو ليلى عضو المكتب السياسي للجبهة مع الوزير أبو زيد دوردة المندوب الليبي إلى عدن.

وبعد ثلاثة أسابيع تقريباً انعقد مؤتمر جبهة الصمود في ليبيا (5 ك1 – ديسمبر 1977) هذه الجبهة التي حاصرت التدهور على امتداد عامين إلى أن أصبح ممكناً استعادة التضامن العربي بعقد قمة بغداد (5 ت2 – نوفمبر 1978).

---

(15) من المقاطع في تل الزعتر بشعبه ونبضه المقاتل:

رايــــة اليســــار يارايــــة الحريــــة
مــن غــار لغــار جبهــة ديموقراطيــة
تسعة وستين حملــت للشــعب بشــاير
لـما تأســس يســار الثــورة بفـــبراير
رايــة اليســار علـــِّي لفــوق وعلـــِّي
مــن كــل الأرض تــا نطــرد المحتــل
رايــة اليســار علـــِّي لفـــوق وطــيري
شــعبي وحـــده ليقـــرر المصـــير

* كما دندن مقطعاً آخر من أغاني مابعد تل الزعتر في عراء دبكة الدامور (التجمع الجديد لأهالي تل الزعتر).

بــإيدي كلاشــنكوف وبكتفــي دكـــتريوف
والغربــة لوعتــني دبرهـــا يـــا أبـــو النـــوف

* و «أبو النوف» هو اللقب الذي يعرف به نايف حواتمة بين الجماهير الفلسطينية.

كتب حواتمة عبارة على أوراقه وهو يضيف:

■■ لم يكن بناء جبهة الصمود سهلاً. وقع الاستعصاء قبل افتتاح الجلسة، فقد أصر الوفد العراقي الثلاثي (طه ياسين رمضان، نعيم حداد، عدنان حمداني) على دخول وفد جبهة الرفض الفلسطينية (حبش، جبريل، عبد الرحيم أحمد، سمير غوشة) هذه الجبهة التي تشكلت برفض البرنامج الوطني المرحلي، الذي اقره المجلس الوطني الفلسطيني (دورة حزيران 1974)، وتم هذا فعلاً.

ثم برزت العقدة الأخرى الفلسطينية - الفلسطينية حول البرنامج المرحلي، وتم حلها باتفاقنا على وثيقة طرابلس المشتركة، وهنا برزت العقدة العراقية، باشتراط تراجع سورية عن موافقتها، بعد حرب تشرين 1973 على القرارين 242، 338 ووقفت المحاولة على حافة الانهيار والفشل!

وعندها أدليت بمداخلة تقول: (إن توتر العلاقة السورية العراقية لاصلة بالعمق بينها وبين القرارين 242 و 338، ودليلنا أن سورية كانت حتى حرب تشرين في موقع رفض القرار 242. ومع ذلك لم تستقم العلاقة السورية - العراقية، فكانت في ذروة التوتر أيضاً، فجذور التوتر من طبيعة أخرى حزبية وإقليمية. فلنتجاوز إشكالية القرارين، ولنتوحد على تطويق اندفاع السادات لحو حل ثنائي منفرد على حساب حقوق شعب فلسطين والأمة العربية، والأرض العربية المحتلة وعملية انقلاب شاملة في خارطة الشرق الأوسط... فالأعظم آت بعد تدمير رفقة السلاح وجهود كل العرب في حرب السلاح والنفط).

واصل الوفد العراقي موقفه، وتعطل كل شيء، وفشلت كل المحاولات الجانبية لِتُقْلِعَ جبهة الصمود سداسية.

في هذا المناخ الصعب الذي يوشي بانفراط عقد جبهة الصمود، دخلت مع أبي إياد إلى غرفة يتداول فيها الرؤساء: هواري بومدين، حافظ الأسد، معمر القذافي، عبد الفتاح اسماعيل. وسألنا الرئيس الأسد عن جاهزية سورية لجبهة صمود ثنائية مع منظمة التحرير الفلسطينية، إذا لم يكن ممكناً الإقلاع بالأقطار الستة أو الخمسة. فجاء الجواب فوراً من الرئيس الأسد:

- سورية جاهزة!

وبذلك تم عقد الاجتماع، ورأت جبهة الصمود النور والحياة، وأقول بألم: انسحب العراق!

ولولا جبهة الصمود لتوالت الإنهيارات، ولما انعقدت قمة بغداد العربية عام 1978.

وفي 26 تشرين الأول/ اكتوبر، تم في بغداد توقيع ميثاق العمل القومي المشترك بين الرئيسين حافظ الأسد وأحمد حسن البكر، دون اشتراط تراجع سورية عن القرارين 242 و 338. وأصبح الطريق مفتوحاً لبناء التضامن العربي في قمة بغداد ومحاصرة سياسة السادات ومنع تعريب (كامب ديفيد)!

وفي لقاء مع الرئيس حافظ الأسد بعد توقيع الميثاق قال لي إن الأمور الثنائية بين سوريا والعراق لم تأخذ من وقت الرئيسين الأسد والبكر أكثر من نصف ساعة فقط.

ولكن أقول: إنه ومنذ تلك الحرب الأهلية اللعينة، منذ فواصلها الزعترية، مازلنا نحصد الكثير من المر ومازالت التحالفات التي تشظت، في ذاك الزمن تعاني من جراحها.

كان ذلك الزلزال في تشظي التحالفات، بالرغم من مداواة جبهة الصمود والقمة العربية في بغداد، شوارع مفتوحة من الجرح غذاها العدو وتحالفاته المحلية، بنى عليها سلسلة من الحلقات تَوَّجَها بأول غارة جوية ولأول مرة على العاصمة بيروت في 17 تموز/ يوليو 1981، وبالتحديد على مركز الجبهة الديمقراطية[16] . وفي الموجة الثانية كانت شاملة في الغزو الشامل لتراب لبنان الطاهر والباسل ودخول بيروت البطلة واحتلال أول عاصمة عربية ووقوع مذبحة صبرا وشاتيلا.

واستطرد حواتمة، وكأنه أحب أن يكتفي بما قاله في تلك اللحظة:

■■ الآية الكريمة تقول: ﴿وليس للإنسان إلاّ ماسعى﴾. فالكثير من مصائبنا تمت على دواخل أيدينا نحن العرب، لأن نداءات الاصطفاف المشترك ضد العدو المشترك، وعلى قاعدة التمييز بين التعارض والتناقض لصالح الجبهة الأمامية والتناقض الرئيسي، لم تأخذ مجراها الناجح والفاعل في كثير من مسارات حركة التحرر الوطنية على امتداد مشرقنا وبؤرة توتره المركزية (قضية فلسطين)!

وأضاف حواتمة:

■■ لقد قرع أرنست هيمنغواي، ومنذ الحرب الأهلية الاسبانية أجراس ندائه الكبير، في روايته التي خلدت تلك الحرب: لمن تقرع الأجراس. والأمل يحدوه أن لاتنفتح ملفات حروب أهلية أخرى، وكذا فعل بيكاسو عندما رسم لوحته الشهيرة (غرنيكا).

وحروبنا الأهلية، في جوانب منها، تنتمي إلى حضارتنا الثأرية البدوية في ضمير الشعوب[17] ولقد تم تخليدها في سبيل الدفع لتجاوزها.

---

(16) غارة الفاكهاني 17/ 1/ 1981، استهدفت بشكل رئيسي المقر الإداري للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في حي الفاكهاني - بناية رحمة، كما استهدفت بعض المقرات الفلسطينية الأخرى، في هذه الغارة التي وقعت صباح اليوم المذكور (الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق)، قصفت طائرات الكفير والفانتوم الاسرائيلية، مقر الجبهة المكون من ثماني طبقات مما أدى إلى انهيار المبنى بشكل كامل وتصدع عشرات الأبنية المجاورة واستشهاد العشرات من السكان المدنيين ومن عناصر وكوادر الجبهة الديمقراطية، حيث بلغت حصيلة الشهداء (180) شهيداً منهم (32) كادراً من الجبهة الديمقراطية، ومن الشهداء:

- الشهيد الرائد عبد الحميد أبو سرور معتمد الجبهة الديمقراطية في سورية (مخيم عائدة - بيت لحم).
- الشهيد النقيب ساسي محمد صالح (حياب التونسي) وهو المرافق الشخصي لحواتمة منذ العام 1969.
- الشهيد النقيب أمين عبد السلام، المرافق الشخصي لحواتمة، من طيرة حيفا وسكان مخيم إربد بالأردن.

* المصدر: صحف بيروت 18/ 7/ 1981، إضافة إلى إحصاءات مؤسسة أسر شهداء ومجاهدي فلسطين - بيروت 1981 ووثائق الجبهة الديمقراطية.

* ويذكر أن المقر الإداري للجبهة الديمقراطية كان قد استهدف بهجوم اسرائيلي آخر خلال الاعتداء على بيروت واغتيال الشهداء كمال ناصر، كمال عدوان، محمد النجار في 10/ 4/ 1973، حيث هوجم مقر الجبهة من قبل وحدات اسرائيلية. وتم صد الهجوم وإيقاع الخسائر في القوة المهاجمة. واستشهد خمسة مناضلين من أعضاء الجبهة الديمقراطية. وبعد ذلك بسنوات علم أن من بين من أدار الهجوم على محوري الفردان والفاكهاني أمنون شاحاك رئيس الأركان الاسرائيلي الحالي.

(17) الشاعر يخاطب القبيلة العربية المجاورة لقبيلته راصداً هذا التكوين بالصيحة المدوية:⇐

وعلى مبدعينا، في اللوحة والقصيدة والرواية تغطية سمائنا بحاجز كثيف، من الأعمال الفنية، كي لاتتكرر الحروب الأهلية فيها.

أقول هذا ليس فقط عن البؤرة المركزية المتوترة وماحولها بل أتذكر، وكلنا يتذكر خسائر كارثة الحرب الأهلية اليمنية[18] عندما رفضت القوى القديمة احترام الطبقات الناهضة الوطنية الحديثة واستعانت بالخارجي في الحرب الأهلية بهدف تعطيل ثورة 26 سبتمبر/ و 14 أكتوبر اليمنية، فكلفت نصف مليون من البشر، واستنزفت جيش مصر، وشكلت التهديدات التي فتحت الباب عريضاً لما حققه عدونا بعدوان حزيران/ يونيو 1967.

■ وكيف تفسر طبيعة الحرب الأهلية اللبنانية. أتكون حرباً طبقية في سنتي الصراع، أم أنها الطائفية دوماً، وهي تصبغ حروبنا الأهلية؟!

بدا و كأن نايف حواتمة كان يتوقع هذا السؤال، لأنه هز رأسه، ثم أجاب قائلاً:

■■ في كل حرب أهلية مجموعة من العناصر المتداخلة، بينها عنصر رئيسي جذوره ومساحاته نابعة من المسار التاريخي الذي تشتعل فيه هذه الحرب!

ويؤشر عنف واتساع الحرب الأهلية اللبنانية على عاملها الرئيسي التاريخي في لبنان. حيث كانت الحروب الأهلية التي سبقتها تستند إلى عوامل داخلية، في غالبها: الطائفية! وحتى عندما تنشب هذه الحرب بأفق طبقي، فسرعان مايجري تطويقها وإلباسها لبوس الطائفية.

لقد كانت انتفاضة الفلاحين الموارنة، التي تزعمها الفلاح الفقير مطانيوس شاهين، انتفاضة طبقية ضد الإقطاع الدرزي في جبل لبنان. ولكن سرعان ماتمكنت القوى الطائفية، في صف كل من الموارنة والدروز، من تحويلها إلى حرب طائفية درزية مارونية، امتدت على مدار عشرين عاماً (1840 – 1860).

وفي الحالة المعاصرة نتذكر حرب 1958 التي قامت على قاعدة مواجهة القوى الوطنية بكل تلاوينها الطائفية المعادية لحلف الناتو ومشروع ايزنهاور. ومع الحرب سرعان ما اكتسبت تلاوين طائفية فعلى متراس كميل شمعون كان هناك: الكتائب والحزب القومي الاجتماعي، بمعنى آخر أخذت صفة مارونية. بينما على الضفة الوطنية أخذت صفة سنية – شيعية – درزية.

والحرب الأهلية الأخيرة (1975 – 1976)، والتي امتدت أيضاً عشرين عاماً، كانت جذورها أيضاً كامنة في المجتمع اللبناني، وحول خيارات هذا المجتمع: المحلية الوطنية والاقليمية.

كان إصرار القوى الإقطاعية السياسية، وحتى القوى الفتية من أبناء الطبقة الوسطى، مثل حزب الكتائب، إصراراً ثابتاً على الهيمنة الطائفية المارونية. في حين قاتلت الطوائف الأخرى

⇐ ونحـــن أنـــاس لاتوســـط بيننــا

لنــا الصــدر دون العــالمين أو القــبر

(18) كان هناك رغبة، لم نتمكن من تحقيقها، في أن نفرد فصلاً كاملاً للحديث عن الحرب الأهلية في اليمن، وقلنا لنايف حواتمة إن هذا الكتاب سيعتبر تتمة لكتابه الشهير (أزمة الثورة في الجنوب اليمني - تحليل ونقد) ـ دار الطليعة - بيروت 1967، ووافق حواتمة على ذلك إلا أن سعة الحوار الذي تم في الجوانب الأخرى دفعنا لتأجيل الفكرة.

تاريخياً من أجل إعادة صياغة المجتمع اللبناني على قاعدة المساواة بين مواطن ومواطن، دون امتيازات ذات جذور طائفية تاريخية.

إن جذور الحرب الأهلية اللبنانية وأصولها وقاعدتها وتربتها الخصبة هي لبنانية ـ لبنانية. دخلت فيها عوامل إقليمية ودولية. وفي العوامل الإقليمية كانت هناك تلوينة متناقضة ومتعارضة منها ماهو مرئي فوق السطح، ومنها ماهو غير مرئي. منها ماهو نابع عن التناقض الرئيسي الإقليمي بين العرب وإسرائيل. ومنها ماهو نابع عن التعارضات بين المحاور الاقليمية العربية. وبالتأكيد الخارطة الدولية لم تكن محايدة أو بعيدة، فقد كان الحضور الأمريكي طاغياً على غيره من مواقع المساندة للجانب الآخر على المتراس[19].

■ المراقب لهذه الحرب يتبدى له، وكأن الطائفة في لبنان تتخندق بشكل إرادي أو غير إرادي في خندقين: وطني ولاوطني أتكون الصورة مشوشة أحياناً؟!

■■ مسألة حصر الصراع اللبناني – اللبناني في إطار حكم مطلق (على السكين) هي خطأ تاريخي متكرر ولّد تفعيلاً لأخطاء تراكمت ولاتزال تسحب نفسها.

لنعد إلى انتفاضة الفلاحين الفقراء الموارنة. إن هذه الانتفاضة تضع هؤلاء الفلاحين في الموقع الوطني والديمقراطي لإعادة صياغة المجتمع اللبناني من جديد، بينما في ذاك الوقت، استجابت الطائفة الدرزية للإقطاعيين وانخرطت في المذابح الطائفية تنشد بالقديم مضاداً للتقدم!

أما في الراهن، فعلينا أن نلحظ أن العديد من القاعدة والقيادات في الطوائف التي انخرطت على المتراس الآخر عام 1958 (أي مع شمعون)[20]. لم تنخرط من جديد في هذا الموقع، وإنما نقلت بنادقها إلى موقع يريد إعادة صياغة المجتمع اللبناني على قاعدة لاطائفية، وساندت الثورة الفلسطينية بأغلبيتها: الأرثوذكس – الكاثوليك، إطارات مارونية متقدمة أو متنورة ووقف الأرمن على الحياد. كما نلحظ أن أحزاباً بكاملها انتقلت إلى الخندق الوطني، كالحزب القومي الاجتماعي.

لهذا لايمكن حصر المسألة في معادلة: الطائفة الوطنية والطائفة اللاوطنية. الوضع متداخل، وحسن أو سوء إدارة الصراع تَوَقّفَ ويتوقف عليه الكثير!!

■ عندما زرت الأردن، وتعرفت على مخيمات الفلسطينيين، قالوا لي عن مخيم الوحدات: إن اسمه كان قبل أيلول 1970، جمهورية الوحدات!

وأنا عشت أيضاً في عام 1980 في الفاكهاني في بيروت، وكان يطلق على هذه المنطقة اسم: جمهورية الفاكهاني.

ماذا تقول عن جمهورية الفاكهاني؟!

---

(19) أعادنا نايف حواتمة إلى ثلاث مؤلفات لإعطاء المزيد من الضوء الكاشف على هذا الموضوع، وهي:

* حرب الموارنة في لبنان ـ جوزف أبو خليل.
* الحرب المضللة ـ إيهود يعاري ـ زئيف شيف.
* حرب الألف عام ـ جوناثان راندل ـ الصحفي الأمريكي الذي غطى بكفاءة أخبار الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية.

(20) مثلاً الحزب القومي الاجتماعي – الذي كان له موقف واضح إلى جانب شمعون عام 1958. أما في العام 1975 فكان له دور بارز في القوات المشتركة.

ارتسمت الابتسامة على وجهه، وهو ينصت إلى إضاءات زمن مضى يسحبُ فعله حتى يومنا، ولكنه كان جاداً في صياغة جوابه الذي قال فيه:

■■ كلما اتسع دور وثقل الحركة الجماهيرية في أي بلد من بلدان العالم، كلما اتسعت المساحة الاستقلالية في الممارسة النظيفة الوطنية والقومية والاجتماعية. وهذا يبرز في حالة النهوض الوطني أينما كانت... والتوصيف عن (جمهورية الوحدات) يدخل من باب هذه المساحة الاستقلالية الوطنية وروح الحرية المحببة عند الناس، والتي تمثل جوعاً تاريخياً للحرية.. كذلك الحديث عن (جمهورية الفاكهاني). ولكن هنا، ينبغي أن نؤكد أن هذا لايأتي في الإطار الذي يتحدث عنه العدو الإسرائيلي والفريق الآخر من المتراس في الحرب الأهلية، أي أن (جمهورية الفاكهاني) كانت دولة داخل دولة. في هذه الحالة كان التوظيف خبيثاً لتعميق التعارضات والعداء والحرب الأهلية!!

لقد كانت (الفاكهاني)، الواقعة في مثلث مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة، تجمعاً لكتل بشرية فلسطينية ناهضة بالثورة والمقاومة، وتتمتع بدرجة من الإدارة الذاتية والدفاع عن النفس. ومُزنّرة برعاية الجماهير الوطنية اللبنانية وحركتها المتحالفة مع الثورة الفلسطينية.

■ ولكن الفاكهاني كانت أشبه بـ (اليوتوبيا) إذا صح التعبير فيها فسحة للتناقضات والفوضى... فسحة للحرية.. كنت تجد فيها كل القوى المتناقضة... كل القوى المعارضة العربية يميناً ويساراً.

■■ اليوتوبيا حلم نبيل. ولذا نادى بها الأنبياء والرسل والصحابة والرواد في إنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض!

حبذا لو كانت الفاكهاني في مشروع اليوتوبيا!!

وصمت حوالمة لحظة، ثم أضاف، وكأنه يسترجع واقعية جوابه:

■■ كان عالم الفاكهاني، عالم نهوض المخيمات، عالماً محكوماً بالأشياء وقوتها وقوة نقيضها. قوة المشروع الوطني والقومي ونقيضه، كما هو الحال في المناطق الوطنية اللبنانية، لأن قوة المشروع الوطني اللبناني نحو لبنان موحد وحر وسيد ومستقل يعيش همومه الوطنية والقومية، في واقع يتحد عليه الجميع ضد العدو التوسعي الاسرائيلي... لأن كل هذا يعيش مرحلة متناقضة بين التحرر وعكسه. ولذلك كان يعجّ بالضرورة بكل ألوان الطيف: عناصره الفاعلة، وإشكالاته الكبرى المتعاكسة مع المشروع الوطني.

فقاطعته، وقد أخذني السؤال بعيداً:

■ وأنت تسميه الحلم، كيف كنت تقبل، مع غيرك من قادة المقاومة، بوجود مقراتكم داخل المناطق الآهلة بالسكان؟! بل إن الجبهة الديمقراطية قبلت بوجود ثلاثين عنصراً من عناصرها في مقر واحد تعرض فجأة لقصف إسرائيلي في تموز/ يوليو 1981!!

■■ كان مقرنا إدارياً، تماماً كما هو المقر الإداري المركزي المجاور له والتابع لحركة فتح ومقر عرفات، وبجواره مقر القيادة المركزية المشتركة اللبنانية – الفلسطينية. والعدو كان

يعتقد أن بإمكانه اصطياد العديد من قادة الجبهة في إطار الحياة الإدارية في بناء اسمه (بناية رحمة)، وهو اسم يدل فعلاً عليه، أي أنه بعيد عن أي جمهرة عسكرية. وكان الشهداء الذين سقطوا فيه من العناصر المدنية والإدارية... ومن السكان العاديين في المجمع السكني المذكور.

■ هل فكرتم بعدها بالابتعاد عن المجمعات السكنية حتى ولو كانت مكاتبكم إدارية. فإسرائيل استهدفت المجمع بغض النظر عن طبيعته العسكرية أو غير العسكرية؟

■■ دائماً تستمد المقاومة الجماهيرية والحروب الفدائية والأنصار والعصابات، ثقلها وقدرتها الكبرى في تواجدها في صف الجماهير. كما أن العلاقة بين المقاومة والجماهير تشبه العلاقة بين البحر والسمك الذي إذا أخرجته منه مات...

هكذا المقاومة الجماهيرية في تجربتنا وتجارب كل حركات التحرر والثورة الفلسطينية الديمقراطية... فنحن لسنا جيوشاً منظمة: دبابة تقارع دبابة... أو طائرة مقابل طائرة...

إن المقاومة هي فعل جماهيري وسياسي واجتماعي ومسلح مترابط الحلقات، ولايمكن الفصل بين التجمعات الشعبية والمجموعات المسلحة في الشعب، فهو بحرها الذي تختفي فيه وتعيش... من المخيمات وجنوب لبنان إلى فلسطين المحتلة وصولاً إلى الجزائر، جنوب افريقيا، فيتنام.

* * *

قلت لنايف حواتمة:

■ كلما أعود إلى ذاكرتي، أشعر أن المقاومة الفلسطينية في لبنان وقعت في حالة استرخاء بالمقارنة مع حالتها في الأردن!

فقال حواتمة باستغراب:

■■ هذا الشعور غريب!

وأضاف قائلاً:

■■ وقائع الحياة تشير إلى تطورها في البنية التحتية للمقاومة، وفي هياكلها العسكرية. وهذا أعطى نقلات نوعية كبرى تمثلت بحالة الاشتباكات الكثيفة الموصولة مع قوات العدو تجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة وبالدفاع عن المخيمات والجنوب اللبناني.

لقد دخل العدو في حالة استنزاف مادي ومعنوي وسياسي وأخلاقي لم تتوقف، فحاول قطع الطريق عليها باحتلال جنوب لبنان عام 1978[21] بطموح تشكيل حزام أمني يعتمد على المزاوجة بين قوات الاحتلال والقوات اللبنانية المتعاونة معه متمثلة بقوات سعد حداد، ثم جيش أنطوان لحد، وفي العمق اللبناني مع القوات اللبنانية والقوات الأخرى التي كانت على جبهة الصراع.

جرب العدو كل الوسائل العسكرية الدامية وعلى مدى ثلاثين عاماً لتركيع المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية وفرض حالة من الاستسلام لقانونه بإدامة الاحتلال دون مقاومة، ولكن كل هذه المحاولات انتهت إلى الفشل.

---

(21) احتلال أجزاء واسعة في الجنوب اللبناني وخلق (دويلة) سعد حداد تم تحت اسم عملية الليطاني التي قام بها جيش الاحتلال إثر عملية الشهيدة دلال المغربي على شواطىء فلسطين في 11/ 3/ 1978.

بالإضافة إلى ذلك أحدثت المقاومة نقلة نوعية في عملياتها في السبعينات تمثلت بالعمليات الاستشهادية داخل الدولة العبرية والأراضي الفلسطينية المحتلة. ومن أبرز هذه العمليات: ترشيحا ـ معالوت، الخالصة، طبريا، عين زيف، بيسان، تل أبيب، القدس، نهاريا[22].

وبهذا أسست المقاومة للعمليات النوعية ضد قوات الاحتلال والبنية التحتية لهذه القوات.

كذلك حاولت المقاومة الفلسطينية التعويض عما فقدته الشعوب العربية على جبهة المجابهة الأمامية برحيل عبد الناصر وانقلاب مصر على نفسها وانفتاح البرجوازية المصرية الجديدة المتداخلة مع بيروقراطية الدولة القديمة والمتبرجزة على الدولة العبرية والاستعمار الجديد، دون الوصول إلى السلام الشامل المتوازن، سلام الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة.

هذا كله هو الذي مكن من مقاومة الغزو الشامل عام 1982 بطيف واسع وإدامة المقاومة حتى بعد رحيل قوى المقاومة المنظمة من مخيمات بيروت بعد الحصار.

وتمهل حواتمة برهة، قبل أن يتابع إجابته، ثم أردف:

■■ أما إذا كنتم تقصدون أشكال الترهل ونشوء ظواهر التضخم في الجيوش البيروقراطية المتفرغة فضلاً عن الأخطاء في التحالفات وفي كيفية حل التعارضات... فإن هذه الظواهر المرضية أصابت فصائل المقاومة بلا استثناء، ولكن بدرجات متفاوتة في الكم والنوع، وعطلت الكثير من طاقاتها بدلاً من أن تتجه كل البنادق والإمكانيات لحل التناقض الرئيسي على جبهة المقاومة الأمامية. وتفشت مفاعيل هذه الظواهر المرضية الخطرة بعد غزو 82 والشتات الجديد في عديد الأقطار العربية، ويحصد شعبنا الآن في الأرض المحتلة سموم هذه الأمراض مع سلطة وبيروقراطية الحكم الذاتي.

لقد وجدت المقاومة نفسها تخوض الصراع على ثلاث جبهات: الجبهة الأمامية مع العدو – الجبهة الداخلية الأكثر نزفاً وحماقات في صراعاتها الداخلية والانزلاق في الحرب الأهلية – والجبهة الثالثة هي الأمراض الاجتماعية والتنظيمية والسياسية الناجمة عن تضخم الجيوش البيروقراطية والأخطاء السياسية والتكتيكية التي وقعت بها حركة المقاومة الفلسطينية.

قلت لنايف حواتمة:

■ بالفعل، فأنت أجبت في جانب من كلامك عما أريد، ولكني كنت سأسألك عن المقارنة النسبية بين العمليات التي نفذت في الأردن بين عامي 1967 و 1970 والعمليات التي نفذت في الجنوب اللبناني بين عامي 1975 و 1982.

رسم نايف حواتمة قوس قزح بلون واحد على ورقة كانت أمامه، ثم ظلله بهدوء، وقال، وهو يتأمله بإمعان:

■■ كان حجم العمليات من حيث الكم والنوع التي نفذت في الجنوب اللبناني أوسع وأنضج من تلك التي نفذت في أغوار الأردن.

---

(22) سلسلة من العمليات العسكرية الفدائية الناجحة التي نفذها فدائيو الجبهة الديمقراطية والفصائل الفلسطينية الأخرى فتح، الجبهة الشعبية – القيادة العامة.

كانت المقاومة الفلسطينية في أغوار الأردن في بداياتها، سواء خبرتها أو تجربتها. وكان هناك الكثير من المبالغة الدعاوية والاعلامية إذا استثنينا معركة الكرامة التي هي نتاج فعل متحد بين المقاومة الفلسطينية والجيش الأردني وقعت في آذار 1968 في مواجهة قوات العدو التي تقدمت وقطعت نهر الأردن بدباباتها في محاولة لتصفية قواعد المقاومة في منطقة الكرامة. فاصطدمت بمقاومة كبيرة ووقعت في صفوفها خسائر كبيرة مما اضطرها إلى العودة من حيث أتت[23] . وكانت معركة الكرامة النقطة المضيئة الأولى في الدفاع الوطني والقومي المقاوم وعلى قاعدة الوحدة ضد التناقض الرئيسي بعد هزيمة حزيران/ يونيو 67 تبعها الكثير الكثير.

■ في الحرب الأهلية اللبنانية جرت عمليات سطو على الأسواق، وقد اتهمت المقاومة الفلسطينية بذلك. وأيضاً فإننا سمعنا عن مذابح ارتكبت في قرى لبنانية جنوبية على يد الفلسطينيين.

■■ دائماً في الحروب الأهلية يختلط الخير بالشر، الحُسْنُ بالقبح، الوفاء بالجريمة، وهكذا... ولذلك وصفت الحروب الأهلية بأنها أبشع وأقذر أنواع الحروب.

ونحن ندعو مع الإمام علي بن أبي طالب: اللهم افضح حتى يستبين الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب! عملاً بالآية الكريمة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾!

وفي كل الحروب الأهلية، وحروب الجيوش النظامية أيضاً تقع مثل هذه الظواهر، ولكن تضيق أو تتسع بمقدار صرامة الروح النقدية والمحاسبة المسؤولة، فعلى يد إرهاب الدول المنظم، وقع تدمير درسدن في ألمانيا بدون مبرر وبعد استسلام القادة النازيين. وذهبت أمريكا لتجريب القنابل الذرية في هيروشيما وناغازاكي بعد استسلام اليابان.

ومن النماذج الطازجة، ماجرى في يوغسلافيا، وتحديداً بين الصرب والكروات والبوسنيين... ولقد تم الكشف قبل أيام عن جريمة تحطيم جماجم عناصر فلسطينيين من قبل قادة الشاباك[24] وبالإمكان العودة إلى اعتراف الكولونيل الإسرائيلي (أهود ياتوم) الذي حطم بالحجارة جمجمتي الفلسطينيين اللذين بقيا أحياء.. وقد اعترف أنه نفذ هذه العملية بدم بارد وتلذذ يذكرنا بكل العقد الفاشية!!

■ أنت تستشهد بدعوة علي بن أبي طالب، ولاتعمل بها. ولذلك أطلب منك أن تفضح أنت أيضاً!!

■■ الفوضى كانت شبه شاملة والانفلات كان في القاعدة واسعاً... في قواعد كل الذين انخرطوا في الحرب كان هناك انفلات أثناء الحرب.

---

(23) بالمناسبة كان نتنياهو من بين المعتدين وبرتبة ضابط صغير. وفي قمة واشنطن التي جمعته مع عرفات والملك حسين 1996/10/1 تباهى بذلك مع عرفات وسأله أين كنت وقتذاك، وأضاف بصلافة: أنه دقق مع أجهزته فأكدت له أن عرفات كان بعيداً عن ميدان المعركة.

(24) نشرت صحيفة معاريف والصحف العبرية الأخرى يوم 31/ 7/ 1996 وقائع هذا الحادث.

وأيضاً يوجد تفاوت في البنيــة السياسـية والطبقيـة والاجتماعيـة والأخلاقيـة. وكـان ذلـك، أقصد الفوضى، على جانبي المتراس، ولقد كتب الكثير عن هذا، وكله يؤشر إلى أنه لايوجد قوة منظمة أو فريق بعينه قام بذلك، وإنما مجموعات من هذه الحالة القاعدية الواسعة!

جمعنا أوراقنا نتأهب للخروج. لكن نايف حواتمة سألني بشفافية:

■■ **أيجري كل شيء كما هو مطلوب؟!**

فقلت له:

■ نعم!

وسألته قبل أن أودعه:

■ وأين سنلتقي في الجلسة القادمة؟

هز برأسه، وهو يلتفت إلى علي بدوان، ويحدثه عن المكان الأفضل للجلسـة القادمـة، ثـم حـدد المكان والزمان، ومد يده لمصافحتنا قبل أن نخرج من غرفته، فصافحناه، وغادرنا المكان متعبين!

الفصل السابع

الاجتيـــــــاح!

■ الاجتياح !

عندما دخلنا المكتبة الثقافية الفلسطينية، في مخيم اليرموك بدمشق لأول مرة، لم أتوقع أن يكون مشروع المكتبة جدياً على هذا النحو. فنايف حوائمة طلب تغيير مكان الحوار إلى المكتبة، على أساس أنها أوسع، وأكثر برودة من المكتب المركزي الذي كنا فيه..

وعلى الفور، عادت بي الذاكرة إلى الوراء... راحت إلى بيروت عام 1980، عندما عشت هناك، بين مقاتلي ومثقفي تلك العاصمة الخالدة، التي أنشأ الفلسطينيون فيها جمهوريتهم الثانية: (جمهورية الفاكهاني)!

(لم يكن في الفاكهاني مكتبة!).

هكذا قلت في نفسي، وأنا أستعيد صور حارات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة.

تراءت لي بيوت هذه المخيمات، وهي تتعمشق، بعضها على البعض، بحب وائتلاف مذهلين. وقلت بصوت، ربما لم يَصِلْ إلى مسامع نايف حوائمة، الذي كان يتحدث مع أمينة المكتبة المحامية سحر الحسن:

■ـ لم يكن في الفاكهاني ولا المخيمات مكتبة عامة!

وأنهى حوائمة كلامه مع سحر، وناداني قائلاً:

■■ تعال لتتعرف إلى أمينة المكتبة!

ودون أن ينتظر انتهاء حديث التعارف القصير، بدأ حديثه وهو يتجه إلى الطاولة المخصصة للجلوس حولها:

■■ إنها مكتبة عامة للمخيم... وبإمكان كل شخص أن يرتادها ويقرأ من كتبها[1]...

وأضاف بسعادة غامرة:

---

(1) مكتبة عامة، تعمل وفق نظام الاشتراك شبه المجاني، وتقع في قلب مخيم اليرموك، أكبر التجمعات الفلسطينية في سورية. افتتحت منتصف نيسان 1996 برعاية حواتمة وحضور جمهور واسع من المثقفين والكتاب والباحثين والصحفيين والمهتمين، وتحتوي المكتبة على أقسام عديدة، وتشمل كل مجالات المعرفة والثقافة والدوريات والكتب.

■■ **لقد افتتحتها الجبهة قبل أكثر من شهر!**

و لم ينتبه إلى خواطري حول بيروت.

فقلت له، وقد بدأت تسجيل الحوار:

■ لقد أخذتني هذه المكتبة إلى بيروت!

لقد عشت في بيروت قرابة السنة، وهناك لم أر مكتبة عامة مثل هذه! شاهدت بأم عيني أشياء غريبة طوال تلك الفترة...

إن المقاومة الفلسطينية أقامت السجون في كل مكان تواجدت فيه. والغريب إن أغلبية قادة المقاومة تعرضوا للسجن في حياتهم السياسية. وفي السجن يخطر للسجين أو المعتقل مكتبة كبيرة ما ليقرأها... فكيف يفكر هؤلاء القادة بإنشاء السجون قبل إقامة الدولة الخاصة بهم على أرضهم؟!

وأنت هل ستسعى لإقامة السجن يوماً ما إذا أصبحت مسؤولاً في دولة فلسطين، أم أنك ستلغيه؟!

ربما يكون سؤالي غريباً!

من هنا أود الدخول إلى الاجتياح!

لم يتفاعل حواتمة جدياً مع رومانسية السؤال، لذلك نظر إلى آلة التسجيل، التي تدور أمامه مطولاً، ثم قال:

■■ **أنت محق! لكن المرئي لنا، في صفوف الحركات الوطنية هو الاتجاهات الطبقية، التي لها مصالح في قمة الهرم الاجتماعي المادي والاقتصادي والمعنوي، والمؤهلة لإعادة انتاج القمع بآلياته!.. لقد حصل هذا في فصائل وقوى عديدة في العالم الثالث، ومنها: فصائل الثورة الفلسطينية!!**

وأيضاً مرئي لنا، أن الفصائل والحركات ذات الأفق الايديولوجي، التي تضع نفسها نظرياً وبالممارسة، في خدمة أغلبية الشعب لطي مرحلة العذابات والآلام نحو حياة جديدة، لايمكن لهذه الفصائل، ومهما كان الموقع الذي تصل إليه، أن تعيد إنتاج القمع بآلياته.

المسألة يجب أن تؤخذ بمنظارها الملموس: الطبقي والفكري والاجتماعي، المادي والمعنوي... وأعتقد أنه يجب التمييز بين من يخوضون غمار الثورة والصراع... بين ثوريين وبورجوازيين أو أبناء طبقة وسطى، لم يمتلكوا الحصانة الثورية الطبقية والإيديولوجية المنحازة إلى قضايا الشعب والأوطان.

الثوريون، وهذه عملية يجب أن تخضع دائماً للرقابة والكشف أمام الجميع، هم المنحازون لقضايا الوطن وأغلبية الشعب الساحقة.. لامصالح خاصة... لامصالح طبقية على أكتاف البشر!

وأضاف حواتمة بعد أن توقف لحظة عن الكلام:

■■ **هذا النمط من البشر، وأقصد الثوريين، ذوو رسالة يواصلون بها ما شقّه الرواد الأوائل، من الأنبياء والقديسين والصحابة، من دروب... ولكن بظروف معاصرة، تطرح قضايا معاصرة، وتتطلب حلولاً معاصرة متطلعة إلى بناء أوطان حرة سيدة، وعلاقات بين الحاكم**

والمحكوم، مسقوفة بالديمقراطية التعددية وحقوق الإنسان وحرية الاختيار، والتداول السلمي على السلطة..

فقلت له:

■ ولكن واقعياً... أريد أن أسألك: هل بنت الجبهة الديمقراطية سجناً في بيروت ماقبل الاجتياح؟!

ضحك حواتمة وقال ببساطة وثقة:

■■ لا!

قلت له:

■ ربما كان بناء السجن ونسيان المكتبات العامة نوعاً من التربة التي هيأت للاجتياح الكبير!

فأجاب:

■■ المسألة أعقد بكثير، فمكتبات فيتنام لم تحجز الاجتياح الأمريكي القادم من بعيد، كما مكتبات الثورة في الصين وكوريا لم تبنِ سوراً لسد اجتياح اليابان، وصولاً بمكتبات حزب المؤتمر الوطني الإفريقي التي طحش من بين ممراتها التمييز العنصري (الأرباتيد).

المكتبة غذاء العقل والروح تقدم الحكمة على السلاح، والمحزن أن الوعي المتفاوت لقوانين التاريخ في حق الشعوب بتقرير المصير والاختيار الحر لم يُفسح الدرب بعد ليكون الكتاب هو الفيصل في القضايا الوطنية والطبقية، في انتاج العوالم الديمقراطية الجديدة الوطنية، الاقليمية، الدولية، وحجم ليس بالمحدود من قوانين الغاب يسحب نفسه من العصور الوسطى حتى يومنا... ألم يقل الشاعر العباسي أبو تمام منذ ألف عام (السيف أصدق أنباء من الكتب).

سيف التوسعية الاسرائيلية الصهيونية قفز ومازال فوق سور مكتبة التاريخ والشرعية الدولية. ومن هنا تدفق اجتياح بيغن – شارون – إيتان، كما تدفق بالأمس اجتياح جنكيزخان وباتت مكتبة بغداد طعاماً للجرذان ولسفاكي دماء الأطفال.

أكيد أن غياب المكتبة العامة واحدة من أخطائنا، وكثيرة الأخطاء التي وقعت بها فصائل م.ت.ف والقوى اللبنانية... ولكن هذه تنتج مناخات سلبية بين أبناء الصف الواحد، وأفدح بين جانبي المتراس، فيطغى التعارض الداخلي بين الفرقاء على التناقض الرئيسي مع الأعداء من خارج الحدود الوطنية.

■ قد تبدو الأرضية التي هيأت للاجتياح أكثر بعداً مما تصورت... فقد سقطت عاصمة عربية بيد الجيش الاسرائيلي. لذلك يبدو ضرورياً أن يستعيد نايف حواتمة تلك الأجواء لأنه معني بها، وكان في قلب الحدث!

فقال حواتمة:

■■ كان مسرح الغزو الشامل قد استكمل حلقاته، وبجانبه الخلل والدمار، الذي كان يحيط بنا. فمصر كانت مكبلة بقيود كامب ديفيد. والعراق ودول مجلس التعاون مشدودة بالكامل

إلى حرب الخليج الأولى، وكانت دول عربية أخرى منشدة إلى هذه الحرب... وهذه مسألة تطول (وكتابها لم يكتب بعد)!

في هذه الحالة، نجد أن المسرح قد خلا تماماً من الدول العربية والقوى المساندة للصامدين في وجه الغزو على الجبهة الأمامية أي الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية وسورية.

وفي الحلقة الأخيرة من حلقات مسرح الغزو الشامل، كان المتراس الآخر في لبنان قد اضحى جاهزاً لاستقبال العدو وفتح الممرات أمامه، ولكن تحت عناوين أخرى بدأت بتعميق الصراع مع الثورة الفلسطينية في المنطقة الشرقية من بيروت: تل الزعتر... الضبية.... جسر الباشا[2]. إلى تعميق الصراع مع الثورة الفلسطينية على نطاق لبنان، واستفحال الحرب بين القوات اللبنانية على جانبي المتراس، مروراً (بمذبحة زغرتا) (مذبحة المردة أو قتل طوني فرنجية وعائلته) وصولاً إلى (مذبحة الصفرا) التي عمل فيها سلاح القوات اللبنانية بإدارة بشير الجميل، وبالاتفاق مع الاسرئيليين لإبادة (نمور الأحرار) إبادة كاملة. وفعلاً وفي نهار واحد سقط أكثر من 500 مقاتل من نمور الأحرار، ليتم تنظيف بيروت الشرقية من أي قوة خارجة عن إرادة القوات اللبنانية برئاسة بشير الجميل[3].

وفوق هذا تم تجهيز حالة الاحتقان في جنوب لبنان إلى الأقصى بالحوادث التي افتعلها جهاز الأمن الموحد بزعامة (أبو عريضة)[4]، وخاصة ضد أبناء صيدا.

وقد اتخذت هذه الحوادث في البداية مظهراً طائفياً، عندما تم قتل عدد من الرهبان في أحد الأديرة في صيدا، فانفجر الوضع بوجه المقاومة الفلسطينية والفلسطينيين حتى عين الحلوة.

كان العدو ينتظر فرصة الغزو الشامل منذ 17 تموز/ يوليو 1981، عندما قامت طائراته الأربع والعشرين بقصف المركز الرئيسي للجبهة الديمقراطية وماحوله. وكانت مجزرة كبرى، قاس فيها العدو ردود الفعل على الأرض اللبنانية، وردود الفعل العربية، واستخلص تطوير خطته من توسيع الشريط الحدودي المحتل وسميت (عملية ليفا) في طبعتها الأولى إلى خطة الغزو الشامل، تحت عنوان: سلامة الجليل.

---

(2) إبادة المخيمات الثلاثة:

- جسر الباشا: حوصر وتم اقتحامه 14/ 1/ 1976.
- ضبيَّة: حوصر وتم اقتحامه 14/ 1/ 1976.
- تل الزعتر: حوصر 22/ 6/ 76 وحتى اقتلاعه 12/ 8/ 76.

* حرب لبنان الأهلية – دار المسيرة – بيروت– طبعة أولى، ص 178 – ص 194/ 1977، إعداد ليلى عيتاني.

(3) مذبحة /الصفرا و الاكوامارينا/، نفذها بشير الجميل عام 1981 ضد قوات الأحرار التي يقودها داني شمعون، وذهب ضحيتها أكثر من 500 عنصر من حزب الأحرار. وقبلها مذبحة زغرتا وقتل النائب طوني فرنجية (78/6/13) واعتبر بشير الجميل هذا الأمر طريقاً لتوحيد الصف المسيحي تحت اسم القوات اللبنانية.

* (وثائق الحرب الأهلية – 1981 – بيروت ص 191 – دون ذكر الدار).

(4) اتضح لاحقاً أن أبو عريضة، كان عميلاً للموساد وقد تم إعدامه على هذا الأساس بعد فترة من الاجتياح وانكفاء القوات الاسرائيلية الغازية عن مدينة صيدا.

- ويشار إلى أن الاشتباكات التي وقعت بين أبناء الصف الوطني الواحد في منطقة صيدا وفي قلب المدينة قبل فترة قصيرة من الاجتياح ولدت حالة اضراب شامل في صيدا ضد الفلسطينيين ومحاصرة مخيم عين الحلوة.

كانت عملية (ليفا) بعمق 45 كيلو متراً، بحجة إبعاد صواريخ الكاتيوشا عن مرمى الجليل. ولكن وعندما قاس ردّات الفعل في تموز 1981 طوّر هذه الخطة إلى (سلامة الجليل) والغزو الشامل حتى دخول بيروت.

وقد طمحت اسرائيل من هذا الغزو إلى فرض حل انهزامي، يضمن أمناً شاملاً لاسرائيل على امتداد أربعين عاماً قادمة، كما كان يتصور بيغن عندما أطلق خطابه الشهير الذي يقول فيه: (إن اسرائيل كسبت أربعين عاماً من الأمن الشامل مع لبنان). ومعلناً في نفس الوقت أنه (لولا اتفاقات كامب ديفيد لم يكن ممكناً غزو لبنان)!

وضحك حواتمة، وهو يردد أن مناحيم بيغن مات مكتئباً بعد فشل تصوراته تلك... فقلت له:

■ الواقع أن تهديدات بيغن سبقت الاجتياح، وأنت تذكر قصف الفاكهاني. ترى لماذا قصفت بيروت قبل الاجتياح، هل يتبدى لك فعلاً أنها ضربة لقياس ردات الفعل؟!

فقال حواتمة:

■■ نعم! ولاأخفيك، فبعد قصف الفاكهاني مباشرة التقيت بالرئيس السوري حافظ الأسد، وكان ذلك في إطار لقاءاتنا وحواراتنا المتواصلة. فسألني عن السبب الرئيسي لقصف العاصمة بيروت لأول مرة وعلى امتداد سنوات طويلة. وقال لي: هناك معلومات بأن وراء القصف اجتماع للجنة المركزية للجبهة الديمقراطية.... نفيت ذلك، وأكدت له أنه لم يكن مثل هذا الاجتماع مقرراً، وأبديت له وجهة نظري، بأن السبب الرئيسي هو جسّ نبض مجموع الحالة، على الجبهة الأمامية، وعلى الجبهة العربية، وحجم ردود الفعل الدولية على ذلك.

وأضاف حواتمة:

■■ وعندما ذهبت إلى الجزائر، وجدت أمامي نفس السؤال من الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، ثم وفي ليبيا سمعته من الأخ العقيد معمر القذافي!!! ومن قادة اليمن في صنعاء مع الرئيس علي عبد الله صالح وفي عدن من علي ناصر محمد.

■ كان حجم الغزو معروفاً قبل وقوعه!

■■ وصلتنا "خطة ليفا" من مصادرنا الخاصة، من داخل الدولة العبرية. وقد قمت بتمريرها إلى جريدة السفير على يد بلال الحسن، ونشرت في جريدة السفير اللبنانية في 16/ 1/ 1982 كما أذكر[5]. وعلى الجانب الآخر كانت قيادة فتح على علم من السادات ثم مبارك بعد رحيل السادات ومن المؤسسة اليهودية الأمريكية[6].

---

(5) نشرت تفاصيل الخطة العسكرية الاسرائيلية المذكورة في عدد السفير الصادر بتاريخ 16/ 1/ 1982، حيث ذكرت الصحيفة أن هناك استعدادت عسكرية اسرائيلية لشن عدوان واسع على لبنان يستهدف في وقت واحد الجنوب والقوات السورية المتواجدة والقوات المشتركة. وذكرت (السفير) أن العملية تحمل اسم (ليفا)، وتنفذ خلال الشهرين القادمين على الأغلب.

* المصدر: السفير 16/ 1/ 1982، يوميات الغزو الاسرائيلي 1982 – المركز العربي للمعلومات ص 13.

(6) يمكن العودة إلى كتاب محمد حسنين هيكل (الثالث) – المفاوضات السرية بين العرب اسرائيل – سلام الأوهام – أوسلو ماقبلها ومابعدها – إصدار دار الشروق – القاهرة 1996 – رسالة إلى عرفات: حيث يورد هيكل ص 106:⇐

وفي أيار/ مايو من ذلك العام، كنت في ليبيا، وكان هناك عدد كبير من قادة الثورة الفلسطينية: جورج حبش وصلاح خلف وأحمد جبريل وآخرون. وفي مهرجان جماهيري أقامته القيادة الليبية، قلت من على شرفة البرلمان السابق، وأمام القذافي وجلود ويونس: إن غزواً شاملاً قادماً على لبنان. وخطة هذا الغزو هي تدمير البنية التحتية للثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية وإرهاب سورية والدول العربية الأخرى.

ودعوت في خطابي من على تلك الشرفة إلى ضرورة التنسيق المبكر بين جميع القوى الموجودة على الجبهة الأمامية، وبين الدول العربية التي لديها استعداد للوقوف بوجه الغزو عندما ينفلت من عقاله.

■ لكنك لم تقل لي لماذا استهدفت اسرائيل من ضرب الفاكهاني قبل الاحتياح مقر الجبهة الديمقراطية!

■■ قال مناحيم بيغن نصاً: (لقد ضربنا الرأس المتصلب في منظمة التحرير الفلسطينية)!

قلت ملزحاً:

■ أهو على حق في ذلك!؟ أكان بيغن مخطئاً؟!

⇐ (أن الرئيس السادات استدعى ممثل م.ت.ف في القاهرة 2/ 81/2 وقال له: اسمع يا بني، الدنيا فيها حياة وموت، وأنا لاأعرف متى يجيء أجلي، ولكني أريد أن أعطيكم نصيحة أخيرة قبل أن يفوت الأوان، إنني أستطيع أن أرى الدماء تسيل في لبنان وسوف يخرجونكم منها مهما فعلتم وسوف تضطرون بعد الخروج إلى البحث عن حل سلمي في ظروف أسوأ... ابعث لـ «أبو عمار» وقل له: هناك غزو للبنان، إذا لم تلينوا أمام المطالب الاسرائيلية... بأن تجمعوا الأسلحة من المنظمات وتضعوها تحت إشراف قوات جيش التحرير الفلسطيني في لبنان، ثم تضعوا هذا الجيش نفسه تحت تصرف الجيش اللبناني لكي يمكن ضبط الأمن. ليس في مقدوركم أن تقاوموا ماهو مخطط لكم، سلموا السلاح الآن، لأن بقاءكم في لبنان مهم ومفيد للتسوية. وإذا فكرتم بالتسوية توجهوا إلى اليهود في أمريكا، واكتب هذا الاسم «ستيف كوهين» فهو مقرر لجنة اليهود الأمريكيين). (المصدر السابق ص 107).

ثم عاد وكرر: (أرسل لأبي عمار وقل له عن لبنان والدم الذي سوف يسيح، ثم قل له عن ستيف كوهين إذا اضطررتم له في يوم من الأيام). حيث كان السادات على علم ودراية بشكل أو بآخر بحقيقة التحضيرات الاسرائيلية لغزو لبنان.

• جوزف أبو خليل، أحد قادة حزب الكتائب في كتابه قصة الموارنة في لبنان - بيروت - 1990 - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ص 185، يورد (زيارة شارون إلى بيروت قبل أسابيع من الاحتياح ولقاءه مع كميل شمعون وبشير الجميل، وتأكيد شارون أمام الحاضرين اتفاقه مع الكسندر هيغ وزير الخارجية الأمريكية على ضرب م. ت. ف وإنهاء وجودها مع تعهد بانسحاب القوات الاسرائيلية بعد انتهاء العملية إلى الشريط الحدودي).

• أما ستيف كوهين، أبدى رغبة لمقابلة عرفات في بيروت ومعه أبو جهاد وابو إياد، حيث انتقل كوهين إلى بيروت (محمد حسنين هيكل - المصدر السابق - ص 129) بطائرة عسكرية مصرية، واجتمع مع عرفات وأبو جهاد (ربيع 82)، ووجه لهم سؤالاً يتعلق بمدى إمكانية الصمود في وجه الاحتياح القادم.

• رسالة مبارك لعرفات (المصدر السابق - ص 125) - في أول يونيو/ 82، حذر المنظمة وطلب من المخابرات العامة أن تنقل لبيروت إبلاغ رسالة أخيرة فحواها:

- حسب معلوماتنا فإن شارون سوف يدخل بقوة كبيرة إلى لبنان في ظرف أيام.
- أن شارون لن يتوقف عند عمق (40) كم داخل لبنان، وإنما سوف يكمل زحفه حتى بيروت.
- قد ترون أن تبطلوا دعاوى شارون وحججه وأن تقبلوا وضع الأسلحة الفلسطينية تحت رقابة مقبولة.
- نحن لانطلب منكم نزع سلاحكم، ولكن نطلب إغماده.

واضح أن الرسائل تطلب إلقاء السلاح ووقف المقاومة، وتحويل العرب إلى حرس حدود لإسرائيل مقابل لاشيء، بينما الاحتلال والاستيطان يتواصلان على الجبهات الثلاث مع تجاهل الحقوق الوطنية الفلسطينية والعربية.

فقال ضاحكاً:

■■ برأي، وبأمانة: لا ليس مخطئاً!!

وأوضح وجهة نظره قائلاً:

■■ لأن التصلب له علاقة بإدراك الحلقة الصحيحة في النضال، وفي كل مرحلة، وليس التصلب بمعناه الشعاراتي اللفظي، كان بيغن دقيقاً.

وفكر حواتمة قليلاً، وأضاف كأنه تذكر شيئاً:

■■ لقد قال ذلك عنا أيضاً أرئيل شارون، ووزير المواصلات في حينها مردخاي تسيبوري. قالوا: لقد ضرب الرأس المتصلب في المنظمة. والواقع أن الذي ذكرني الآن بتسيبوري هو أن قريبته أو ابنة عمه، التي هي زوجة جورج طوبي[7] شقيق المناضل الكبير توفيق طوبي عضو البرلمان الاسرائيلي. التقيتها مع زوجها في براغ، فقلت لها: من هذا وزير المواصلات الذي يقول عني هذا القول، فقالت: إنه عمي!!

قلت لنايف حواتمة:

■ الواقع إن كل مواطن لابد أن يسأل عن ضرب المقر المركزي للجبهة الديمقراطية. فأنا مثلاً أقول: إذا كانت الجبهة الديمقراطية هي منظمة عقلانية سياسياً، فمن المفترض أن تركز اسرائيل في تعاملها مع قوى من هذا النوع. وخاصة، وأنكم تلتقون أيضاً مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي/ راكاح... المفترض أن تضرب أحمد جبريل (مثلاً) أما أنتم، فمسألة أخرى.

اهتم نايف بهذا التعقيب، لكنه كان مستاءً من طريقة صياغته لذلك أجابني بحدة:

■■ هذه ليست المرة الأولى التي ضربت فيها اسرائيل المقر المركزي الإداري والسياسي للجبهة الديمقراطية.

في المرة الأولى، أي في 8 نيسان 1973، استهدفت بالإنزال البري والبحري محوري: الفاكهاني (مقرنا)، وفردان (اغتيال القادة: كمال ناصر، كمال عدوان، وأحمد يوسف النجار)[8].

لماذا حصل ذلك؟

لأن الجبهة الديمقراطية، باعتبارها واحدة من القوى الرئيسية الثلاث في منظمة التحرير الفلسطينية، رائدة نهج، وطني وقومي واقعي، يستخلص، عند كل مفصل في حياة الثورة والشعب وموازين القوى الإقليمية والدولية، البرامج والتكتيك والتحالفات العملية، التي تدفع إلى أمام في نهوض مجموع الثورة وائتلاف منظمة التحرير.

الجبهة الديمقراطية هي القوة التي كان لها شرف المبادرة في بلورة وطرح البرنامج الوطني المرحلي، برنامج تقرير المصير والدولة والعودة... وهذا يثير ذعر اليمين واليسار الصهيوني... اللذين يتقاطعان عند اللاءات الثلاث: لا لعودة القدس العربية... لا لحق تقرير المصير... لا

---

(7) جورج طوبي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح).

(8) وردت تفاصيل عنها في هوامش سابقة.

لعودة اللاجئين... وكلهم من بيغن حتى نتنياهو مروراً بشامير.. ومن غولدا مائير حتى رابين مروراً بيريس/ هم سادة اللاءات الثلاث.

البرنامج الوطني المرحلي، انتقل بمنظمة التحرير الائتلافية والحقوق الوطنية إلى حالة إقليمية ودولية شاملة (قرارات الرباط 1974، دخول الأمم المتحدة 1974) وقبل هذا تطور موقف الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية باتجاه البرنامج الوطني المرحلي. وبذلك أصبحت حقوقنا دولية من صيف 1973 حتى يومنا. وهذا الذي حشر التوسعية الاسرائيلية في الزاوية وترفضه حتى يومنا!

نحن رواد حركة التمرحل لإنجاز حقوق شعبنا الوطنية لأول مرة في تاريخ القضية الفلسطينية منذ بداية هذا القرن... دروس التاريخ، تاريخ شعبنا قبل النكبة الكبرى ومابعدها، دروس تجارب التحرير العربية وفي المقدمة تجربة صلاح الدين الأيوبي ضد غزو الفرنجة لمنطقتنا حتى تجربة الجزائر مروراً بفيتنام[9].

وهذا يرتبط بتوسيع النفوذ المتعاظم للاتجاه اليساري في الحركة الفلسطينية، ويكتمل هذا بقيامنا بالجمع بين وسائل النضال المسلحة والسياسية، الواقعية والجماهيرية المنظمة العريضة. لذلك فإن نظرة العدو الإسرائيلي كانت دائماً تنظر بالعين الحمراء على جبهتنا ومسارها ومناضليها[10].

وحول النقطة الأخرى، ليس دقيقاً ولاصحيحاً، الجمع بيننا وبين الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح)، وكأننا بخط متماثل أو حتى متواز، لأن هذا الحزب بقي بحدود الحلول التي كانت مطروحة قبل نهوض الثورة الفلسطينية وتحويلها إلى ظاهرة إقليمية ودولية. أي أنه بقي يرى بأن حل القضية هو في إطار القرارين 242 و 338، أي حصرها بحدود حل قضية اللاجئين. وهذا يتم على خلفية مشاركة أبرز قادته، في ذلك الوقت، ماير فلنر ـ ميكونيس بالتوقيع على وثيقة إقامة الدولة العبرية تحت عنوان: إعلان الاستقلال مساء يوم 14 أيار 1948، أي قبل يوم واحد من خروج بريطانيا الانتدابية من الأراضي الفلسطينية.

إن حزب راكاح بدأ يطور موقفه بشكل متأخر جداً، وبعد أن انتقلت القضية الفلسطينية إلى قضية اقليمية ودولية، وإن كان قد بقي حتى يومنا هذا متواضع النفوذ داخل الرأي العام

---

(9) الموسوعة الفلسطينية – المجلد الثاني – الطبعة الأولى – بيروت/ 1984، ص 12. حيث ورد النص: (امتازت الجبهة الديمقراطية في دعوتها في آب 1973 لتبني البرنامج المرحلي لحل القضية الفلسطينية تحت شعار العودة وتقرير المصير وإنشاء السلطة الوطنية المستقلة، الذي أصبح بعد حرب 1973 شعاراً عاماً لجميع فصائل حركة المقاومة الفلسطينية بمواجهة الرفض... وأصبح هذا البرنامج في حزيران 1974 برنامجاً وطنياً عاماً لـ م.ت.ف، ثم أصبح برنامجاً رسمياً عربياً عام 1974 "قمة الرباط"، ثم تبنته جميع فصائل الثورة الفلسطينية في الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني عام 1979، فأصبح بذلك البرنامج المرحلي لشعبنا وثورتنا و م.ت.ف).

(10) بنيامين نتنياهو: مكان بين الأمم، الأهلية للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – الطبعة العربية الثانية 1996، ص 235 يقول نتنياهو: (لدى تبني مشروع المراحل، تلاشت جميع الخلافات في الرأي حول الاستراتيجية بين المتطرفين والمعتدلين داخل منظمة التحرير). (ونايف حواتمة يقول: يجب أن يوجه النضال الفلسطيني حالياً نحو إقامة دولة في الضفة وغزة). وص 237 (لقد وحّد مشروع المراحل المعسكرات المتنازعة داخل منظمة التحرير بصورة لم يسبق لها مثيل). وص 238 (مشروع المراحل هدفه تفتيت دولة اسرائيل، مرحلة بعد مرحلة).

اليهودي الاسرائيلي بل تكاد عضوية اليهود الاسرائيليين لاتتجاوز مع الأسف العشرات في صفوفه، وحتى في القاعدة الانتخابية اليهودية لم يأخذ سوى عدة آلاف من أصواتها، وهو يفوز بمقاعده بالكتلة الانتخابية العربية!

■ في الوقت الذي قصفت فيه اسرائيل بيروت قبل الاجتياح كان وجود البرنامج المرحلي الفلسطيني الذي تبنته الديمقراطية يعني الكثير بالنسبة لاسرائيل... ولذا إذا كنت تذكر، فإنه لم يكن هناك أي فصيل يطرح برنامجاً انتقالياً... الجميع يقولون بـ (كامل التراب الوطني الفلسطيني)!!

فرد حواتمة قائلاً:

■■ حتى مدريد ومابعده... وإلى الآن، يتم إعادة انتاج سياسة شامير على يد حكومة نتنياهو.. والحكومات الاسرائيلية، العمالية الصهيونية واليمينية، واصلت سياسة قائمة على نفي الآخر، أي نفي حضور الشعب الفلسطيني، وحقه بالوجود المستقل على الأرض الفلسطينية.

على هذا الأساس، فإن الحكومات الاسرائيلية هي في موقع الضد من كل سياسة فلسطينية وطنية واقعية براغماتية متماسكة تستند إلى حق الشعب الفلسطيني في الوجود وتجسيد هذا الحق على الأرض الفلسطينية المحتلة. والحكومات الإسرائيلية كلها كان يهمها أن تتسلح بمواقف فلسطينية وعربية ذات طبيعة لفظية وطنية أو قومية عامة من نمط "إلقاء اليهود في البحر"، أو "كل فلسطين ومادون ذلك خيانة".

قلت لنايف حواتمة:

■ إذن كنتم تعرفون أن اسرائيل ستقوم باجتياح كبير للبنان لذلك السؤال الذي يفرض نفسه في هذه الحالة هو حول ردود أفعال الثورة الفلسطينية عندما بدأ الغزو.

هل أعطيت الأوامر بالانسحاب... أم بالصمود.. كيف تعاملتم عسكرياً مع هذا الغزو؟!

بدا السؤال بسيطاً لكنه يتطلب إجابة واسعة من رجل مثل نايف حواتمة يجيب على أي نقطة مهما كانت حساسيتها إذا تعلقت بالمواقف الوطنية... لذلك، طلب حواتمة لنا المزيد من القهوة المرة، ثم توارت نظراته في مكامن لم أتوقع اتجاهها... وقال بصوته الحاد الواثق:

■■ لم يكن الغزو مفاجأة كما قلت لك. وكان متوقعاً في كل لحظة. بل إن القيادة الفلسطينية وعديد من القيادات العربية على علم بذلك، وقد تباحثنا بما يردنا من معلومات متنوعة[(11)] .

وكانت الإنذارات قد بدأت تصل عبر المبعوث الأمريكي فيليب حبيب لعواصم عربية منذ شباط 1982. وتكررت في آذار ونيسان وأيار من نفس العام.

---

(11) كتاب محمد حسنين هيكل (مصدر ورد ذكره) ص 123 حين يذكر: أن قيادة المقاومة الفلسطينية في لبنان كانت تتلقى إشارات ورسائل من كل اتجاه عن طريق مصر، نصائح لكيفية التعامل مع اسرائيل. ومن الاشتراكية الدولية ومن كرايسكي بالتحديد. رسائل من مبعوثي م. ت. ف ومنهم عصام السرطاوي عن معلومات أبلغت إليه. رسائل من دبلوماسيين معتمدين يمثلون دولاً أوروبية. رسائل من بعض عناصر المكتب الثاني اللبناني تحض على الحذر. ثم رسائل عن طريق أساتذة جامعات (أكاديميين) يعملون داخل مؤسسات سياسية واستراتيجية تهتم بكتابة الأوراق بالظاهر، ولكنها في الواقع غارقة حتى الآذان في نقل المعلومات والتوجهات، وحتى الصياغات إلى هنا وهناك، ومن هناك إلى هنا.

وبعد أن اتضح أن الاجتياح سيتم بين خطة وأخرى، جئت إلى دمشق، وكان هذا قبل الاجتياح بأسبوعين، واستقبلني الرئيس حافظ الأسد، وتم بحث هذا الموضوع واحتمالات ماستقوم به اسرائيل. هل ستنفذ خطة (ليفا) بعمق 45 كم، أم أنها ستنفذ خطة (الصنوبرة الكبرى) التي ستندفع بها حتى بيروت ومحاصرتها. وكان وعد الرئيس الأسد بأن سورية لن تترك المقاومة الفلسطينية واللبنانية وحدهما وأنها ستنجدهما بالطاقة الممكنة. وفعلاً هذا مانقلته إلى القيادة الفلسطينية عند عودتي إلى بيروت، وأيضاً إلى المكتب السياسي في الجبهة الديمقراطية.

وعندما بدأ الاجتياح، وقعت الحيرة حول عمقه، مع أن الذي كان واضحاً هو أن هذا الاجتياح سيصل إلى مشارف بيروت. وذلك منذ تشكيل بيغن للوزارة الثانية وخروج دايان وفايتسمان. وبقاء الوزارة كلها بيد الصقور بل، وانتقل شارون من الزراعة إلى الدفاع.

إن وصول الاجتياح إلى بيروت أفصح عنه شارون لفيليب حبيب، وقد نقلته الإدارة الأمريكية إلى أكثر من عاصمة عربية، ومع ذلك بقيت الحيرة في النفوس.

فقد غلّب الجناح اليميني في منظمة التحرير الخطة الصغرى أي وصول الاجتياح حتى عمق 45 كم. وكانت الترتيبات على الأرض، في الجنوب اللبناني، مشتركة ومتناقضة في نفس الوقت.

مشتركة، بضرورة القتال خطاً دفاعياً بعد الآخر، ومحاولة عرقلة وتعطيل اندفاعة العدو أطول فترة ممكنة، وإلحاق أكبر خسائر ممكنة في صفوفه.

ومتناقضة، لأن فريقاً منا وضع خططه الخاصة بعيداً عن الآخر، والقائمة على أن الاجتياح وفق (الخطة الصغرى) ولذا لن يتم العمل بدقة وبروح جادة لكل خطوات التنسيق المشترك.

وقال حوائمة، و كأنه يعبر عن مفاجأته لأول مرة:

■■ وما أن بدأ الاجتياح، بساعاته وبيومه الثاني، حيث وضع العدو كل زخمه في كسر دفاعات القوات الفدائية في جنوب لبنان، حتى غادر قائد قوات الجنوب موقع قيادته!!

فسألته:

■ ما اسمه؟

فقال:

■■ العقيد الحاج اسماعيل جبر الذي أصبح الآن قائد قوات الشرطة الفلسطينية في عموم الضفة الفلسطينية.

وتابع حوائمة ما حصل قائلاً:

■■ أدت مغادرة الحاج اسماعيل لموقع قيادته إلى تفكك غرفة العمليات المشتركة. لقد كان رحيله مُعْلناً فاقعاً... ولذا اعتمد القتال على كفاءة وقدرة المواقع المحلية في خطوط الدفاع الأولى والثانية. وجرى قتال باسل شهير في قلعة الشقيف والنبطية ومواقع أخرى.

كان القتال يدور بين قوات نظامية هائلة برية وبحرية وجوية وبين مجموعات فدائية تواجهها بإصرار، وكانت خطة العدو تسعى لإخراج القوات السورية والقوى الوطنية اللبنانية من ساحة القتال، فأعلن أن (هجومه غير موجه ضد القوى اللبنانية وأنه سيترك سلاحها بيدها)، مستهدفاً من ذلك تحييد حركة أمل في الجنوب والقوات الوطنية اللبنانية في الشرق، بأمل أن يدخل الجنوب اللبناني والشوف ويشق طريقه على امتداد الخط الساحلي حتى حصار بيروت دون أن يواجهه أحد سوى الفلسطينيين!

كذلك أعلن العدو أن عملية (سلامة الجليل)، كما أسماها، لاتستهدف الوصول إلى خطوط التماس مع القوات السورية ولاالصدام معها.

وهكذا اصطدم الجيش الاسرئيلي، في الأيام الخمسة الأولى، وقبل إحكام حصاره على بيروت، وقبل الوصول إلى محاولة قطع طريق دمشق/ بيروت، بالقوات الفدائية وفقاً لقدراتها وكفاءاتها على الأرض، وقد فقدت التنسيق المشترك والقيادة الموحدة، بعد مغادرة الحاج اسماعيل إلى البقاع... وخلال ذلك كان الصدام الأكبر والأفعل على أرض المخيمات، وخاصة مخيم الرشيدية، ومخيمات الساحل حتى عين الحلوة، ولقد ظهرت بسالة المخيمات والمليشيا الموجودة فيها دفاعاً عن حق الحياة، حق البقاء، وظهر أطفال الآر بي جي الذين تصدوا للدبابات الاسرائيلية على مداخل مخيماتهم وهذا المشهد هو الذي دفع العميد ايلي غيباع (قائد لواء دبابات) إلى الاستقالة، فقد أرعب هؤلاء الأطفال ضميره...

إن القتال الجماعي الشامل بدأ بعد أن وصلت قوات العدو إلى مشارف بيروت وحاصرتها، ووصلت إلى الجبل وفي عمق الشوف، وبدأت تندفع باتجاه قطع طريق دمشق - بيروت وملامسة ظهر البيدر... وعندها أصبح واضحاً أن القوات الإسرائيلية تعمل بالخطة الكبرى (أورانيم - الصنوبرة) واستهدافاتها، التي كانت معلومة لمجلس الوزراء الاسرائيلي وواشنطن منذ البداية، التي أعطت الضوء لهذا المجلس، من خلال الجنرال الكسندر هيغ وزير الخارجية الأمريكي.

وقد أدى هذا لاحقاً إلى مشكلات داخل الإدارة الأمريكية بعد صمود بيروت، والاحتقان الحاصل في صفوف الشعوب العربية، وخشية من الانفجارات الشعبية، بفعل عملية صمود بيروت البطلة والتكاتف الواسع الذي فرض نفسه بين الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين، وكما السوريين أمام خطة الغزو الكبرى. وتحديداً بسالة كتائب القوات الخاصة، في الجبل، وقوات الجيش في معركة طريق ظهر البيدر ومعركة السلطان يعقوب الشجاعة، وكل هذا دفع بالإدارة الأمريكية إلى إقالة الكسندر هيغ والمجيء بجورج شولتز.

إنها ملحمة الصمود في بيروت وعند أسوارها الشجاعة، وبسالة القتال في الجبل وظهر البيدر والبقاع فرضت على واشنطن ترحيل هيغ المتواطىء مع شارون.

■ هذا يعني أن اسرائيل وجدت الطريق سهلاً أمامها فمضت إلى آخر الشوط!

■■ نحن قوات مقاومة تعتمد على حرب العصابات: الكر والفر والاقدام والتراجع والصمود حتى اللحظة الأخيرة الممكنة. ولاتستطيع حرب العصابات أن تخوض معارك نظامية أو شبه نظامية.

لقد كانت قوات العدو تملك التفوق الساحق: البري والبحري والجوي[12] . وفي هذه الحالة، تصبح قوات المقاومة تحت سيف الإبادة الشاملة. بينما تقوم خطتها على نظرية الدفاع، والضرب في العمق، والتراجع خشية الوقوع في فخ الإبادة الشاملة.

هذه نقطة، والنقطة الثانية أنه كان يمكن أن تكون دفاعاتنا في الخط الأول والثاني – أي قبل الوصول إلى الخط الثالث – لو تم العمل وفقاً للخطط المشتركة التي وضعناها في غرفة العمليات المشتركة. لكن هذا لم يتم بفعل التباينات في الحسابات بين جناح يقول بأن (العملية صغرى)، وعلينا أن ننجو بجلودنا ولانعرض قواتنا للإبادة. وبين جناح يقول إن (الخطة الكبرى) هي المعمول بها، رغم الإعلانات الاسرائيلية التضليلية.

لقد بدأ القتال الجماعي المتحد الباسل الشرس، وبأقصاه عندما حوصرت بيروت[13] ، وكانت القوات الاسرائيلية على طول الخط الساحلي ومثلث خلدة وعلى طول خط التماس في بيروت الشرقية، التي دخلتها هذه القوات فانهمرت عليها الزهور وحفنات الرز ضمن ترتيبات مسبقة بين بيغن وشارون وايتان وبيير الجميل وابنه بشير بالإضافة إلى كميل شمعون!

قاتلت جميع القوى في بيروت المحاصرة ببسالة مستندة إلى البطل الحقيقي عريض الأكتاف، الذي هو الشعب اللبناني وشعب المخيمات. وأيضاً كان القتال الجاري في الجبل والبقاع وعلى مشارف ضهر البيدر باسلاً على يد القوات السورية، بالإضافة إلى دور اللواء 85 السوري داخل بيروت.

وفي الجبل، قاتلت وحدات القوات الخاصة السورية، قتالاً مشهوداً أرخته لها الكتابات الاسرائيلية نفسها.

لقد دفعت القوات السورية ثمناً باهظاً يشرف الجميع، والأرقام تؤشر إلى خسائر نحو مئة طائرة، وتسعة عشر وحدة صواريخ أرض – جو، وثلاثمئة دبابة، وألف شاحنة وآلاف الشهداء!

■ كنتم في الحصار، وقواتكم العسكرية متواجدة بمواقع مختلفة داخل بيروت وفي جنوب لبنان، أين كان دورها؟ ولاحقاً في معارك الجبل؟

■■ قواتنا العسكرية كانت جزءاً من قوات الثورة والحركة الوطنية اللبنانية (القوات المشتركة)، وهي بانتشارها في جنوب لبنان غطت كل قطاعات المواجهة في القطاع الشرقي

---

(12) بدأ الغزو بقوة عسكرية اسرائيلية ضخمة قوامها أحد عشر لواء، إضافة إلى إسهام معظم سلاح الجو الاسرائيلي بعمليات القصف الجوي، ومساهمة البحرية الاسرائيلية. وبدأ الهجوم الاسرائيلي على ستة محاور في القطاعات الشرقي والأوسط والغربي، وتبعه عمليات إنزال في مناطق مختلفة. وسبق كل ذلك يومان من القصف الجوي ومن البوارج الحربية على امتداد الأرض اللبنانية كلها وخاصة قصف بيروت (المدينة الرياضية – الفاكهاني....).

(13) بدأ حصار بيروت الكامل يوم 12/ 6/ 1982. وانتهى بخروج آخر دفعة من المقاتلين يوم 1/ 9/ 1982.

والغربي والأوسط، كما في امتداد الشريط الساحلي من الرشيدية وحتى بيروت، مروراً بصيدا والناعمة والدامور، إضافة لمنطقة الشمال في طرابلس وساحلها.

الأوامر العسكرية كانت تقضي ببقاء وثبات قواتنا على رأس عملها وفي قيادة ميليشيا الجبهة داخل وفي محيط المخيمات في الجنوب، خاصة الرشيدية والبص والبرج الشمالي، وأبو الأسود والشبريحا، وعين الحلوة والميه ميه. وبقيت قواتنا على درجة عالية من الالتزام، وإن حدثت بعض الإشكاليات ومغادرة بعض المواقع، فإنها لم تكن بالدرجة التي تمت في فصائل وقوى أخرى.

وتم لاحقاً توجيه سهام المحاسبة واتخاذ الإجراءات القاسية بحق العديد ممن قصّر في دوره المطلوب. فكل خطوة تخضع لعملية فحص ومراجعة ذاتية نقدية.

وفي بيروت فالجسم العسكري للجبهة احتشد على خطوط التماس من الأوزاعي إلى السمرلند إلى المطار حتى خلدة والدوحة وحدود الدامور والناعمة ومناطق التماس الأخرى. وسقط العشرات من شهداء قادة وكوادر وأعضاء الجبهة في معركة التصدي لقوات الغزو، وهنا أحيلكم إلى كتاب (لبنان أمة) للصحفي البريطاني الشهير (روبرت فيسك) الذي تحدث عن دور قوات الجبهة الديمقراطية في الدفاع عن بيروت المحاصرة، وخاصة محور الأوزاعي – خلدة.

إضافة لذلك، فإن الجسم الآخر لقوات الجبهة احتشد في منطقة البقاع التي شهدت تصعيداً عسكرياً خلف الخطوط وأمام خطوط النار مع العدو. ولانبالغ عند القول أن قواعد ومواقع الجبهة الديمقراطية ضمت في صفوفها الآلاف المؤلفة من أبناء شعبنا الذين قدموا من مختلف بقاع الأرض ومخيمات الشتات في سوريا والأردن، ومن الجاليات الطلابية في أوروبا وآسيا تلبية لنداء التعبئة والدفاع عن الشعب ضد الغزاة، وسقط منهم العديد من الشهداء ومنهم من ترك لتوه مقاعد الدراسة في السنوات الأخيرة، وأبرزهم الشهيد نائل الشخشير، طالب الطب في السنة الأخيرة، من نابلس، واستشهد يوم 10/ 8/ 1982، والشهيد أحمد المجالي من السلط/ الأردن طالب الهندسة في السنة الأخيرة، استشهد يوم 1/ 4/ 1983، والدكتور ناصر عيسى المتخرج حديثاً من كلية الطب في جامعة دمشق وهو فلسطيني من الفلسطينيين اللاجئين إلى سوريا، وعضو في الحزب الشيوعي السوري، واستشهد خلف خطوط العدو بعملية خاصة يوم 7/ 4/ 1983. والشهيد نضال آل رشي من الحزب الشيوعي السوري الذي كان قد انضوى أيضاً في صفوف القوات المسلحة للجبهة واستشهد في حرب تحرير الجبل يوم 18/ 9/ 1983.

ويمكن العودة للأرشيف العسكري لقوات الجبهة الذي يضم بين طياته المعلومات التفصيلية عن مئات العمليات العسكرية في مناطق القطاع الشرقي ومناطق الجبل والتي تحررت لاحقاً من قوات الاحتلال.

في خضم ذلك أعلنا التعبئة العامة مرة أخرى أوائل العام 1983، للمشاركة بمعركة تحرير الجبل من قوات الاحتلال وعملائه الذين دخلوا الجبل مع دبابات العدو. وسقط في هذه المعارك

التي شارك فيها العديد من فصائل وقوى الثورة، سقط للجبهة الديمقراطية، أكثر من (150) شهيداً، حتى تم دحر الاحتلال والقوى المؤتلفة معه وتحرير منطقة الجبل بجانب قوات الحزب الاشتراكي بزعامة وليد جنبلاط والحزب الشيوعي والحزب القومي الاجتماعي، نزولاً إلى تحرير بيروت في شباط 1984.

ولابد من استذكار شهدائنا وشهداء الثورة وفي مقدمتهم الرفيق المقدم عربي عساف (أسد) (ابن عرابة – قضاء جنين) الذي استشهد في الجبل بتاريخ 6/ 10/ 1983 والرفيق الشهيد المقدم يوسف داود أبو نجيله (ابن يافا – ومقيم في لبنان) استشهد يوم 8/ 9/ 1983 والرفيق المقدم محمود خليفاوي ابن مخيم اليرموك ومن (ديشوم – قضاء طبريا). الذي استشهد لاحقاً في معارك الدفاع عن شعبنا في مخيمات عين الحلوة والميه ميه ومنطقة صيدا (معركة مغدوشة يوم 1986/11/24).

هؤلاء الشهداء تقدموا الصفوف في التصدي لقوات العدو وعملائه ولقصف قوات البحرية الأمريكية بالطائرات والبوارج الضخمة للمواقع الوطنية في الجبل.

■ أريد التوقف الآن عند اتجاهات المساومة التي كانت بارزة وقتها. فأنا أشعر، وكأن في الأمر سراً. فالقيادة الفلسطينية، وأنت تسميها (الجناح اليميني) فتحت خطوطاً للمساومة عن طريق الأمريكان. ثم إنك تقول إن الحاج اسماعيل، قائد غرفة عمليات الجنوب ترك إلى البقاع... وبالإضافة إلى ذلك سمعنا أن بعض قوى الحركة الوطنية اللبنانية كانت ترغب برحيلكم.

في هذه الحالة كلنا يحاول معرفة السر! سر المساومة الحاصلة!

فقال نايف حواتمة بلهجة صريحة وواضحة:

■■ الاتصالات بين الإدارة الأمريكية والجناح اليميني في منظمة التحرير الفلسطينية، اتخذت طابعاً منظماً منذ 21 تموز 1981[14]. وقبلها كان هذا الطابع غير مباشر، وعن طريق

---

[14] بدأت أشكال من الاتصالات الفلسطينية – الأمريكية عند محطات مختلفة منذ العام 1970، مروراً بالحرب الأهلية اللبنانية حين تدخلت المنظمة لحماية وترحيل الرعايا الأمريكيين، أو حتى في التوسط بشأن مسألة الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران. إن أول لقاء عقد من خلال قناة اتصال سرية بين ممثل م.ت.ف بالقاهرة سعيد كمال وبين الدكتور ستيف كوهين وهو أمريكي – يهودي، يعمل تحت رعاية المنظمة الصهيونية العالمية وذلك بترتيب من أنور السادات. (محمد حسنين هيكل – سبق ذكره ص 62)، ويكشف هيكل في ص 63، أن وارن كريستوفر الذي كان يشغل آنذاك (1977) مساعداً لوزير الخارجية سايروس فانس، كتب توجيهاً سرياً إلى كل البعثات الأمريكية في الخارج جاء فيه بالحرف:

(إن على ممثلي الولايات المتحدة ألا يقبلوا أية اتصالات مباشرة، نكرر مباشرة، أو موضوعية مع م.ت.ف، وأن هذه السياسة تنطبق على أية لقاءات مع أعضاء المجالس الرسمية لـ م.ت.ف، وبالتحديد مع أي من جماعات الفدائيين مثل، فتح، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، الجبهة الشعبية).

أما الحوار الأمريكي – الفلسطيني الرسمي فقد أعلنت الولايات المتحدة عنه، منذ استجاب عرفات للاشتراطات الأمريكية الثلاث: - الإعتراف بالقرار 242 أساساً للتسوية. دون ربطه بأي تحفظات.

- الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود.

- نبذ الارهاب وادانته (إشارة إلى الكفاح المسلح ضد الاحتلال).(المؤتمر الصحفي لعرفات-جنيف 1988/12/14).

وتوقف الحوار الرسمي مع السفير الأمريكي في تونس روبرت بيللترو بعد محاولة الانزال الفدائية قرب شواطىء تل أبيب في 6/ 5/ 1990 النهار 15/ 12/ 1988، 7/ 5/ 1990، السفير 15/ 12/ 1988، 7/ 5/ 1990.

القنوات الدبلوماسية العربية... أما لماذا 21 تموز. فإن العالم كله يتذكر أن ضربة الطيران الاسرائيلي لبيروت ولأول مرة، كانت في 17 تموز في ذلك العام. وكان ردنا جميعاً على هذه الضربة، هو قصف المستوطنات الاسرائيلية في الجليل بكل مابحوزتنا من كاتيوشا ومدفعية بعيدة المدى نسبياً.

وفي 21 تموز اتصلت القيادة الفلسطينية، بناء على قرار مشترك فيما بيننا، بقائد قوات الطوارىء الدولية في الجنوب اللبناني الجنرال جيمس كالهان. وأخبرناه أننا على استعداد لوقف إطلاق النار على جانبي الحدود، وبشكل متبادل!!!

وبعدها، تدخلت الإدارة الأمريكية، وجاء المبعوث فيليب حبيب، وتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بعد اتصالات مع عرفات بدءاً من الساعة الثالثة ظهراً في 24 تموز 1981.

لذا، فالاتصالات المنظمة بدأت في ذلك التاريخ، بدأت رغم تقيد الإدارة الأمريكية بعدم إجراء أي اتصالات منظمة ومباشرة مع منظمة التحرير بموجب رسالة كيسنجر الشهيرة لتل أبيب بعد حرب تشرين. ورغم احتجاج مناحيم بيغن على هذه الاتصالات التي تقفز عن تعهد الإدارة الأمريكية.

ومنذ ذلك الوقت، أضحت الإدارة الأمريكية ترى في ياسر عرفات محاوراً، تحت عنوان: (الجناح المعتدل) في منظمة التحرير! وهذه الاتصالات (المباشرة وغير المباشرة) لم تتوقف بعدها...

قاطعت نايف حواتمة، لأقول له:

■ إن ماتقوله الآن يذكرني بمقال عصام محفوظ الذي حدثك عن مطالبة الأردن بك وبجورج حبش دون المطالبة بعرفات عام 1970 وقولك له إن عرفات رجل للمساومة كما يقولون على الجانب الآخر.

والآن يبرز هذا بحديثك عن الإدارة الأمريكية وأحداث تموز 1981... ولكن لنقل صراحة: ألم تكن اسرائيل، وفي أثناء الاجتياح الشامل تطارد عرفات وأنتم والقادة الآخرين من مكان إلى آخر لتقتله وتقتلكم، إلى الدرجة التي لجأ فيها إلى النوم تحت جسر الكولا.

فقال حواتمة:

■■ لاحظ أن ماقلته لعصام محفوظ في عمان، مبني على طبيعة التكوين السياسي، لجناح اليمين ويمين الوسط، في منظمة التحرير. وعلى شبكة العلاقات والتحالفات الطبقية والاجتماعية والسياسية الإقليمية، التي تتداخل فيها المصالح، بين هذا الجناح وقادته، وبين العديد من الأنظمة والقوى الطبقية اليمينية العربية. ثم برز هذا بوضوح في أيلول عام 1970، عندما طالبت الدولة الأردنية برأسي حواتمة وحبش، بينما كنت مع ياسر عرفات، كتفاً إلى كتف ولحظة بلحظة، طيلة معارك أيلول.. وبعد أسابيع من ذلك، تصالح ياسر عرفات مع الدولة الأردنية، بينما بقيت الحدود مغلقة بوجه حبش وحواتمة على امتداد عشرين عاماً!

وتردد حواتمة في قول شيء ما، لكنه تراجع عنه في اللحظة الأخيرة، موضحاً أنه يتعلق بشيء يمس أشخاصاً لايريد البوح به، وتابع حديثه قائلاً:

■■ **وفي الممارسة العملية، تتابعت هذه العملية، في شبكة العلاقات المفتوحة، بين الجناح اليميني وبين الأنظمة العربية الموالية للسياسة الأمريكية. كما تواصلت كل أشكال الاتصالات غير المباشرة مع الولايات المتحدة، إلى أن تم كسر حاجز التعهدات الأمريكية لاسرائيل في تموز 1981، حيث بدأت الاتصالات المباشرة على يد فيليب حبيب!**

قبل ذلك، كانت هناك أشكال الاتصالات غير المباشرة، عن طريق عواصم عربية، وعلى يد ممثلين عن عرفات مع الأمريكان، وتجاه قضايا تتناول مشكلات للأمريكان، ومن بينها حماية السفارة الأمريكية وإقامة أشكال من الحماية لها على يد جنود عرفات!!

وأضاف حواتمة:

■■ **هذا شيء، وموقف الحكومة الاسرائيلية شيء آخر!**

لقد استمرت اسرائيل بمحاولات اغتيال قادة الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير بأشكال مختلفة: فردان – مقر الجبهة الديمقراطية – أبو جهاد – حمام الشط في تونس... الخ. وفي هذا تستوي حكومات حزبي العمل والليكود.

وفي حصار بيروت، كان مطلوباً بل ومعلناً، على يد ارئيل شارون، أنه يبحث عن تصفية القيادة الفلسطينية، وله تصريح شهير أنه يريد أن يأتي بهذه القيادة (بالشباك المكشوفة المعلقة بطائرات الهيلوكبتر). بل إن رسالة شفوية، تم تبليغها لياسر عرفات عن طريق الرياض تتعلق بهذه التهديدات.

وقد أكدت الرسالة الشفوية أن فيليب حبيب والسفير الأمريكي موريس درايبر، طلباً من وزير الخارجية الأمريكية الكسندر هيغ أن يبلغ منظمة التحرير هذا التحذير. وقالت الرسالة: إن أي خرق لوقف إطلاق النار (تموز 1981) بما فيه شريط سعد حداد سيؤدي نصاً، وكما طلب شامير وشارون إلى: (اجتياح لبنان من قبل اسرائيل بما فيه تصفية القيادة الفلسطينية)!

لقد ظلت إسرائيل تمارس هذه المحاولات حتى مؤتمر مدريد. وربما تتذكرون تصريح شمعون بيريز في 23 آب/ 1996، الذي قال فيه (إن رابين، وحتى لحظة وصوله إلى واشنطن ومصافحته عرفات في 13 ايلول 1993، كان يرى في هذه المصافحة أكثر من مأساة)!

■ **إن هذا يجعلني** أسأل عن أجواء هذه المحاولات في بيروت أثناء الحصار، وهل عشتها أنت؟!

فقال حواتمة، وهو يستعيد لحظات صعبة من ذاكرته:

■■ **كنا جميعاً، عرفات وأنا وأبو إياد وخليل الوزير وطلال ناجي وصالح زيدان وداود تلحمي وعبد الكريم حمد وفهد سليمان وعديد من القادة اللبنانيين نعيش بشكل مشترك يشبه الكومونة، وحتى في ساعات النوم تقريباً. وكانت معظم ساعات الراحة والنوم تحت الأرض، وفي بيروت بالذات توجد أبنية تصل إلى أربع طبقات تحت الأرض، فلا حاجة لحكاية الجسور والأرض العراء.**

لقد تعرضنا أكثر من مرة للشهادة معاً.

وأتذكر الآن إحدى هذه الحالات البارزة، وأعتقد أنها وقعت في السادس من آب 1982 يوم الجحيم اللاهب. ويومها انتقلنا عرفات وحواتمة إلى بناية عَكَرْ في منطقة الصنايع. وكانت غرفة عملياتنا متنقلة وليست ثابتة. لذلك دخلنا إلى البناية، ونحن بصدد عقد اجتماع للقيادة المشتركة الفلسطينية – اللبنانية.

ولكن، وفي نفس اللحظة التي دخلنا فيها، لاحظنا الطيران الاسرائيلي فوقنا في مروره الأول فوق هدفه غادرنا البناية على الفور وكانت المسافة التي قطعناها لاتتعدى المئة متر عندما تساقطت القنابل الفراغية[15] على بناية عكر، فانهارت بالكامل بمن فيها، وأمام أعيننا... وقد عرفنا فيما بعد أن أكثر من (250) شهيداً وجريحاً بين طفل وإمرأة ورجل قد سقطوا تحت ركامها.

■ إذن دعني أسأل.. فقد مضى على ذلك زمن طويل يقارب الأربعة عشر عاماً... في هذا الجو المشحون بالموت والتوتر... كنتم معاً... تفكرون معاً وتقررون معاً في أجواء الحصار... وبينكم من كان يفكر بوسيلة لمزيد من الصمود وبينكم أيضاً من كان يفكر بوسيلة للبحث عن منفذ... ترى هل يمكن الآن كشف شيء من هذه الحقائق؟!

تجهّم وجه حواتمة، ربما أخذته ذاكرته بعيداً. لكنه قال بتفاخر، وبعد تردد قصير:

■■ كان كل الجهد منصباً على صيانة اصطفاف القوى وحشدها في الميدان، لمقاومة زحف دبابات العدو وكل أسلحته البرية والجوية والبحرية، ومنعها من اقتحام العاصمة البطلة، منعها من تطويق وإبادة الشعب العنيد.

قاتل الثوار شبراً شبراً، وعند مداخل بيروت تكومت جبال الشهداء متاريسَ متعانقة مع متاريس الرمال، الحجارة، السيارات... لقد بني سد بشري عظيم بوجه الدبابات.

إن معارك بوابات بيروت، في المتحف، حي السلم، منطقة المطار، الأوزاعي، خلدة... حقائق أسطورة خالدة. معارك دارت حول السنتيمتر الواحد لاحقاً. وهي التي أرغمت العدو على المراوحة عند بوابات بيروت إلى ما بعد الرحيل الكبير.

كنا نقاتل في دائرة مساحتها 15 كم^2 فقط، والحصار حولنا براً وبحراً، وفوقنا جواً... ولم يترك لنا العدو أي أفق للبحث السياسي. بل كان كل جهده ينصب من أجل استكمال خطته في كسر حدة المقاومة لاقتحام بيروت الغربية، وإبادة المخيمات، وتصفية القيادة!

لقد كان البطل الأبرز الذي حمل على أكتافه هذه الملحمة التراجيدية هو الشعب في بيروت والمخيمات... الشعب الذي أعطى وقدم أرضه، بيوته، خبزه وحنانه للمقاومة المشتركة. وكثيراً

---

(15) أمريكية الصنع، جرى اختبارها لأول مرة في لبنان والقنبلة تمتص (تفرغ) الهدف من الهواء فيطبق على نفسه ومن فيه دون أن يكسر لوح زجاج في البناء المجاور، وهذا ماحدث في بناية عكر في محلة الصنايع عندما تهاوى البناء وسقط أكثر من 250 قتيلاً وجريحاً (يوميات الغزو الاسرائيلي 1982 - المركز العربي للمعلومات ص 183).

* جورج حاوي يتذكر - مجلة الوسط - العدد 227 تاريخ 3/ 6/ 1996 ص 29 - يذكر وصوله للبناية لحضور اجتماع القيادة المشتركة ف - ل فوجدها ركاماً، وعلم أن عرفات وحواتمة غادراها قبل لحظات من قصفها وإغارة الطيران عليها.

ماكنا ننتقل من مكان إلى مكان، ومن بيت إلى بيت، فيدفع هو الثمن، بقامته السماوية البطلة، التي كثيراً ماتناثرت شظايا تزرع الدار صموداً لاينتهي في مواجهة جحيم البر والبحر والجو، وقنابله الفراغية والعنقودية.

واختزل حواتمة عواطفه عن تلك الأيام، ثم تحولت لغته من لغة الشاعر إلى لغة السياسي الذي يعطي لأجوبته واقعيتها، وهو يقول:

■■ في أثناء الحصار، وبعد مرور أسابيع عليه، وصلتنا أفكار فلسطينية من عمان، وذلك عندما بعث لنا الأخ المناضل إبراهيم بكر، (الذي كان نائباً لرئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير حتى أيلول 1970) بعث برسالة تطرح إمكانية قيام منظمة التحرير بمبادرة سياسية علنية مضمونها:

– الموافقة على قرار مجلس الأمن رقم 242 مقابل فك الحصار عن بيروت واعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير.

ولكننا في القيادة الفلسطينية لم نر من المناسب في ذلك الظرف تَفَحُّص هذا الطرح لأنه سيخلق فرقعة في صفنا الوطني العريض بعد أن اتحدنا دفاعاً عن عروس المدائن: بيروت!

وأيضاً، جاء إلى بيروت وفد أمريكي برئاسة عضو الكونغرس الأمريكي بول مالكوفسكي والتقى مع عرفات، وسأله إذا كان مستعداً للاعتراف بالقرار 242 مقابل فك الحصار والاعتراف (الأمريكي والاسرائيلي) بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. وكان جواب عرفات إيجابياً وقدم عضو الكونغرس له ورقة مكتوبة بذلك، فوقع عرفات فعلاً. وقد تخاطفتها وكالات الأنباء والشاشات العالمية[16].

ليلتها انعقد اجتماع متدافع للقيادة الفلسطينية، وتم طرح هذه المسألة. وتحدث كل من طلال ناجي وأبو صالح بحدة مهاجمين مافعله عرفات. وبعيداً عن لغة الإدانة تحدثت في ذلك الاجتماع مؤكداً أن ما فعله عرفات منسجم مع قرارات مجالسنا الوطنية وقرارات الشرعية الدولية. ولذا لِمَ الانفعال، علينا أن نأخذ المسألة بحجمها ووظيفتها في تلك اللحظة لإشعار العالم بأن الثورة الفلسطينية وائتلاف منظمة التحرير جاهزون للبحث وفقاً لما هو مشرَّع وطنياً وعربياً ودولياً عندما يوجد فضاء للبحث السياسي!!

قلت لنايف حواتمة:

■ ربما أكون محقاً إذا سألتك بفضول عن ياسر عرفات كإنسان، وبغض النظر عن الجوانب السياسية، هل كان شجاعاً أثناء الحصار؟!

فأجاب بثقة:

---

(16) عرفت الوثيقة باسم وثيقة مالكوفسكي، وفيها تعترف م.ت.ف بجميع القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة والمتعلقة بالقضية الفلسطينية، حيث أشار مالكوفسكي في مؤتمر صحفي عقده بعد توقيع عرفات للوثيقة إلى أن قرارات الأمم المتحدة تعترف بإسرائيل، وأن المنظمة تكون بذلك قد أوفت بالشروط المطلوبة لاعتراف الولايات المتحدة بالمنظمة (يوميات الغزو الاسرائيلي – المركز العربي للمعلومات – 1982) بيروت ص 147.

■■ بوضوح، وعلى امتداد كل فترة الحصار. امتلكت كل الشخصيات في القيادة الفلسطينية والوطنية اللبنانية قدراً هائلاً من الشجاعة.

لكن حواتمة أردف مازحاً:

■■ في عالم الطب يقولون، إنه في الفترات الصعبة، فإن العقدة العصبية التي تحمل كل حوافز التماسك تكون في ذروة توترها، فتعطي قدراً هائلاً من الشجاعة!!

فسألته مباشرة:

■ ولكن... وإذا صرخ بوجهكم أحد قادة الحركة الوطنية اللبنانية.

- اتركوا بيروت وارحلوا!

هل يصبح تعميمك الذي تحدثت عنه منطقياً؟!

تمهل حواتمة في رده. لكن جوابه كان طويلاً، حاول من خلاله أن يضفي الموضوعية على مثل هذا الطلب، الذي قدم من قبل الحركة الوطنية اللبنانية، فتحدث عن الوضع الذي آلت إليه بيروت:

■■ بعد أكثر من ثمانين يوماً من الحصار، الموت في كل بوصة، الدمار على مد البصر، الجوع... لا كهرباء... لا ماء، وما حولنا ساكن هادىء من ضفة الأطلسي حتى بحر العرب، فالوضع العربي الذي لم يكن راعداً، ولاحتى واعداً، والأنظمة العربية فقدت روحها، جفت عروقها، تجمدت ركبها، والجماهير العربية من الماء إلى الماء غرقت في بحور مونديال كرة القدم العالمي وبركات العواصم وتبحث عن (خير أمة أخرجت للناس) عبثاً، فقد انخسفت شمسها ومات قمرها في بحر الظلمات، كما أسماه يوماً الفاتح (عقبة بن نافع). أما الوضع الدولي فقد أصابه عسر هضم من هول بحر الدم والدوار!!.

وأضاف حواتمة:

■■ هذه اللوحة، ومع دخول الحصار شهره الثالث، هي التي دفعت عدداً من قادة الحركة الوطنية، وليس قائداً واحداً فقط لمطالبتنا بتسريع عملية المفاوضات، تحت عنوان: (الوضع لم يعد يحتمل وحآن وقت الرحيل)، وماتبقى من بيروت يهتز بالدمار كل لحظة بلا أمل، وأفق المقاومة بات محدوداً وكل غرف العمليات مع العواصم العربية والدولية، أعطت وعوداً ولم تعط ثماراً...

طالبوا بتسريع عملية المفاوضات، التي كان يديرها فيليب حبيب، والخروج من بيروت، لأن خروج المقاومة كان أمراً محسوماً ولاأفق للبقاء!!

لكننا واصلنا إصرارنا، بأمل الوصول إلى تسوية تضمن عدم احتلال القوات الاسرائيلية للعاصمة ودخول المخيمات وافتراسها. وسياسياً بأمل محاولات الوصول إلى فتح الملف السياسي، على قاعدة الاقرار بالقضية الفلسطينية، وحق تقرير المصير.

لهذا طالت المفاوضات. وكان يمثلها من الجانب الفلسطيني: ياسر عرفات وصلاح خلف وسعد صايل وحواتمة. وكنا نتحاور مع الجانب اللبناني، ممثلاً برئيس الحكومة شفيق الوزان وطواقمه السياسية والعسكرية، لأنه كان حلقة الوصل مع فيليب حبيب، الذي أصر على هذه الصيغة..

■ هناك نقطة تتطلب الحديث عنها، وهي الموقف السوفييتي وفاعليته!

■■ **كنا جميعاً، في قلب الحصار، نتوقع أن يتطور الموقف السوفييتي في مجرى الصمود، وذلك انطلاقاً من الوعود التي قدمها بريجنيف شخصياً والقيادة السوفييتية بأن شعب فلسطين والثورة الفلسطينية والقوى المتحالفة معها لن تكون وحدها في الصراع الدائر في الشرق الأوسط. وعند لحظة الضيق يتحلّق الصديق.**

لكن الموقف السوفييتي لم يتطور بالاتجاه المتوقع، مع أنه خطا في بداية الحصار خطوة إلى الأمام، كنا نتوقع أن يتم البناء عليها...

وتردد نايف حواتمة قليلاً، وكأنه يريد كشف بعض المسائل الهامة، ثم قال:

■■ **تحديداً في اليوم السادس للغزو، وبعد أن اكتمل حصار بيروت، وصلتني رسالة خاصة من موسكو. تقول: إنه في اليوم الخامس – أي قبل أربع وعشرين ساعة – دبت الحرارة في الخط الساخن الأحمر، بين موسكو وواشنطن، وتكلم الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف مع الرئيس الأمريكي رونالد ريغن، حول ضرورة وقف العدوان وفك الحصار عن بيروت. وأضافت الرسالة حرفياً: (إن استمرار العدوان والحصار يستتبع خطر نزاع بين الكتلتين في مناطق أخرى من العالم)!**

وطلبت موسكو أن تبقى هذه الرسالة خاصة، بانتظار التطورات اللاحقة، التي يتم اعتمادها في مجرى تطور الصراع، دون الإفصاح عنها، وبأمل ترقب التطورات الجارية!! فغرفة عملياتنا الخاصة بقيت مفتوحة مع موسكو والبلدان الاشتراكية وعدد واسع من البلدان العربية، وبالتوازي غرفة العمليات المركزية الفلسطينية – اللبنانية مفتوحة على جميع العواصم العربية والدولية، إنها ورشة على مدار الساعة.

لقد أعطتنا هذه الرسالة روح صمود إضافية عكست نفسها في مجرى المقاومة وفي أطروحاتنا في القيادة المشتركة الفلسطينية – اللبنانية. ولكننا لم نشر إلى الرسالة السوفييتية عملاً بما تم الالتزام به.

وأضاف حواتمة، وكأنه دوّن هذه المعلومات بدقة في ذاكرته:

■■ **في اليوم الثامن من الحصار وصلت رسالة جديدة من موسكو تقول بالحرف: (إن الرئيس الأمريكي ريغن طلب من رئيس وزراء اسرائيل، وقف العمليات الحربية، خلال ثمان وأربعين ساعة، لكن جواب رئيس الوزراء الاسرائيلي كان سلبياً. وموسكو تتوقع الآن ضغوطاً أمريكية أوسع على تل أبيب).**

بناء على هذا، كنا ننتظر تداعيات أو نتائج هذه الاتصالات، بين موسكو وواشنطن، خاصة أن عملية الصمود تتواصل على كل محاور القتال، وفعلاً تم خوض حرب التحامية مع قوات العدو المحاصرة لبيروت. والمعارك دارت على الشبر الواحد، خاصة عندما بدأت قوات العدو محاولة قضم جنوب غرب بيروت، قطعة قطعة، بمحاور خلدة ـ المتحف ـ الأوزاعي.

خلال ذلك قامت واشنطن باستدعاء مناحيم بيغن في 15 حزيران، وهناك جدد ريغان ضغطه بوقف العمليات الحربية الإسرائيلية فوراً، لكن بيغن طلب 48 ساعة إضافية تحت حجة الضرورات التكتيكية.. هنا، قلنا في هيئة القيادة بالجبهة (ها قد بدأت العجلة تدور رغم العصي التي وضعها بيغن بالدواليب).

ثم تلقينا الإشارة الثالثة من موسكو، التي تحذرنا بضرورة اليقظة، خلال هذه الساعات الثماني والأربعين القادمة، لأن تقديرات موسكو أن القوات الإسرائيلية مع القوات اللبنانية، مرشحة للتقدم باتجاه اجتياح بيروت الغربية والمخيمات وتصفية قوات منظمة التحرير. وفعلاً أعطى هذا التحذير موجباته في القيادة الفلسطينية بتكثيف القوات المشتركة على محاور القتال عند أبواب بيروت لمنع احتلال العاصمة بكل الطاقات الممكنة ومنع اجتياح وتدمير المخيمات الفلسطينية. وهكذا تواصل صمودنا مع توقع تفعيلات الضغوط السوفييتية على الإدارة الأمريكية باتجاه وقف العدوان وفك الحصار عن بيروت البطلة. لكن هذا كله توقف عند حدود استقالة وزير الخارجية الأمريكية ألكسندر هيغ، تحت ضغط هذه العوامل، بالإضافة إلى تأثير قوى اللوبي داخل الإدارة الأمريكية في 24 حزيران[17]. وهذا اللوبي أطلق عليه هيغ وصف (الوحش ذو الرؤوس الثلاثة: جيمس بيكر ــ أدوين ميز ــ ميشيل دافير) وبعد هذا التاريخ انخفض ضغط موسكو إلى الصفر!

■ إن ما حصل يستوجب نقداً شديداً للاتحاد السوفييتي، وقد بدا أن هناك صمتاً من نوع ما! فقاطعني حواتمة بحدة:

■■ لا... إن نقدنا لموقف السوفييت بدأ يبرز مع دخول الحصار شهره الثاني. لم يحدث صمت تجاه ذلك. فلقد بات واضحاً عندها أن الاتحاد السوفييتي لن يقدم أي خطوة مادية كما جاء في رسالة بريجنيف إلى ريغان في اليوم الخامس من الحصار، وبالنص: (نقل النزاع إلى مناطق أخرى من العالم بين السوفييت والأمريكان) بل إن سفارته التي تتعرض يومياً للقصف البري والبحري كان ينبغي أن تكون حافزاً لهذه الخطوة... وأنا شخصياً كنت الوحيد في القيادة الفلسطينية الذي وجه أكثر من انتقاد سياسي علني للموقف السوفييتي، فانهمرت على غرفة عمليات الجبهة الديمقراطية في بيروت المحاصرة برقيات كثيرة، من أحزاب شيوعية عربية، وخاصة مشرقية تحتج على هذا الانتقاد. بل إن هذه الأحزاب اعتبرت انتقادي بمثابة (العداء للشيوعية والسوفييت) وبأنها (مواقف وطنية وقومية ضيقة) وما إلى ذلك، كما وصلت برقيات ثلاثة عناصر قيادية في الجبهة الديمقراطية كانت خارج الحصار وخارج لبنان تطالب بوقف هذه الانتقادات، وأبلغت بها عدد من الأحزاب المشرقية الشيوعية وموسكو. وصلاح خلف انتقد من موقع المطالبة بخطوات معنوية مثل: سفن تموين إلى الساحل اللبناني.

---

(17) قبل تقديم هيغ استقالته وفي اليوم ذاته (1982/6/24) اجتمع مع موشيه أرينز وأبلغه أنه وحيد ومعزول في مكتبه وريغان مستاء جداً والاجتماع معه سيء جداً، وأبلغه أن كلود شيسون وزير الخارجية الفرنسي قال له: (إن فرنسا على قناعة أن قواتكم ستدخل بيروت الغربية، وإن فرنسا لم تعد تتحمل حالة الموت والحصار لبيروت).

السوفييت استوعبوا مواقفنا الانتقادية بروح الحكمة وبدون ردّات فعل سلبية، بل وتعمقت وتطورت العلاقة بيننا من مواقع المراجعة النقدية المتبادلة والتي جرت في أول زيارة لموسكو بعد (الرحيل) من بيروت[18].

وبشأن العناصر القيادية من الجبهة والتي كانت خارج الحصار، وقدمت نفسها بأنها (سوفييتية) فسرعان ما انتقلت من صف اليسار إلى الجانب الآخر في م.ت.ف تحت ستار الغورباتشوفية ثم تراجعت علناً عن الخط اليساري والتحقت بسياسة اليمين ويمين الوسط. وهذا ما تم أيضاً مع عناصر قيادية في فصائل يسارية أخرى مع بدء شحوب شمس الاتحاد السوفييتي.

■ إذا كان الفرنسيون قد تحركوا جدياً من أجل لبنان، فالأولى بالسوفييت أن لا يتركوكم وحيدين!

■■ الواقع أن السوفييت لم يحركوا ساكناً داخل لبنان[19]، ولم يتم تفعيل وتطوير رسالة بريجنيف إلى ريغان في اليوم الخامس للغزو. في حين أن الفرنسيين تحركوا جدياً كما تقول، وقد أشرت علناً وتكراراً بعين التقدير إلى الموقف الفرنسي، ونحن في الحصار، لأنه تشدد بضرورة فك الحصار. بل وتقدم بمبادرة تقوم على الجمع بين موافقة منظمة التحرير على القرار 242 وبين اعتراف إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير كعملية ضغط دولية. لقد تقدم الفرنسيون بذلك إلى مجلس الأمن لوضع إسرائيل وأمريكا في الزاوية الضيقة. ورحبت علناً بالمبادرة مع أن باريس لم تدفع مبادرتها لاتخاذ قرار والتصويت عليه في مجلس الأمن.

إن شعبنا وكل العرب سيظلون يذكرون الموقف السوفييتي في أثناء الاجتياح من موقع الانتقاد السلبي، والتراجع عن تفعيل الموقف الذي بدأ به بريجنيف على الخط الأحمر الساخن مع ريغان، في اليوم السادس من الغزو. تماماً مثلما يذكرون بالوفاء الكبير والعرفان المواقف السوفييتية الداعمة للحق الفلسطيني والعربي قبل الاجتياح وبعده.

إن ذاكرة الشعوب خصبة لا تنسى ولن تنسى! أن السياسة السوفييتية هي التي قادت العالم لتدويل القضية والحقوق الوطنية الفلسطينية بتقرير المصير والدولة المستقلة على نطاق الدول والأمم المتحدة والحركة الشعبية العالمية.

■ على اعتبار أنك شاركت بالفريق الفلسطيني الذي يفاوض فريق فيليب حبيب عبر الحكومة اللبنانية، ما الذي كان يشغل تفكيركم خلال المفاوضات؟!

---

(18) الذكرى الستون لتأسيس الاتحاد السوفييتي. موسكو - دار التقدم - 1983. الطبعة العربية، ص413 - 415.

(19) رسالة ليونيد بريجيف (المعلنة) إلى الرئيس ريغان في 1982/8/2 دعاه فيها إلى اتخاذ الإجراءات الأكثر ضغطاً على النحو الأكثر إلحاحاً من أجل منع إبادة الناس في بيروت. وصرح ريغان رداً على الرسالة (إننا نرفض الافتراءات التي تضمنتها رسالة بريجنيف، والتي يدعي فيها بأن الولايات المتحدة لا تبذل كل ما في وسعها للتوصل إلى حل سلمي).

المصدر: (صحف 1982/8/2 البيروتية + يوميات الغزو - سبق ذكره ص170)، وسبق ذلك تحذير وجّهه بريجنيف لريغان في 1982/7/8 حيث أشار فيه (لا يمكن لرجل دولة في الوقت الحاضر، وأي رجل شريف في العالم أن يقف لامبالياً حيال نداءات الذين يسقطون تحت رصاص الغزاة) النهار 1982/7/9.

- والتحذير السوفييتي لإسرائيل يوم 1982/6/2 لإيقاف العدوان (السفير 1982/6/15).

فقال حوالمة بنبرة حزينة استحضرها لاوعيه من الماضي:

■■ مع دخول حرب المواقع الصامدة، على أبواب بيروت، شهرها الثالث، بدا مرئياً أن الرحيل الحزين قادم، وأن أبواب الفضاء أخذت تنغلق واحداً بعد الآخر.

لذلك انصب جهدنا جميعاً، وفي المقدمة فريقنا في المفاوضات على ضرورة توفير العوامل التالية:

أولاً: ضمان من الولايات المتحدة بعدم احتلال القوات الإسرائيلية لبيروت الغربية البطلة. فمعلوماتنا المؤكدة تشير إلى أن مجلس الوزراء الإسرائيلي اتخذ أكثر من قرار باجتياح بيروت المحاصرة، وأبرزها في 28 حزيران/ يونيو بعد استدعاء بيغن لبشير الجميل وأركانه إلى القدس بالإضافة إلى قرار 15 تموز/ يوليو بإجماع مجلس الوزراء الإسرائيلي.

ثانياً: حق المخيمات في البقاء والحياة، وعدم دخولها أو اجتياحها وتهجيرها. وقد قدمت أمريكا هذه الضمانة.

ثالثاً: رحيل الأبطال الذين قاتلوا بأسلحتهم.

رابعاً: أن يتم انتقال قوات المقاومة إلى أقطار الطوق العربية. وكان هدفنا من ذلك إعادة تجميع القوى وبناؤها وصقلها لتأخذ دورها من جديد على الجبهة الأمامية في مقاومة المحتلين.

وفعلاً قدمت الولايات المتحدة رسالة الضمانات مكتوبة، واشترطت أن تبقى بحوزة رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان، ومازالت في خزانته إلى الآن!!

وفي غضون ذلك، عملنا على صيانة الخمائر، أي: نوى المقاومة داخل بيروت، بالتعاون مع القوى الوطنية اللبنانية، التي سلمناها كل ما بيد المقاومة من أسلحة، ما عدا أسلحتنا الفردية، وذلك بهدف استمرار المقاومة من بيروت إلى الجبل إلى الجنوب، كما عملنا على تأمين النوى داخل المخيمات للدفاع عن الذات أمام احتمالات المفاجأة!

■ هل كنتم تتوقعون شيئاً مما حصل فيما بعد داخل المخيمات؟

■■ كان مرئياً لنا ما كان متفقاً عليه بين الكتائب والقوات اللبنانية بزعامة بشير الجميل وفادي أفرام وإيلي حبيقة وزاهي بستاني وغيرهم أن الخطة الموضوعة منذ ك2/ يناير 1982 بين هؤلاء وبين القيادة الإسرائيلية، وتحديداً: شارون ـ إيتان هي: (اجتياح مخيمات بيروت وإبادتها) وعلى حد تعبير بشير الجميل: (تحويلها إلى حديقة حيوانات واسعة)؟!

وتم تجديد التخطيط المشترك للجريمة في القدس، بعد عودة بيغن من واشنطن (15 حزيران) وبمشاركة: بيغن ـ شارون، ومن جانب القوات اللبنانية: بشير الجميل ـ زاهي بستاني (رئيس أركانه) ـ فادي أفرام... وقد أطلق عليها زاهي بستاني في مجالسه: (خطة الأكورديون) أما مناحيم بيغن فقد سمّاها: (الشرارة)، وبالعبرية: (نيزونز). وكان هذا ضبطاً في 28 حزيران. ونصيحة كيسنجر (غراباً يحوم حول المتآمرين): (السرعة بتصفية جنود منظمة التحرير والقيادة، يجب أن لا يخرجوا من الأنقاض)!

■ هل كانت القيادة متفقة على اتجاهات الخروج من بيروت؟!

■■ اصطدمنا باتجاهين داخل المقاومة الفلسطينية: الاتجاه الأول، وكان يريد أن لا يكون الرحيل عن بيروت شتاتاً جديداً للبلاد العربية. بل إلى أقطار الطوق. أما الاتجاه الثاني فقد عمل لغير ذلك!!

وعلى أرض الواقع، لم تقبل مصر باستيعاب قوات عين جالوت، التي كانت في مصر مع الجيش المصري في حرب تشرين/ أكتوبر 1973 على قناة السويس[20]. بينما وافق الأردن على عودة لواء بدر، الذي كان على الأرض الأردنية حتى عشية الغزو الشامل. وقد غادرت هذه القوات في الدفعة الأولى في عشرين آب، في حين كان هدف القوات الأخرى: التوجه إلى سورية.

■ ولكنكم توجهتم إلى أكثر من بلد عربي!

■■ كنت سأحدثك عن ذلك، فقد وقع الصدام الكبير بين ما بحثناه في إطار القيادة الفلسطينية، وبين ما تم طبخه في الخفاء على يد ياسر عرفات ومعه مجموعة من ضباطه كأبي الزعيم والحاج اسماعيل وآخرين... وبرز هذا بوضوح في حوارنا من أجل اتخاذ قرار مشترك، حيث رفض عرفات التوجه إلى سورية تحت شعار (أن سورية ترفض أو لا تقبل استيعاب قوات المقاومة) وهذا ينافي الحقيقة.

والواقع أن عرفات ومن معه، خطط لتأزيم جديد في العلاقات السورية الفلسطينية، عندما أصر على إغفال أي ذكر لدور القوات السورية في قتالها كتفاً إلى كتف مع القوات المشتركة في بيروت. ورغم اتفاقنا على ضرورة ذكر هذا، كان يسقط أي إشارة لذلك، في كل البيانات التي كانت تصدر عن وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا)، التي كانت تحت إدارته المباشرة.

والأهم من هذا كله هو ما أخفاه من خطط للرحيل إلى تونس مع من معه، وبترتيب مسبق بين عواصم عربية والإدارة الأمريكية، بدلاً من تجميع القوات الفلسطينية في دول الطوق. لقد عملنا جهدنا على تطويق هذا التشتيت، وهذا الاندفاع بعيداً عن أقطار الطوق. ولكن، وأمام إصرار عرفات كان إصرارنا نحن على الرحيل إلى أقطار الطوق. وهنا تحدانا عرفات قائلاً: إن سورية لن تقبل أحداً! فأرسلنا إلى الرئيس الأسد والأخوة في القيادة السورية رسالة وقعها حواتمة وجورج حبش وأحمد جبريل. فجاءنا رد القيادة القطرية مرحباً بقدوم القيادة الفلسطينية والأعداد التي ترتئي معها إلى سورية. ثم عادت سورية وأعلنت عن موقفها هذا، ومع ذلك نفذ عرفات ما أراد فذهب ومن معه إلى تونس، وتشتت الكثير من القوات إلى أقطار بعيدة بين الجزائر واليمن والسودان والعراق. وجئنا نحن، في الديمقراطية والشعبية والقيادة العامة وأغلبية قيادة فتح (أبو إياد، أبو جهاد، هاني الحسن، أبو صالح، وآخرون) إلى سورية. وهكذا وقع الشتات الجديد وبدأنا مرحلة صراع من نوع جديد ضد عدونا وفي داخل صفوفنا!!

وفيما بعد، وفي أول لقاء لي مع الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة، في مقره بقصر قرطاج، وبحضور محمد مزالي رئيس الوزراء، وقائد السبسي وزير الخارجية، ومحمد البالي وزير الدفاع، ووسيلة بن عمار بورقيبة زوجته...

---

(20) لواء من جيش التحرير الفلسطيني.

قال بورقيبة بصراحة: إنه لم يقبل بمجيء القيادة الفلسطينية إلى تونس، إلا بعد طلب أمريكي، وبضمانة أمريكية بأن لا تتعرض الأراضي التونسية لأية عمليات عسكرية إسرائيلية!!

■ قلت ضاحكاً:

يبدو أن أمريكا كانت وفية لبورقيبة! فقد تلاشت ضماناتها فيما بعد، كما سقطت كل التعهدات التي طالبتم أنتم بها قبل الرحيل عن بيروت...

هز نايف حواتمة رأسه دون أن يشارك في الضحك، فقلت له:

■ لقد فتحت إسرائيل وحلفاؤها نهر دم جديد بعد رحيلكم عن بيروت!

فقال، و كأنه يقلب مفكرة أمامه:

■■ آخر رحيل تم عن بيروت كان في الأول من شهر سبتمبر/ أيلول 1982. وبعد أسبوعين فقط من هذا التاريخ قامت القوات الإسرائيلية ليل الخامس عشر من أيلول باحتلال بيروت!

لقد بدأت باحتلال مطار بيروت، بقرار من بيغن وشارون، ودون علم مجلس الوزراء الإسرائيلي وكان ذلك، بعد أقل من أربع وعشرين ساعة، على مقتل بشير الجميل، الذي حدث في الرابع عشر من أيلول. وبذات اللحظة كان نداء شارون ـ إيتان، إلى القوات اللبنانية، كي يسرعوا إلى المخيمات. وبالفعل، وفي الهزيع الأخير من فجر يوم السابع عشر من أيلول، تكشفت المذبحة ـ الفضيحة في صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة[21].

وصمت حواتمة بإجلال، كأنما أراد أن يقول لي، إنه عمل ينبغي للبشرية كلها أن لا تصمت من أجله. ثم فجأة، وبعد دقيقة من الزمن، تابع و كأنه كابر على شعوره هذا:

■■ بعد المجزرة، بدأ كتاب جديد في الصراع مع المحتلين، وبدأ فصل جديد من التعارضات الداخلية الفلسطينية ـ الفلسطينية، وأيضاً: الإسرائيلية ـ الإسرائيلية! والتعارضات الإسرائيلية ـ الإسرائيلية، عبرت عن نفسها سريعاً، في الشارع الإسرائيلي، حيث انطلقت الصرخات أمام بيغن، حول منزله مساء التاسع عشر من أيلول، وبعبارة فصيحة هتفوا: مجرم، فالمذبحة كبرى! وطالبوا بلجنة تحقيق بما حصل!!

كذلك شهدت تل أبيب، في الحادي والعشرين من أيلول، مظاهرة الأربعمئة ألف، الذين يشكلون 12٪ من مجموع سكان الدولة العبرية نظمتها أحزاب اليسار الصهيوني والأحزاب العربية وحركة السلام الآن، ودانت هذه المظاهرة المجزرة، ودعت لتشكيل لجنة تحقيق، ولمحاكمة شارون.

---

(21) مذبحة صبرا وشاتيلا، بعد ظهر الخميس 1982/9/17 واستمرت طوال ظهر اليوم التالي. حيث فاقت أعداد الشهداء (1600) شهيد من الفلسطينيين واللبنانيين، وكانت أشكال القتل متنوعة بين الخناجر والبلطات وإطلاق النار، وأشير إلى اشتراك القوات اللبنانية بقيادة إيلي حبيقة وقوات سعد حداد التي نقلت من الجنوب بطائرات إسرائيلية. وهذا ما أكده (أمنون كابليوك) في كتاب (تحقيق حول مجزرة) ووجه الإدانة فيه لشارون وإيتان. وحتى شارون أكد في جلسة الكنيست 1982/9/22 مسؤولية حزب الكتائب والقوات اللبنانية عن المجزرة.

* المصدر: السفير 1982/9/23. * كتاب تحقيق ـ حول مجزرة صبرا وشاتيلا ـ أمنون كابليوك، دائرة الثقافة والإعلام م.ت.ف ـ 1983 ـ دمشق ـ بطبعته العربية المترجمة عن العبرية.

وعلى الرغم من أن شارون حاول في الكنيست إدانة الحكومة العمالية بزعامة شمعون بيريز، لأنها تورطت في تل الزعتر، وقدمت المساعدات العسكرية والتموينية للقوات اللبنانية فضلاً عن إعلان بيريز في 6 حزيران دعم عملية الغزو، فإن الملف انفتح في الشارع الإسرائيلي، واستقال شارون من وزارة الدفاع وشكلت لجنة كاهان التي أدانته وأدانت المجزرة. أما العواصم والشوارع العربية فكانت تغط في سبات أهل الكهف.

■ لماذا هذا السبات... ما الذي يجعل الشارع العربي لا مبالياً هكذا، وهو الذي كان يشتعل في التعبير عن رأيه في المنعطفات الهامة أو في الأحداث الكبيرة كالذي حصل في صبرا وشاتيلا؟!

■■ إنها أزمة العلاقة بين الطبقات الحاكمة، والجماهير العريضة المحكومة... إنها معضلة المصداقية بين الشارع والحكم وأحزابه السياسية!!

في الخمسينات والستينات كانت المصداقية مرهفة بين تجربة مصر الناصرية والأحزاب التقدمية (القومية واليسارية) وبعد هذا أخذت رحلة التراجع في المصداقية واتساع المساحة بين الشعوب والحكومات والتناقض الصارخ بين خطاب الحاكم وشعارات أحزابه، وبين الممارسة على أرض الواقع.

عملت الثورة الفلسطينية وقوى الصمود العربية على استعادة المصداقية وإعادة بناء اصطفاف القوى الوطنية (القومية واليسارية والدينية المستنيرة) ونهضت بدور عظيم بعد هزيمة 1967، ولكن الصراعات في الصف الوطني وتفاقم صراع المحاور الإقليمية، وما ترتب عليه من أنهار دماء بين الأخوة الحلفاء، على محاور الأرض المحتلة وأقطار الطوق العربية، قضى على ما تبقى من المصداقية خاصة بعد أن تكبلت مصر بكامب ديفيد، وتم شل العراق ودول الخليج وبلدان عربية أخرى باتجاه حرب الخليج الأولى. وبذلك عاشت شعوبنا فترة السبعينات والثمانينات في سلسلة من الحروب الداخلية وطغت التعارضات بين الأخوة على التناقضات مع العدو!!

من هنا حصراً تنبع المشكلة المستفحلة. إنها فقدان المصداقية!! والوجه الآخر للأزمة، فقدان الديمقراطية في الحياة العربية!

■ بعد رحيلكم عن بيروت. كان هناك صراع من نوع ما داخل الجانب الآخر من المتراس. ولكن البارز فيه كان بين بشير وأمين الجميل على الرئاسة!!

■■ إن تداعيات الرحيل عن بيروت، وتفتت قوى الحلفاء وتباعدها عن خطها الأمامي، أدى بتسارع إلى تنصيب بشير الجميل رئيساً بعد أن كان قادة العدو ينادونه منذ عام 1976 بلقب: (رئيس الدولة الناشئة)!

وقبل الرحيل عن بيروت، جاءنا أمين الجميل، التقيت به أنا وأبو إياد، بناء على طلبه... وفي ذلك اللقاء طرح أمله في أن يكون رئيساً للبنان، محذراً من أخيه بشير ومن دمويته وعنفه وعلاقاته الوطيدة مع القيادة الإسرائيلية.

وكان معلوماً للجميع أن أمين الجميل، وفي إطار العائلة احتفظ بعلاقات مع محيطه العربي، ومنها سورية والمقاومة والقوى اليسارية اللبنانية. فقد اقتربت نهاية حكم الياس سركيس في نهاية ولايته، لكن نداء أمين الجميل فاته القطار. لأن الأمور مشت في اتجاه آخر.

دُعي بشير الجميل إلى الرياض في السعودية، وهناك تم استكشاف مواقفه، وأُخذت وعود منه بعدم دخول بيروت والمخيمات، انسجاماً مع الوعود الأمريكية.

في أثناء ذلك، جاءنا أمين الجميل مرة ثانية، كان حزيناً عصبياً، فهو يعتقد أنه الأولى من بشير بالرئاسة، لأنه ابتعد عن العنف، وكان رجل حوار مع محيطه، مؤكداً أن لا علاقات له مع القيادة الإسرائيلية. وخاطبنا بلغة الجمع قائلاً: (أنتم العرب عمَّدتموه بماء زمزم، فتحملوا المسؤولية)!

وبالطبع لم يبق بشير الجميل، الرئيس المنتخب، تحت ضغط الدبابات الإسرائيلية والهيمنة الأمريكية، ثلاثة أسابيع، حتى انفجر مقر الكتائب المركزي فقتل ومن معه! وقدمت قيادة الكتائب أمين الجميل مرشحاً بديلاً، وكان تعليقه على ما حدث في لقائه مع أبي إياد (كما أبلغني به مساء يوم اللقاء، حيث لم أشارك به): (دود الخل منه وفيه!) مشيراً إلى أن مقتل أخيه جاء نتاج الصراعات الداخلية في بيروت الشرقية، بعد أن صنع بشير ما صنع بين اللبنانيين، وتمَّ تنصيبه في الحادي والعشرين من أيلول!

■ هل كان أمين الجميل فعلاً نظيفاً من اللقاءات مع الإسرائيليين؟

■■ طيلة ازدهار العلاقات، بين الكتائب وقادة إسرائيل، حاول أمين الجميل أن يترك مسافة. وربما باتفاق العائلة، فضلاً عن مزاجه الخاص... وأقول لك، إن كل ما كان بيدنا من معلومات، لم يلحظ أي لقاء بينه وبين القادة الإسرائيليين بينما نلاحظ الكم الواسع من القيادة الكتائبية، بالإضافة إلى شمعون: الأب والابن، الذين كانوا يلتقون مع الإسرائيليين!

وتأمل نايف حواتمة الأوراق الموجودة أمامه، وأضاف وهو يبتسم بسخرية:

■■ بعد أن قدمت القيادة الكتائبية أمين الجميل مرشحاً للرئاسة. وفي التاسع عشر من أيلول من ذلك العام، تم اللقاء بالأشرفية بين أمين الجميل وأرئيل شارون ورفائيل إيتان وقائد المنطقة الشمالية أمير دروري، ونحن نعرف أنه، وفي ذلك اللقاء، أكد أمين الجميل وأبوه بيير: أن العائلة كلها ستنفذ ما تم الاتفاق عليه مع بشير، بما فيه (معاهدة السلام مع إسرائيل)!!

■ اللقاءات مع الإسرائيليين مثار إشكالية! فأنت مثلاً التقيت مع بعض منهم... وطالما نحن، في إطار الحديث عن الاجتياح، فقد التقى معك، في بيروت أثناء الحصار الإسرائيلي أمنون كابليوك!!

■■ في الصراع أداة القياس هي: من مع حق شعبنا بتقرير المصير والدولة والعودة، وحق أمتنا العربية في تحرير واستعادة أراضيها المحتلة، ومن ضد هذا في المجتمع الإسرائيلي!

أمنون كابليوك هو من الذين ساهموا بتسليط الضوء على الحقوق الفلسطينية والعربية، وعلى ما جرى في حصار بيروت، وعلى مذابح صبرا وشاتيلا... وله كتاب شهير بهذا الشأن، وقد سلط فيه الضوء أيضاً على سلوك شارون المتواطئ مع القوات اللبنانية.

وعلى كل حال، ليست هذه المرة الأولى التي ألتقي بها معه. فأمنون كابليوك صديق لشعبنا والحق العربي: إنه يساري ماركسي، وأول مرة التقيت معه، كانت في موسكو، ثم في براغ، وفي بلدان أخرى.

وأتذكر جيداً، أنه، وربما كان ذلك في 12 آب 1982، ذلك اليوم الطويل الشهير من الغارات الإسرائيلية على بيروت، رتب اللقاء بيني وبين كابليوك الرفيق سهيل الناطور، وكنا على الطبقة الثالثة الأخيرة من منطقة بعيدة عن احتمالات القصف المباشر.

وبعد اللقاء بيننا، عاد وكتب مقالاً في إسرائيل، تحدث فيه عن الأوضاع داخل الدولة العبرية، وكيف أن فقراء اليهود يقفون مع اليمين، بينما الطبقة الوسطى ومعظم الأغنياء يقفون مع اليسار الصهيوني. وهذه مسألة على علاقة بدرجة التطور الاجتماعي والثقافي والتعليمي بين اليهود الشرقيين واليهود الأوروبيين.

هذا الموضوع كان مضمون الحوار الذي دار بيني وبينه أثناء حصار بيروت. وقد أشار في حديثه إلى غارات الطيران المكثفة التي كانت تمر فوق رؤوسنا. ونوه إلى رد فعلي اللامبالي تجاهها.

■ في هذا الإطار، هل يبدو لقاء اليساري العربي مع الماركسي الإسرائيلي مبرراً كما فهمت منك؟!

وبدا هذا السؤال غريباً في زحمة ما يتم من لقاءات بين بعض العرب والإسرائيليين... لذلك تنهد حواتمة بصبر، وقال:

■■ يرتبط هذا بمدى الإقرار بحقوقنا الوطنية والقومية فالمسألة ليست ايديولوجية مجردة، وقرارات الشرعية الدولية أرضية أدوات القياس الراهنة!

وارتسمت على شفتيه ابتسامة من نوع خاص، فأحسست أن عليّ الانتقال إلى مسار آخر، فقلت:

■ أريد أن أثبت نقطة، قبل أن نطوي هذا الملف، وهي أن الأحداث التي وقعت بعد رحيلكم عن بيروت، تعطي الفرصة للوم الحركة الوطنية اللبنانية، التي شاركت بتسطير الملحمة أثناء الصمود، ولكنها لم تفعل شيئاً لحماية بيروت والمخيمات فيما بعد.

■■ في الأيام الأولى، أخذت المفاجأة الخاطفة الحركة الوطنية. فدخلت القوات الإسرائيلية بطائرات الهليوكبتر الضخمة إلى مطار بيروت ليلاً. وعندما لاح الصباح استيقظت الحركة الوطنية لترى أن بيروت قد أصبحت محتلة!!

المفاجأة كانت طاغية، فلم تعط الحركة الوطنية ردود فعلها مباشرة. وتكرر هذا مساء اليوم التالي، بعد أن أصبحت كل مداخل المخيمات بيد قوات الاحتلال، التي فتحت الطريق لدخول القوات اللبنانية إلى المخيمات، وقدمت لها الإسناد المدفعي، وأضاءت سماء المخيمات بالقنابل الضوئية لتسيير شمولية المذبحة... وهول المحرقة.

جاءت المقاومة الوطنية اللبنانية لاحقاً، وبمراكمة بطيئة بدأتها القوى اليسارية والحزب القومي.

لملم نايف حواتمة أوراقه، فشعرت بأنه هيأ نفسه لإنهاء اللقاء، وعندها بحثت عن الأشياء الكثيرة التي تناثرت فوق الطاولة التي نتحدث حولها، وأخرجت ديوان محمود درويش (مديح الظل العالي)، وقلت له، وأنا أفتح صفحة من صفحات هذا الديوان:

■ لقد ودّع محمود درويش لبنان بقصيدة معروفة، يقول فيها: يا أهل لبنان الوداعا... ودّعها كإنسان ومناضل وشاعر معاً.. ونحن لا نعرف كيف ودع نايف حواتمة لبنان عندما بدأت ساعة الصفر، أو ساعة الرحيل عن بيروت.

أخذ الديوان من يدي، وقلب صفحاته بهدوء، ثم أخذ يتحدث بصوت متهدج:

■■ في لبنان: على أرض جنوبه، وفي المخيمات، وفي بيروت المحاصرة، صنع اللبنانيون الذين احتضنونا، وصنعت الثورة والحركة الوطنية الأسطورة الخالدة، وكانت بيروت النجمة الساطعة على جبين كل العواصم العربية والأجيال القادمة!

مَنْ مِنَ الذين عاشوا الحصار لا تنهمر دموعه كلما لاحت له لوحة المبدع الكبير ناجي العلي مخلداً يوم الحشر الشهير: (صباح الخير يا بيروت) تنطق بها صبية بيروت الجميلة والدموع تمطر من عيونها الوسيعة؟!

قدمت بيروت نفسها نهر العطاء الخالد، الذي فاض بحبه الكبير عندما نزلت الجماهير اللبنانية والفلسطينية إلى الشوارع بالرز والزهر والدموع لوداع أبناء المقاومة، تعظيماً لمجد الصمود، برغم عذابات روح بيروت وآلاف الضحايا الذين قدموا أنفسهم قرابين للمجد الموعود. لكنها حصدت رحيل من عاشوا في قلبها وناضلوا معها وبها، وهي تتلمس عذاباً قادماً بعد الرحيل.

الشريط يعيد المشهد أمامنا، عندما رحلنا فوجاً بعد فوج، واختلطت الزغاريد ومطر الرز مع الدموع مع رصاص الفرح والوداع لمجد قد يتأخر عن المدى الذي وصله... وفي القلب نرسم دون إفصاح، الآية الشعبية: من لا أرض له لا بحر له، لا سماء له!!

و كان ديوان محمود درويش في يده عندما بدت الذكرى واضحة في صوت نايف حواتمة وهو يتابع:

■■ تاج هذه التراجيديا التي تعيشها عنقاء العرب الجديدة، أعطاه محمود درويش عندما حلّق كصوت صارخ مدو في البرية العربية، مخلداً بيروت، باكياً ومبكياً، فبيروت لم ولن تكون أخت الأندلس التي خاطبها أحمد شوقي:

يا أخت أندلس عليك سلام

هوت الخلافة عنك والإسلام

ودعها الوداع الأخير... فبيروت هي التاج الذي قال به محمود درويش:

قلنا لبيروت القصيدة كلها

قلنا لمنتصف النهار

بيروت قلعتنا... بيروت دمعتنا
قلنا وردة السور الطويل
وما تبقى من جدار
بيروت قصتنا... بيروت غصتنا
وبيروت اختبار ا لله
جربناك... جربناك
من أعطاك هذا اللغز... من سماك
من أعلاك فوق جراحنا

وراح نايف يتابع قراءة المقاطع الخالدة من ديوان محمود درويش، حتى ظننت أنه سيقرؤها كلها، و كانت مقاطع اختارها بعفوية وصدق القائد السياسي، عندما يتعامل مع قصيدة لشاعر يحبه:

■■ ها هي هجرة أخرى
فلا تكتب وصيتك الأخيرة والسلاما
واسحب ظلالك عن بلاط الحاكم العربي
حتى لا يعلقها وساما
هذه الصحراء تأتينا لتلتهم القصيدة والحساما
هل نستطيع الموت في ميلادنا الكحلي
أم نحتل مئذنة ونعلن في القبائل
أن يثرب أجّرت قرآنها ليهود خيبر
ا لله أكبر هذه آياتنا
فاقرأ باسم الفدائي الذي خلق من جزمة أفقا
باسم الفدائي الذي يرحل
باسم الفدائي الذي يبدأ
اقرأ! بيروت صورتنا... بيروت سورتنا
سقط القناع
عرب باعوا روحهم
عرب وضاعوا
سقط القناع

و توقف عند مقاطع أخرى منها:

■■ صبرا بقايا الكف في جسد القتيل
ودعت فرسانها وزمانها
لم ترحلون
صبرا تمزق صدرها المكشوف

كم مرة تتفتح الزهرة
كم مرة ستسافر الزهرة
رحلوا وما قالوا شيئاً عن العودة
ذبلوا ومالوا عن الجمرة الوردة

* *

يا أهل لبنان الوداعا
يا أهل لبنان الصمود
قمراً على ليل العرب
هذا دمي... دمكم خذوه وزّعوه
شجراً على رمل العرب

* *

وقال حواتمة مستعيناً بما قاله محمود درويش في ديوانه:

■■ ما أوسع الثورة
ما أضيق الرحلة..
ما أضيق الفكرة..
ما أصغر الدولة...

* *

وصمت، كانت قراءته توحي بأن في داخله شاعر مكبوت ولكنه وعندما ختم فقرات القصيدة التي يحبها، عاد سياسياً نضح من داخله الشعر إلى روح الآخرين الذين يحبهم لكنه كان سعيداً بقراءة هذه المقاطع لمحمود درويش...

قلت له:

■ ربما لا أكون مبالغاً إذا قلت: إن وداع المقاتلين الفلسطينيين في بيروت عام 1982 كان خالداً. ولكن لا أعرف ما الذي يدفعني لمقارنته بوداع ياسر عرفات في طرابلس[22]. كانا مشهدين متناقضين! ربما لا توافق على هذه المقارنة!

أحس أن هذا السؤال نقلة جديدة في سياق الحوار، فقال بعد تمهل:

■■ طرابلس فصل في كتاب جديد من الصراع ينسحب عليه قول ماركس: (عندما يعيد التاريخ نفسه: في المرة الأولى تكون المأساة، وفي المرة الثانية تكون المهزلة) هذا هو فصل الصراع في طرابلس... إنه المهزلة!!

---

(22) دخل عرفات من البحر إلى طرابلس في 1983/9/20، بعد الانشقاق الكبير الذي وقع في حركة فتح 1983/5/9، وسحب نفسه بشق م.ت.ف، وخرج عرفات من طرابلس بسفن يونانية في 19/ك1/1983، وباتفاق سوري ــ سعودي، رتبه المرحوم خالد الحسن وبحماية فرنسية ـ مصرية.
* الحرية (1983/12/10). * أسعد عبد الرحمن: النضال الفلسطيني في إطار م.ت.ف. * الموسوعة الفلسطينية ـ القسم الثاني ـ الدراسات الخاصة ست مجلدات ص248، ص249.

ولكن ما حصل جذوره بعمق سنوات سبقت لم يأت من فراغ، ولم يسقط من السماء، بل هو حلقة من سلسلة التداعيات المتوالية بعد الرحيل عن بيروت!

■ كيف؟!

■■ لأن ما جاء في فصل طرابلس من الكتاب، جاء نشازاً، بعيداً عن الجبهة الأمامية في القتال. فبعد رحيلنا تم احتلال بيروت وارتكبت مجزرة صبرا وشاتيلا. وهذا يعني أن على كل قوى المقاومة أن تنخرط في الجبهة الأمامية لمحاصرة ودحر الاحتلال وإرغامه على الرحيل!

فبعد الرحيل عن بيروت، وظهور الخطأ الكبير في تحديد الاتجاه[23] الذي تتجه إليه قوات المقاومة، تسارعت عملية الانشقاق في منظمة فتح. وبرزت الانحيازات المدمرة حول هذا الجناح أو الجناح الآخر.. وبالإضافة إلى ذلك، جاء مشروع ريغن[24] ليزيد من حدة التعارضات، فبدلاً من أن يفعل هذا المشروع فعله في المجتمع والخارطة السياسية الاسرائيلية التي انفجرت تعارضاتها في الشارع وأعطت مظاهرة الأربعمئة ألف في تل أبيب. تحول هذا المشروع إلى عامل تلغيم واضح شَدَّ عدداً من العواصم العربية، ودفعها للضغط على جناح عرفات للبحث عن سبل للتلاقي مع ذلك المشروع في منتصف الطريق.

وفعلاً، وفي حُمَّى الانشقاق داخل حركة فتح عام 1983، وقع عرفات اتفاق عمان الأول مع الملك حسين.

وعلى الفور عقدت القيادة الفلسطينية اجتماعاً في الكويت، بمشاركة ياسر عرفات القادم من عمان. وبجهود وحضور أبو إياد وأبو جهاد وهاني الحسن وعبد الرحيم أحمد.

يومها كنت في صوفيا، في بلغاريا. وبعد إصرار هؤلاء الأخوة على حضوري. طلبت من الرئيس البلغاري تيودور جيفكوف طائرة خاصة. فلبى طلبي رغم نصيحته بأن لاأسلك هذه الطريق نظراً لمخاطره، فكل بلد مرت فوقه الطائرة طلب من في قلبها، ولكني مشيت بالمغامرة إلى مداها إلى أن وصلت الكويت.

وتنهد وأضاف:

■■ وفي الكويت، أحجم عرفات عن إكمال دورة عملنا المشترك، فهو لايريد أن يسجل أنه تراجع عن توقيعه الذي وضعه على اتفاق عمان. لذلك اتخذ المجتمعون القرار بينما عرفات يسمع من الغرفة المجاورة قرار اجتماع القيادة، وينص على رفض هذا الاتفاق دون اعتراض تعبيراً عن موافقته بصمت، وضرورة تجاوزه كي لاتزداد حالة الانقسام الفلسطيني. وتزداد العلاقات الفلسطينية – الأردنية توتراً يكمن تحت الرماد، فنحن الحريصون على بناء العلاقة

---

(23) للجبهتين الديمقراطية والشعبية موقف آخر، دعا لتثبيت وجود كل المقاتلين الفلسطينيين على أرض ومواقع الصراع الأمامية: وحل الصراع المحتوم باللجوء للحوار بعيداً عن سفك الدماء الفلسطينية، وقدمت الجبهتان وثيقة إعادة البناء في صفوف م.ت.ف وعرفت باسم وثيقة (برنامج الثورة والاصلاح الديمقراطي في م.ت.ف) في ت1/ 1983.

* (الحرية 13/ ت1/ 1983) + (برنامج الاصلاح) كتيب صادر عن الجبهة الديمقراطية - الاعلام المركزي 1983.

(24) أعلن ريغان عن مشروعه في 2/ 9/ 1982 لحل القضية الفلسطينية، مع انتهاء خروج المقاومة من بيروت ـ النهار 3/ 9/ 1982 - السفير 3/ 9/ 1982.

على أسس مشتركة ديمقراطية، سليمة وأخوية. وتم تكليف أبو جهاد الوزير وهاني الحسن بالانتقال مباشرة إلى عمان ووضع نهاية لهذا الاتفاق الذي مَثّل المحاولة الأولى للتقاطع مع مشروع ريغن في بداية الطريق.

لكن حصاد الغزو السام لم يتوقف، فبعد انشقاق فتح، وحرب عدد من فصائل منظمة التحرير، حملنا راية إعادة بناء الوحدة لائتلاف منظمة التحرير: بدأناه نحن في الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية والحزب الشيوعي الفلسطيني وجبهة التحرير الفلسطينية ولكن لم تأتِ الرياح سريعاً بما تشتهيه سفن إعادة بناء الوحدة استجابة لإرادة الشعب الذي أدان حرب الأخوة.

في هذا السياق، جاءت قفزة عرفات إلى طرابلس... لا لتعيد التاريخ إلى طرابلس، تحت شعار: إعادة إنتاج المقاومة. وإنما بعيداً عن جبهة القتال الأمامية حيث الصراع يدور مع قوات الاحتلال من العاصمة بيروت جنوباً، ومباشرة، اندفعنا في الجبهة الديمقراطية والأخوة في الجبهة الشعبية، إلى رفض مسرحية الموت على مذبح الحروب الأهلية والمحاور الإقليمية العربية، ودعونا عرفات لمغادرة طرابلس بعد أن شارك في أيام العيد، فهو يقول أنه جاء معايداً!!.

وبالطبع، لم يستجب عرفات! ولذلك تداعى عدد من الأخوة إلى عدن، بجهود مشتركة، فالتقينا خالد محي الدين، رفعت السعيد، علي ناصر محمد ومحمود عباس (أبو مازن)، ونايف حواتمة. لنتداول فيما ينبغي فعله. فأرسلنا رسالة مشتركة إلى ياسر عرفات ودعوناه من جديد إلى مغادرة طرابلس، قبل أن يتحول وجوده فيها إلى مذبحة جديدة. لكن عرفات واصل موّاله الذي يربط بين صراع المحاور الاقليمية العربية، والبحث عن سبل للتقاطع من جديد مع مشروع ريغن!

ثم انتقلت فوراً إلى الجزائر، وبمعرفة الرئيس بن جديد والرئيس بورقيبه، وبذلت بينها وبين قيادة فتح في تونس وخاصة صلاح خلف، محمد غنيم، محمود عباس، كل الجهد بأمل التسريع بطي هذا الفصل صيانة لما تبقى بأيدينا من قوى نستنهض فيها همم شعبنا والمقاومة، ونعيد بناء جسور العلاقات المجبولة بالدم والجراح الفاغرة الفاه بين الحلفاء، لكن جهودنا جميعاً، بين الجزائر وتونس وعدن باطلاع علي ناصر محمد وبعدها صنعاء بمعرفة علي عبد الله صالح لم تعط ثماراً، ووقعت المذبحة!!

وهكذا حدث الرحيل المر عن طرابلس على أنقاض طرابلس والمخيمات (البارد والبدّاوي) واقتتال الأخوة بلا داع... فَصَحَّ قول ماركس الذي أشرت إليه.

لقد خرج عرفات من طرابلس إلى مصر لأول مرة، بعد كامب ديفيد، بقرار فردي وهكذا دارت الطاحونة دورتها لأن القيادة الفلسطينية لم تتخذ أي قرار بذلك. حتى أن أبا جهاد الوزير وهايل عبد الحميد، وكانا في طرابلس معه، أقسما أن كل هذا تم دون علمهما. فقد غادروا باتجاه صنعاء مروراً بقناة السويس، وليس نزولاً بقناة السويس إلى القاهرة.

واستطرد نايف حواتمة يقول:

■■ أخذت الوقائع تفصح عن نفسها بعد ذلك، وذلك من خلال تعطيل اتفاق الجزائر – اليمن لإعادة بناء الوحدة الوطنية[25] واندفاع عرفات إلى عقد المجلس الانقسامي البديل في عمان الذي كرس انقسام منظمة التحرير[26]، وقد شارك فيه بالإضافة إلى فتح جبهة التحرير العربية وجبهة التحرير الفلسطينية (أنصار – محمد عباس).

الواقع أن هذا الانقسام كان أول انقسام كبير ورهيب يقع في منظمة التحرير الفلسطينية منذ تشكيلها وقد تلمسنا ذلك، من خلال اللقاء الطويل مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والرئيس اليمني (عدن) علي ناصر محمد، فقد أصبح مرئياً أن حركة فتح أكملت خطواتها لعقد المجلس الآخر في عمان ليفتح الباب أمام عقد اتفاق شباط 1985، وبأفق التلاقي مع مشروع ريغن[27].

لقد وقع هذا كله على خلفية ماجرى في طرابلس، ونتيجة لما حصدناه من غزو العدو الشامل مما زاد الانقسامات أكثر فأكثر فلسطينياً وإقليمياً وهذا أيضاً ما رفضناه، وبقيت الجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعي فقط في إطار التحالف الديمقراطي الذي وقع اتفاق الجزائر – اليمن مع فتح اللجنة المركزية بعد أن غادر هذا التحالف رفاقنا في الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية وشكلوا مع القيادة العامة والصاعقة والنضال وفتح الانتفاضة والحزب الشيوعي الثوري جبهة الانقاذ.

وفيما بعد واصلنا دورنا من موقع نبض شعبنا في موقع بناء الوحدة الوطنية وتجديد ائتلاف منظمة التحرير، إلى أن فاز نبض شعبنا وانتصر بعد خمس سنوات عجاف بعقد المجلس الوطني التوحيدي في نيسان 1987 بمشاركة فتح والجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية والحزب الشيوعي الذي تم تشريع عضويته لأول مرة في تاريخ منظمة التحرير وشارك بعضوية اللجنة التنفيذية.

لقد تم هذا على قاعدة إلغاء اتفاق شباط، والنتائج الانقسامية التي تمت في ذلك المجلس السابق قبل دخول دورة المجلس في قصر الأمم وباتجاه إعادة مراكمة القوى للنضال على الجبهة الأمامية. وفعلاً شكلت إعادة بناء الوحدة المقدمات لانطلاقة الانتفاضة في ديسمبر 1987.

---

(25) اتفاق الجزائر – اليمن بين الجبهتين الديمقراطية والشعبية والحزب الشيوعي (الشعب حالياً) وجبهة التحرير الفلسطينية (أي التحالف الديمقراطي وحتذاك)، وبين حركة فتح (13/ تموز/ 1984). لإعادة بناء ائتلاف م.ت.ف بعد الانشقاق الذي وقع في صفوفها - (كتيب النص الكامل لوثائق اتفاق الجزائر - اليمن) - (الإعلام المركزي - الجبهة الديموقراطية تموز/1984).

(26) الدورة (17) للمجلس الوطني الفلسطيني عقدت في عمان (الأردن) من (22) إلى 29/ ت2/ 1984، وهي الدورة ذات اللون الواحد.

(27) وقع الاجتماع في ضيافة الرئيس بن جديد ومشاركة الرئيس علي ناصر محمد، حواتمة، أبو جهاد الوزير، هاني الحسن، عبد الرحيم ملوح، محمد شريف مساعديه، د. أحمد طالب الابراهيمي، عبد الغني عبد القادر، (15/ ت2/ 1984) الجزائر العاصمة.

الفصل الثامن

أوسلو...
والسلام الآخر المتوازن

حوار : عماد ندّاف
علي بدوان

■ أوسلو...
والسلام الآخر المتوازن

أعطى نايف حواتمة في هذا الفصل مساحة أوسع للحقائق التي في جعبته، ولقراءة المعطيات التي مرت بها القضية الفلسطينية وعملية التسوية الراهنة خلال الحوارات العلنية والسرّية التي جرت في العقد الأخير..

ويمكن اكتشاف دقة هذا الرجل في تعامله مع المادة التاريخية الوطنيّة التي يعاصرها من موقعه كقائد كبير من قادة فصائل الثورة الفلسطينية، فهو يتتبع دقائق الأمور ويبحث في خفاياها، ويلاحق خيوط موقفه إلى أن يجمعها، فيجدها كضفيرة متينة يصعب إضعافها.

إن وقفة حواتمة هذه أمام واقعة اتفاق أوسلو ومخاطره تضاف إلى جملة الوثائق التاريخية أو الكتابات الهامة المتعلقة بهذا الموضوع، لأن حواتمة ببساطة كان يحمل في كل عبارة ينطق بها شغف البحث عن البديل في السلام الآخر المتوازن الذي يشغله. وعلى هذا الأساس كانت حرارة الحوار عالية، وخاصة أنه وضع أوراقه ووثائقه أمامه، ثم أعاد قراءة الحوار ليدقق تعابيره واستشهاداته.

قلت له في بداية الحوار:

■ الحديث عن اتفاقات أوسلو يدفعنا مباشرة إلى حرب الخليج الثانية والمبادرة الأمريكية حول السلام في الشرق الأوسط التي أعقبت هذه الحرب. ربما كانت حرب الخليج الدافع الأول لمبادرة الرئيس بوش!

فأجاب وهو ينفي فكرتي بحركة من وجهه:

■■ المبادرة الأمريكية لم تهبط فجأة بمظلة حرب الخليج الثانية، وإن كان جورج بوش قد أطلقها من على منبر الكونغرس في السادس من آذار/ مارس 1991، أي بعد أسبوع واحد فقط من وقف إطلاق النار في 28 شباط/ فبراير 1991.

المبادرة كانت نتاج سلسلة معقدة، متعثرة في مسار حركة الصراع في الشرق الأوسط، وتمتد جذورها عميقاً، وعلى الخصوص منذ تعثر قرار مجلس الأمن الدولي 242 (تشرين الأول/

أكتوبر 1967) ونهوض حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية العاصف بعد هزيمة 1967. ففي مجرى الصراع تداخلت وتشابكت عناصر جديدة لم يلحظها القرار 242، وفي مقدمتها حضور الحقوق الوطنية على خارطة الأرض المحتلة والصراع العربي - الإسرائيلي الصهيوني، والمجتمع الدولي. وإصرار حكومات الدولة العبرية العمالية والليكودية على المفاوضات الثنائية المباشرة (لعكس ميزان القوى الثنائي على المفاوضات وليس توازن المصالح) والعمليات التوسعية الاستيطانية على مدى الأراضي المحتلة.

ومبادرة بوش القائمة على (القرارين 242 و 338 والأرض مقابل السلام) تستمد عناصرها الرئيسية من اتفاقات كامب ديفيد ومشروع ريغان (أيلول/ سبتمبر 1982) ومشروع شامير/ رابين (14 أيار/ مايو 1989) وأوراق البحث بين فريق في القيادة الفلسطينية والخارجية الأمريكية عبر القناة المصرية بين ديسمبر 87 وآب 1991 مع استبعاد عناصر بارزة من مشروع ريغان، وإدارة الظهر لمشروع الملك فهد كما قرأته قمة فاس العربية الثانية في 6 أيلول/ سبتمبر 1982، وقبلها قرارات قمة الرباط في ت2/ نوفمبر 1974.

ومبادرة بوش تم تجهيز إطارها الأساسي قبل حرب الخليج الثانية بزمن، وتم الاتفاق عليها مع عدد من العواصم العربية عشية حرب الخليج الثانية بشروط أمريكية معينة، على أن يتم إطلاقها بعد وقف إطلاق النار. وهذا ما وقع فعلاً بعد أسبوع واحد من وقف الحرب.

لقد فرضت إجابة حواتمة هذه سلسلة من الاستفسارات، وكان راغباً في وضعها ضمن هذا السياق على ما يبدو. لذلك سألته:

■ أنت تقول إن هناك عناصر بارزة تم استبعادها من مشروع ريغان. هذا يعني أن شيئاً إيجابياً قد طرح فيه وأرادت إسرائيل استبعاده... ترى ما هي العناصر التي استبعدت من مشروع ريغان؟!

عاد حواتمة بذاكرته سريعاً إلى الوراء، وقال:

■■ أعلن ريغان عن خطته مع رحيل آخر موجة من قوات المقاومة من بيروت في أيلول 1982. وبدأ بالإشارة إلى (النصر الكبير الذي حققته السياسة الأمريكية والعمليات الإسرائيلية بإخراج منظمة التحرير من لبنان باعتبار أن هذا يفتح الطريق لتناول عام لأزمة الشرق الأوسط وتسوية القضية الفلسطينية).

لقد قدم مشروع ريغان التالي:

- اعتبار إطار كامب ديفيد للحكم الذاتي إطاراً مناسباً يمكن تعديله طبقاً للظروف المتغيرة، إدارة ذاتية وسلطة فلسطينية منتخبة في المناطق (لم يذكر عبارة المحتلة، ولم يحددها) تتولى الإدارة بما لا يهدد أمن إسرائيل.

- وقف مؤقت للاستيطان يترافق مع إجراءات ضرورية لبناء الثقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

- الاعتراف بحق اليهود في الحياة في أي مكان من (يهودا والسامرة) التاريخيتين (بدلاً من عبارة الضفة المحتلة الواردة بقرارات مجلس الأمن 242، 905، 907 التي صدرت بالإجماع).

ـ الوضع النهائي يتقرر بعد فترة انتقالية مدتها خمس سنوات، وفق قرار مجلس الأمن 242. وأن يتوافق انسحاب إسرائيل من أية أراض مع ضمانات الأمن والتطبيع مع كل جيرانها.

ـ تعهد أمريكي بضمان أمن إسرائيل.

وهنا علينا أن نلاحظ أن (الوقف المؤقت للاستيطان) هو البند الجديد والإيجابي في مشروع ريغان عن اتفاقات كامب ديفيد. ولهذا أكد بيغن (أن المشروع ولد ميتاً) وتجاهلته حكومته، فهي مع إطار كامب ديفيد الذي لا يأتي على ذكر وقف الاستيطان ولا يشير إلى أي انسحاب ما من أراضي في الضفة فضلاً عن تجاهل القدس وحصر الحكم الذاتي بالسكان دون الأرض.

وعلى الجانب الآخر أخذت ألغام مشروع ريغان تتفجر في الساحتين الفلسطينية والعربية، برغم مأساة غزو لبنان 1982. وعادت التعارضات مرة أخرى إلى الصف الفلسطيني والعربي لتطغى على التناقض مع المحتلين التوسعيين والمشاريع الأمريكية المستندة إلى كامب ديفيد وفصل المسارات العربية عن بعضها عملاً بكامب ديفيد ومشروع ريغن.

وهنا نشير إلى أن مشروع ريغان تم طبخه على امتداد أشهر حصار بيروت وغزو لبنان. كما تم التداول به بين الإدارة الأمريكية وعدد من العواصم العربية ـ ونحن في الحصار وشعب لبنان والمخيمات تحت عذابات الدمار والجوع والموت والدموع. وعلمت بهذا من خمسة رؤساء عرب قبل عقد قمة فاس الثانية في 6 أيلول/ سبتمبر 1982.

أما السوفييت، فقد عالجوا نتائج الغزو من على الجانب الآخر من المتراس وتقديم كل أشكال المساندة السياسية والتسليحية للمقاومة الوطنية اللبنانية بما فيه الدبابات وخاصة لوليد جنبلاط في الجبل وشجعوا نهوض المقاومة الفلسطينية بجانب اللبنانية. فقاتلنا معاً في بيروت والجبل وصيدا والجنوب. وقدم السوفييت لسورية تعويضاً كاملاً عن السلاح الذي فقدته في مقاومة الغزو الذي وصل إلى الجبل وحاصر بيروت وهدد طريق دمشق ـ بيروت عند مشارف ظهر البيدر.

■ هل كان الجانب العربي معزولاً عما يعد من مشاريع... فقد سبق مشروع ريغان مشروع فهد، الذي وصفه أحد القادة العرب بانه آخر تراجع تكتيكي يجب أن يُقدم عليه العرب!

ابتسم حواتمة وقال:

■■ صحيح... أشرت لتداول مشروع ريغان وهو أحد العوامل الرئيسية، إن لم يكن الأساس الذي عجل بعقد قمة فاس الثانية بعد أربعة أيام فقط من رحيل آخر موجة من المقاتلين عن بيروت، فضلاً عن مداراة حالة الشعوب العربية المذهولة المفجوعة بمجريات الغزو والحصار وردود فعل الدول العربية، وتحوطاً مشتركاً ما أمكن لقادم الأيام.

وعملياً شكلت قرارات فاس رداً على، وتطويراً لـ (مبادرة ريغان) وكلفت القمة الملك الحسن الثاني أن يحمل القرارات التي سمتها (مشروع الملك فهد) إلى واشنطن وأن يقدمه بنفسه إلى ريغان. وبدأ البحث مع شولتز وزير الخارجية في 22 تشرين الأول/ أكتوبر 1982 في واشنطن وبأمل التوفيق بين المشروعين.

وعندما طالب شولتز (بمفاوض عربي مقبول - يجلس مباشرة أمام إسرائيل) أشار الحسن الثاني إلى أن المفاوض هو (الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية) لكن شولتز أكد أن منظمة التحرير ليست مفاوضاً (مؤهلاً) مقبولاً لا من الولايات المتحدة ولا من إسرائيل. وأضاف شولتز: (إن ملف منظمة التحرير سجل مليء بالإرهاب)[1] وأن المخرج العملي هو أن تفوض منظمة التحرير الملك حسين التفاوض مع إسرائيل والوصول إلى اتفاق تسوية القضية الفلسطينية.

أما بشأن منظمة التحرير، فلا إمكانية للبحث معها، إلاّ إذا أعلنت قبولها بالشروط الأمريكية الثلاثة، وهي:

- الاعتراف بحق إسرائيل بالوجود.
- قبول قرار مجلس الأمن الدولي 242 أساساً للتسوية دون ربطه بأي نقاط أخرى.
- إدانة ونبذ العنف والإرهاب[2].

إن إدارة ريغان أضافت شرطاً ثالثاً على ما طالبت به إدارة كارتر ومباحثات سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكي مع الإدارة السعودية والإدارة المصرية. وتم بحثه مراراً مع وفود من القيادة الفلسطينية في الرياض والقاهرة، فإدارة كارتر كانت تطالب بالشرط الأول والثاني مقابل الاعتراف بمنظمة التحرير والحوار معها. بينما أضافت إدارة ريغان الشرط الثالث.

وهذه الشروط الثلاثة نزل عندها عرفات في 14 كانون الأول/ ديسمبر 1988. في مؤتمره الصحفي الشهير وبعد خطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف مباشرة. وهذه مسألة سنأتي عليها ونكشف أسرارها التي تم إعداد خطواتها ووسطائها، من تبادل النصوص حتى الإعلان عنها. فإعلان قبول الشروط الثلاثة مقابل الحوار الأمريكي مع منظمة التحرير لم يأتِ هكذا فجأة كما تم الترويج له من ذلك التاريخ حتى يومنا[3].

إن المساحة مذهلة بين التسليم بشروط إدارة ريغان الثلاثة مقابل فتح الحوار مع م.ت.ف وبين مشروع إدارة كارتر الذي رفضته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير.

ففي الأول من آب/ أغسطس 1977 بدأ سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكية جولة جديدة في الشرق الأوسط، في إطار الإعداد لمؤتمر جنيف عملاً بقرار مجلس الأمن الدولي 338. وشملت مصر، سورية، الأردن، السعودية وإسرائيل. وفي السعودية اجتمع بالملك خالد وولي العهد الأمير فهد ووزير الخارجية الأمير سعود. وقدم صيغة مشروع القرار الذي تقترحه إدارة كارتر على منظمة التحرير الفلسطينية، وعند إعلانه عن المنظمة فإن إدارة كارتر ستجتمع فوراً مع م.ت.ف، وتعتبر الإدارة أنها قد وفت بالتزامها لإسرائيل في ظل اتفاقية سيناء –2– أي اتفاقية فك الارتباط الثاني والتزام وزير الخارجية كيسنجر بعدم الحوار أو التفاوض مع م.ت.ف قبل اعترافها بالقرار 242 وحق جميع دول الشرق الأوسط في أن تعيش في سلام.

---

(1) اضطراب ونصر، مذكرات جورج شولتز - ص432.

(2) يوميات محفوظة من اجتماعات القيادة الفلسطينية، وحديث بين حواتمة ورؤساء عرب.

(3) من اجتماعات القيادة الفلسطينية - يوميات حواتمة.

وفيما يلي النص الحرفي لمشروع القرار:

«إن منظمة التحرير الفلسطينية تقبل قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الرقم 242، مع التحفظ بأنها تعتبر أن القرار لا يشير إشارة سليمة إلى مسألة الفلسطينيين لأنه يقتصر عن الإتيان بأي إشارة إلى وطن للشعب الفلسطيني، ومن المفهوم أن لغة القرار تتصل بحق جميع دول الشرق الأوسط في أن تعيش في سلام».

وفعلاً أرسل الأمير سعود الفيصل النص إلى ياسر عرفات، واجتمعت اللجنة التنفيذية لإعطاء جواب قبل أن يغادر فانس الطائف في اليوم التالي.

وقررت اللجنة التنفيذية رفض مشروع القرار، وحمل الرفض إلى الأمير سعود الفيصل وفد ثلاثي من المنظمة عبد المحسن أبو ميزر عضو ل.ت، محمد غنيم (أبو ماهر) ومحمود عباس (أبو مازن) عضوا اللجنة المركزية لفتح، وأبلغ الوفد قرار ل.ت إلى وزير الخارجية السعودي الذي أبلغه بدوره إلى سايروس فانس.

وأشار فانس مع الملك خالد أنه طرح نفس صيغة مشروع القرار في مباحثاته في مصر وسورية والأردن قبل وصوله إلى السعودية[4] .

■ لقد كان الوضع العربي أضعف من أن يوصف بالتماسك من أجل فرض شروط ما. لقد كان مؤهلاً لتراجعات متتالية!

■■ الواقع أن قمة فاس لم تنجح في ملاقاة مشروع ريغان في منتصف الطريق. فالإدارة الأمريكية استثمرت نتائج غزو لبنان، وشدت الوتر إلى أقصاه، فمنظمة التحرير (غير مؤهلة) وعليها تفويض الملك حسين لعقد تسوية في إطار أردني اسرائيلي يستند إلى كامب ديفيد ومشروع ريغان.

على الجانب الآخر، وكما تقول أنت، الحالة الفلسطينية والعربية لاتسر صديق، فالمقاومة فقدت قاعدتها الرئيسية في جنوب لبنان والمخيمات، والقيادة والقوات تشتتت على قوس يمتد من تونس إلى اليمن ومابينهما ولم تلملم وتضمد جراحها بعد وتوحد الصف وتراكم القوى للنهوض الواسع بجانب المقاومة الوطنية اللبنانية وتحت رايتها ضد الغزاة وفي الأرض الفلسطينية المحتلة.

والحالة الحاكمة العربية (فقدت التوازن) تحت ضغط تفاعلات الغزو وفقدان ثقل مصر التي أخرجت من الجبهة الأمامية والمعادلة العربية نزولاً عند كامب ديفيد، والعراق وبلدان الخليج غارقة في حرب الخليج الأولى. كما فقدت أغلبية الأنظمة العربية مصداقيتها في نظر الشعوب والحركة الوطنية الشعبية فضلاً عن غياب الحياة الديمقراطية والقمع المبرمج للجماهير والأحزاب والنقابات والحياة الفكرية.

وعاد حواتمة إلى أوراقه قليلاً، ثم أضاف:

---

(4) سايروس فانس – الخيارات الصعبة، مذكرات سايروس فانس – الطبعة العربية، المركز العربي للمعلومات، بيروت – لبنان 1983 – ص 51، 52، 53.

* من اجتماعات القيادة الفلسطينية – يوميات حواتمة.

■■ في مجرى هذه الخارطة القاسية وقع الانشقاق الكبير واتسع الاقتتال بين جناحي فتح وانخراط فصائل فيه، ودخول عوامل اقليمية وعربية ودولية (فزاد طين حالنا بلّة) كما يقولون في الحكمة الشعبية.

وفي هذا الميدان مارسنا سياسة توحيدية، وبجانبنا القوى الديمقراطية الفلسطينية وأقطار عربية. وعلى هذا بنت الإدارة الأمريكية، فدفعت قمة فاس إلى الحائط، وألقت بثقلها على محورين:

- الدعوة لتسوية ثنائية إسرائيلية – أردنية، ويكون دور منظمة التحرير تفويض الملك حسين والاتفاق معه.

- اتفاق إسرائيلي – لبناني، وفعلاً تحت إدارة شولتز، تم فرض اتفاق أيار/ مايو 1983 على لبنان وتحت ضغط دبابات الاحتلال.

وعلى محور مشروع ريغان نشطت حوارات فتح – اللجنة المركزية وخاصة عرفات مع السلطة الأردنية للوصول إلى اتفاق مشترك يتم فيه تفويض الملك حسين للتفاوض الثنائي المباشر مع اسرائيل. وتم هذا باتفاق شباط/ فبراير 1985، وبعد أربعة أشهر على عقد مجلس وطني انقسامي في عمان – أيلول 1984 ضم: فتح المركزية، وجبهة التحرير العربية وجبهة التحرير الفلسطينية (محمد عباس) وشخصيات مستقلة لترتيب الهيكلية السياسية البرنامجية والتنظيمية بما فيه اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بما يتناغم مع "تأهيل" م.ت.ف لمشروع ريغان والمباحثات الجارية مع الملك حسين وصولاً إلى اتفاق شباط بين اللجنة التنفيذية (الضيقة التكوين) بديلاً عن الائتلاف الوطني الشامل في منظمة التحرير الفلسطينية وبين السلطة الأردنية.

في مجرى هذه الأحداث الصاخبة، وقبل اتفاق شباط أعلن الملك حسين خطته (لإنشاء اتحاد كونفيدرالي بين الأردن وبين كيان فلسطيني يمكن أن يقوم بعد مرحلة من المفاوضات تتضح فيها خطوط التسوية السلمية مع اسرائيل) ودعا في خطابه (منظمة التحرير للتعاون معه) وأعلن (كملك للأردن أنه يؤكد قبوله بقراري مجلس الأمن 242 و 338 وأنه بذلك يعترف ضمناً باسرائيل) ويعلق شولتز على خطاب الملك: (إن إعلان الملك كان جريئاً وإن لم يكن على مستوى شجاعة قرار السادات بالذهاب إلى القدس...)[5].

دقق حواتمة استشهاداته من أوراقه، وقال يتابع فكرته:

■■ وفي لقاء الملك حسين مع شولتز بواشنطن أكد أنه (ماض في محاولته.... وإذا قامت منظمة التحريربعرقلة مسعاه لحل يشمل ضفتي الأردن، فسوف يكون مستعداً حينذاك للمضي وحده بحل أردني خالص) وطلب من واشنطن (أن تعلن اسرائيل تجميدها لعمليات الاستيطان في الضفة الغربية) (وأن تضع واشنطن حداً أقصى للمدة التي تستغرقها المفاوضات مع اسرائيل وصولاً إلى حل مؤقت يضمن حكماً ذاتياً لأهالي الضفة وقطاع غزة)[6].

---

(5) اضطراب ونصر، مذكرات شولتز، ص 433.

(6) نفس المصدر.

وقد وجدت واشنطن في الخطوات الجارية فرصة لفك العزلة العربية عن مصر منذ قمة بغداد في 5/ت2/ 1978. وعملت على استئناف دور مصر على جبهة التسويات الثنائية.

ففي لبنان قامت الحكومة المصرية بتدريب طواقم المفاوضات اللبنانية في القاهرة، والآن تحتل مصر دوراً أوسع، وبرز أن مبارك كان أقرب إلى خطة وخطوات الملك حسين في المراحل الأولى، ثم راوح بين الأردن ومنظمة التحرير بعد اجتماع واشنطن الثلاثي: (ريغان، مبارك، الملك حسين) حيث أعلن مبارك في المؤتمر الصحفي المشترك أنه (ليست هناك دولة عربية تستطيع أن تفاوض على الأرض الفلسطينية دون مشاركة الفلسطينيين أو موافقتهم) وسط استغراب ريغان مما دفع شولتز أن يكون عنيفاً مع مبارك (وأن تصريحه هذا يعرقل طريق السلام بدلاً من أن يساعده) وبدوره أشار الملك حسين إلى أن (حوار الأردن مع منظمة التحرير لن ينجح في ظل هذه الأجواء)[7].

لم يكن مستغرباً بالنسبة لنا جميعاً في القيادة الفلسطينية تصريح مبارك، فالسياسة الإقليمية المصرية التقليدية قبل النكبة الكبرى عام 1948 وبعدها (لاتتقبل أن يكون حكم الهاشميين على حدودها) ومن مواقع متباينة حتى التناقض بين حكم وآخر في مصر، فضلاً عن كامب ديفيد ونصوصه على (الحكم الذاتي الكامل للسكان في الضفة وقطاع غزة) ودخول مصر بمفاوضات مباشرة مع اسرائيل لتنفيذ الحكم الذاتي وفشل المفاوضات 79 – 1980 نتيجة لاصرار اسرائيل على مواصلة الاستيطان.

■ كيف واجهت القوى الفلسطينية هذا الواقع الذي كان يتجه مع الظروف التي ترافقه إلى مصير لاتوافقه أو لاتسعى إليه القوى الوطنية؟

■■ ثلاث سياسات فلسطينية برزت في التعامل مع تداعيات غزو لبنان ومشاريع: ريغان، قمة فاس، اتفاق 17 أيار 83، انشقاق فتح والاقتتال أيار 83.

تداعيات الغزو طرحت مشاريع وقضايا جديدة تتطلب بالضرورة حلول وأجوبة جديدة. وفي هذا ننطلق من قاعدتين في اشتقاق الحلول الجديدة والممارسة الجديدة: الأولى برنامج الاجماع الوطني لحل قضيتنا وحقوقنا الوطنية بتقرير المصير والدولة الفلسطينية والعودة واعتبار منظمة التحرير الائتلافية بين جميع الفصائل والشخصيات الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا والبرنامج يربط بين الوطني والقومي ومسارات الحل ويستند في تقديم الأجوبة الجديدة على مؤسسات منظمة التحرير الائتلافية وقرارات الشرعية الدولية.

والثانية تغليب التناقض مع الاحتلال والاستيطان والغزو على التعارضات في صف الشعب والثورة وائتلاف منظمة التحرير وعلى التعارضات الفلسطينية الاقليمية – العربية والعربية – العربية.

وعلى هذا رفضنا الاقتتال الفلسطيني – الفلسطيني وبادرنا معاً لتشكيل القيادة المشتركة بين الجبهتين الديمقراطية والشعبية (حزيران/ تموز 83) ثم التحالف الديمقراطي من الجبهتين والحزب

(7) نفس المصدر 438.

الشيوعي وجبهة التحرير الفلسطينية (طلعت يعقوب)، ناضلنا لوقف الاقتتال ولم ننخرط أبداً في خندقه رغم كل الضغوطات السياسية والمادية من جانبي الصراع ومحاورهما الاقليمية العربية، فقد وضع هؤلاء التعارضات الخاصة والاقليمية الضيقة فوق المصالح العليا الوطنية والقومية المشتركة.

وبذات الوقت أطلقنا مشروع التحالف الديمقراطي للحوار الوطني الشامل لإعادة بناء وحدة منظمة التحرير الفلسطينية الائتلافية على أساس القواسم المشتركة لوقف النزيف الدامي وتضميد الجراح بدلاً من تعميقها في صف الثورة وبين الفصائل[8].

لقد استجابت كل من الجزائر واليمن لاستضافة الحوار، بل بذلنا جهداً كثيفاً لانضمام كل الفصائل التي تقاتلت. وتم تتويج الحوار بين التحالف الديمقراطي وفتح المركزية باتفاق الجزائر/ اليمن الشهير لاعادة بناء وحدة منظمة التحرير على أسس سياسية مستندة لبرنامج الإجماع الوطني وأسس تنظيمية لتطوير وتصحيح ائتلاف منظمة التحرير والقيادة الجماعية في اتخاذ القرار بعيداً عن التفرد الفئوي أو الفردي. ولذا نص الاتفاق على لجنة تنفيذية للمنظمة تتمثل فيها كل الفصائل ويكون لها بجانب رئيسها أربعة نواب رئيس. ووقع على الاتفاق من فتح الشهيدان خليل الوزير وهايل عبد الحميد وهاني الحسن. ومن الديمقراطية وفد واسع برئاسة قيس عبد الكريم. ومن الشعبية برئاسة ابو علي مصطفى ومن الشيوعي وفد برئاسة سليمان النجاب ومَثَّلَ جبهة التحرير الفلسطينية الشهيد طلعت يعقوب. وشارك به وبانتظام الشهيد صلاح خلف وحواتمة وحبش ومحمود عباس.

إن تداعيات الغزو وصراع المحاور الإقليمية ومحاولات عرفات التلاقي مع مشروع ريغان في منتصف الطريق عبر مصر والأردن عطل اتفاق إعادة بناء الوحدة الوطنية، فعقد عرفات دورة مجلس وطني انقسامي في أيلول 1984[9] قاطعته فصائل التحالف الديمقراطي. وفي شباط/ فبراير عقد اتفاق شباط 1985. وهكذا طالت السنوات العجاف إلى أن انتصرت إرادة الوحدة الوطنية لعقد المجلس الوطني التوحيدي في الجزائر في نيسان/ إبريل 1987[10] وإلغاء اتفاق شباط قَبْلَ الدخول إلى قاعة المجلس، فقد رفض الشيخ الجليل عبد الحميد السايح طرح إلغاء الاتفاق على المجلس الذي لم يبحث الاتفاق من قبل ولم يكن له دور فيه ولم يقرره.

---

(8) مشروع التحالف الديمقراطي، صادر عن الفصائل الأربعة، الاعلام المركزي، الجبهة الديمقراطية، 1984.

(9) أشار لنا حواتمة إلى أنه: في مطلع أيلول 84 حاولنا عقد المجلس التوحيدي في الجزائر، والتقينا في ضيافة الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد وحضور علي ناصر محمد (رئيس اليمن الديمقراطية) ومشاركة حواتمة، خليل الوزير، هاني الحسن، عبد الرحيم ملوح، محمد شريف مساعدية، د. أحمد طالب الابراهيمي، عبد الغني عبد القادر. كان واضحاً أن مركزية فتح حسمت موقفها لعقد مجلس آخر في عمان (نهاية ايلول) نقيض اتفاق الجزائر - اليمن مع التحالف الديمقراطي، والدفع نحو هيكلة ل.ت للمنظمة بائتلاف ضيق يستجيب لما وصلت إليه مباحثات عرفات - السلطة الأردنية.

(10) فكت الشعبية والفلسطينية علاقتهما بجبهة الانقاذ، وشاركتا بالمجلس التوحيدي. وكانت الجبهتان قد انضمتا إلى جبهة الانقاذ بعد اتفاق شباط.

* انضم الحزب الشيوعي الفلسطيني لأول مرة رسمياً إلى المجلس الوطني وعضوية ل.ت لـ م.ت.ف.

نجحنا في إعادة بناء الوحدة على أسس سياسية سليمة ولم ننجح في تصحيح الأوضاع القيادية في م.ت.ف وضمان ديمقراطية القرار في اللجنة التنفيذية ومؤسسات منظمة التحرير الأخرى عملاً باتفاق الجزائر – اليمن 1984.

وفي مسار هذه العمليات النضالية والسياسية الفلسطينية الصراعية والمعقدة، والتي تتداخل فيها المصالح والمحاور الإقليمية الضيقة بات مشروع ريغان معلّقاً، كما انتهت كل مشاريع فتح المركزية والأردن ومصر لملاقاة مشروع ريغان في منتصف الطريق إلى الحائط!

بقي الحال هكذا إلى مبادرة جورج بوش في 6 آذار/ مارس 1991 التي استندت إلى كامب ديفيد وجوانب من مشروع ريغان ومشروع شامير/ رابين.

وعلى جبهة مقاومة الغزو، فقد اندفعنا بالقتال تحت راية المقاومة الوطنية اللبنانية والدفاع عن المخيمات وإعادة تجميع قواتنا وتركيزها على محاور القتال ضد الغزاة واتفاق 17 أيار 1983 الذي سقط في آذار 1984 على يد المقاومة المشتركة والمساندة الفاعلة السورية والمساعدات السوفييتية. فطريق التسوية الشاملة والسلام المتوازن لايمر بالصفقات الثنائية تحت ضغط وشروط ميزان القوى المختل لصالح الدولة الإسرائيلية التوسعية.

بهذه الخطوات طوينا شيئاً من تداعيات التدهور والسنوات العجاف في الصف الفلسطيني والعربي ورفعنا منسوب روح النضال وفتحنا (طاقة) أمل مع أن كثيراً من الجراح مفتوحة وصراعات المحاور الإقليمية لاتتوقف وتصب في طاحونة تآكل الطاقات العربية!

■ كان من الضروري الرد بالوحدة الوطنية والعمل على تأجيج عمل جماهيري في الداخل، ودون إعادة هذه الوحدة لايمكن التحرك بشكل جدي في درب النضال الوطني!

هز نايف حواتمة رأسه موافقاً، وقال:

■■ بالطبع! فقد شكلت إعادة بناء الائتلاف الوطني في منظمة التحرير الرافعة الرئيسية للانتفاضة، لأنه وبعد خمس سنوات عجاف عادت الوحدة الوطنية في صف الشعب والفصائل الفاعلة داخل الوطن المحتل، وعلى القواسم المشتركة بين الداخل والخارج... وكما تعلم، اندلعت الانتفاضة بعد أشهر من المجلس الوطني التوحيدي، وبعد أسابيع على القمة العربية (تشرين الثاني/ نوفمبر 1987) في عمان، وشبح مشروع ريغان يحوم حولها، إضافة إلى اتفاق الملك حسين – بيريز وزير خارجية ائتلاف حكومة العمل – الليكود. وقع الاتفاق في لندن (11 نيسان/ ابريل 87) وبمعرفة وزير الخارجية الأمريكي حيث حمل له يوسي بيلين رسالة بيريز عن الاتفاق (مؤتمر للسلام واجهة – مفاوضات ثنائية بوفد أردني فلسطيني – ولايشترط مشاركة منظمة التحرير – مع التعهد بقبول القرارين 242 و 338 والنص على نبذ العنف والإرهاب من الجانب الفلسطيني – معاهدة ملزمة، وأن الاتفاق قد تم على معظم نقاط التسوية السلمية بين الطرفين) ونلاحظ أن اتفاق لندن تم قبل أيام من المجلس الوطني التوحيدي، وعرفنا به في القيادة الفلسطينية قبل مجلس الجزائر. فقد طلب الملك حسين من عرفات إيفاد ممثل له (لوضعه في

صورة الاتفاق) وتم هذا بإرسال العميد محمد عفانة (أبو المعتصم) إلى لندن وأحاطه الملك (بالاتفاق الشفوي) كما علمنا به من القاهرة.

في القمة العربية جرت ضغوط من عواصم عربية للقفز عن منظمة التحرير كممثل شرعي، وحيد للشعب الفلسطيني وتجاهل حقه في تقرير المصير والدولة المستقلة والعودة كما درجت عليه قرارات القمم العربية منذ قمة الجزائر (73) والرباط (74). وفعلاً بالطبعة الانكليزية من القرارات غاب كل هذا مما ولّد توتراً حاداً في القمة بين منظمة التحرير والأردن وتم الحل بإيراد القرارات بالنسخة العربية.

كل هذه الوقائع لم تعد سراً. وذاع انتشارها مباشرة فزادت منسوب التحفز العريض في صف الشعب والحركة الوطنية على مساحات الأرض المحتلة والشتات. وعلى الضفة الأخرى اعترض شامير على جوانب من الاتفاق. فهو يرى أن الاتفاق قد يدخل الأمم المتحدة من شباك دعوة السكرتير العام للمؤتمر ويدخل أطراف دولية غير مرغوب فيها وتحديداً السوفييت وهو الذي دفع بشامير والليكود إلى انتظار فرصة ينضج فيها صيغة اتفاق يُسْقِطُ دور السوفييت ولايفتح أي نافذة صغيرة لشراكة الأمم المتحدة حتى لاتحضر قرارات الشرعية الدولية معها ولاتشكل مرجعية للمفاوضات الثنائية[11] وبعودتنا للاتفاق نقرأ أنها كانت (البروفة) لصيغة مؤتمر السلام في مدريد بعد التعديلات التي طالب بها شامير أثناء مكوك جيمس بيكر في التحضير للمفاوضات الثنائية المباشرة بعد إعلان مبادرة بوش في 6 آذار/ مارس 91.

وأضاف حواتمة، وهو يصوغ عباراته بعناية:

■■ سلسلة هذه الوقائع والتطورات راكمت حالة الانفجار في الأرض المحتلة. وشكلت رصاصات جنود الاحتلال على الشهداء الثلاثة في قطاع غزة الشرارة التي أشعلت السهل كله في 9/ 87/12. والانتفاضة – كما قلت في جلسة سابقة – هي الابن الشرعي للثورة. ونهر الدم الذي لم يتوقف على مدى عشرين عاماً وعلى يد فصائل الثورة والقوى والشخصيات الوطنية. والتقطت الفصائل الفاعلة شرارة الانتفاضة بالنداء الأول عن القيادة الوطنية الموحدة (ديمقراطية، فتح، الشعبية) في 8/ 1/ 1988، وتمت بلورة برنامجها تحت راية (الحرية والاستقلال) بالنداء الثاني في 10/ 1/ 88 الذي يبدأ سطره الأول حرفياً بـ:

(ياشعب الشهداء... أحفاد القسام... يا أخوة ورفاق ماجد أبو شرار، وخالد نزال وكنفاني... ياشعب الانتفاضة الممتدة من جذور الوطن منذ عام 36 والمتصاعدة بقوة فولاذية في وجه الاحتلال الفاشي)[12].

---

(11) معركة السلام – يوميات شمعون بيريز – الأهلية للتوزيع والنشر – عمان – الأردن عام 1995 الطبعة العربية ص 355، ص 358، تفاصيل الاتفاق.

* اضطراب ونصر، مذكرات شولتز، ص 438، نص نقاط الاتفاق.

(12) كلمات على بوابة النصر، نداءات الانتفاضة، بيان الاستقلال، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ص 17.

ثلاثة أجيال في الانتفاضة[13] كما في الثورة وإن شاع توصيف الانتفاضة بـ (انتفاضة أطفال الحجارة) في غناء الشعراء والمبدعين، وربما تذكروا (حنظلة) أي ناجي العلي ابن العاشرة وهو يقذف بالحجارة قوات الاحتلال!

الانتفاضة خلقت وضعاً جديداً، فلسطينياً عربياً، وعالمياً، وأدخلت القضية الفلسطينية إلى كل بيت أمريكي كما قال جورج بوش لغورباتشوف في قمة مالطا[14] وخلقت طوراً جديداً ونوعياً من إبداع الشعب أطلق عليه القادة السوفييت صفة (أعمق وأشمل، انتفاضة ديمقراطية عرفتها حركة تحرر وطني منذ الحرب العالمية الثانية).

الانتفاضة أعادت فرض القضية والحقوق الوطنية والسياسية لشعبنا الفلسطيني على خارطة الوطن المحتل والشتات والمجتمع الاسرائيلي وعلى الخارطة العربية شعوباً وأنظمة حاكمة، وخارطة المجتمع الدولي.

من هنا وصل جنرالات وساسة إسرائيل إلى نتيجة حاسمة هي: (أن لاحل عسكري للانتفاضة ويجب البحث عن حلول سياسية) فقد صمدت حجارة الأجيال الثلاثة لآلة الحرب التكنولوجية الاسرائيلية المتطورة التي جربت فنونها بجسد شعبنا من تكسير العظام بتعليمات رابين إلى كل ألوان رصاص القتل. صمد (مقلاع حجر داود الفلسطيني في وجه آلة حرب غوليات الاسرائيلي الصهيوني).

كما وصلت إدارة بوش إلى ضرورة تنشيط الحلول والمفاوضات السياسية الثنائية المباشرة.

وهكذا بدأنا مساراً جديداً في التعارض والصراع داخل منظمة التحرير والحركة الوطنية وفي صف الشعب، وكذلك في التعارض والصراع داخل الساحات العربية.

واستراح حواتمة لحظة، ثم قال باهتمام:

■■ إن جديد الانتفاضة يتطلب حلولاً وأجوبة جديدة.

وحمل ورقة من أوراقه، ثم نظر إلى سطورها، وأضاف وهو يستدرك نقطة جديدة:

■■ مع الندائين 2 و 3 تحدد مسار الانتفاضة، ولم يكن الحال موحداً متناغماً في قيادة منظمة التحرير مع هذا المسار. فقد أعلن النداء الثاني (أن بركان الانتفاضة لن يتوقف إلاّ بإنجاز الاستقلال بدولة فلسطينية وعاصمتها القدس)، كما أعلن برنامج الانتفاضة[15]، وأكد النداء الثالث (التزام منظمة التحرير ببرنامج الوحدة الوطنية: العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة)[16].

---

(13) انضم الحزب الشيوعي للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، في آذار، بعد النداء رقم 11 في (1988/3/19) وأعلنت حماس عن انطلاقتها في 8/ 8/ 1988، وبموازاة القيادة الوطنية الموحدة، دون الانضمام لها في إطار موحد.

(14) قمة مالطا جمعت جورج بوش وغورباتشوف، على ظهر طراد مقابل شواطىء مالطا بين 2 - 3 ك1/ 1989.

(15) النداء رقم (2) - (10/ 1/ 1988)- كلمات على بوابة النصر، نداءات الانتفاضة ص 20، موسسة عيبال - قبرص - نيقوسيا.

(16) النداء رقم (3) - المصدر السابق 18/ 1/ 1988، ص 25، القيادة الوطنية الموحدة.

منذ الأسابيع الأولى، بدأت تبرز خطوة خطوة أكثر من نظرة وسط القيادة الفلسطينية واختلطت الأوراق داخل القيادة الفلسطينية وداخل كل فصيل، نظرة لَهُوفةً متعجلة من اليمين وعناصر من "اليسار"، تخشى انطفاء الانتفاضة في أي لحظة، وطالما كَرَرَت (يدنا على قلبنا أن نصبح على توقف الانتفاضة)، والأخرى تلمس تحليلاً وتوقعاً أن شعبنا ومنظمة التحرير أمام انتفاضة مديدة العمر، فهي نتاج احتقان شعب بكل طبقاته وتياراته على مدى عشرين عاماً تحت الاحتلال وغول الاستيطان باستثناء شريحة محدودة من سماسرة الأرض والعملاء، فالخطر يداهم الجميع من العامل إلى التاجر ومن الفلاح إلى الملاك. واللاجىء لن يخسر إلاّ قيوده (60٪ من سكان الضفة والقطاع) فمصادرة الأراضي والحصار الاقتصادي والقمع المبرمج للجميع دفع بالجميع إلى ميدان الانتفاضة[17]. وفي مسار الأشهر الأولى للانتفاضة أخذت نظرتان سياسيتان تتبلوران... تكتيكان في كيفية التعاطي السياسي والنضالي المادي مع الانتفاضة وتطورها:

- نظرة استعمالية استخدامية متعجلة على استثمار الانتفاضة في الوصول إلى صفقة سريعة مقابل وقف الانتفاضة.

- نظرة ترى العمر المديد للانتفاضة يفتح الأفق نحو حلول تنضج في مجرى الصراع تقود إلى ماانطلقت منه والتزمت به الانتفاضة بدءاً بالندائين الثاني والثالث.

قاطعت نايف حواتمة مستفسراً:

■ هل كانت هاتان النظرتان نقطتي استقطاب لقوى منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى أي أساس ارتكزت كل نظرة؟

فأجاب موضحاً وجهة نظره:

■■ بين السياستين/ التكتيكيتين مساحات تعارض ونقاط تقاطع في القيادة الفلسطينية لمنظمة التحرير وعموم حركتنا الوطنية وتوالد عن هذا خطان:

خط (تأهيل) منظمة التحرير Rehabilitation of P.L.O باتجاه الشروط الأمريكية، ويقوم على:

- تحالفات إقليمية ودولية تصب في طاحونة شروط (التأهيل).

- عودة إلى تكتيكات انقسامية وتآمرية لم تنقض شهور على تجاوزها بالمجلس الوطني التوحيدي (الجزائر – نيسان 1987) وإعادة بناء الوحدة الوطنية الائتلافية لمنظمة التحرير.

- عودة إلى سياسة الغرف المغلقة والقنوات السرية الإقليمية والدولية وصولاً إلى سياسات وصفقات من وراء ظهر كل مؤسسات منظمة التحرير الوحدوية (لجنة تنفيذية، قيادة فلسطينية، مجلس مركزي، مجلس وطني).

- الارتداد التدريجي عن البرنامج والقرارات المشتركة لمنظمة التحرير والانتفاضة.

- إخفاء المعلومات والمساومات الجارية عن المؤسسات القيادية المشتركة التشريعية والتنفيذية. وحل بديلاً عنها (لغة الخشب) والمناورات والادعاءات بصيغة "معلومات"، واستخدام

---

(17) حوار حواتمة على الهاتف مع القسم العربي في إذاعة مونتي كارلو، 27/ 12/ 1987، والمنشور في مجلة الحرية بتاريخ 29/ 12/ 1987.

أموال منظمة التحرير للضغط وزرع الألغام والانقسامات وكسب الولاءات لسياسة (التـأهيل) داخل مؤسسات وأجهزة منظمة التحرير وحيثما أمكـن داخـل فصـائل المنظمـة وخارجهـا دون استثناء ودون أدنى التزام سياسي وأخلاقي بقواعد التحالفات الوطنية.

- خطوة خطـوة تمـت مصـادرة هوامـش ديمقراطيـة وجماعيـة القـرار بشـأن القضايـا الوطنيـة المصيرية الكبرى، وحصره بأفراد لايتجاوزون أصابع اليد الواحدة بدءاً من أيلول 1988، إلى أن أصبح محشوراً بيد ثلاثة فقط مع بداية عام 1993[18].

هذا الخط قاده الجناح اليميني والمتذيلين له من يمين الوسط والعناصر "اليسارية"، وبتحالفات إقليمية عربية تصب في خانة حلول سقفها كامب ديفيد وبما يستجيب لشروط (تأهيل منظمة التحرير) حتى تصبح طرفاً مقبولاً للحوار مع واشنطن والدولة العبرية[19].

وأضاف حواتمة وهو يحصر الجانب الآخر من إجابته:

■■ أما الخط السياسي الموازي فكان يشتق خطواته وتكتيكاته وتحالفاته من برنامج القواسم الوطنية المشتركة ممثلة ببرنـامج منظمـة التحريـر وقـرارات المجلـس الوطـني والهيئـات الائتلافيـة الأخرى، ومن برنامج الانتفاضة وخط مسارها وإبداعات الشعب في بناء هياكل الادارة الذاتيـة في مدن وقرى ومخيمات الانتفاضة، على مدى الأرض المحتلة، ويقوم هذا الخط على:

- اعتماد برنامج القواسم المشتركة بين فصائل وقوى وشخصيات منظمـة التحريـر لاشـتقاق الحلول والتكتيكات السياسية الجديدة والأجوبة الوطنية المشتركة الجديدة للقضايا التي تطرحهـا الانتفاضة وصولاً لمشاريع ومبـادرات للتسـوية السياسـية تسـتجيب للحـد الأدنـى مـن برنـامج الانتفاضة (إنهاء الاحتلال والاستيطان، والاستقلال) وحق تقرير المصير وحل مشـكلة اللاجئـين وفق القرار الأممي 194.

- الاستناد لقرارات الشرعية الدولية ممثلة بالقرارين 242، 338 بعـدم جـواز الاسـتيلاء علـى الأرض بالقوة، وحـق تقريـر المصـير بدولـة مسـتقلة وتثبيـت حقـوق اللاجئـين والنـازحين وفقـاً للقرارين الأمميين 194، 237.

وقد عملنا على اشتقاق المبادرات للتسوية السلمية والحلـول الوسـط والمفاوضـات في إطـار قرارات الشرعية إياها وبرعاية مرجعية دولية تشمل الدول الخمس الدائمـة العضويـة في مجلـس

---

(18) يؤكد هذا محمود عباس في كتابه طريق أوسلو حتى توقيع أوسلو -1- بالأحرف الأولى 18/ 8/ 1993.

(19) الحكومات العمالية والليكودية لاتقول (بشعب اسرائيلي) بل «بالدولة العبرية» (اسرائيل) «وبالشـعب اليهـودي»، فهـي دولة الذين يدينون باليهودية مهما تعددت القوميات والدول التي ينتمون إليها لتبرير قـانون (عـودة اليهـود) وإعطـاء الجنسـية الاسرائيلية لأي يهودي في العالم يطلبها، ولتفسير التمييز الواسع بين العرب واليهود في اسرائيل، فالعرب أهل البـلاد أصبحـوا مع دولة اسرائيل أقلية في دولة يهودية.

* ميخائيل بن تامير المستشار القضائي للحكومـة العبريـة في ملاحظـة أساسـية اقتصاديـة لسياسـة الحكومـة قـال: (إن العـرب يشكلون في اسرائيل 19٪ وحصتهم من الميزانية 2٪ فقط) وهذا تأكيد ليهودية وعبرية الدولة.

* إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، وطأه 3000 عام ـ قدم له: د.ادوارد سعيد.

• قانون دستوري (الكنيست 1985) إسرائيل دولة يهودية ص20. • لا يجوز للعرب الاستيطان ص21. • بطاقة الهوية ـ القومية: يهودي، عربي، درزي ص24، الترجمة العربية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت.

الأمن ويكون للأمم المتحدة دور فيها. فعن مؤسساتها صدرت قرارات الحلول الوسط لحل الصراع الفلسطيني والعربي - الاسرائيلي الصهيوني.

- الحرص على الوحدة الوطنية على قاعدة القرارات المشتركة في إطار منظمة التحرير، فنحن دعاة حل التعارضات في صف الشعب ومنظمة التحرير بالحوار وديمقراطية القرار بين قوى الائتلاف الوطني العريض، وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً في الثورة حتى اندلاع الانتفاضة ناضلنا لتوسيع إطار ديمقراطية القرار وتغليب التناقض مع الاحتلال والاستيطان على التعارض في الصف الوطني وأطيافه السياسية والتحالفية. وتجربة الثورة ومنظمة التحرير تدل الجميع أن الوحدة هي السلاح الأقوى باليد بينما أنتجت الانقسامات الخسائر الوطنية الكبرى.

- كل الجهود لتعزيز وتطوير الانتفاضة ونهوض قيادات وطنية جديدة في الأرض المحتلة، فكل يوم في الانتفاضة ميدان اختبار، واختبار شامل. ولذا دعونا لتوحيد كل الجهود وتحت فعل الانتفاضة لانتخابات بلدية وسياسية على قاعدة التمثيل النسبي لتعبئة كل التيارات في صنع القرار الوطني داخل الأرض المحتلة. بينما الخط الآخر كان مسكوناً بهاجس يومي خشية من بروز قيادة بديلة.

- نسج التحالفات الاقليمية والدولية بما يخدم الدفع نحو (تسوية سلمية) قاعدتها: الشرعية الدولية، وبما يقود إلى الربط الوطني والقومي مع أقطار الطوق العربية وتجاوز العقد والجراح التي مازالت تطل برأسها، فقد خسرنا جميعاً من صراع المحاور الاقليمية العربية.

- الدفاع عن ديمقراطية صنع القرار في مواجهة سياسة تهميش ومصادرة دور مؤسسات م.ت.ف الموحدة، وكشف مايدور في الدهاليز المغلقة لشعبنا والشعوب العربية والعالم.

لقد قاد هذا الخط القوى والشخصيات الوطنية الديمقراطية في منظمة التحرير وفي صف الشعب على أرض الانتفاضة وقوى المقاومة في الشتات وفي المقدمة: الديمقراطية، الشعبية، الحزب الشيوعي، وشخصيات وازنة بارزة من الدكتور حيدر عبد الشافي إلى ابراهيم بكر، القس عودة الرنتيسي، وحيد الحمد الله، بسام الشكعة، الدكتور ادوار سعيد... حيث المئات المئات من الشخصيات السياسية والاجتماعية والأكاديمية المثقفة. وهنا يبرز دور عدد من قادة الصف الأول في فتح، وخاصة: صلاح خلف، خليل الوزير، فاروق القدومي، أبو ماهر غنيم، هايل عبد الحميد، عباس زكي، رفيق النتشة، بجانب القواسم المشتركة والنفس الطويل على طريق البحث عن تسوية متوازنة.

■ لو عدنا إلى العقدين الأخيرين من الزمن... ألا تلاحظ معي أن ثمة تراجعاً في حركية قوى اليسار وتواجدها البرنامجي وتحديداً بعد الاجتياح، فيما كانت هذه الحركية في السبعينات وأواسط الثمانينات في أوجها... يبدو أن اليمين الفلسطيني قد أخذ من يدكم زمام المبادرة!

ضحك نايف حواتمة، لكنه تمهل بالإجابة، ثم قال بروية:

■■ في إطار مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية الائتلافية (مجلس وطني، مجلس مركزي، لجنة تنفيذية، قيادة فلسطينية) صان اليسار الواقعي والوسط الوطني البرنامج المرحلي وقرارات المجالس الوطنية والهيئات المشتركة على أساس القواسم المشتركة وضمان استقلالية القرار

الوطني وواقعيته حتى دورة المجلس الوطني (أيلول/ سبتمبر 1991 بالجزائر) والمركزي (17 تشرين الأول/ اكتوبر 1991 بتونس) وبالرغم من كل محاولات الارتداد نحو السياسة الخاصة باليمين ويمين الوسط في منظمة التحرير الفلسطينية التي تطلعت إلى الانخراط بسياسة السادات وكامب ديفيد منذ علم 1977، وبرغم التراجعات والأحداث الكبرى الإقليمية التي أدت إلى اختلال مريع بالتوازنات العربية – العربية ومايترتب عليها من ضغوطات محورية على التيارات الأساسية في منظمة التحرير. ولذا لم تتمكن سياسة كامب ديفيد أن تفرض نفسها على السياسة الفلسطينية المشتركة طيلة خمسة عشر عاماً. ومحاولات التقاطع مع كامب ديفيد وملاقاة مشروع ريغان في منتصف الطريق قبل حرب الخليج الثانية وانهيار التضامن العربي، تمت بعد فك الائتلاف الوطني العريض في منظمة التحرير والتراجع عن برنامج وقرارات القواسم المشتركة، وانتهت إلى الحائط فالفشل، والعودة إلى الائتلاف العريض.

لقد وقع هذا بعد غزو لبنان 82 وفقدان قاعدة المقاومة والمنظمة على خطوط التماس والصراع مع الاحتلال والتوسعية الاسرائيلية، وبعد الانشقاق والاقتتال بين جناحي فتح (أيار 83) والتفاف محور إقليمي حول كل جناح من مواقع الصراع بين هذه المحاور وسياساتها وأدوارها الفلسطينية والعربية وما اصطلح عليه من سياسة (جمع الأوراق).

وعليه تم تغذية الاقتتال بين جناحي فتح من جانبي المتراس بين عواصم عربية، وهنا وجد اليمين ويمين الوسط في المنظمة فرصة لاعادة صياغة الائتلاف وتضييقه وحصره بفتح المركزية والعربية والفلسطينية (جناح محمد عباس) بالاضافة إلى من يواليها سياسياً من الشخصيات وعقد هذا الائتلاف الضيق المجلس الوطني الانقسامي (أيلول/ سبتمبر 84) والتنكر لاتفاق الجزائر – اليمن التوحيدي الشهير لأن الهدف هو التراجع عن القرار الوطني المشترك والوحدوي وإعادة هيكلة مؤسسات منظمة التحرير تمهيداً لاتفاق شباط/ فبراير 85 و (تأهيل منظمة التحرير بدور (غير مرئي invisible Role) لملاقاة مشروع ريغن في منتصف الطريق.

ورداً نايف حواتمة بحزم:

■■ هذه العملية انتهت إلى الحائط سريعاً!

وأضاف موضحاً:

■■ انتهت سريعاً لأن شروطاً أمريكية برزت، وأهمها تجاهل الحقوق السياسية الوطنية لشعبنا وحصر التسوية في إطار 242 فقط. وعلى الضفة الوطنية الفلسطينية والعربية الشعبية تواصل نضالنا لإعادة بناء الوحدة الفلسطينية ومؤسسات منظمة التحرير الائتلافية بين الجميع وفي المقدمة، الفصائل الرئيسية من المنظمة وعلى أساس اتفاق الجزائر – اليمن إلى أن تحقق بالمجلس الوطني التوحيدي في الجزائر على يد: الديمقراطية، الشعبية، الحزب الشيوعي وفتح تحت جهد وفعل قادة خط الوسط التوحيدي، وفي المقدمة: صلاح خلف، خليل الوزير، فاروق القدومي، هايل عبد الحميد، ابو ماهر غنيم، عباس زكي، رفيق النتشة . وساند هذا الخط محمود عباس وهاني الحسن بعد أن وصل اتفاق شباط 1985 في ملاقاة مشروع ريغان في الطريق إلى الجدار.

إن التطور النوعي بإعادة بنـاء الوحـدة الوطنيـة على قـاعدة القواسـم المشـتركة مـالبث أن تعرض لِلتصديع بعد شهور على اندلاع الانتفاضـة الكـبرى، وعلـى يـد ذات الاتجـاه السياسـي ليمين ويمين الوسط في فتح والعناصر "اليسارية" المتذيلة له في منظمة التحرير الفلسطينية.

إن الصراع بين السياستين اللتين تتعاطيان بالوقائع وحركتها الايجابية والسلبية تواصـل علـى امتداد عمر منظمة التحرير حتى يومنا وخاصة منذ نهوض حركة المقاومـة العـاصف بعـد هزيمة حزيران – يونيو 1967.

كما أن الأحداث الكبرى التي تتالت بعد رحيل جمال عبد الناصر حفـرت عميقـاً في حركـة المقاومـة ومنظمـة التحريـر، وأطلـت برأسـها منـذ انقـلاب يمـين الناصرية (أيـار/ مـايو 1971)، وتراجعاته نحو القوى والطبقات المصرية القديمة التي عصفت بها ثـورة 23 يوليـو، ومـد الجسـور مع الحلول الأمريكية الاسرائيلية المنفردة الثنائية.

كـامب ديفيـد، الحـرب العراقيـة الايرانيـة وغـزو لبنـان 82 زلازل كـبرى في مسـار شـعوبنا وأقطارنا، أنتجت فيما أنتجته فقدان المقاومة الفلسطينية خطوط التماس مع المحتلين بعـد حصـار بيروت البطلة، وتشتت قواتنا وقيادات منظمــة التحريـر علـى قـوس واسـع. والأخطـر في هـذا استبدال جغرافيا سياسية فلسطينية حيث شعبنا والمخيمات وخطوط التماس وتمركـز القيـادة في وسط المخيمات، بجغرافيا سياسية أخرى تماماً حيث آلاف الأميال بعيداً عن نبض وضغط ورقابة الشعب والمخيمات وقوات المقاومة. والتصادم المتعمد والمدروس مع أقطار الطوق. ففـي تونـس لامدينة ولا قرية فلسطينية ولا مخيم، لا قوى ضاغطة ومراقبة تفرض المراجعة والتصويب والنقـد الحي وبين الحضور اليومي الحي مع الشعب في الوطن والمخيمات، والتجاور الحي واليومـي بـين قواعد الفصائل والقوات والقيادات...

كل هذا المناخ الفاعل الصاخب تمت إدارة الظهر له منذ اختلفنا ونحن في الحصار بين هجـرة بني هلال الثانية إلى تونس وبين تجميع القوات والقيادات في أقطار الطوق من جديد. فبعيـداً في تونس المضيافة حلت جغرافيا سياسية وضعت الاطـارات القياديـة في منـاخ وضغـط السـفارات والمخـابرات، والتعـاطي بيننـا ومـع الشـعب والمخيمـات والقيـادات في الوطـن وأقطـار الطـوق بالفاكسات.

هـذه الجغرافيـا السياسـية البديلـة فعلـت فعلهـا، فبـدأت لغة الخشـب والمنـاورات وفبركـة الادعاءات بصيغة معلومات تفرض نفسها في القيادة الفلسطينية وأعمال اللجنة التنفيذية لتمرير سياسة وتكتيكات يجري طبخها مـن وراء السـتار بـالقنوات السـرية مـن وراء ظهـر مؤسسـات منظمة التحرير الوطنية الائتلافية والفصائل والقوى.

وفي دَوَّامـة هـذه الجغرافيـا السياسـية تشـققت جـدران مـاتبقى مـن هوامـش بلغـة الحـوار وديمقراطية القرار.

ومن هنا عادت الأدوار الاقليمية العربية والدولية الضاغطـة باتجـاه الصفقـات الثنائيـة علـى قاعدة كامب ديفيد وتمرير الشـروط الاسـرائيلية والأمريكيـة (لتـأهيل) منظمـة التحريـر خطـوة

خطوة حتى تصبح طرفاً مقبولاً لدى واشنطن وتل أبيب بالشروط الأمريكية كاملة وبالكثير من الشروط الاسرائيلية الصهيونية. وزحفت هذه الشروط بقنوات دول وشخصيات منتقاة تحت عناوين عديدة من حلقة الوصل إلى تمرير الرسالة وادعاء النصيحة.

وفي مواجهة هذه السياسة السرية والمرتدة نحو المشروع الفئوي الخاص، مشروع اليمين ويمين الوسط، أخذنا بسياسة (الأطواق) الوطنية الفلسطينية والعربية والدولية لتطويق السياسة المرتدة عن القواسم المشتركة، وتقديم حلول جديدة واقعية مشتقة من قرارات المؤسسات الائتلافية وقرارات الشرعية الدولية. وهذا أنتج معادلة فلسطينية - فلسطينية لم يتمكن فريق أوسلو من ركوب أكتافها، فركب كتف اختلال توازن المعادلة العربية - العربية بعد زلزال حرب الخليج الثانية لتبرير ذهابه بشروط شامير إلى مدريد وليس بما تقرر في مجلسنا الوطني والمركزي من 87، 88 وحتى تشرين الأول/ أكتوبر 91 قبل 12 يوماً من مؤتمر مدريد.

■ ولكن الفريق الآخر يقول إنه وافق على الشروط الأمريكية بموجب قرارات المجلس الوطني ويقول إنه ذهب للمسار الفلسطيني - الاسرائيلي وفق قرارات المجلس الوطني أيضاً!

فرد حواتمة بحسم:

■■ أبداً، لارابط بين السياسة التي أوصلت "فريق تونس" إلى أوسلو وبين قرارات المؤسسات التشريعية والتنفيذية لمنظمة التحرير.

لقد تعاظمت الضغوط بعد الانتفاضة لوقفها بأسرع وقت بالكسر أو بثمن زهيد لايؤمّن الحد الأدنى بتقرير المصير وحل مشكلة اللاجئين والنازحين، إنها ضغوط المحتلين، دول عربية، نخب انتقائية سياسية وأكاديمية، رجال أعمال...

الصراع بيننا في مؤسسات منظمة التحرير والقيادة بلغ الذروة في أيلول/ تشرين أول عام 88، وقرارات القواسم المشتركة تستند إلى مسار الانتفاضة والشرعية الدولية، وبدلاً من الالتزام والنضال المتحد وصولاً إلى إطار تفاوضي يقود إلى سلام شامل متوازن فقد ارتد الجناح المهيمن على الأجهزة البيروقراطية والمال إلى القنوات السرية وعقد الصفقات السياسية من وراء ظهر مؤسسات الوحدة الوطنية، وسادت في اجتماعات القيادة (لغة الخشب والادعاءات عن صفقات أردنية - سورية - لبنانية جاهزة للتواقيع) وجرى خطوة خطوة جزر الحوار الحقيقي ومصادرة هامش ديمقراطية القرار.

في أيلول/ سبتمبر 88 لم يتوقف (مكوك وليم كوانت)[20] بين عرفات والإدارة الأمريكية إلى أن رست في 12 أيلول على صيغة بيان يعلنه عرفات ينص على قبوله الشروط الأمريكية الثلاثة مقابل بدء الحوار مع المنظمة. ووجد وزير الخارجية شولتز أن النص الذي حمله كوانت من عرفات يلبي الشروط الأمريكية ولكنه أصر على إعلان عرفات للبيان قبل أي إشارة أمريكية للحوار.

---

(20) عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي في عهد كارتر، ولعب دوره المكوكي بين عرفات وريتشارد موروفي مساعد الوزير شولتز لشؤون الشرق الأوسط، وبرعاية وزير الخارجية.

وفي التاسع من تشرين الثاني – نوفمبر طلب مندوب المنظمة لدى الأمم المتحدة زهدي الطرزي من رئيس مجلس الأمن الدعوة لدورة خاصة للجمعية العامة يلقي فيها عرفات بياناً هاماً، وتقدمت المنظمة في تونس إلى السفارة الأمريكية بطلب تأشيرة دخول لياسر عرفات إلى الولايات المتحدة لإلقاء خطابه. لكن وزير الخارجية جورج شولتز رفض الطلب وأصر أن على عرفات أن يعلن البيان الذي حمل كوانت نصه حرفياً قبل إعطائه تأشيرة (فيزا) الدخول إلى نيويورك لإلقاء البيان[21].

وفي الثاني من كانون الأول/ ديسمبر، اتخذت الجمعية قراراً بنقل الجلسة الخاصة إلى مقرها الآخر في جنيف بعد أن تم الاتفاق بين وزير الخارجية الأمريكية والوسطاء كوانت ووزير خارجية السويد ستين أندرسون والمؤسسة اليهودية الصهيونية الأمريكية وبمعرفة الرئاسة المصرية بكل هذه الخطوات. بينما القيادة الفلسطينية واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لاعلم لها ولم تناقش شيئاً من هذا، ومعلوماتنا عما يدور في الغرف السرية المغلقة تتم بوسائل أخرى.

على ضفة القيادة الفلسطينية ومؤسسات منظمة التحرير الائتلافية الأخرى دار الحوار/ الصراع شهوراً في إطار التحضير للدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، وبعد القمة العربية الناجحة في الجزائر.

(قمة الانتفاضة)[22] التي تسلحت بالانتفاضة (لإعادة بناء التوازن للمعادلة العربية – العربية) (ورد الاعتبار لمنظمة التحرير وحق شعبنا بتقرير المصير والدولة المستقلة والعودة) بعد عمليات القفز عن هذا في القمة العربية السابقة في (تشرين الثاني/ نوفمبر 87).

على امتداد شهور الحوار – الصراع تعرضنا جميعاً لضغوط ثقيلة متعددة المصادر كثيرها يصب في طاحونة الشروط الأمريكية ومشروع ريغان، ونادرها باتجاه القواسم المشتركة والشرعية الدولية. أما الإدارة السوفييتية فقد ضغطت باتجاه خطوة درامية تقوم على (الاعتراف بالقرار 242 وبدولة اسرائيل دون ربط هذه الخطوة بحق تقرير المصير أو أية إشارة للدولة الفلسطينية والقرار الأممي 194) وقبل دورة المجلس الوطني بأسبوع واحد زار موسكو وفدان: وفد برئاسة محمود عباس، وبعده بيومين وفد الجبهة الديمقراطية برئاسة نايف حواتمة. وهناك سمعت موسكو سياستين جواباً على الخطوة الدرامية[23] التي صبت الزيت في طاحونة الشروط الأمريكية.

---

(21) اضطراب ونصر- مذكرات جورج شولتز ص 135.

(22) بادرت الجزائر لعقد قمة الانتفاضة العربية، 16 – 18 حزيران 1988 وكان حواتمة اقترح على الرئيس الجزائري بن جديد عقد القمة اتصالاً باحتضان الجزائر لدورة المجلس الوطني التوحيدي (نيسان – أبريل 87)، وكما احتضنت دورة شباط/ فبراير 83 لمداواة جراح الثورة و م.ت.ف بعد غزو لبنان وخروج المقاومة من المخيمات وخطوط التماس مع المحتلين في جنوب لبنان.

(23) في حوار بين حواتمة والكسندر زاتوف من اللجنة المركزية في موسكو أشار إلى خطأ الادارة السوفييتية في الدعوة (للخطوة الدرامية) فقد اعتقدت موسكو أنها ستكون سلاحاً بيدها تجاه شروط واشنطن، لكن الدعوة استثمرتها واشنطن بالكامل لصالح شروطها كما اعترف زاتوف (الآن ممثل الرئيس يلتسين في الأزمة اليوغسلافية) أنه شخصياً الذي أصر على ممثل اللجنة المركزية للحزب كارين بروتنتس المشاركة مع ممثل الخارجية الكسندر بسمرتنخ نائب الوزير للضغط على الفلسطينيين، وأشار إلى خطأ هذه الخطوات أيضاً. كما تطرق بروتنتس نائب رئيس القسم الدولي باللجنة المركزية إلى (الأوهام الخاطئة) في الخارجية السوفييتية (قسم الشرق الأوسط)، ويعمل الآن في مؤسسة غورباتشوف للأبحاث في موسكو.

لقد توصلنا في حوارنا في القيادة الفلسطينية حتى عشية عقد دورة المجلس الوطني وفي أثنائها (12 – 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1988) إلى ثلاثة قرارات أساسية: القرار السياسي الخاص بالتسوية السياسية ومؤتمر السلام، وإعلان دولة فلسطين، وقرار تشكيل الحكومة المؤقتة للدولة في الوطن والشتات لتكون أداة التفاوض الفلسطينية.

إن القرار السياسي يمثل الموقف الوطني الواقعي، موقف القاسم المشترك الذي يرتبط بالشرعية الدولية، وليس بالشروط الأمريكية (لتأهيل منظمة التحرير الفلسطينية للحلول الأمريكية) كما ورد في نص البيان الذي حمله كوانت من عرفات في 12 أيلول/ سبتمبر 88 إلى واشنطن، والذي اعتبره جورج شولتز وزير الخارجية ملبياً للشروط الأمريكية. ولإظهار الحقيقة نثبت نص هذا القرار:

وأخرج حواتمة من أوراقه صورة عن هذا القرار، وأخذ يقرأ منه:

> **■■ (إن المجلس الوطني الفلسطيني من موقع المسؤولية تجاه شعبنا الفلسطيني يؤكد عزم منظمة التحرير الفلسطينية على الوصول إلى تسوية سياسية شاملة للصراع العربي – الاسرائيلي، وجوهره القضية الفلسطينية، في إطار ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء وأحكام الشرعية الدولية، وقواعد القانون الدولي، وقرارات الأمم المتحدة، وقرارات القمم العربية، بما يضمن حق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني... آخذين بالاعتبار أن المؤتمر الدولي الفعّال الخاص بقضية الشرق الأوسط تحت إشراف الأمم المتحدة وبمشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، وجميع أطراف الصراع في المنطقة. آخذين بالاعتبار أن المؤتمر الدولي ينعقد على قاعدة قراري مجلس الأمن رقم 242 و 338)[24].**

ثم وضع صورة القرار جانباً وقال بنبرة هادئة:

■■ وبرغم القرار السياسي، بشفافيته وواقعيته والإصرار على دور الأمم المتحدة والدول دائمة العضوية... فإن (فريق تونس) كسره بعد أيام كما كسر قرار قمة الانتفاضة العربية ومسار الانتفاضة، وتراجع تحت ضغط شروط الإدارة الأمريكية دون علم مؤسسات منظمة التحرير ومن وراء ظهرها وفي سياق مايجري طبخه باتجاه حلول خارج إطار ومرجعية الشرعية الدولية فضلاً عن الفلسطينية والعربية، وبإخراج تكتيك (الصدمة الساداتية) صدمة المفاجأة والأمر الواقع والقرار الانفرادي دون الاحتكام للمؤسسات الوطنية واحترام والتزام قراراتها.

وابتسم حواتمة ابتسامة سخرية، وقال بمرارة:

■■ دائماً كلما أرادوا ارتكاب خطأ استراتيجي يلجؤون إلى (الصفقات السرية والصدمات الكهربائية وتعمية الأضواء التلفزيونية)!

ثم هز برأسه ينتظر سؤالاً جديداً...

---

(24) القرار السياسي الصادر عن الدورة -19- للمجلس الوطني الفلسطيني - الجزائر 12- 15/ت2/ 1988.

■ إن لحديثك بقية! فثمة شيء ما حدث في السويد، وثمة جلسة للأمم المتحدة عقدت في جنيف... الواقع أن شيئاً ما قد برز عنهما!.

رد حواتمة بتلقائية:

■■ بالطبع، فإن قرار الجمعية العامة (2 كانون الأول/ ديسمبر 88) بنقل الجلسة الخاصة للأمم المتحدة إلى جنيف في الثالث عشر من ذلك الشهر نقل القناة السرية من (وليم كوانت) إلى (ستين أندرسون) وزير خارجية السويد الذي كان يقوم بذات المهمة مع حكومة الائتلاف الاسرائيلية[25].

في استوكهولم تم وضع النصوص المطلوبة وتوقيع عرفات عليها في يومي 6 و 7 كانون الأول/ ديسمبر بعد الاجتماع بين أندرسون وعرفات، والاجتماع الآخر بين عرفات ووفد المؤسسة اليهودية الصهيونية الأمريكية (ريتا هاورز، مناحيم روزنسافت، دورا كاس، ستانلي شيباون، آب اوديفتش) وفور الوصول إلى النتيجة العملية قطع رئيس وزراء السويد (انجفار كارلسون) زيارته لباريس عائداً إلى استوكهولم.

كانت اسرائيل على علم بما يدور في العاصمة السويدية، وكذلك مصر، فالقسم الأول من اجتماع استوكهولم تم إنجازه في القاهرة، وخطوط القنوات السرية مفتوحة بعضها على بعض[26].

وعاد حواتمة إلى أوراقه، وأخرج وثيقة مترجمة وطلب قراءتها:

■ منظمة التحرير الفلسطينية – استوكهولم – سري.. 7 ديسمبر 1988. السيد ستين أندرسون وزير الشؤون الخارجية السويد...

عزيزي المستر ستين أندرسون/

اتصالاً بمحادثاتنا في استوكهولم يومي 6 و 7 ديسمبر 1988، وبخصوص النص الذي قدمته لي من المستر شولتز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، والمتصل ببدء الحوار بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين الإدارة الأمريكية، فإني أبعث إليك وفق هذا النص حاملاً موافقتي وتوقيعي عليه. وسوف نعمل على إصدار هذا النص في بيان رسمي فور إقراره من اللجنة التنفيذية.

مع رجائي أن تقبل تعبيري عن احترامي العميق.

7/ 12/ 1988

إمضاء

ياسر عرفات – رئيس اللجنة التنفيذية

لمنظمة التحرير الفلسطينية[27]

---

(25) حكومة (العمل – الليكود) ورئاسة الوزارة تتم بالتدوير، بين زعامة الحزبين كل (25) شهراً، وقناة أندرسون بين واشنطن – اسرائيل – عرفات تستند إلى العلاقة الفكرية والسياسية بين الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم في السويد وبين حزب العمل الاسرائيلي في إطار مؤسسة الاشتراكية الدولية، كما أن المؤسسة اليهودية الصهيونية الأمريكية على صلة بأحزاب الاشتراكية الدولية.

(26) المفاوضات السرية – سلام الأوهام – اوسلو – الكتاب الثالث – محمد حسنين هيكل، ص 212، دار الشروق، القاهرة.

(27) الرسالة باللغة الانكليزية، ملحق الوثائق – وثيقة رقم –2–

وبعد إنهاء القراءة، قال حواتمة:

■■ النص المرفق بهذه الرسالة مصاغ بالانكليزية أيضاً تحت عنوان (سري)[28] بالنقاط الثلاث الأمريكية وبتوقيع عرفات، وبنفس التاريخ، والبارز فيه:

1- (إن منظمة التحرير الفلسطينية على استعداد للتفاوض مع اسرائيل... على أساس قراري الأمم المتحدة 242 و 338).

2- (تتعهد أن تعيش في سلام مع اسرائيل... ضمن حدود آمنة ومعترف بها...)

3- (تنبذ أعمال العنف الفردي والجماعي وإرهاب الدولة في كل صورها، ولن تلجأ إلى شيء من ذلك).

وأضاف حواتمة بعد صمت قصير:

■■ والمُفاجَأ هو شعبنا ومؤسسات منظمة التحرير، وبسياسة على النقيض من قرارات مجلسنا الوطني التي لم يمضِ عليها عشرون يوماً ولم يجف حبرها بعد، وقد تم إخراج هذه السياسة، (وكأنها بنت لحظتها وساعتها) وبتكتيك (الصدمة) إياها لتوليد حالة من الذهول والارتباك وتمرير الأمر الواقع بينما الكاميرا تخطف الأنظار بعيداً عن التناقض الرئيسي بين قرارات مجلسنا الوطني السياسية وسياسة النزول عند الشروط الأمريكية. وهنا مصدر التراجعات وتآكل الموقف الفلسطيني.

الادارة الأمريكية اعتبرت الرسالة والتعهد خطوة إلزامية قبل الجلسة الخاصة للجمعية العامة في 13 كانون الأول/ ديسمبر 1988 في جنيف، وطالبت بإعلان لايحمل أدنى التباس به في خطاب عرفات، وعندما ضمّن عرفات خطابه الشروط الأمريكية الثلاثة، كما وردت في النص الذي حمله كوانت إلى شولتز في 12 أيلول/ سبتمبر 88، والنصوص إلى أندرسون في 7 كانون الأول/ ديسمبر 88، فقد اعتبر شولتز أنها غير كافية ولذا لن تكون منظمة التحرير (مؤهلة) للحوار مع الادارة الأمريكية.

وعلى هذا الأساس طالب من جديد بإعلان دقيق وبعبارات مركزة لقبوله الشروط الثلاثة. ووقع ماطلب فعلاً يوم 14 كانون الأول/ ديسمبر 88 في المؤتمر الصحفي لعرفات بجنيف، وقرأ النص المطلوب والمكتوب بالإنكليزية كما وضعته واشنطن (الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود) و (التسوية السياسية على أساس 242) و (نبذ العنف Renounce الفردي والجماعي) حتى لايقع التباس مع عبارة (استنكار العنف denounce). في تونس دافع عرفات عن خطواته في جنيف فضلاً عما سبق بأنها (بنت ساعتها) وعن عدم معرفته الدقيقة بالانكليزية، ولذا لم يميز مضمون الكلمة التي تبدأ بالحرف (R) والتي تبدأ بالحرف (D)!!

قلنا لنايف حواتمة باندهاش:

■ هذا هو اللامعقول بعينه... أيعقل أن تقرر القيادة الفلسطينية أو المجلس الوطني شيئاً، ويقوم رئيس اللجنة التنفيذية بفعل شيء آخر... وعلى أرضية هذه التبريرات؟!

---

(28) النص الكامل: ملحق الوثائق، وثيقة رقم -3-

فرد حواتمة بيأس:

■■ حقاً إنه مسرح اللامعقول!

وأضاف:

■■ والواقع أن هذا هو الذي أنتج خطوة خطوة اتفاق أوسلو 1 و 2 الذي جعل اسرائيل تصوغ سياسة تفاوضية وإقليمية بأنها (الوريث الوحيد لفلسطين الانتدابية). وأوصل فريق أوسلو الفلسطيني إلى الموافقة على أوسلو 1 و 2 الذي ترك الأرض الفلسطينية المحتلة أرضاً (متنازعاً عليها disputed land).

إن سياسة التنكر للبرنامج والقرارات الوطنية المشتركة توصل إلى الكوارث، كما أن ضمور هامش ديمقراطية صنع القرار الوطني وحلول التفرد محل القيادة الجماعية ولغة الخشب محل الحوار والتوافق الوطني العريض، وكلها أمراض استشرت بتسارع بعد عام 82 فوضعت مصير الشعب ومصير الانتفاضة على خشبة صليب مسرح اللامعقول.

وهنا أكتفي بما رواه، وبالتفصيل محمود عباس عن طريق أوسلو[29] من حصر القرار السياسي بيد عدد محدود إلى أن انحسر بيد ثلاثة فقط وبسرية مطلقة من وراء الستار منذ بدء جولات جيمس بيكر (آذار/ مارس 91 حتى الآن). كل هذا ليس معزولاً عن اختلال توازن الحالة والمعادلة الإقليمية العربية ـ العربية.

وأكتفي برواية هيكل عن حالة القيادات في تونس مع أنه اقتصر على جانب واحد من الحوار ـ الصراع في قيادة فتح، ولم يتناول الخارطة القيادية الفلسطينية في الحوارات المصرية التي شهد جانباً منها في أواخر أيلول/ سبتمبر 88 مع أنه يسجل أن الوفد اجتمع في جنيف وانتقل إلى تونس.

وعاد حواتمة إلى أوراقه التي دوّن فيها مقتطفات مما كتبه هيكل وقال:

■■ انتقل الوفد إلى تونس كما يقول هيكل (لعقد سلسلة من الاجتماعات مع السيد ياسر عرفات ومع كل قيادات منظمة التحرير بمن فيهم الدكتور حبش والسيد نايف حواتمة)[30].

ولاحظ هيكل أن بعض المشاركين في اجتماع جنيف وبينهم الدكتور ادوارد سعيد اكتفوا بمناقشات جنيف واعتذروا بعدها عن عدم السفر إلى تونس. وعندما قام بسؤال الدكتور ادوارد سعيد لماذا لا تريد الذهاب إلى تونس؟ كان رد ادوارد سعيد بقوله: سوف تعرف السبب عندما تصل إلى تونس وتطل على المشهد كله من هناك[31].

---

(29) كتاب طريق أوسلو، محمود عباس.

(30) المشاركون في جنيف هم السادة حسيب الصباغ، سعيد الخوري، عبد المجيد شومان، عبد المحسن قطان، زين مياسي، د. ادوارد سعيد، أحمد بهاء الدين، باسل عقل، محمد حسنين هيكل، وبدعوة من السيد حسيب الصباغ (للمشاركة في التفكير مع م.ت.ف، وفيما يمكن أن تكون نصيحتهم لياسر عرفات وقيادة م.ت.ف في هذا المنعطف التاريخي والخطير بالنسبة للقضية الفلسطينية) ثم يروي السيد هيكل ما شاهد وسمع من قيادة فتح. و لم يتناول خارطة الحوار الأوسع والأشمل.

* كتاب المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ـ سلام الأوهام ـ أوسلو ـ ص203-209، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ـ أكتوبر 1995.

(31) نفس المصدر ص205.

ثم أخذ نايف حواتمة يقرأ بعض المقاطع من كتاب هيكل حول المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل:

■■ يروي هيكل ما يلي: (المشهد في تونس داعي للانزعاج... الاجتماع الأول مع قيادة فتح وعرض عرفات الشروط الأمركية الثلاثة قائلاً لا شيء يغريه بقبولها سوى مصر. فمصر تطلب ذلك، وهو إذا قبل فسيكون قبوله إرضاء لمصر، وحتى تقتنع القيادة المصرية بأن موقفه ليس متعنتاً بل إنه مستعد للتجاوب)[32].

ويشير هيكل إلى (سوء العلاقات بين قيادات فتح وأن العلاقات بين رفاق الكفاح تدنت إلى حالة من الشك تقارب العداء) وأنه (جرى توجيه رجاء إلى أحمد بهاء الدين وإلى هيكل بألا يكشفا غداً في الاجتماع العام أنهما شاركا في اجتماع لقيادة فتح في الليلة السابقة)[33].

ووضع حواتمة الأوراق التي بيده جانباً، وتساءل باندهاش:

■■ أليس هذا مسرح اللامعقول الذي تحدثنا عنه قبل قليل؟!

وقال بألم:

■■ مسرح التستر على وإخفاء الوقائع عن القيادة الفلسطينية. كل هذا يشي بالقنوات السرية على مدار الساعة لجر منظمة التحرير إلى التسليم بالشروط الأمريكية والبناء عليها للتسليم بشروط مشروع شامير وفي إطار ثنائي، فلم يكن مطروحاً المؤتمر الدولي للسلام الشامل في الشرق الأوسط بين أيلول/ سبتمبر 82، حتى عشية حرب الخليج الثانية 91. والحل الثنائي المطروح يمثل الحلقة الثانية الفلسطينية ـ الإسرائيلية بعد الحلقة المصرية الإسرائيلية[34].

فقلت له:

■ لقد جرى الحوار على خطين: رسمي مع منظمة التحرير الفلسطينية، وآخر عبر القنوات السرية... لماذا لم تكتف الإدارة الأمريكية بخط واحد، وليكن القنوات السرية؟!

الإدارة الأمريكية حصرت (الحوار الرسمي) مع منظمة التحرير بقناة السفير روبرت بيللترو في تونس[35] بينما (الحوار الحقيقي والملموس) يدور بين ذات القنوات السرية التي تحدثنا عنها. ورئيس اللجنة التنفيذية جعل الحوار الرسمي مظلة لزرع الألغام في صف التحالف الوطني

---

(32) نفس المصدر ص208.

(33) نفس المصدر ص208.

(34) منذ زيارة السادات القدس المحتلة عام 1977 غابت صيغة مؤتمر جنيف برئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، وحلت محلها صيغة المفاوضات الثنائية المباشرة وكامب ديفيد، اتفاق 17 أيار 83، مشروع ريغن 82... إلخ. واستمرت مشاريع مفاوضات الحلول الثنائية حتى عشية حرب الخليج الثانية (ك2، يناير 91).

(35) بعد تجميد الحوار (30 أيار/ مايو 1990) أصبح سفيراً في القاهرة، وثم وكيل وزارة الخارجية. لعب دوراً خطيراً في تفتيت الصف الفلسطيني، وخطيراً في تعميق الصراع بين حزبي الائتلاف الحاكم في اليمن (المؤتمر، الاشتراكي)، وتشجيع تشطير اليمن إلى ما كان عليه قبل الوحدة، مع الإعلان (أن الحرب بين الشمال والجنوب ستطول) ومكرراً (تفوق جيش الجنوب بالطيران والخبرات والكادرات العسكرية مقابل جيش الشمال بالطاقة البشرية)، وأخذ دور المكوك في تعميق الأزمة والحرب الأهلية اليمنية في الجزيرة العربية والبلدان العربية الأخرى، ويتابع الآن سياسة الاحتواء المزدوج للعراق وإيران والعلاقات بين الحزبين المتصارعين الديمقراطي ـ البارزاني والاتحاد الوطني ـ الطالباني في كردستان العراق.

وداخل كل فصيل بما فيه فتح. ولذا لم يتم حصره بقناة الوفد الرسمي الـذي جرى تنصيبـه دون علم اللجنة التنفيذية ومن وراء ظهر مؤسسـات منظمـة التحريـر الفلسـطينية الـتي ينتمـي إليهـا الوفد الرسمي. ثم تعددت قنوات الاتصال الرسمي الفلسطينية بالسفير بيللترو بناء علـى تكليـف رئيس اللجنة التنفيذية[36].

الحوار الذي أصبح حوارات متوازية مع قناة بيللترو الواحدة، تواصل أسئلة وعمليـات جمـع معلومات عن الأوضاع الداخلية الفلسطينية والعربية، والضغط لوقف الانتفاضـة تحـت عنـوان: (تنفيذ شرط نبذ العنف الفردي والجماعي في الضفة والقطاع) واستكشـاف مَـنْ وراء عمليـات العنـف الخارجيـة في أوروبـا والطـائرات، وبلغـت الأمـور بـالوفد الفلسـطيني أن تـبرع بتسـمية عواصم وقوى عربية![37] ولم يتخط حوار قنـاة بيللـترو جـولات الاستكشـاف وجمـع المعلومـات والضغط لوقف الانتفاضة، إلى أن تم تجميده في 30 أيار/ مـايو 1990 بقـرار جيمـس بيكـر وزيـر الخارجية وطالب عرفات بإدانة محاولة إنزال مجموعة فلسطينية على شاطئ تل أبيب، وربط بيكر إعادة الحوار بطرد جبهة التحرير الفلسطينية من منظمة التحرير وإسـقاط عضويـة محمـد عبـاس (أبو العباس) من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بحكـم إعلانـه المسـؤولية عـن المجموعـة الـتي تم استشهاد وأسر عناصرها قبل أن تصل إلى الشاطئ.

■ هل أثر وقف الحوار الرسمي على الحوار السري الذي كان موازياً للشكل الأول؟

■■ لا. ابداً!

مفاوضـات القنـاة السـرية تواصلـت ربطـاً بمـا كـان قائمـاً قبـل إعــلان 14 كـانون الأول/ ديسمبر88 وبعده، ولم تتأثر بوقف الحوار الرسمي. كما لم تتوقف حركـة الصـراع السياسـي بـين فصائل منظمة التحريـر بـين خـط شـروط (التـأهيل) وخـط قـرارات المجلـس الوطـني السياسـية وواصلت الانتفاضة مسارها مع مشـاكل سياسـية وتحالفيـة صاخبـة في صـف الشـعب وائتـلاف القيادة الموحدة المهتز تحت ضغط الصراع بين السياستين.

وقلت له:

■ تواصل الانتفاضة مـع اسـتمرار الحـوار السـري كـان يعـني بشـكل أو بـآخر إيجـاد رد فعـل إسرائيلي حدي!

فقال:

■■ هذا ما حصل، فمع صمود الانتفاضة في وجه القمع الدامي وكسر العظام الذي تـولاه رابين ومفاوضات القناة السرية التي نشط بها أيضاً شاوشيسكو وخاصـة بعـد انـدلاع الانتفاضـة[38]

---

(36) ياسر عبد ربه، حكم بلعاوي، نبيل شعث، هاني الحسن، وكل منهم فتح قناة مباشرة مع السفير بيللـترو، وهـذا تكتيـك يعتمده رئيس اللجنة التنفيذية تجاه المهمة الواحدة، وكل مكلف يرتبط مباشرة به.

(37) محضر الجلسة الثالثة - في 1989/3/22 - تونس.

(38) في مباحثات شاوشيسكو مع وفود م.ت.ف برئاسة ياسر عرفات، ومع الجبهة الديمقراطية برئاسة حواتمـة طـرح وسـاطته مع حكومة شامير ونقل اقتراحات ائتلاف الليكود - العمل (حكم ذاتي للسكان وفق ما نص عليه اتفاق كامب ديفيد مقـابل وقف الانتفاضة).

تقدمت حكومة الليكود/ العمل الائتلافية بمشروع شامير (14 أيار/ مايو 89) وعناصره كما يلي:

- حكم ذاتي للسكان استناداً لاتفاقات كامب ديفيد.
- انتخابات (مجلس فلسطيني) في الضفة والقطاع يتحمل مسؤولية الحكم الذاتي.
- مرحلة انتقالية لخمس سنوات للحكم الذاتي.
- مفاوضات الحل النهائي مع بدء السنة الثالثة من اتفاق الحكم الذاتي.
- وقف الانتفاضة عند الاتفاق على مبادئ الحكم الذاتي.

إن تصاعد وشمولية الانتفاضة ومليونان من البشر في ميدان مواجهة قوات الاحتلال يومياً، وتفعيلاتها في المجتمع الإسرائيلي وعلى قوات الاحتلال، والخشية من التفاعلات في الأقطار العربية، ورد الاعتبار للقضية الفلسطينية والشعب المنتفض يدخل يومياً إلى قلب وضمير كل بيت في العالم... ووصول جنرالات إسرائيل إلى قناعة تؤكد أن (لا حل عسكري للانتفاضة بل سياسي)... إن كل هذه التطورات المذهلة دفعت رادارات محطات القنوات السرية إلى الحركة بوتائر عالية وقد يقال كيف... وأنا سأجيب بأن المحطة المصرية احتلت المساحة الأكبر لاستئناف دور إقليمي تحن له بالتنسيق مع الولايات المتحدة وبتشجيع من قوس واسع (رومانيا، الدول الاسكندنافية - حيث حكومات اشتراكية ديمقراطية روابطها واسعة مع حزب العمل في إطار الاشتراكية الدولية وحزب العمل شريك الليكود بالائتلاف الحكومي -، المؤسسة اليهودية الأمريكية، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، شمعون بيريز، افرايم سينيه...).

وفعلاً انشغلت القيادة الفلسطينية بسلسلة من أوراق الاقتراحات الأمريكية الإسرائيلية عبر المحطة المصرية ومعها أفكار وبدائل ونصائح مصرية على امتداد 88، 89، 1990 إلى أن استدار كل شيء نحو أزمة وحرب الخليج الثانية.

إن ليالي نقاشاتنا الماراثونية حول هذه الأوراق والبدائل لم تنقطع أياماً وشهوراً تتوالى حول ما كان مسموحاً به أن يصل إلى دائرة النقاش والبحث إضافة إلى (المعلومات المتسربة) مما لا يفصح عنه. وكلها تصب في (مشروع) مفاوضات ثنائية مباشرة فلسطينية - إسرائيلية تستند لكامب ديفيد ومشروع شامير. وليس من أوراق تأتي تستند في جوانب منها لقرارات الشرعية والمرجعية الدولية حتى تتلامس مع قرارات مجلسنا الوطني والقواسم المشتركة في المجلس المركزي واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير.

وكل الأوراق والمشاريع المطروحة على طاولة البحث مشروطة بـ:

1 - أن تكون المفاوضات مع شخصيات من الضفة والقطاع، فالمفاوضات حول الحكم الذاتي لسكان الضفة والقطاع.

2 - لا أحد من القدس.

3 - لا أحد من أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني.

4 - دور منظمة التحرير الفلسطينية من تحت الطاولة، سري، غير مرئي **Invisible role**.

5 ـ وقف الانتفاضة.

ونلاحظ في كل الأوراق والمشاريع المطروحة أنها الحلقة الثانية في التسويات الثنائية بعد أن سقطت حلقة 17 أيار ـ مايو 83 اللبنانية ـ الإسرائيلية، وعلى النقيض من القرار السياسي لمجلسنا الوطني حول التسوية السياسية والمؤتمر الدولي للسلام (15 نوفمبر 88)، ولا مرجعية دولية له ممثلة بقرارات الشرعية الدولية ورعاية الأمم المتحدة والدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، كما تنص قرارات الحل الوسط الدولية، القمم العربية، ومجلسنا الوطني، وبرنامج الانتفاضة.

كذلك ليس مطروحاً أي أفق للمسارات العربية الأخرى (الأردن، سورية، لبنان)، والمطروح فك علاقة الأقطار العربية بالقضية والحقوق الفلسطينية كما فعلت باتفاقات كامب ديفيد. وكما يطرح مشروع حكومة ائتلاف الليكود ـ العمل.

وصمت حواتمة برهة ثم قال:

■■ الواقع أننا بالحوار والبحث الماراثوني بيننا في القيادة الفلسطينية وصلنا إلى الحائط تجاه هكذا اقتراحات ومشاريع. ولذا كان التفاوض السري بين عرفات والمحطات الوسيطة هو المعمول به، ومن وراء ظهر المؤسسات الوطنية الجماعية وقرارتها السياسية المشتركة.

وفي إطار التفاوض الآخر جاءت زيارة رابين وزير دفاع الائتلاف للقاهرة، بينما قواته تهرس عظام شبان الانتفاضة، والطلبات من بيريز والمؤسسة اليهودية الأمريكية، وعندما تمهلت القاهرة، دارت الحرارة في قناة المؤسسة اليهودية الثانية مع عرفات ليبذل جهده مع مبارك. ووقعت زيارة رابين في أيلول/ سبتمبر 89 ليتأكد بالواقع أن التفاوض الآخر هو التفاوض الفعلي الوحيد وسط ذهول شعب الانتفاضة واحتقان الشعوب العربية والرأي العام العالمي تجاه سياسة هرس العظام ودون حتى تخفيض منسوبها الدامي[39].

* * *

■ بعد حرب الخليج الثانية، ومن نتائجها، انطلقت مبادرة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، وأخذ مسار التسوية في الشرق الأوسط بعداً أشمل... كيف يمكن لنا جسر الحديث عن المفاوضات في مرحلتي ما قبل وما بعد حرب الخليج؟!

■■ مبادرة الرئيس بوش التي جاءت في 6 آذار/ مارس 1991 لم تهبط فجأة من سماء حرب الخليج الثانية، وبعد أسبوع واحد فقط على وقف إطلاق النار الذي تم في 28 شباط/ فبراير 1991.

في إطار عمليات التحضير السياسي والعسكري لحرب الخليج تم الاتفاق مع موسكو والبلدان العربية المشاركة بالائتلاف على عقد (مؤتمر للسلام) لحل أزمة الشرق الأوسط على أسس وشروط محددة، ولذا أطلق بوش مبادرته أمام الكونغرس في السادس من آذار.

---

(39) يروي هيكل الأدوار. المفاوضات السرية ـ سلام الأوهام ـ أوسلو ص226.

إن عناصر الخطة وصيغة مدريد تشي أنها تمتد عميقاً في سياسة واشنطن الشرق أوسطية وحلولها لقضايا الصراع الفلسطيني والعربي ـ الإسرائيلي. فهي تستند لكامب ديفيد ومشروع ريغان ومسار الحلول الأمريكية كما برزت باتفاق 17 أيار 1983 على الجبهة اللبنانية ــ الإسرائيلية بعد غزو لبنان في حزيران 82، وكما برزت في التعامل مع القضية الفلسطينية في اتفاقات كامب ديفيد ومشروع ريغان والمفاوضات السرية مع الأردن قبل وبعد اتفاق شباط 85 بين الملك حسين وعرفات، وفيما بعد مفاوضات القنوات السرية مع منظمة التحرير حتى احتلال الكويت في آب 90.

إن صيغة مدريد نسخة عن صيغة ريغان ـ غورباتشوف في قمة واشنطن (11 أيلول 1987) والتي عطلتها حكومة الليكود خشية من دور الاتحاد السوفييتي الذي لم تكن شمسه قد شحبت في ذلك الوقت، رغم أن الصيغة تمثل تراجعاً عن صيغة بريجنيف ـ نيكسون بعد حرب تشرين/ أكتوبر 1973 وعن الموقف السوفييتي تجاه وحدانية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية لشعبنا وحقه بتقرير المصير والدولة المستقلة، وتستجيب للعناصر الأساسية لرؤية واشنطن لحل (أزمة الشرق الأوسط). وتكررت ذات الصيغة في قمة مالطا بين بوش ــ غورباتشوف (2–3 ك1/ ديسمبر 89) وتنص على:

- دعوة ثنائية أمريكية ـ سوفييتية تحت رعاية وإشراف الطرفين.
- الدعوة لإسرائيل والأردن وسورية ولبنان.
- الأمم المتحدة مراقب.
- المؤتمر جلسة واحدة.
- المفاوضات ثنائية مباشرة على أساس القرارين 242، 338 ومبدأ الأرض مقابل السلام.
- التمثيل الفلسطيني في إطار الوفد الأردني.

ومع أن بوش في قمة مالطا أشار إلى أن (الانتفاضة أدخلت القضية الفلسطينية إلى بيت كل عائلة أمريكية) وعلى واشنطن (مسؤولية أخلاقية تجاه الرأي العام الأمريكي) إلا أن الإدارة الأمريكية دفعت باتجاه المفاوضات الثنائية الفلسطينية ـ الأردنية مع إسرائيل. وهذا الذي كان مطروحاً على منظمة التحرير الفلسطينية طيلة صعود وصمود الانتفاضة 88، 89 وحتى آب 90 بدء أزمة الخليج الثانية.

فسألت نايف حواتمة:

■ إلى أي مدى اندفعت الرؤية الأمريكية في التعامل مع تسوية الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثانية. خاصة أن هذه الرؤية أخذت بعين الاعتبار تواتر الأحداث في هذه الحرب وموقف العرب منها؟!

فأجاب:

■■ طبول الحرب تدق، وواشنطن تسعى لحسم الحرب بأوسع تغطية سياسية دولية وعربية وأوسع مشاركة عسكرية بالائتلاف الدولي والعربي لخوض الحرب. ولذا تنقل جورج بوش بين موسكو والعواصم الأوروبية وعديد العواصم العربية والتقى بمعظم الملوك والرؤساء.

العواصم العربية موزعة بين هموم الخليج وهموم أزمة الشرق الأوسط، كما أن العراق ربط بين الانسحاب من الكويت وانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة، والقوات السورية من لبنان[40].

وعين موسكو على (مصالحها) في الشرق الأوسط والخليج مقابل فك العلاقة مع العراق ورفع غطاء المعاهدة السوفييتية ـ العراقية بكل عناصرها السياسية والتسليحية، الإقليمية والدولية ووفقاً لنظرية (توازن المصالح) بدلاً من (توازن القوى) الغورباتشوفية بين السوفييت وواشنطن. ربطت واشنطن بين الائتلاف الدولي والعربي لخوض حرب الخليج وبين تحريك أزمة الشرق الأوسط وعقد (مؤتمر للسلام) وأصر جورج بوش مع العواصم العربية على شرطين (هدفين):

- المشاركة السياسية بالائتلاف الدولي وتطبيق العقوبات الدولية على العراق وفق قرارات الحلفاء ومجلس الأمن الدولي.
- المشاركة العسكرية بالحرب.

ومقابل هذا تم الاتفاق على:

- مؤتمر للسلام بصيغة مدريد.
- المفاوضات الثنائية المباشرة على المسارات الأربعة.
- أسس السلام 242 و338 والأرض مقابل السلام.
- المؤتمر والمفاوضات برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي[41].

وجاء إعلان جورج بوش عن مبادرته أمام الكونغرس في السادس من آذار 1991 بعد أن وفت العواصم العربية المعنية بالتزاماتها وكذلك الاتحاد السوفييتي في إطار الائتلاف الدولي. وبعد أسبوع واحد فقط من وقف إطلاق النار في 28 شباط 91.

---

(40) إعلان بغداد في 1990/8/12.

(41) صيغة ريغان ـ غورباتشوف في قمة واشنطن 11 أيلول/ سبتمبر 1987 وصيغة غورباتشوف ـ بوش في قمة مالطا.
وكانت إدارة ريغان قد وصلت إلى قناعة أن (الحرب الباردة انتهت) وعليه يمكن التعاون مع الاتحاد السوفييتي (لحل أزمات البؤر الإقليمية المتوترة)، ويؤكد هذا جورج شولتز وزير خارجية ريغان حين يورد في مذكراته ذلك، ويضيف في كتابه (اضطراب ونصر) أن إدارة ريغان قطعت شوطاً كبيراً جداً بهذه القناعة ـ ص249، الجزء الأول، الطبعة العربية، الأهلية للنشر والتوزيع عمان، الأردن.

* ومع ذلك فإن إدارة ريغان بقيت متمسكة بسياسة التسويات الثنائية بين كل بلد عربي لوحده وإسرائيل، وكذلك فعلت إدارة بوش ـ بيكر التي لم تكن لديها القناعة بانتهاء الحرب الباردة كما يؤكد شولتز في كتابه (اضطراب ونصر) ويضيف (أن الفريق الجديد بوش ـ بيكر لم يدرك بعد أن الحرب الباردة قد انتهت وعلم أن الإدارة الجديدة ستعيد النظر في كل القضايا) نفس المصدر ـ ص249، 1989/1/17. واستمر موقف إدارة بوش على حاله إلى أن وصلت في قمة مالطا إلى القناعة الخاصة بها أن الحرب العالمية الباردة انتهت، ومع ذلك واصلت سياسة التسويات الثنائية بصيغة كامب ديفيد انسجاماً مع نزعة الانفراد في الشرق الأوسط حتى أزمة الخليج الثانية، وإلى أن تأكدت من فك علاقة السوفييت بالعراق، ووضعت موسكو خلف ظهرها المعاهدة السياسية والعسكرية مع العراق، وانضمت إلى الائتلاف الدولي ونظام العقوبات السياسية والاقتصادية ضد العراق.

■ هذا يعني أن شكلاً جديداً من المباحثات قد أخذ يشق طريقه، كيف كان وضع الطرف الفلسطيني في هذه المحطة؟!

■■ بدأت جولات جيمس بيكر المكوكية في الشرق الأوسط تحضيراً (لمؤتمر السلام) والحوار الرسمي مع منظمة التحرير كان مجمداً منذ 30 أيار/ مايو 1990، بينما حوار المحطات والقنوات السرية على امتداد أعوام 88، 89، 90 لم يتوقف. ومن الجولة الأولى تم اللقاء مع الوفد الفلسطيني في مقر القنصلية الأمريكية بالقدس، وتشكل الوفد من فتح (فيصل الحسيني، د. صائب عريقات) الجبهة الديمقراطية (د. محمد جاد الله) الجبهة الشعبية (د. رياض المالكي) حزب الشعب (غسان الخطيب) وعدد من الشخصيات المستقلة (د. حيدر عبد الشافي، د. حنان عشراوي، وآخرين...).

وعلى مدى جولات بيكر الأولى الثلاث اتضحت العناصر الرئيسية (لمؤتمر السلام) ولمسار المفاوضات الثنائية المباشرة، وكانت صيغة المؤتمر على النحو التالي:

- جلسة افتتاحية برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

- الأمم المتحدة مراقب صامت.

- الإطار التفاوضي (أسس المؤتمر) القرارين 242 و338 والأرض مقابل السلام.

- لا رابط بين مسارات المفاوضات والحلول.

- المفاوضات مرحلة واحدة على المسارات الأردنية والسورية واللبنانية.

أما المفاوضات على المسار الفلسطيني - الإسرائيلي فعناصرها:

- المفاوضات على مرحلتين، المرحلة الأولى على الحكم الذاتي لسكان الضفة والقطاع بالاستناد إلى اتفاقات كامب ديفيد ولمدة خمس سنوات، والمرحلة الثانية مرحلة الحل النهائي وتبدأ بعد السنة الثالثة من الحكم الذاتي وتنتهي بسقف السنوات الخمس. وتتم على أساس قرار مجلس الأمن 242.

- التمثيل الفلسطيني بشخصيات من الضفة والقطاع غير أعضاء في المجلس الوطني الفلسطيني، لا أحد من القدس، لا أحد من الشتات، والوفد الفلسطيني في إطار وفد أردني فلسطيني.

- لا مكان لقضية اللاجئين على مائدة المفاوضات الثنائية.

- الحدود، القدس، اللاجئون، الاستيطان، المياه، السيادة على الأرض، السيادة السياسية، كلها مواضيع تم ترحيلها إلى مفاوضات المرحلة الثانية (الحل النهائي).

وطوال الجولات الثلاث كان التشاور غير المعلن وغير المرئي Invisible قائماً بين وفد (الشخصيات) والقيادة الفلسطينية لمنظمة التحرير وطرح الوفد أن عنوان الشعب الفلسطيني هو منظمة التحرير الفلسطينية. والتمثيل يجب أن يشمل (الداخل والخارج) تعبيراً عن وحدة الشعب ووحدة حقوقه الوطنية والسياسية عملاً بقرارات الشرعية الدولية، وأكد على أن تكون المفاوضات على المسار الفلسطيني بمرحلة واحدة، وإطارها التفاوضي مبادرة الرئيس الأمريكي وقراري مجلس الأمن 242 و338 والأرض مقابل السلام.

وأبرز الوفد في جولاته الثلاث ضرورة (وقف الاستيطان) وضمان الإدارة الأمريكية ذلك حتى تبقى أرض يتم التفاوض عليها. فمصادرة ونهب الأرض لا يتوقف لتسمين الكتل الاستيطانية وبناء مستوطنات جديدة، وكل هذا يتناقض مع قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة التي تدين الاستيطان وتغيير الطابع الجغرافي والديمغرافي للأرض المحتلة وبسياسة (الأمر الواقع الاحتلالية) التي تتعارض كلياً مع اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949.

وصل الوفد إلى طريق مسدود مع بيكر في نهاية الجولة الثالثة، فالإصرار الأمريكي على صيغة كامب ديفيد يستند إلى مفاوضات المحطات والقنوات السرية وكل أوراق ومشاريع ونصائح هذه المحطات تنبع وتصب في طاحونة كامب ديفيد وجوانب من مشروع ريغان أيلول/ سبتمبر 82 ومشروع شامير أيار/ مايو 89.

وأضاف حواتمة:

■■ في القيادة الفلسطينية لمنظمة التحرير نشب حوارنا الساخن بالاستناد إلى برنامج القواسم المشتركة ووحدة شعبنا وحقوقه عملاً بمبادرة السلام الفلسطينية التي أقرها مجلسنا الوطني (15 تشرين الثاني/نوفمبر/1988) وقرارات منظمة التحرير الائتلافية المشتركة (المجلس الوطني، المجلس المركزي، اللجنة التنفيذية) وقرارات الشرعية الدولية.

بدا ملموساً أن أكثر من لغة سياسية تدور مع جيمس بيكر في القدس وعبر المحطات والقنوات السرية، كما بدأت دوامة اللغات السياسية تغزو ساحة منظمة التحرير والمناورات وفبركة الادعاءات بصيغة معلومات عن اتفاقات بيكر مع الأردن وسورية ولبنان واستعداد هذه الأقطار للذهاب إلى مؤتمر السلام (بدون الفلسطينيين) وعليه برز تفكك موقف الوفد في القدس، ودخل الموقف الفلسطيني بأزمة جديدة، بينما خط اليمين ويمين الوسط في منظمة التحرير والشخصيات الموالية له في الوفد في القدس، ومع المحطات السرية يدفع نحو الاستجابة للتنازلات تحت سقف أطروحات بيكر وتشدد شامير، ومن وراء ظهر القيادة الفلسطينية لمنظمة التحرير والوفد المشترك في القدس.

مع نهاية الجولة الثالثة اقترح أغلبية وفد الأرض المحتلة التعليق المؤقت (للقاءات مع جيمس بيكر إلى أن يصبح ممكناً لحلحة الموقف الأمريكي من الإطار التفاوضي والتمثيل. وعلى الأقل بشأن ضمان وقف الاستيطان). لكن الوفد لم يتلق تجاوباً مشتركاً من قيادة منظمة التحرير، فالذي يدور تحت الطاولة هو الرئيسي في جولات الحوار مع بيكر وليس الذي يدور على طاولة الحوار بينه وبين مجموع الوفد في القدس.

وبعد الجولة الثالثة أعلن الدكتور حيدر عبد الشافي وممثلو الديمقراطية والشعبية وحزب الشعب تعليق المشاركة بالمفاوضات مع جولات بيكر، طالما لا ضمانة لوقف الاستيطان ولا تطور في الاشتراطات الأمريكية على المسار الفلسطيني، بينما استمر ممثلو فتح والشخصيات المتجاوبة مع خط عرفات وسياسة المحطات السرية النافذة بالتعاطي مع جولات بيكر.

■ كيف تعاملتم مع صيغة (مؤتمر السلام)، وما الجديد الذي طرحته هذه الصيغة؟

رد حواتمة بصوت هادئ:

■■ مرئي.. ملموس لنا وللعواصم العربية مع جولة بيكر الثالثة أن صيغة (مؤتمر السلام وإطاري التفاوض تمثل عودة كاملة إلى سياسة الحلول الثنائية المنفردة)، و (فك الارتباط بين مسارات المفاوضات الثنائية/وبين القضية والحقوق الوطنية الفلسطينية).

وتردد قليلاً، ثم تابع إجابته و كأنه أراد أن يوضح أبعاد ذلك:

■■ أي فك الارتباط بين الوطني والقومي وتفكيك قرارات القمم العربية تجاه قضايا الصراع الفلسطيني والعربي ـ الإسرائيلي الصهيوني، التي تربط بين الانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة إلى ما وراء خطوط 4 حزيران/ يونيو 1967 بما فيها القدس وحق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير وبناء دولته المستقلة وحل مشكلة الشعب اللاجئ والنازح وفق القرارين الأمميين 194، 237. وبدلاً عن هذا السلام الشامل المتوازن في إطار قرارات الشرعية الدولية يحل سلام من صنف آخر. ويصبح (السلام الشامل) هو حاصل جمع الحلول الثنائية على المسارات الأربعة ووفق ما يستطيع أن يصل له كل مسار بميزان قوى أفدح اختلالاً بفعل فك مسار التفاوض الفلسطيني عن المسارات العربية، وفك مسارات المفاوضات الثنائية العربية بعضها عن بعض وعن القضية الفلسطينية جوهر الصراع العربي الإسرائيلي، فضلاً عن نتائج دمار حرب الخليج الثانية وانهيار التضامن العربي وشحوب دور الاتحاد السوفييتي.

إن الجديد بصيغة (مؤتمر السلام) هو فقدان الانتقال من صيغة المفاوضات ـ لحلول ثنائية بين كل دولة عربية وإسرائيل بلداً بعد الآخر، حلقة بعد حلقة، إلى صيغة المفاوضات الثنائية المباشرة على الجبهات الأربع دون ترابط بينها.

لقد أدخل هذا كله الحوار الفلسطيني ـ الفلسطيني في طور نوعي جديد وخطير. كما أدخل العلاقة الفلسطينية ـ العربية أيضاً في طور نوعي جديد وخطير يختلف جذرياً في مساراته ونتائجه عن كل ما شاهدناه في منظمة التحرير منذ عام 1964 في الائتلافات والصراعات والبرامج والقرارات السياسية وفي العلاقات بين منظمة التحرير وأقطار الطوق العربية خاصة والأقطار العربية عامة، وكذلك في خط سير كل من أقطار الطوق العربية تجاه القضية الفلسطينية.

■ ما مدى انعكاس كل ذلك على الحالة الفلسطينية؟

■■ من جديد... الانتفاضة، الائتلاف الوطني في منظمة التحرير، حقوق شعبنا، عملية السلام المتوازن والترابط بين المسارات العربية في مفترق طرق. فبعد الجولة الثالثة أصبح التفاوض في الأرض المحتلة محصوراً بممثلي فتح وبرعاية اليمين المحافظ في منظمة التحرير الفلسطينية، وترافق هذا مع ضغط المحطات السرية لتسويق وتمرير الخطة الأمريكية. فالانقسام السياسي أصبح واضحاً في صف الشعب ومنظمة التحرير بعد تعليق مشاركة فصائل المنظمة والشخصيات المستقلة البارزة وفي المقدمة الدكتور عبد الشافي.

والحوار الصاخب في القيادة الفلسطينية يمتد شهوراً وفي حلقة مفرغة، ولا يتم طرح المعلومات على حقيقتها كما تدور مع بيكر في القدس ورام الله، ويتم إغراق الاجتماعات بادعاءات وصول الأردن وسورية ولبنان إلى اتفاقات مع بيكر، وأن الجميع ذاهب لمؤتمر السلام بدون الفلسطينيين...!! بينما بيكر نفسه يؤكد (لا أحد يستطيع الذهاب بدون الفلسطينيين) من موقع الإلحاح على ضرورة قبول الشروط الأمريكية والتي لا ينفي تطابقها مع شروط مشروع شامير 89 حتى أن فيصل الحسيني ينقل لنا في اجتماع القيادة الفلسطينية في تونس كلام بيكر نفسه في إحدى الجولات: (بوسعكم أن تعطلوا التسوية ـ أي الحل الأمريكي، غير أنكم تتضررون من ذلك لأنكم تعانون).

الحالة الفلسطينية تعمقت شروخاً أكثر فأكثر بإعادة تشكيل المجلس الوطني بعد أن انتهت منذ سنوات مدة المجلس السابق. وهنا لجأ اليمين المحافظ إلى سياسة إغراق المجلس بأنصاره. وبذات الوقت تفكيك تعاون القوى الوطنية الديمقراطية باللجوء إلى تكتيك (الرشوات الصغيرة) في زيادة أو إنقاص تمثيل هذا الفصيل أو ذاك بدلاً من أن تتوحد هذه القوى على المساحة السياسية المشتركة وتضع خلف ظهرها (المصالح الفئوية الضيقة) فالقضايا المطروحة انعطافية في حياة الشعب والوطن، في مسار الوحدة الوطنية لتأمين الحدود الدنيا من الحقوق الوطنية كما يطرحها برنامج الانتفاضة (إنهاء الاحتلال وإنجاز الحرية والاستقلال) وبرنامج مبادرة السلام الفلسطينية التي أطلقها مجلسنا الوطني في الدورة 19 بالجزائر (15 تشرين الثاني، نوفمبر 1988) وفتح أفق التسوية السياسية أمام الانتفاضة وائتلاف منظمة التحرير.

■ كيف تعاملتم مع هذه الأجواء من موقعكم على الساحة الفلسطينية؟

■■ **في حُمّى الصراع الدائر على محوريه: عملية السلام، وإعادة فك وتركيب المجلس الوطني. أخذنا بالسياسة الوطنية الواقعية وبخط بناء معادلة سياسية فلسطينية – فلسطينية تصدر عن المجلس الوطني وتقوم على قرارات الشرعية الدولية للمشاركة بـ (مؤتمر السلام) من حيث: حق منظمة التحرير بتمثيل شعبنا، الإطار التفاوضي، وقف الاستيطان، حضور القدس موضوعاً وتمثيلاً، مفاوضات المرحلة الواحدة.**

وبالحوار الكثيف الذي امتد أربعين يوماً بلياليها الطويلة في إطار القيادة الفلسطينية تحضيراً للدورة العشرين وحتى الليلة السابقة على انعقاد المجلس بقي كل شيء معلّقاً ولم نصل إلى ورقة سياسية مشتركة[42] . التيارات الثلاثة لم تتقاطع على مساحة مشتركة حتى افتتاح الدورة العشرين في 23 ايلول/ سبتمبر 1991.

---

(42) أشارت الجبهة الديمقراطية إلى احتمال مقاطعة دورة المجلس وأبلغت الجزائر بذلك، لكن الرئيس بن جديد ووزير الخارجية الأخضر الابراهيمي تمنوا على الجبهة الديمقراطية المشاركة فالدورة منعقدة على أرض ثورة المليون ونصف المليون شهيد، والجزائر تسعى لتكون دورة وحدة وطنية كما كانت الدورات الثلاث التي انعقدت بالجزائر في 83، 87، 88. ونقل السفير الجزائري في تونس إلى حواتمة تمني الرئيس بن جديد والوزير الابراهيمي. وقدر الوزير الأخضر الابراهيمي للجبهة الديمقراطية مشاركتها حال وصول قيادة الجبهة إلى الجزائر في 22/ 9/ 1991، ودخلت الجزائر ممثلة بالوزير وسيطاً بين الديمقراطية وعرفات.

■ أي التيارات تقصد؟

■■ **التيار الساعي للانخراط بالتسوية الأمريكية بالشروط والتمثيل الذي يطرحه بيكر، وبحكم المدى الذي انتهى له مع بيكر في إطار الجولات الثمانية مع وفد فتح في القدس، وبحكم ماتم التوصل إليه عبر المحطات الوسيطة السرية وخاصة المصرية قبل مبادرة بوش وبعدها.**

والتيار الواقعي الداعي للمشاركة بمؤتمر السلام على قاعدة الشرعية الدولية والإطار التفاوضي وفق مبادرة بوش، ومرحلة تفاوضية واحدة حالنا حال الأردن وسورية ولبنان، ضمان وقف الاستيطان.

وأيضاً التيار القومي الذي يرفض المفاوضات من حيث المبدأ كما يرفض إطار التفاوض على أساس 242 و 338 والأرض مقابل السلام ويدعو لانجاز برنامج الإجماع الوطني بدون مفاوضات

■ لنعد إلى السياق الذي كنت تتحدث عنه، فقد وصلتم عتبة الانفجار دون الوصول إلى موقف مشترك!

■■ **المشهد كان مفتوحاً... المناخ مشحون بالتوتر. والحوار يدور على مرأى ومسمع سفراء دول العالم وكاميرات التلفزيون العالمية: إما إجازة وإقرار ماوصل له بيكر مع وفد فتح في القدس (فمؤتمر السلام على الباب)، وإما قرار واقعي موحد يضمن الحدود الدنيا من القواسم الوطنية المشتركة، ويضع معادلة فلسطينية تشكل طوقاً حول (الهرولة) نحو المؤتمر بشروط بيكر وشامير. وفي هذا الاتجاه خضنا معركة جماهيرية وتعبوية في الشارع، وقبل الوصول لدورة المجلس في الوطن المحتل وأقطار اللجوء، جمعنا أكثر من نصف مليون توقيع حتى لاتمر خطة المشاركة بالمفاوضات الثنائية المباشرة وفق الشروط التي تم طبخها بين آذار - أيلول بجولات بيكر من بين أصابع المجلس الوطني[43]، وحتى لايتسلح اليمين المحافظ ويمين الوسط في المنظمة بقرار المجلس الوطني الفلسطيني. وفي المجلس برز تيار واسع لتطويق سياسة التسليم بشروط بيكر - شامير، شمل القوى اليسارية الديمقراطية واتجاه في فتح وقوى قومية وشخصيات وطنية.**

على ضوء مجرى الصراع تم (استدعاء) فيصل الحسيني وحنان عشراوي إلى دورة المجلس دون علمه، وبتغطية أمريكية لأن شامير يشترط (أن لاعلاقة علنية بين شخصيات وفد التفاوض وبين منظمة التحرير) وبهدف الضغط السياسي والنفسي على أعضاء المجلس وبخط الترويج لضرورة المشاركة بالشروط الأمريكية المطروحة ودون طرح أي شروط أو أسس فلسطينية.

وألقت عشراوي خطاباً مكتوباً ومجهزاً[44] بعد دخول القاعة مباشرة، دعت فيه إلى (المشاركة بالعملية السياسية بصرف النظر عن شروطها) وحاولت تسويق الدعوة مستشهدة بأمثلة من نمط (أن بيكر بدأ مؤخراً باستلام الرسائل التي ينقلونها إليه من الأخ أبو عمار ويرد

(43) الدورة العشرين (23 - 28 أيلول/ سبتمبر 1991) وهي الدورة الرابعة التي تستضيفها أرض الجزائر على التوالي (الدورة 16 عام 83، الدورة 18 عام 87، الدورة 19 عام 88).

(44) في لندن التقى فيصل الحسيني و د. عشراوي مع دنيس روس، ومن لندن قدما إلى الجزائر.

عليها، وأنه بدأ أحياناً يستعمل لفظة (الشعب الفلسطيني) وأنه (اكتسب معرفة أكبر بواقع ومعاناة الشعب الفلسطيني بعد أن كان يجهل الكثير من التفاصيل) وأحجمت بالكامل عن تقديم أي معلومة ملموسة حول إطار الصيغة الأمريكية أو مذكرة النوايا التي قدمها بيكر.

أما فيصل الحسيني، فقد ألقى كلمة شفوية تكلم فيها عن (الطاقة السلبية) التي يمتلكها الطرف الفلسطيني في الصراع، وأورد من جديد قول بيكر لهم (بوسعكم أن تعطلوا التسوية، غير أنكم تتضررون من ذلك لأنكم تعانون) ودعا (للانخراط في العملية السياسية الجارية دون شروط مسبقة).

وتنهد حواتمة وهو يتأمل أوراقه، ثم قال:

■■ واضح أين تصب هذه الدعوات...

كثيرون تكلموا بعد (القادمين من الداخل) بين من أيد ومن اعترض وعارض: عرفات، حواتمة، خالد الحسن، حبش، النجاب، غوشة.

وفي كلمتي الموجزة خاطبت المجلس، وبلغة مباشرة إلى فيصل وحنان قلت:

طوبى لمن اعتمر واعتبر... طوبى لمن اعتمر[45] بالقدس، وطوبى لمن اعتبر بقرارات المجلس الوطني.

إن الانتفاضة والمقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية تعلن أن شعبنا هو (الرقم الصعب) في معادلة الصراع في المنطقة (وهو كذلك حقاً) وعلينا في القيادة وفي مجلسنا الوطني أن نتصرف بموجب هذا التحديد وأن نأخذه مأخذ الجد وليس بما يتعاكس معه. إن سلام شروط شامير وقيود بيكر شيء، والسلام الشامل المتوازن شيء آخر... نحن دعاة السلام المستند إلى الشرعية الدولية ومبادرة السلام الفلسطينية المشتقة منها، والتي أطلقها مجلسنا الوطني في تشرين الأول/ نوفمبر 1988، غداً نصل إلى قرارات سياسية عن مجلسنا فطوبى لمن اعتبر بها ولايخرج عنها....

وصمت حواتمة، و كأنه استعاد تلك اللحظات.

كان مشحوناً بهذه الاستعادة..

■ ربما كانت قرارات ذلك المجلس بحجم معاني هذه الكلمة!!

هز رأسه، وطلب تقديم القهوة أو الشاي لنا... وقال:

■■ قرار المجلس أنتج معادلة سياسية وطنية متماسكة وليدة حوار وصراع على مدى ثلاث سنوات من عمر الانتفاضة الكبرى والتفاعلات في صف الشعب وائتلاف منظمة التحرير وفي الخارطة الإقليمية والدولية. وتضمن العناصر الرئيسية الواقعية والمتوازنة للمشاركة في (مؤتمر السلام)، ووضع المجلس القرار النهائي، بشأن المشاركة أو عدم المشاركة في مؤتمر السلام، بيد المجلس المركزي المنبثق عن المجلس الوطني والذي يتجاوز الثمانين عضواً بأمل توسيع هامش ديمقراطية القرار، ولم يوافق على رهن قرار المشاركة باللجنة التنفيذية (18 عضواً) كما ألح الاتجاه اليميني المحافظ في القيادة الفلسطينية.

---

(45) من العمرة بالقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين، مسرى الرسول ومهد المسيح.

إن قرارات المجلس أعطت أجوبة سليمة سياسية واقعية ووطنية علــى القضايا الجديـدة الـتي ضغطت عليها الانتفاضة وتفاعلاتهـا الاقليميـة والدوليـة وتأثيراتهـا داخـل المجتمـع الاسـرائيلي، وأجوبة ملموسة على مبادرة الرئيس الأمريكـي بعـد حـرب الخليـج الثانيـة، ووضعـت الآليـات والضوابط الأولية لهذه القرارات ومع ذلـك لم يغـرق أحـد بـالوهم أن احـترام قـرارات القاسـم المشترك عن المؤسسة التشريعية والانضباط لها سيأخذ مجراه ميكانيكياً، فالتجربــة علمـت شـعبنا والجميع في منظمة التحرير وحولنا أن (الصفقات السرية وسياسة المحـاور تدفـع بالاتجـاه المحـافظ إلى كسر القرارات الوطنية المشتركة والتراجع عنها نحو السياسة الفئوية المحورية الاقليمية).

إن قـرارات الـدورة العشـرين قدمـت حلـولاً ملموسـة متوازنـة مسـتندة للشـرعية الدوليـة والإطار الذي أعلنه جورج بوش للتسوية السياسية الشاملة 242 و 338 والأرض مقابل السلام. وقدمت القرارات الأفق السياسي العملي للانتفاضة والشعب وقوى الائتلاف الوطني في منظمة التحرير، وحجبت عن اليمين ويمين الوسط امتطـاء القـرارات لتـبرير نزولـه عنـد شـروط بيكـر وشامير. والدليل على كل هذا نعود إلى نص القرار.

وبحث حواتمة في الأوراق والوثائق التي أحضرها عن النص وتلا قرار المجلس:

■■ (أقـر المجلـس اسـتعداد منظمـة التحريـر الفلسـطينية للمشـاركة في مؤتمـر السلام في حال توفر الأسس التالية:

أ ـ الالتزام بتطبيـق قـرارات الشـرعية الدوليـة علـى قـاعدة الأرض مقـابل السـلام والحقوق الوطنية و"السياسية" للشعب الفلسطيني.

ب ـ ضمان حق منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في تشكيل وفدها من داخـل الوطـن وخارجه بما في ذلـك القـدس ومشاركته على قدم المساواة والتكافؤ مع سائر الأطراف.

ج ـ وقف الاستيطان كشرط لاغنى عنه لبدء عملية السلام.

د ـ ضمان حضور القدس، موضوعاً وتمثيلاً، في جميع مراحـل المفاوضـات بوصفهـا جزءاً من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

هـ ـ استبعاد الحلول الجزئية والمنفردة وضمان التنسيق العربي على هذا الأساس.

و ـ ضمان الترابط بين مسـارات الحـل ومراحلـه وصـولاً إلى الحـل الشـامل طبقـاً لقرارات الشرعية الدولية[46]).

■ هذا يعني أن رد الفعل على هذه الأسس سيكون ساخطاً من جانب الولايات المتحدة!

هز رأسه موافقاً وقال:

---

(46) القرار السياسي الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني، الدورة العشـرين 23 – 28 أيلـول/ سـبتمبر 1991 الجزائـر – وثـائق المجلس الوطني.

* بيان م. س للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، 28/ 9/ 1991 + تقرير الدورة الكاملـة للجنـة المركزيـة للجبهـة الديمقراطيـة (موضوعات حول تقييم سياسة الجبهة وخطة العمل للمرحلة القادمة) 27 – 28 ت1/ أكتوبر 1991.

■■ واشنطن ومحطات الضغط السرية استقبلت قرار المجلس بغضب فالقرار في واد وما توصل إليه بيكر مع مجموعة القدس برعاية الاتجاه المحافظ البيروقراطي والمتنفذ في منظمة التحرير في واد آخر!

ولواشنطن من الخبرة والتجربة مع هذا الاتجاه ماجعلها تنظر لنتيجة الأداء السياسي الذي تعاطت به مراكز القوى المحافظة في منظمة التحرير مع قرارات دورة تشرين الأول/ أكتوبر 1988 ومبادرة السلام الفلسطينية ومغادرة تلك القرارات خطوة خطوة وصولاً إلى التسليم بشروط ريغان الثلاثة ثم خطة بيكر ومشروع شامير بين كانون1/ أكتوبر 88 وآب/ أغسطس 1990.

أما الانتفاضة وشعبنا فقد كان معلناً للجميع أن قرارات المجلس تشكل قاسماً مشتركاً بين اتجاهين:

الأول: يرفض (الصيغة الأمريكية المتقاطعة مع مشروع شامير)[47] وثبت بالقرار - البند الرابع أن "وقف الاستيطان شرط لاغنى عنه لبدء عملية السلام" والخامس "حضور القدس، موضوعاً وتمثيلاً في جميع مراحل المفاوضات".

والثاني: يوافق على السعي لتحسين شروط المشاركة، ولكنه يسلم سلفاً بالمشاركة بالمؤتمر كما توصل له مع بيكر والمحطات الوسيطة السرية. وقد أفصح بوضوح من على منبر المجلس عن دعوته لقبول الصيغة الأمريكية.

وعليه، فالمتوقع أن يتمايز هذان الاتجاهان في الممارسة العملية، خصوصاً مع احتدام تفاقم ضغوط وإنذارات واشنطن والمحاور الاقليمية العربية المتناغمة معها، فضلاً عن ميل مراكز قوى اليمين المتنفذ إلى الخطة الأمريكية والتراجع التدريجي أمام ضغوطها.

لم تترك واشنطن مساحة زمنية لتفاعل قرار مجلسنا الوطني في صف شعبنا والانتفاضة وقوى منظمة التحرير والحالة العربية والدولية، فجولة بيكر الثامنة على الباب. وجاء "الانذار الأمريكي بضرورة تقديم الرد الفلسطيني النهائي وتقديم لائحة أسماء الفريق الفلسطيني وفق المعايير الأمريكية" أي شخصيات من الضفة والقطاع، لاأحد بينها من القدس ولامن الشتات، ولاأحد عضواً في مؤسسات منظمة التحرير.

وألقى جيمس بيكر "قنبلته العنقودية في الساحة الفلسطينية" مرة واحدة وأخيرة، طالباً لائحة الأسماء في إطار الوفد الأردني - الفلسطيني إضافة إلى الموافقة على المشاركة تحت سقف (ورقة الدعوة الأمريكية للتفاوض حول الحكم الذاتي للسكان خمس سنوات قبل الانتقال للمرحلة التالية) وشدد على هذا قبل انتهاء جولته الثامنة في المنطقة. وهنا سر دعوة المجلس المركزي لمنظمة التحرير في 16 تشرين الأول/ أكتوبر 91، فبيكر سيكون في القدس في 17، 18 منه.

ورغم "إنذار الصدمة"، فإن قرار المجلس المركزي في 16 - 18/ 10/ 91 لم يأتِ كما تشتهي شظايا قنبلة بيكر العنقودية.

---

(47) مذكرات بيكر: الدبلوماسية بين الحرب والسلام، يؤكد بيكر أن إطار التفاوض وورقة الدعوة الأمريكية على المسار الفلسطيني - الاسرائيلي يتطابقان مع شروط شامير.

لقد كشفت مناقشات المجلس المركزي عن بروز مظاهر ثلاثة[48]:

1 - أغلبية المتحدثين (21 من 27) دعوا إلى رفض التسليم بالشروط المسبقة الأمريكية والإسرائيلية، والتيار الرئيسي من هؤلاء تشكل من مندوبي الجبهة الديمقراطية وقطاع هام من ممثلي فتح والمستقلين، ويدعو إلى إعلان استعداد المنظمة لحضور المؤتمر في حال توفر الأسس الستة التي حددها المجلس الوطني (28 أيلول 91) وخاصة وقف الاستيطان كشرط لاغنى عنه لبدء عملية السلام، وضمان حضور القدس وشمولية التمثيل.

2- ممثلو الجناح المحافظ المتحكم في قيادة منظمة التحرير أفصحوا بوضوح بالغ عن دعوتهم إلى قبول الشروط الأمريكية والمشاركة على قاعدَتها، وهم في هذا يعبرون عن الاتفاق الذي توصلوا إليه على يد بيكر على امتداد الجولات من آذار/ مارس - ت1/ أكتوبر1991[49]، وبقيت فقط لائحة الأسماء. وقد تم هذا من وراء ظهر المجلس الوطني وقراراته.

3- الفصائل التي كانت في المجلس الوطني (قبل أسبوعين) قد أعلنت رفضها للمؤتمر من حيث المبدأ، أحدثت تطوراً ملحوظاً في موقفها حيث اعتبرت أن قرارات المجلس الوطني تشكل حداً أدنى للإجماع الوطني، ودعت إلى التمسك بها.

ولم يكن ممكناً أن ينتهي المجلس المركزي إلى قرار قاسم مشترك إلاّ باستيعاب ثلاثة بنود رئيسية من قرارات المجلس الوطني أصر عليها التيار الواقعي الوطني المتماسك في المجلس/ وقف الاستيطان، حضور القدس، شمولية تمثيل الوفد لشعب الوطن والشتات بما فيه القدس.

فالقرار الآخر، الداعي للمشاركة بالشروط الأمريكية لم يكن ممكناً أن ينال حتى الأغلبية العددية فضلاً عن فقدان الأغلبية السياسية[50].

ولأن قرار المجلس المركزي يتعارض مع الشروط الأمريكية، كما يتعارض مع التزامات ووعود فريق الجناح المحافظ المتحكم في قيادة منظمة التحرير، لجأت هذه القيادة إلى حجب نشره صباح 18 تشرين الأول/ أكتوبر 91، وتم إبلاغ بيكر في القدس وبعد ثلاث ساعات فقط من قرار المجلس المركزي بقرار آخر لارابط بينه وبين قرار المجلس المركزي بل ويتناقض معه. ولم يتم إعلانه بعد ذلك.

وقرأ نايف حواتمة نص القرار المذكور:

---

(48) محاضر دورة المجلس (16 - 18 ت1/ اكتوبر) - تونس 1991.

* تقرير دورة اللجنة المركزية - الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (موضوعات... تاريخ 27 - 28/ 10/ 1991 مصدر سبق ذكره ص 8، ص 9).

(49) مشروع القرار الذي تقدم به رموز هذا الجناح نص على:

(الموافقة الفلسطينية على المشاركة في مؤتمر السلام بوفد أردني - فلسطيني، ومواصلة العمل خلال المفاوضات لتحقيق - الأسس والأهداف التي حددها المجلس الوطني) محاضر المجلس 17/ 10/ 1991.

(50) نظام التصويت العددي يتساوى فيه صوت الفصيل، الحزب الذي يحمل على أكتافه مسؤولية وطنية شاملة وآلاف الشهداء، وصوت العضو المستقل (اللامنتمي تنظيمياً). ولذا يجري توضيح الفارق بين الأغلبية العددية (أغلبية ميكانيكية) والأغلبية السياسية (الفصائل والأحزاب والاتحادات النقابية) التي تتحمل المسؤولية الأساسية في مصير ومسار م.ت.ف والمقاومة والانتفاضة والوطن والحقوق الوطنية، وتجاه عشرات الآلاف من الشهداء والحركة الأسيرة.

■■ قرار المجلس المركزي المنعقد في الفترة 16 – 18/ 10/ 1991 – تونس:

(انطلاقاً من قرار المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في دروته العشرين في الجزائر بالتعامل الإيجابي مع الجهود الرامية لتحقيق تسوية في المنطقة عبر مؤتمر السلام الذي دعا له الرئيسان جورج بوش وميخائيل غورباتشوف، وفق أسس ستة حددها المجلس، وخاصة حق منظمة التحرير في تشكيل وفدها من الداخل والخارج بما فيه القدس. وأن تكون هي مرجعيته وحضور القدس موضوعاً وتمثيلاً في المؤتمر، وضمان وقف الاستيطان مع بداية استعراض أعمال المؤتمر، وفي ضوء استعراض الجهود والاتصالات التي قامت بها اللجنة التنفيذية على الساحتين العربية والدولية حسب تكليف المجلس الوطني، من أجل توفير الشروط التي تضمن نجاح عملية السلام وفق قرارات المجلس الوطني، فإن المجلس المركزي، يؤكد قرار المجلس الوطني بالتعامل إيجابياً مع العملية السياسية الجارية من خلال مؤتمر السلام المزمع عقده، ويقرر المشاركة بوفد فلسطيني – مشترك على أساس مستقل ومتكافىء، والتمسك خلال مجمل العملية السياسية بالأهداف والأسس التي حددها المجلس الوطني. ويكلف اللجنة التنفيذية باتخاذ الإجراءات والخطوات التي توفر أفضل الشروط التي تضمن تحقيق الأهداف السياسية والوطنية التابعة لشعبنا، ويعتبر المجلس نفسه في حالة انعقاد دائم لمتابعة العملية السياسية ومراقبتها وتقييمها، واتخاذ القرارات المناسبة في ضوء تطور العملية السياسية).

ثم وضع حواتمة نص القرار جانباً، موضحاً أنه اقترح أن يعلن المجلس المركزي في دورته الجارية أسماء الوفد الفلسطيني (14 عضواً) من القدس والضفة وقطاع غزة والشتات، ويترك الجواب عند بيكر وشامير. ولكن الاتجاه الآخر رفض ذلك رغم تأييد عدد بارز للخطوة. ثم قال حواتمة، وقد تجهم وجهه:

■■ انتهت أعمالنا الرابعة صباح 18/ 10/ 1991 وبعد ثلاث ساعات فقط جاءتنا أخبار القدس والتي أعلن عنها بيكر بأنه تبلغ من فيصل الحسيني الموافقة على المشاركة بالوفد الأردني – الفلسطيني وفق (المعايير الأمريكية) و (المعايير الاسرائيلية). واتضح أن عرفات أبلغ فيصل بتسليم القائمة، كما اتضح مساء ومن القدس أيضاً أن القائمة تضم د. حيدر عبد الشافي وممثل الحزب الشيوعي غسان الخطيب اللذين قاطعا جولات بيكر مع مقاطعة الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية وشخصيات مستقلة منذ نهاية الجولة الثالثة بفعل إصرار بيكر على شروطه ورفض أي تعهد أو إشارة بوقف الاستيطان أو تمثيل القدس أو حق منظمة التحرير بتشكيل وفدها من الداخل والخارج بما فيه القدس.

وصمت حواتمة فترة قصيرة، رتب فيها الأوراق الموجودة أمامه، ثم أضاف:

■■ عند اختتام أعمال المجلس فجر 18/ 10 اقترح فاروق القدومي بالاتفاق مع عرفات تشكيل وفد لزيارة سورية واللقاء مع الرئيس الأسد صباح 19/ 10، ويتألف هذا الوفد من: عرفات، حواتمة، القدومي وآخرين... ثم يزور مصر ويلتقي مع الرئيس مبارك. ولكن وفي

صباح ذلك اليوم أي 19/ 10، وبعد التأكد من أن عرفات أبلغ الحسيني بما أعلنه بيكر في القدس، اتصلت هاتفياً مع أبي عمار وأبلغته الاعتذار عن المشاركة بالوفد، وانتقلت إلى الجزائر والتقيت الرئيس الشاذلي بن جديد ووزير الخارجية الأخضر الابراهيمي والسيد عبد الحميد المهري أمين عام جبهة التحرير الجزائرية، ثم عقدت مؤتمراً صحفياً[51] أعلنت فيه ماتم بالمجلس المركزي وأن قرار النزول عند الشروط الأمريكية بصيغة المشاركة وتركيبة التمثيل وغياب أي تعهد بوقف الاستيطان وتأجيل القدس موضوعاً وتمثيلاً إلى مفاوضات المرحلة النهائية، والقبول بالمفاوضات على مرحلتين، مرحلة الحكم الذاتي للسكان وترك مصير السيادة على الأرض للمرحلة الثانية بعد خمس سنوات يجعل الأرض مستباحة لغول الاستيطان وقد لاتبقى أرض يتم التفاوض عليها.

وأعلنت أن قرار عرفات كسر قرار المجلسين الوطني والمركزي، يتناقض معهما، ويشكل إدارة ظهر لمؤسسات منظمة التحرير. كما أن قرار عرفات تم بدون علم اللجنة التنفيذية التي اجتمعت برئاسته في 18/ 10 بعد تبليغ فيصل الحسيني في القدس.

وأعلنت أيضاً ان هذا يعتبر إيغالاً بالسياسة المدمرة لقرارات المؤسسات ويزرع الانقسامات في صف الشعب والانتفاضة ويفتت الوحدة الوطنية حيث لااحترام لقرارات القواسم المشتركة ومسار الانتفاضة.

وهكذا لم يذهب الجناح اليميني المحافظ والمتنفذ في منظمة التحرير إلى صيغة الورقة الأمريكية في إطارها التفاوضي والتمثيلي بقرار فلسطيني من مؤسسات منظمة التحرير، ولم يتمكن من ركوب كتف المعادلة الفلسطينية – الفلسطينية فيما هبط تحت سقفه من 14 ك1/ ديسمبر 1988 إلى 18 ت1/ أكتوبر 1991 عشية مؤتمر مدريد.

ركب كتف اختلالات المعادلة العربية – العربية بعد حرب الخليج الثانية وانهيار التضامن العربي وبدء شحوب دور الاتحاد السوفييتي. ومرة أخرى نزل عند شروط وضغوط واشنطن وشامير* والمحطات الوسطية السرية العربية.

---

(51) في الجزائر بحث حواتمة مع الأخضر الابراهيمي وزير الخارجية وقائع المجلس وقراره والنقيض الذي تم في القدس مع بيكر. وقال الأخضر أنه اجتمع بالأمس 18/ 10 مع محمود عباس (أبو مازن) ومحسن ابراهيم، وطالبه عباس بنقل رسالة للرئيس تتمنى على الجزائر (المشاركة باللجان المتعددة الأطراف... الخ) وعندما أجابه الوزير بأن الجزائر لم تتخذ قرارا بعد ولم تلتق القيادة الفلسطينية المشتركة بعد، فإذا قررت الجزائر سنبلغكم... وأضاف هنا تدخل الوفد قائلاً: (إذا بتريد هذه الإذا بلاها).

* وتم لقاء حواتمة مع الرئيس الشاذلي بن جديد بذات اليوم، وأدرك الرئيس أن مشاكل كبيرة قادمة... وأن الجزائر كانت تتوقع نتائج أخرى بعد إعلان دولة فلسطين ومبادرة السلام الفلسطينية، ونصيحة الجزائر كانت تشكيل الحكومة المؤقتة (قرار المجلس الوطني بالجزائر في 15/ ت2/ نوفمبر 88) لتكون المفاوضات معها، وفي هذا إقرار بحق الشعب الفلسطيني بدولة مستقلة، واستذكر الصراع داخل الثورة الجزائرية بعد اتفاقيات إيفيان الأولى.

ومساء ذات النهار – تم التباحث مع السيد عبد الحميد المهري أمين عام حزب جبهة التحرير ووزير الحكومة المؤقتة أثناء مفاوضات الجزائر – فرنسا، وأشار إلى ما أشار إليه الرئيس وأن توقعات الجزائر بأن تفيد م.ت.ف من تجربة الحكومة المؤقتة الجزائرية والفيتنامية، حيث وقعت المفاوضات معها وقادت إلى الاستقلال، وأضاف لو تم إعلان الحكومة المؤقتة عام 88 لكنتم وقضيتكم في وضع آخر تماماً، حيث لايمكن القفز عن الحكومة المؤقتة كما يتم الآن عن م.ت.ف وتجزئة موضوعات التفاوض وتجزئة تمثيل الشعب تعبيراً عن تجزئة حقوقه الوطنية وفي المقدمة حق تقرير المصير.

■ هذا يعني أنكم بدأتم بمواجهة مرحلة جديدة مع ياسر عرفات، وربما تمتد هذه المواجهة إلى ماتعنيه مواقف عرفات اقليمياً وعربياً.

فرد حواتمة بصوت قوي:

■■ **واصلنا سياسة "الأطواق" الوطنية لوقف التدهور ودعوة القيادة الموحدة للانتفاضة للنضال من أجل انتزاع شرط وقف الاستيطان وحضور القدس والتمثيل الموحد للشعب تعبيراً عن برنامجها: (الحرية والاستقلال وليس الحكم الذاتي المحدود للسكان).**

وبالتزامن مع الدفاع عن قرارات المجلس الوطني والمركزي لتطويق سياسة الصفقات السرية المدمرة والبعيدة عن قرارات مؤسسات منظمة التحرير، فقد واصلنا الجهد مع العواصم العربية للربط بين مسارات الحل بين الوطني - والقومي على قاعدة الشرعية الدولية. وفي هذا السياق جاءت اللقاءات على مدى أشهر قبل "مؤتمر السلام" مع عواصم عربية عديدة، وخاصة الأردن وسورية ولبنان، حيث الأراضي العربية المحتلة والترابط بين القضية الفلسطينية والمصالح العربية، من المسؤولية القومية المشتركة، إلى حقوق اللاجئين والنازحين بالعودة وفق القرارين الأمميين 194، 237 إلى مشاريع التوطين والأوطان البديلة.

بحثنا كان طويلاً مع رئيس الوزراء الأردني السيد طاهر المصري، وكانت واضحة الأزمة العميقة في العلاقات الأردنية - الفلسطينية والمخاوف الكبرى من أن إطار الوفد الأردني الفلسطيني لن يثمر تنسيقاً وتجاوراً جاداً وموصولاً خاصة أن الوفد يذهب بإطارين تفاوضيين، ومرحلتين على المسار الفلسطيني مقابل مرحلة واحدة على المسار الأردني.

وعلى ضوء هذه اللوحة، طرح وفدنا (حواتمة، تيسير خالد، قيس عبد الكريم) على الملك حسين وبمشاركة الأمير زيد بن شاكر حلولاً لمعالجة احتمالات التعارض المتوقعة في إطار الوفد المشترك، اقترحنا ضرورة استعادة قضية اللاجئين باعتبارها شديدة التداخل الأردني - الفلسطيني لتكون حاضرة على طاولة المفاوضات الثنائية بين الوفد المشترك والجانب الاسرائيلي وعلى قاعدة القرار الأممي 194، فجسر اللاجئين المتداخل ينظم ويعمق ويطور الجهد الفلسطيني - الأردني المشترك في المفاوضات الثنائية، كما يخلق تطويراً على جدول أعمال المسار الفلسطيني - الاسرائيلي، واقترحنا أن يأخذ الوفد المشترك المبادرة في طرح الاصرار على وقف الاستيطان على جدول المفاوضات الثنائية طيلة مراحل التفاوض باعتباره لايهدد فقط مصير الأرض الفلسطينية المحتلة بل ويهدد الأردن نفسه بتدفق لاجئين جدد فضلاً عن مشاريع التوطين المتعددة، وبذا نبني ترابطاً ملموساً وعملياً بين المسارين الفلسطيني والأردني وجسور ثقة متبادلة، ونفتح الأفق العملي لترابط المسارات العربية.

وفي دمشق التقيت أكثر من مرة مع السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية العربية السورية. وفي واحدة من هذه اللقاءات كانت في ليبيا بمناسبة أعياد الثورة الليبية وافتتاح النهر الصناعي الكبير في أيلول/ سبتمبر 1991 حيث كنا معاً: عرفات، جمال الصوراني، حواتمة. والحوارات لم تثمر أيضاً، فجولات بيكر وضعت إطارات تفاوضية ثنائية لارابط بين مساراتها،

كما وضعت إطاراً تفاوضياً خاصاً وعلى مرحلتين للمسار الفلسطيني - الاسرائيلي (مرحلة حكم ذاتي، مرحلة نهائية لاحقة) بينما مرحلة واحدة للمسارات العربية الأردنية، السورية، اللبنانية في إطار 242، 338 والأرض مقابل السلام.

ولم تتوقف جهودنا مع عديد العواصم العربية من المغرب إلى اليمن، سنأتي على عناصرها في سياقها العملي، بما فيه الجهود الكثيفة بأمل الضغط المتحد لوقف الاستيطان وعقد قمة عربية موسعة قبل وبعد مدريد لترميم انهيار التضامن العربي وإنتاج معادلة عربية – عربية متوازنة تتقاطع عند الحدود الدنيا من قرارات القمم العربية تجاه مشاريع التسوية السياسية.

واستطرد حواتمة قائلاً:

■■ في هذا الاتجاه تمت جولتنا المبكرة الواسعة في الأسابيع الأولى بعد مدريد، وشملت فريق مدريد – واشنطن والقيادة الفلسطينية، والأردن، وسورية، اليمن، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب بهدف تصحيح مسار إطار التفاوض الفلسطيني – الاسرائيلي والربط بين المفاوضات ووقف الاستيطان، وأمامنا تجربة مصر في مفاوضات الحكم الذاتي وانهيارها بفعل مواصلة الاستيطان (79 – 1980)، وضرورة انتاج معادلة مشتركة فلسطينية – عربية (للربط بين المسارات) عملاً بقرار مجلسنا الوطني. وعقد قمة عربية موسعة (لم يكن ممكناً شاملة) عملاً بقرارات قمم الرباط وفاس وقبل أن ينقطع خيط التنسيق والتجاور الواهن في مدريد – واشنطن.

وفي سياق القمم العربية يتحمل المغرب مسؤولية خاصة كما قلت للملك الحسن الثاني. ففي رعايته تمت قرارات الرباط وفاس، وبيده رئاسة لجنة القدس العربية والاسلامية، وعلى هذا تم تتويج الجولة باللقاء مع الملك الحسن الثاني في مراكش (4 ك1 – ديمسبر 1991). والبحث شكّل ومازال يشكل نموذجاً لمشهد النظام العربي الاقليمي.

تمحور بحثنا حول: التعارضات في أطر التفاوض الثنائية، الاستيطان، القدس، التضامن العربي، وبعد أن قدمت حلولنا، وتقديرنا أورد الملك الحسن رؤياه (فالتعارضات يتم حلها بمدى استعداد الأطراف العربية للتنسيق الجاد فيما بينها، والاستيطان رهينة بيد الفلسطينيين، والقدس ينصح بتأجيل البحث بها إلى المرحلة النهائية، والتضامن العربي يجب إعادة بنائه)، ووعد بخطوات ومبادرات وفعلاً بذل جهداً بأمل لقاء القادة العرب بعد أيام في مؤتمر القمة الاسلامية في داكار عاصمة السنغال.

وفي حوارنا قدمت أمثلتي عن التجربة المغربية كما تقدم نفسها بالممارسة العملية. فالملك محمد الخامس وشعب المغرب وجيش التحرير رفض التفاوض مع فرنسا على مرحلتين (الحكم الذاتي = الاستقلال الذاتي) ثم الاستفتاء على الاستقلال الكامل، وبعد شهور إضافية من النفي في مدغشقر وكان الأمير الحسن مع والده في المنفى، تراجعت الحكومة الفرنسية وكانت مفاوضات الاستقلال التام.

وعليه فالتساند العربي معنا يفتح أفق تصحيح مسار المفاوضات وإطارها ونبني عليه الربط بين مسارات التسوية وصولاً للسلام الآخر، سلام الشرعية الدولية.

والآن الملك الحسن الثاني يرفض الاستيطان الاسباني في سبتة ومليلة وبيـده الحق، رغـم أن بحيرة الاستيطان محصورة في بحر المغرب وشعبه الكبير، وعندنا الاسـتيطان أخطبـوط يتداخـل في عمق الأرض المحتلة حول المدن وبالقرى والأرياف، وعلى قاعدة خطة الضـم الزاحـف والطـرق الالتفافية. ومغرب الحسن الثاني يرفض المشروع الاسباني (للحكم الذاتي لسكان سبتة ومليلة) ويصر على عودتها أرضاً وشعباً جزءاً لايتجزأ من التراب المغربي وبيده الحق.

وأشرت إلى المصير المأساوي للقدس العربية كلما تم تأجيل البحث بهـا، فـالتهويد المتسـارع زاحف وبالتأجيل خمس سنوات أخرى تصبـح أرض القـدس مهـددة، ومصـير القـدس في مهـب الريح فالقدس ليست "أماكن مقدسة" ومخاطر الاجماع التوسعي الاسرائيلي على تهويـد القـدس داهم غير قابل للتأجيل.

إن مشهد الحالة العربية بعد حرب الخليـج الثانيـة لايسـر صديق ولايغضـب عـدو، ومـن خـلال "الخيمة" العربية الممزقة بحرب عاصفة الصحراء، اختلّت المعادلة عنـد شـروط بيكـر - شـامير. وظـل يعيد انتاج (التبرير برهانه على حصان خاسر) كما قال عرفات وقالوا لـه، وانهيـار التضامن العربـي. ولم يتمكن من التسلح بقرارات مؤسسات منظمة التحرير الائتلافية المشتركة، والشرعية الدولية.

■ دعنا نسأل الآن عن تبرير الدكتور حيدر عبد الشافي بعد أن قاطع جولات الوزير بيكـر مـن الجولة الثالثة، وحتى مرحلة لاحقة. وكذلك فعل الحزب الشيوعي.

■■ خطوط الاتصال بيننا وبين الدكتور حيدر عبد الشافي مفتوحة، تحاورنا في تونس وعلـى الهاتف بين الجزائر وغزة(52) ثم في عمان قبـل مدريـد وبعـده، لم يُخْـفِ الرجـل حيرتـه، وتـبريره الأبرز أنه سيحاول وقف الاستيطان الزاحف والربط بين هذا واسـتمرار أو تعليـق المفاوضـات، واشار أنه محرج أمام أبنائه ومساءلة الناس الذين وفدوا إلى بيته في غزة، فقد قاطع جولات بيكر شهوراً طويلة مع الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية وآخرين.

الحزب الشيوعي قاطع أيضاً من الجولة الثالثة، وكنا معاً فيما تمسكنا به وأنجزناه مـن قواسـم مشتركة في المجلس الوطني قبـل أيـام، والآن بـدون أي مؤشـرات سـابقة أعلـن مشـاركته مـبرراً خطوته باختلال ميزان القوى العربي - العربي.

■ ألم يكن ممكناً تحقيق مشاركة بالمقاربة مع قرارات المجلس الوطني والمركزي؟

■■ بالتـأكيد كـان بالإمكـان المشـاركة علـى أسـس تفاوضيـة وتمثيليـة حالنـا حـال الأردن وسورية ولبنان، وعلى قاعدة مبادرة الرئيس بـوش 242، 338 والأرض مقـابل السـلام وبمرحلـة واحدة. ولـذا قدمـت قرارات المجلس الوطـني والمركـزي البديـل السياسـي الواقعـي والعملـي ووضعت (وقف الاستيطان كشرط لا غنى عنه لبدء عمليـة السـلام عمـلاً بمبـدأ الأرض مقـابل السلام). ولذا شكلت القرارات الجواب الجديد علـى التطـورات الجديـدة بعـد حـرب الخليـج

(52) لايوجد خط هاتفي بين الجزائر وغزة وحلقة الوصل محطة وسيطة في بلد أوروبي.

الثانية، ولم يكن ممكناً لمؤتمر السلام والمفاوضات الثنائية المباشرة أن تبدأ بدون (المعادل الفلسطيني) الذي يشكل (الرقم الصعب) في الصراع العربي – الاسرائيلي التوسعي. وما قاله فيصل الحسيني في المجلس الوطني في الجزائر وعلى لسان بيكر مؤشر واضح: (بوسعكم أن تعطلوا التسوية «أي الحل الأمريكي»، غير أنكم تتضررون في ذلك لأنكم تعانون) فقد تم اللعب (بورقة رفع المعاناة) ولم ترفع حتى يومنا هذا بل تفاقمت بكل ألوانها.

وقد كشف جيمس بيكر في مذكراته (أنه لم يكن ممكناً للدول العربية المجيء لمؤتمر السلام والمفاوضات الثنائية المباشرة بدون الفلسطينيين)[53].

لقد تمسك الأردن وسورية ولبنان بالإطار التفاوضي الشرعي الدولي كما عبرت عنه مبادرة الرئيس بوش وبمفاوضات مرحلة واحدة وحرية تشكيل وفودها، وفعلاً حققت ذلك، وهنا لانتكلم عن الأداء والتنسيق والتكتيك التفاوضي.

الاتجاه المحافظ البيروقراطي والمتحكم بالقرار في منظمة التحرير لم يأخذ بالمعادلة الفلسطينية المتقاربة مع مواقف الأقطار الثلاثة، بل أخذ بالخط الآخر السري الذي أطل برأسه منذ 14 كانون الأول/ ديسمبر 88، 89، 90 وأوراق ومشاريع التفاوض الفلسطيني الاسرائيلي التي كانت موضع صراعنا في القيادة الفلسطينية والتي قدمتها المحطات السرية الوسيطة طوال عامي 88، 89 وحتى آب 1990 قبل تجميد الإدارة الأمريكية للحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية في 30 أيار/ مايو 90، وبعده، وتواصل هذا بعد حرب الخليج الثانية من وراء ظهر كل مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية[54].

إن سياسة الأطواق الوطنية التي أنتجت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني والمركزي، وقرارات قمة الجزائر العربية (قمة الانتفاضة) 88 ومابعدها قدمت البديل والفرصة الواقعية، التي لو تم التمسك الوطني الموحد بها لوصلنا إلى ذات الأسس التي توصلت لها جولات بيكر مع الأردن وسورية ولبنان في إطار التفاوض وحضور القدس وشمولية التمثيل ووقف الاستيطان والمرحلة الواحدة بدلاً من صيغة كامب ديفيد ومشروع شامير الذي فرض شروطه على المسار الفلسطيني – الإسرائيلي.

■ صيغة مدريد ببنيتها وشروطها وتشكلها، هل يعني هذا الأمر لكم شيئاً من ناحية تفكك الحالة العربية وتعدد جبهات التفاوض العربية وبالتالي ضعفها اللاحق؟

■■ صيغة مؤتمر مدريد: جلسة واحدة افتتاحية، وبعدها كل مسار يأخذ دربه وحيداً لارابط بين المسارات، فهذه مسألة واضحة لكل الفرقاء منذ أن رست الصيغة على المفاوضات

(53) جيمس بيكر – الدبلوماسية بين الحرب والسلام، مذكرات نشرت على صفحات الشرق الأوسط، والنهار البيروتية في وقت واحد، على امتداد الأشهر الأولى من العام 96.

(54) نظرية (تأهيل) الجناح البيروقراطي المحافظ في م.ت.ف للمفاوضات بعد فشل عملية (تأهيل) م.ت.ف وفق شروط ومعايير كامب ديفيد ومشروع شامير، وثم التراجع عن قرارات المجلسين الوطني والمركزي بعد فشل (تطويع المؤسسات الائتلافية الوطنية لشروط التأهيل المذكورة).

الثنائية المباشرة وبإطارات تفاوضية متباينة. ولذا لاحق بيد الذين يتساءلون الآن عن تشظي صيغة مدريد!

مؤتمر مدريد تأسس على:

- مبادرة بوش القائمة على (242، 338) والأرض مقابل السلام على المسارات الأردنية، السورية، اللبنانية (إضافة للقرار 425)، وهذا ماتؤطره رسائل الدعوة ورسالة الضمانات للدول الثلاث واسرائيل.

- مفاوضات ثنائية مباشرة وعلى مرحلة واحدة وصولاً لتسوية ثنائية شاملة.

- ولا ترابط بين مسارات الحل الأربعة. ولذا أصرت حكومة الدولة العبرية منذ اتفاقات الهدنة (عامي 48/ 1949) وحتى الآن على المفاوضات والحلول الثنائية المباشرة. ورفضت دائماً التفاوض مع وفد عربي مشترك.

- فك ارتباط كل جبهة عربية بالقضية الفلسطينية، وفك ارتباط المسألة الفلسطينية بالمفاوضات العربية – الإسرائيلية.

- وعلى الجبهة الفلسطينية – الاسرائيلية:

مفاوضات على مرحلتين، مرحلة الحكم الذاتي لسكان الضفة والقطاع، دون سيادة سياسية على الأرض والحكم الذاتي خمس سنوات. والمرحلة الثانية (الحل الدائم) يبدأ التفاوض عليها بعد بدء السنة الثالثة من الحكم الذاتي. ويتأسس هذا على كامب ديفيد (الحكم الذاتي للسكان) ومشروع شامير.

- لاحضور للقدس موضوعاً وتمثيلاً في كل مرحلة مفاوضات الحكم الذاتي.

- لاتعهد بوقف الاستيطان.

- النازحون بلجنة رباعية (اسرائيل، سلطة الحكم الذاتي، الأردن، مصر) وبدون مرجعية القرار الأممي 237 بل وفق ماتتفق عليه الأطراف الأربعة، ولذا بعد خمس سنوات على مدريد لم تتفق لجنة النازحين على تعريف من هو النازح!!

- اللاجئون... اللجنة المتعددة الأطراف تحت سقف ورقة الدعوة الأمريكية – الكندية لتأهيل اللاجئين (أي المعالجة الإنسانية والتوطين) بدون مرجعية القرار الأممي 194.

وفعلاً تم رفض إدراج القرار 194 على جدول أعمال لجنة اللاجئين وكل الذي يدور في إطار: (التأهيل، الإسكان، الظروف الإنسانية).

- اللاجئون مع أقطار اللجوء (الأردن، سورية، لبنان) في إطار القانون الدولي (وهذا ماورد في الاتفاقية الإسرائيلية – الأردنية) وليس في إطار القرار 194.

- القدس، الأرض (المصير والسيادة)، الحدود، المياه كلها مؤجلة – معلقة لمرحلة مفاوضات (الحل الدائم)، وبذا فإن القرارين 242/ 338، بعدم جواز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة ومبدأ الأرض مقابل السلام (أي مبادرة بوش) كلها غائبة عن مسار المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية في مرحلة الحكم الذاتي للسكان وتسلم الصلاحيات الستة المدنية.

وبذات الوقت، لاوقف للاستيطان وسياسة خلق الأمر الواقع لتغيير الطابع الجغرافي والديمغرافي للضفة المحتلة بما فيها القدس العربية الشرقية وقطاع غزة.

- اللاجئون في الضفة والقطاع (60٪ من السكان) في إطار المتعددة الأطراف.

وعليه فإن تشظي مؤتمر مدريد، والفصل بين المسارات حيث لاترابط ولاتزامن، تم قبل المؤتمر ورسو العملية على صيغة الثنائيات، وأطر التفاوض المتباينة، وحشر المسار الفلسطيني في ممر التفاوض فقط على عنصر واحد One item الحكم الذاتي للسكان في الضفة والقطاع دون القدس، فالمدينة خارج ولاية الحكم الذاتي.

وصمت حواتمة قليلاً، ثم أضاف:

■■ إن اتفاق أوسلو 1، 2 ترجمة ناقصة (لمر) مفاوضات الحكم الذاتي في واشنطن، ولكن من وراء ظهر الدكتور عبد الشافي وفريقه بعد أن دخلت مفاوضات واشنطن في الاستعصاء، تحت ضغط المعارضة الجماهيرية في الوطن والشتات والمساءلة لفريق المفاوضات من شعب الانتفاضة بعد كل جولة وعودة الوفد إلى الأرض المحتلة ومحاولات الدكتور عبد الشافي الربط بين الاتفاق على عناصر الحكم الذاتي ووقف الاستيطان، وكان بإمكان الدكتور عبد الشافي وفريقه إنقاذ الموقف غير مرة. وقد تحاورت طويلاً في هذا مع رئيس وأعضاء الوفد (د. عبد الشافي، صائب عريقات، زكريا الآغا، ممدوح العكر، د. حنان عشراوي، د. نبيل قسيس، جميل الطريفي... والآخرين) في عمان وتونس ودمشق والجزائر والمكالمات الهاتفية بيني وبين عبد الشافي لم تتوقف أبداً على ضوء كل خطوة وحدث، والأحداث كانت كبيرة صاخبة في الوطن والشتات وحتى مظاهرات الجالية في أمريكا لم تتوقف. والكل يطالب بانعطافة تنقذ الموقف وتحت عنوان: (تعليق المفاوضات حتى يتوقف الاستيطان) كما تحاورت طويلاً مع فيصل الحسيني باعتباره رئيس لجنة التوجيه من خارج الوفد المفاوض... ولكن لم تقع الخطوة الإنقاذية، خطوة تصحيح وتصويب مسار المفاوضات وإعادة بنائها على أسس الشرعية الدولية، فتونس تضغط للاستجابة (للأوراق الأمريكية) وفريق المفاوضات مسكون بتهمة القيادة البديلة!!

عاد حواتمة إلى تأمل الأوراق الموضوعة أمامه، ثم قال:

■■ كذلك لم يكن خطاب الدكتور حيدر عبد الشافي في مدريد يستند إلى مقومات عملية متماسكة، وحدة وطنية، قواسم مشتركة، مؤسسات جماعية، وحدة الانتفاضة، ترابط وتزامن أطر المفاوضات ومسارات الحل على الجبهات الأربع... الخ.. إنه خطاب المناضل الصبور وأمامه لوحة الانتفاضة ووجع التاريخ ولوعة أسر الشهداء والأسرى والمساءلة العريضة في صف الشعب، ولكن الخطاب لا روافع وطنية واحدة وموحدة له، والأهم أن أسس المفاوضات وممرها الضيق شيء، وعناصر الخطاب شيء آخر تماماً.

على الضفة الأخرى، الاضراب الوطني الشامل والأعلام السوداء شملت الوطن والشتات من أقصاه إلى أقصاه بدعوة المعارضة الوطنية (اليسارية الديمقراطية، القومية، الاسلامية) يوم

30 تشرين الأول/ أكتوبر 91، اعتراضاً على صيغة المفاوضات بمسارها الفلسطيني – الإسرائيلي والقفز عن قرارات مجلسنا الوطني.

مشهدان يوم مؤتمر مدريد: عالم خطابات متناقضة وشامير يعلن: أن الضفة والقدس والقطاع (أرض إسرائيل) إنها يهودا والسامرة.

والمشهد الشعبي الشامل من جنين إلى رفح وفي المخيمات الاضراب والرايات السود وحزن الثوار على الانقسام الكبير في صف الشعب والانتفاضة والمقاومة ومنظمة التحرير.

وقال حوالمة بتأثر:

■■ لقد رصدت (كمنجات) الشاعر الصديق محمود درويش اللحظة الزمانية والمكانية، ولونتها بالذاكرة التاريخية وغنت لحن الروح الحزين[55]:

الكَمَنْجاتُ تبكي مع الغجرِ الذاهبين إلى الأندلسْ
الكمنجاتُ تبكي على العربِ الخارجين من الأندلسْ
الكمنجاتُ تبكي على زمن ضائع لايعودْ
الكمنجاتُ تبكي على وطنٍ ضائع قد يعودْ
الكمنجاتُ فوضى قلوبٍ تُجنّنها الريحُ في قدمِ الراقصةْ
الكمنجاتُ أسرابُ طيرٍ تفرُّ منَ الراية الناقصةْ
الكمنجاتُ تبكي على العرب الخارجين من الأندلسْ
الكمنجاتُ تبكي مع الغجر الذاهبين إلى الأندلسْ

أنهى نايف حوالمة المقاطع الشعرية التي حفظها لمحمود درويش، ثم قال و كأنه لايريد الاستمرار بهذه الأجواء.

■■ لنعد إلى د. حيدر عبد الشافي!

■ لنلحق به، فإلى أين ذهب الدكتور عبد الشافي؟

فرد حوالمة بتلقائية:

■■ ذهب جهد الدكتور عبد الشافي مع الريح!

وأضاف:

■■ ذهب جهده وجهد من يسانده في الوفد للربط بين مواصلة مفاوضات واشنطن وبين وقف الاستيطان الزاحف، وانحشرت جولات واشنطن بالتفاوض على عنصر واحد: مشروع الحكم الذاتي للسكان وفق إطار المسار الفلسطيني – الإسرائيلي. وبدا ملموساً لكل الأطراف أن الفريق الفلسطيني مفكك، وعلى حد تعبير د. عبد الشافي: نحن أربعة عشر وفداً (عدد أعضاء الوفد الرسمي)، وهذا دقيق، فالوفد لا استراتيجية تفاوضية موحدة له، ولا مرجعية موحدة، وحتى لجنة التوجيه المركزية Steering Commettee برئاسة فيصل الحسيني لم تكن

---

(55) أَحَدَ عَشرَ كوكباً على آخِرِ المشهدِ الأَنْدَلُسيّ.

موحدة ولامعتمدة... فالمعتمد من عرفات قناتان متوازيتان: نبيل شعث المرابط في واشنطن مع كل جولة مع أنه ليس عضواً بالوفد الرسمي! وصائب عريقات عضو الوفد.

أما القيادة الفلسطينية واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ففي حالة تغييب عن حقيقة ووقائع مايدور عبر القنوات السرية. وهذه أيضاً حال الدكتور عبد الشافي وفريقه.

وتابع حوالمة باستطراد:

■■ في الجولة الثانية قدم الفريق الاسرائيلي (مشروعه) للحكم الذاتي للسكان، ومن الرابعة أخذ الدكتور عبد الشافي يطالب القيادة الفلسطينية بتعليق المفاوضات إلى حين:

أ- وضع استراتيجية تفاوضية موحدة وتوحيد البيت الفلسطيني.

ب- وقف الاستيطان.

ولكن دعواته ذهبت مع الريح في تونس، فالأساس هو مايدور في القنوات السرية[56] ومثل هذا تعليماته للوفد في القدس وواشنطن برفض (مشروع مسودة إعلان المبادىء الأمريكي) في 30 حزيران/ يونيو 1993 وكتب عليها بخط يده أنها تحتوي (65٪ من الأوراق الاسرائيلية، 7٪ من الأوراق الفلسطينية، و28٪ من الأفكار الأمريكية)[57] وبعد أن تصرف الوفد وفق التعليمات تفاجأ بالإعلان الأمريكي عن (قبول الفلسطينيين بها) فقد وصلت الموافقة وبتوقيع عرفات عن طريق المحطة المصرية مما دفع فيصل وحنان وصائب عريقات إلى الاستقالة والتراجع عنها لاحقاً.

في ذات الوقت قطعت قناة أوسلو شوطاً عميقاً بعد أن بدأت عملها السري منذ كانون الأول/ ديسمبر 1992[58] وبعد سلسلة خطوات تمهيدية بدأت في صيف 1992.

وعلى الجانب الآخر، وقبل وبعد كل جولة مظاهرات، اعتصامات، مساءلات شعبنا في الوطن وفي بيوت الفريق المفاوض وأينما وصل أعضاء من الوفد في بلدان الشتات، وكذلك مظاهرات واشنطن وحيثما ذهب الوفد في الولايات المتحدة، فالجالية الفلسطينية تتلمس قلق المصير في هكذا مسير.

■ الواقع أن سؤالاً ضرورياً في سياق هذا الحديث يفرض نفسه عن اعتماد ياسر عرفات على خطين متوازيين للمفاوضات. فلماذا كان يفاوض في أوسلو في نفس الوقت الذي يفاوض فيه في واشنطن؟

رد حوالمة ضاحكاً:

■■ التصلب في واشنطن، والمرونة في أوسلو والقنوات السرية الأخرى، تكتيكات من عرفات إلى قنواته المعتمدة. والهدف قلب طاولة المراهنات الأمريكية والاسرائيلية. فقد اعتقد

---

(56) طوال مفاوضات واشنطن وحتى مفاوضات أوسلو كان عرفات مسكوناً بهاجس (القيادة البديلة من الضفة والقطاع) وعلى يد فريق د. حيد عبد الشافي. ولذا كان يسخر من أعضاء الوفد (فلان طفل سياسي يلعب به الأمريكان)، (فلان مدمن كاميرا)، (نجومية بيد الآخرين)... الخ وفريق واشنطن - وقع تحت ضغط تهمة الاعداد لقيادة بديلة.

(57) وثيقة المشروع، ملف الملاحق. رقم -4-

(58) كتاب معركة السلام، شمعون بيريز، قناة أوسلو الخفية ص 376، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، 1995، عمان، الأردن.

شامير وكذلك واشنطن أن وفد شخصيات الضفة والقطاع سيكون أكثر مرونة وبالتالي، (مؤهلاً) للوصول إلى حلول معه. بينما تكتيك عرفات يتواصل مع خطواته منذ 14 ديسمبر 88، فالاتجاه الذي يمثله في منظمة التحرير الفلسطينية هو (المؤهل) للتسويات والحلول عبر القنوات الخلفية ودون علم مؤسسات منظمة التحرير الوطنية الائتلافية ودون علم الدكتور عبد الشافي وفريقه!

وفي هذا السياق تم تعطيل الجولة السادسة في واشنطن، فقد طلب حزب العمل الإسرائيلي عن طريق مصر تعطيل تلك الجولة لقطع الطريق على استغلال شامير أي تقدم في مفاوضات واشنطن في المعركة الانتخابية، وهذا ماوقع فعلاً بطلب مصر من عرفات الذي عطل الجولة السادسة.

وبعد نجاح حزب العمل بانتخابات حزيران - يونيو 1992 واصل رابين ذات السياسة، وأبقى ألياكيم روبنشتاين رئيساً للفريق الإسرائيلي على المسار الفلسطيني في مفاوضات واشنطن وبذات المشروع الليكودي[59] رغم ضغط بيريز وحمائم حزب العمل وميرتس في الائتلاف الحكومي الجديد، فرابين له خارطته لحدود توسع الدولة العبرية أوسع مما يطرحه حمائم العمل وميرتس. ولذا أعلن تمييزه بين مستوطنات أمنية (ضرورية) لدولة اسرائيل وأخرى (سياسية) لاضرورة أمنية لها، كما أعلن في برنامجه الانتخابي أنه سيحقق الحكم الذاتي خلال تسعة أشهر.

ورداً على ما يدور في واشنطن والقنوات السرية الخلفية دعونا من جديد وكل قوى المعارضة الوطنية إلى تعليق المفاوضات حتى وقف الاستيطان أولاً وتصحيح كل المسار في إطار الشرعية الدولية وإعادة بناء الوحدة الوطنية المدمرة في الوطن والشتات، فكان الاضراب الشامل المهيب في الوطن والشتات (أيلول، سبتمبر 92)، بينما الجولة الثامنة منعقدة في واشنطن. وسجل العالم كله ضخامة المعارضة الشعبية والمنظمة لمفاوضات الحكم الذاتي للسكان، بينما غول الاستيطان يزحف وينهب الأرض على يد حكومة العمل - ميرتس[60]. كما رفع الدكتور عبد الشافي دعوته من جديد إلى تعليق المفاوضات حتى وقف الاستيطان وبقي (مشروع الحكم الذاتي) ومسودة (إعلان المبادىء الذي تقدمت به واشنطن ليصدر عن الجانبين الفلسطيني - الاسرائيلي) معلقان في الهواء.

---

(59) منذ 14 ديسمبر 88 والاتجاه المحافظ في م.ت.ف والذين التحقوا به من عناصر غادرت صف اليسار، كان يؤكد أنه سيحقق الدولة المستقلة بصفقة مع شامير بعد أن اعترف بحق اسرائيل في الوجود، وخلال سنة واحدة فقط. ويعقد مقارنة ساذجة مع سيناء وصفقة بيغن - السادات في كامب ديفيد، طامساً خصوصيات الضفة والقدس في برنامج الليكود والقائم على التوسع الاستيطاني وفرض الأمر الوقائع بضم القدس الكبرى والكتل الاستيطانية إلى الدولة العبرية.

* بعد خسارة شامير انتخابات 92 أعلن عن خطته بمط المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية عشر سنوات حتى لاتبقى أرض يتم التفاوض عليها تحت زحف الاستيطان.

(60) رفعت حكومة رابين وتيرة قمع الانتفاضة على ضوء تعاظم الحركة الجماهيرية والاضراب الشامل. كما قامت في 17 ديسمبر 92 بترحيل 417 مناضلاً من الاتجاه الاسلامي إلى مرج الزهور في جنوب لبنان.

■ أيضاً هناك سؤال يفرض نفسه، فقد كان يتردد في أثناء محادثات التنسيق بين دول الطوق أن الفلسطينيين كانوا يطلبون هامشاً في حركتهم ويتخوفون من أن تكون القضية الفلسطينية مجرد ورقة بيد أطراف التنسيق؟!

■■ هذه مسألة لم تكن مطروحة على اجتماعات وزراء خارجية الطوق ومنظمة التحرير الفلسطينية. فلا رابط بين إطارات التفاوض، ولاتزامن بين مراحلها. فالاتجاه الفلسطيني المفاوض له مساره في إطار الحكم الذاتي للسكان ولخمس سنوات وعلى مرحلتين، كما أوردنا. بينما المسارات العربية الأخرى تفاوض في إطار 242 و 338 ومبدأ الأرض مقابل السلام ولمرحلة واحدة.

أما بشأن المخاوف من أن تكون القضية الفلسطينية (ورقة) بيد هذه العاصمة أو تلك، فهي مخاوف فعلية فأكثر من عاصمة عربية سعت وتسعى لتكون القضية الفلسطينية ورقة بيدها. وهي الآن ليست بعيدة عن ذلك.

وأضاف حواتمة بنبرة حادة:

■■ وبصراحة نكرر: طالما أن المعادلة بين القومي والوطني مختلة غير متوازنة، فإن استغلال الورقة الفلسطينية قائم طبق معيار (المصالح والدور الاقليمي) للطبقة الحاكمة في هذه العاصمة أو تلك، هذا المحور أو ذاك. فضلاً عن (الخلل المزمن) في تغليب التعارضات الداخلية الفلسطينية العربية على التناقض الرئيسي مع التوسعية الاسرائيلية والذي يتطلب احتلاله الأولوية في منظور (المصالح العربية العليا المشتركة) وصولاً للسلام الشامل المتوازن.

■ سؤال استيضاحي يمكن أن يضفي شيئاً من السردية أو الإيضاح على سياق الحوار، ويتعلق ببداية فتح قناة أوسلو السرية للمفاوضات. متى كان ذلك؟

■■ مع فوز حزب العمل بانتخابات الكنيست (حزيران/ يونيو 92) انتقلت القناة السرية الإسكندنافية إلى أوسلو بالنرويج. ولم يتم هذا بالصدفة، فالحزب الاشتراكي الديمقراطي في السويد كان قد خسر الانتخابات وفاز حزب المحافظين، ولذا لم يعد وزير الخارجية ستين أندرسون، بينما حكومة النرويج بيد الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي تربطه علاقات حميمة وقديمة مع حزب العمل الإسرائيلي وفي إطار الاشتراكية الدولية.

لقد بدأت قناة أوسلو من صيف 1992 بين مدير منظمة (الفافو) النرويجية[61] (تيرجي رود لارسن) و (يوسي بيلين) نائب وزير الخارجية الإسرائيلي. ومنذ البداية كانت واشنطن على معرفة من أوسلو[62] وكانت القاهرة على معرفة من عرفات – محمود عباس[63] . وفي أيلول/

---

(61) (منظمة بحث ميداني في الضفة وغزة، تحت إشراف وزير الخارجية النرويجي) شيمون بيرس – معركة السلام – قناة أوسلو الخفية ص376.

(62) وزير الخارجية النرويجي جوهان هولست، أحاط وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر في واشنطن بالمفاوضات السرية في أوسلو، وبين هولست مع بيريز ومع عرفات. نفس المصدر – معركة السلام – ص 381.

(63) محمد حسنين هيكل – المفاوضات السرية – الكتاب الثالث – سلام الأوهام، أوسلو، ص 271.

سبتمبر 92 قام وزير الخارجية النرويجية بزيارة اسرائيل واقترح تنشيط قناة أوسلو الخلفية والسرية بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، كما تفقد مشروع الفافو الذي يديره تيرجي لارسن[64].

هكذا بدأت قناة أوسلو، وبشكل مدروس، كما قناة استوكولهم عام 88 وطوال حكم الحزب الاشتراكي الديمقراطي السويدي، لم يقع شيء بالصدفة أو فجأة كما يحصل في رواية رومانسية!

وأضاف حوالمة:

■■ ولأن مفاوضات أوسلو، كما قلت لك، بدأت تحت مظلة منظمة (الفافو)، فقد رأس الوفد الإسرائيلي في الجولات الأربع الأولى د. يائير هيرشفيلد الذي سبق وعمل مع هذه المنظمة، ومعه الدكتور رون بونداك والفريق كان تحت إشراف يوسي بيلين المباشر، ورعاية بيريز – رابين منذ البداية.

وانعقدت مفاوضات أوسلو تحت عنوان: (ندوة عن الموارد البشرية تنظمها الفافو) في فيلا منعزلة في سارسبورغ على مقربة من أوسلو[65] وجدول المفاوضات خيار (غزة أولاً)[66] ، خطة مساعدات دولية للضفة وغزة، تعاون اقتصادي متين بين إسرائيل وسلطة الحكم الذاتي[67] .

أما مفاوضات واشنطن فكانت متعثرة وعالقة عند مشروع (إعلان المبادىء) الذي تقدمت به الخارجية الأمريكية، و (صلاحيات سلطة الحكم الذاتي) التي تقدم بها الفريق الإسرائيلي، وفي مطلع شباط – فبراير 1993 كل شيء كان يراوح في مكانه.

وتابع حوالمة ساخراً:

■■ في أوسلو... أقصد في فيلا سارسبورغ سارت الأمور بـ (مرونة) منذ الجولة الثانية (لندوة الفافو في 11 و 12 شباط فبراير)!! رغم أن وارن كريستوفر كان يواصل جولاته المكوكية في الشرق الأوسط وتحت شعار إعطاء مفاوضات واشنطن قوة الدفع إلى الأمام.

---

(64) شيمون بيريز، المصدر نفسه، معركة السلام ص 376.

(65) الخطوة الأولى في ك1، ديسمبر 92، بعد سلسلة من تمهيدات بين أوسلو وتل أبيب من صيف 92 والجلسة – الندوة، 20 – 24 ك2/ يناير 92، هيرشفيلد وبونداك من الجانب الاسرائيلي، وفريق تونس أحمد قريع، حسن عصفور، وماهر الكرد (مترجم).

(66) (غزة أولاً) مشروع طرحه السادات لادارة كارتر للربط بين المعاهدة المصرية – الإسرائيلية والحكم الذاتي الفلسطيني، لأن السادات لايريد أن يظهر أمام العالم العربي بعقد معاهدة صلح منفرد مع إسرائيل. وحمل حسني مبارك نائب الرئيس، المشروع إلى واشنطن في 16 ك2/ نوفمبر 1978، موفداً من قبل الرئيس السادات.

* سايروس فانس (وزير الخارجية الأمريكية آنذاك) – الخيارات الصعبة – مذكرات فانس – المركز العربي للمعلومات – الطبعة العربية الأولى – تموز/ يوليو 1983 ص 134 – ص 135.

* وفي 7 آذار/ مارس 1979 طرح السادات مشروع (غزة أولاً) على كارتر في القاهرة أثناء زيارة كارتر لمصر واسرائيل وإعداد المعاهدة الثنائية... نفس المصدر ص 145 وفي 10 – 12 آذار، أصر بيغن في مباحثاته مع كارتر في القدس على رفض الربط بين المعاهدة المصرية – الإسرائيلية وتنفيذ (غزة أولاً)، ووافق على طرح غزة أولاً في إطار مفاوضات الحكم الذاتي – نفس المصدر ص 152.

(67) شيمون بيريز، معركة السلام، مصدر سبق ذكره، ص 377.

وفي الجولة الثانية في أوسلو قدم الفريق الاسرائيلي ثلاثة مشاريع: • مسودة إعلان المبادىء • خطوط عريضة لخطة مارشال لتنمية الضفة والقطاع • التعاون الاقتصادي الاسرائيلي – الفلسطيني وبرنامج العمل.

■ إذن استمرت حالة الانفصام اللاطبيعي (اللاعفوي) بين سلوك عرفات مع وفد واشنطن وسلوكه مع قناة أوسلو... هذا الأمر ألم يجعل وفد عبد الشافي في واشنطن في وضع لايحسد عليه؟

■■ الاستعصاء في واشنطن، والإشارات من تونس عن المرونة لم تتوقف من خلال القنوات السرية الخلفية من قبول (مسودة إعلان المبادىء الأمريكية) عن طريق مصر، بينما رفضها وفد د. عبد الشافي بناء على تعليمات عرفات، وإلى تعطيل الجولة السادسة في خدمة حزب العمل واستئناف المفاوضات في واشنطن بعد (عملية مرج الزهور) حيث كانت معطلة تحت ضغط شعب الأرض المحتلة[68] وتجاوب سورية ولبنان والأردن بعد إعلان فريق المفاوضات الفلسطيني في القدس عن المقاطعة.

المشهد الذي ظهر على المسرح: فريق واشنطن مفكك وعاجز عن اتخاذ حتى أصغر القرارات بدون الإشارة من عرفات في تونس وتلقي التعليمات منه كما تُكرر (تقارير الفريق الاسرائيلي إلى حكومته)[69]، ووعد رابين الانتخابي (بتنفيذ الحكم الذاتي في غضون تسعة أشهر من وصول حزب العمل للحكم أخذ يقترب من نهايته)[70] والرهان على الوصول إلى نتائج مع فريق الدكتور عبد الشافي أخذ يتراجع بنظر حكومة رابين – بيريز، بعد أن أصرت حكومة الليكود على (اقتصار أعضائه على مقيمي الضفة وغزة فقط)[71] وبلغ هذا التقدير أشده بمقاطعة مفاوضات واشنطن بعد عملية الإبعاد إلى مرج الزهور.

وقائع هذا المشهد دفعت حكومة رابين – بيريز لتفعيل وتسريع قناة أوسلو الخلفية، وبالتوازي مع مفاوضات واشنطن.

الغائب الأكبر عن القنوات السرية: مؤسسات منظمة التحرير ود. عبد الشافي وفريقه، والذي يجري طبخه مصير شعبنا وحقوقه الوطنية دون علم شعبنا.

■ بتصورك لماذا طرحوا (غزة أولاً) رغم أن مفاوضات واشنطن تدور على حكم ذاتي للسكان في الضفة والقطاع؟

---

(68) أجرى مركز القدس للاعلام والاتصال – القدس، استطلاعاً حول (رأي الفلسطينيين بالعملية السلمية) و(الفلسطينيين المبعدين) في الضفة والقدس والقطاع في 18/ 19/ 20 شباط/ فبراير 1993. وكانت النتيجة على السؤال الأول: هل تعتقد أن على الوفد الفلسطيني عدم العودة إلى المفاوضات حتى يحل موضوع المبعدين؟ هي التالية:

* نعم 83.7٪، لا 14.0٪، لارأي 2.2٪

* واستطلاعات مركز القدس... تدعم من قبل مؤسسة فردريشت إيبرت الألمانية (الملاحظة من المركز – القدس، ص 1 من الاستطلاع).

(69) شيمون بيريز – معركة السلام – ص 376.

(70) المصدر السابق ص 379.

(71) المصدر السابق ص 380؛ ص 381.

فرد حواتمة قائلا:

■■ (غزة أولاً) ليست جديدة، فهي مطروحة منذ عام 1978 عندما وصلت المفاوضات الإسرائيلية – المصرية حول الحكم الذاتي وفق اتفاقية كامب ديفيد إلى الحائط[72] وفي حينها تم طرح (غزة أولاً) من السادات مع واشنطن، ومع المفاوض الاسرائيلي، وبعد توقف المفاوضات طرح موشي دايان وعلناً دعوة الحكومة الإسرائيلية لتنفيذ مشروع الحكم الذاتي للسكان من جانب واحد.

السادات فاوض في كامب ديفيد في إطار حل ثنائي يقوم على حدود مصر الدولية (أيار/ مايو1921)، وحكومة بيغن التي رفضت التفاوض على خطوط 4 حزيران/ يونيو 1967 مع مصر. وهذا ماكان متمسكاً به عبد الناصر في إطار التسوية الشاملة أو في إطار مبادرة روجرز 1970.

وفي مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية عام 1979، تم رفض مشروع الحكم الذاتي الذي توصل له السادات في اتفاقات كامب ديفيد، كما تم رفض غزة أولاً عام 1978 – 1979.

بعد وصول حزب العمل إلى السلطة في حزيران 1992 عاد وزير الخارجية الاسرائيلي شيمون بيريز إلى تقديم المشروع من جديد (مشروع غزة أولاً + زائد...) وتم تقديمه إلى الرئيس مبارك وعمرو موسى وأسامة الباز. ودعا بيريز القيادة المصرية لاقناع الفلسطينيين بوضع مشروع «غزة أولاً» إلى المقدمة مبرراً دعوته بما يدور في أوسلو منذ الجولة (الندوة) الثانية في 20 – 22 ك2/ يناير 93 وقبول وفد تونس (بخيار غزة أولاً)، وإنّ دفع هذا القبول سيكسر الطوق حول المفاوضات المتقطعة والمتعثرة في واشنطن[73].

وأضاف بيريز مع القيادة المصرية (بأن من الممكن توسيع «غزة أولاً» إلى شيء أكبر (طالما أن القدس والمستوطنات غير مشمولة)[74]، بل وأوضح (أن أريحا قد تكون هي الزائد)[75].

في الدولة العبرية (إجماع سياسي) بين أحزاب اليسار واليمين الصهيوني وخاصة العمل والليكود والأحزاب الدينية على ترك غزة، حيث الكثافة السكانية والفقر والجوع وقلة الموارد، وحيث لا ادعاءات توراتية أو ايديولوجية توسعية، برغم شريط المستوطنات من ايرز إلى غوش قطيف على حدود مصر والتي بناها في الأساس حزب العمل بين عامي 1967 – 1977 قبل أن يصعد الليكود إلى الحكم في عام 1977.

والقيادة المصرية على صلة بما يدور في أوسلو، وعرفات قدم للرئيس المصري خرائط لقطاع غزة (ومنطقة أريحا) في 21 نيسان/ أبريل 93، بينما كانت مفاوضات واشنطن معطلة نتيجة ضغط الشعب وقوى المعارضة بعد عملية الإبعاد إلى مرج الزهور... وعلى الأثر أوفد مبارك

---

(72) وصلت إلى الحائط لسببين، الأول رفض الحكومة الاسرائيلية وقف الاستيطان، والثاني الخلاف على مفهوم (الحكم الذاتي الكامل) كما ورد بنصوص كامب ديفيد.
سايروس فانس – المصدر السابق ص 157 – 158.

(73) شيمون بيريز، معركة السلام، مصدر سبق ذكره ص 374.

(74) شيمون بيريز، معركة السلام، مصدر سبق ذكره ص374.

(75) نفس المصدر 383.

مستشاره وكيل وزارة الخارجية د. أسامة الباز في 23 نيسان/ إبريل إلى رابين حاملاً خرائط غزة ومنطقة أريحا وموجهاً دعوة الرئيس مبارك لرابين لزيارة مصر[76] وأجاب رابين أن الخرائط تبحث في أوسلو.

وفي تل أبيب تبلورت لبيريز (غزة +، وربما تكون الزائد هي أريحا) إلى (غزة وأريحا أولاً).

وفي ابريل / نيسان إثر رسالة مبارك إلى رابين مع الباز وصل رابين إلى الاسماعيلية للتباحث مع مبارك، وقدم له الرئيس المصري خارطة مقترحة من سيناريو (غزة وأريحا أولاً) وفيها (منطقة أريحا حتى جسر اللنبي، وأحد الجسرين فوق نهر الأردن اللذين يربطان الأردن مع الضفة الغربية). وقد دهش رابين لأن الخارطة المتفق عليها من حيث المبدأ في أوسلو تقف عند حدود بلدة أريحا (15كم2) بينما المنطقة (360 كم2) وفق التقسيمات الأردنية قبل الاحتلال، كما أن خارطة البلدة لاتصل إلى الجسور، فالممرات البرية والبحرية والجوية ستبقى بيد اسرائيل حسب الخارطة المتداولة في أوسلو. وعليه رفض رابين على الفور خارطة مبارك[77].

■ هذا يعني أن قناة أوسلو حازت على الأولوية في المفاوضات فيما راحت قناة واشنطن تراوح متعثرة.

رد باهتمام:

■■ بعد أن أنجز فريق الخبراء الاسرائيلي[78] المسودات الثلاث: (إعلان المبادىء – خطة مارشال مصغرة – خطة التعاون الاقتصادي المتين وبرنامج العمل) أشار إلى أن طريق أوسلو سالكة. بل إن رابين عبر عن عميق ارتياحه (بأن فريق أوسلو الفلسطيني مرن ومتعاون[79]، بينما فريق واشنطن مفكك ولاسلطة قرار بيده) وأن فريق (المناطق[80] أقل مرونة) عكس ما تتوقعه اسرائيل من إصرارها في مدريد – واشنطن، بل ومنذ عام 1977 على حصر التمثيل

---

(76) هيكل المفاوضات السرية، الكتاب الثالث، مصدر سبق ذكره، ص 278 ويمكن العودة للوثيقة رقم -5- في ملحق الوثائق، حيث تشير لمعرفة المحطة المصرية بمشروع أوسلو. والوثيقة رقم -6- في ملحق الوثائق، حيث رسالة سعيد كمال لعرفات يبلغه أن رابين يقول إن الخرائط تبحث في أوسلو والوثيقة رقم -7- في ملحق الوثائق، حيث يبارك الرئيس المصري قناة أوسلو وماتم التوصل إليه ويؤكد لعرفات بذل جهده للمساعدة في حل بعض القضايا الجانبية.

(77) شيمون بيريز، معركة السلام، سبق ذكره، ص 383. كما يمكن العودة للوثيقة رقم -8- في ملحق الوثائق.

(78) د. هيرشفيلد، أستاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا.

(79) جين كوربين: غزة أولاً – القناة السرية النرويجية لسلام بين اسرائيل و م.ت.ف، وجهة نظر نرويجية – الطبعة الانجليزية GAZA FIRST, The secret Norway channel to peace between Israel and the PLO, Jane Corbin, Blooms Bury 1994 عام 85 ص 1994, p.85 (الآن وفي أوسلو، ترك أبو العلاء الغرفة المجاورة في كوخ توماس هافتي، من أجل الاتصال بأبي مازن. ثم عاد ليخبر سافير أن م.ت.ف وافقت على مناقشة إعلان المبادىء حول الحكم الذاتي دون التطرق إلى موضوع القدس).

(80) تعبير يطلقه رابين وحزب العمل على المناطق المحتلة، حيث لايعترف باحتلالها انطلاقاً من اعتبارها (يهودا والسامرة) وجزء من أرض اسرائيل الكبرى ويدعو برنامج العمل لاقتسام (المناطق بين كيان فلسطيني محدود وبين الدولة العبرية وخاصة القدس الكبرى) التي ضمها حزب العمل الاسرائيلي بعد احتلالها مباشرة في حزيران - يونيو 67، ورفض مجلس الأمن الدولي قرار الضم واعتبره غير شرعي وغير قانوني. وكذلك خطة حزب العمل ضم الكتل الاستيطانية الكبرى + غور الأردن حدود أمنية للدولة العبرية.

بشخصيات من الضفة والقطاع فقط وشرط أن لايكونوا أعضاء في مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية[81].

وعليه، سابقت مفاوضات أوسلو الريح، فانضم أوري سافير على رأس الجولة الخامسة ليعطي المفاوضات عمق القرار السياسي، فهو المدير العام لوزارة الخارجية.

وبذات الجولة أبلغ هولست بيريز أن (الخارجية النرويجية حصلت على الضوء الأخضر من كريستوفر وكيرتزر مساعد وزير الخارجية الأمريكي للمضي قدماً بمباحثات أوسلو)[82].

وانضم يوئيل زينغر في الجولة السابعة لمفاوضات أوسلو، وقد دخلت لحظة الانعطاف الحاسمة[83]، فهو تحمل مسؤولية القسم القانوني في الجيش وشارك في المفاوضات مع مصر بعد اتفاقات كامب ديفيد وتمت استعادته من مكتبه الخاص بالمحاماة في واشنطن وتعيينه مستشاراً قانونياً في وزارة الخارجية الاسرائيلية فضلاً عن كونه موضع ثقة رابين.

في تموز/ يوليو نشط هولست على خط تل أبيب وتونس لحل مشكلة (مساحة أريحا) والممر الآمن بين (الضفة والقطاع) و (النقاط العالقة في إعلان المبادىء) فالمسودة الأخيرة لإعلان المبادىء (أصبحت جاهزة في 12 تموز، يوليو 93)، وبإعلان المبادىء تم تأجيل وضع القدس إلى مرحلة مفاوضات الحل الدائم كما فعل مناحيم بيغن في مفاوضات كامب ديفيد (1978)، مع إصرار حكومة العمل على أن (القدس الكبرى عاصمة موحدة وأبدية لاسرائيل) وعليها إجماع اسرائيلي، كما تم تأجيل قضايا اللاجئين – الحدود – المستوطنات – المياه إلى مفاوضات الحل النهائي (الفقرتان 524 من المادة 3 للإعلان).

وفي العشرين من تموز – يوليو حلّ هولست لمباحثات مع عرفات في تونس واتفق معه على أن (الممر الآمن ليس ممراً مادياً) يربط بين الضفة وغزة، بل هو (ممر مضمون أمنياً) على أرض اسرائيلية. وأن (مساحة أريحا) تتحدد في مفاوضات لاحقة في اتفاقات تطبيق إعلان المبادىء (ونقاط العبور من رفح ومن الجسرين على نهر الأردن ببقائها بيد اسرائيل ويتم الاتفاق بمباحثات لاحقة على الصيغة التي يتم بها التطبيق على الأرض) واكتست زيارة هولست طابع زيارة رسمية إلى تونس، وإن (لقاءه بعرفات أضيف إلى جدول زيارته).

وبعد تونس أرسل هولست تقريراً مكتوباً إلى بيريز حمله تيرجي رود لارسن ومونا جول[84] زوجته التي تعمل سكرتيرة لوزير الخارجية النرويجي، ويكتب بيريز أن هولست كان في تقريره

---

(81) موقف اسرائيل في تلك المرحلة عدم التفاوض مع أي موظف علني في م.ت.ف بالثنائية والمتعددة الأطراف، وعليه إصرار بيريز على إبعاد د. يوسف الصائغ عضو المجلس الوطني و د. محمد حلاج عضو المجلس الوطني من لجان المتعددة. وتم هذا فعلاً مع الصائغ، بينما تم إسقاط عضوية الحلاج حتى يبقى بلجنة اللاجئين.

(82) شيمون بيريز – مصدر سبق ذكره – ص 382.

(83) جين كوربين – غزة أولاً – مصدر سبق ذكره ص 89 وينص حرفياً (أخبر سافير بيريز وبيلين أن الأمور أصبحت واضحة. وبدون تردد أخبرهما أن القناة السرية سالكة، وأصبح الآن بحاجة إلى قانوني متمرس لمرافقته إلى أوسلو، حتى يحول إعلان المبادىء إلى إطار قانوني).

(84) في كتابات فريق أوسلو الفلسطيني يتعمد كتابة الاسم (مُنى) وليس مونا للايحاء بأنها عربية، والانطباع النفسي الذي يترتب على ذلك.

(حازماً مع عرفات) فمسودة إعلان المبادىء الأخيرة هي نتاج خمس مسودات قدمها الفريق الإسرائيلي[85]. وأكد هولست لعرفات (أن منظمة التحرير الفلسطينية لن تحقق إعلان مبادىء أفضل بعد الآن).

وفي أوسلو نقل أحمد قريع رسالة مكتوبة من عرفات سلمها إلى جميع أعضاء الفريق الاسرائيلي في بداية الجلسة: يوئيل زينغر وأوري سافير ويائير هيرشفيلد ورون بونداك... وورد في الرسالة: (إننا نتعامل مع هذه القناة الخاصة بجدية تامة. وإن حاجتنا إلى هذه الخطوة جلية أيضاً لنا). وقد اعتبرت هذه الرسالة في تل أبيب (مساهمة إيجابية جاءت في الوقت المناسب، عكست خصالاً سياسية معتدلة، لم تكن واضحة في أي صيغة في الأداءات العامة لرئيس منظمة التحرير ولافي مقابلاته الدبلوماسية)[86].

وفي تموز أيضاً زار بيريز القاهرة، وأبلغ الرئيس مبارك (أن مفاوضات أوسلو وصلت إلى نهايتها، وأزف الآن الوقت للقرارات) وأبلغه مبارك (أن عرفات يود اللقاء به) وأجاب بيريز (إن الوقت ليس مناسباً الآن للقاء به، وبعد الانتهاء من الاتفاقية سيأتي وقت الاجتماعات)[87].

وعلى خط أوسلو – واشنطن أبلغ هولست (الإسرائيليين وعرفات أنه أوجز الأمر إلى وزير الخارجية كريستوفر شخصياً) وبحث معه ماكان مطروحاً منذ جولة أوسلو الثالثة (آذار – مارس 20 – 22/ 1993):

(أن يكون توقيع اتفاق إعلان المبادىء في واشنطن كفعل تتويجي للجهود الدبلوماسية الأمريكية طويلة الأمد) لأن الإخراج بأن إعلان المبادىء هو مشروع أمريكي يساعد في قبوله وتسويقه ورفع العقبات من طريقه في الأوساط الفلسطينية والعربية والدولية وفي صف اليمين الاسرائيلي. وأشار هولست إلى أنه وكريستوفر (على خشية من أن القصة ستتسرب في النهاية، والصحافة ستكشف ذلك). ولذا استقر رأي كريستوفر على رفض فكرة الإعلان أن الاتفاق هو مخاض للتوسط الأمريكي، وهو ذات الموقف الأمريكي منذ آذار/ مارس 1993، عندما (تقدمت أطراف أوسلو الثلاثة من واشنطن أن تتبنى إعلان المبادىء بأنه صيغة أمريكية). ورحب (أن يتم التوقيع الكامل باحتفال واسع وبالرعاية الأمريكية في واشنطن)[88].

وعلى خط تل أبيب – واشنطن أعاد هيرشفيلد البحث مع دان كيرتزر معاون وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط والذي تحمس بحرارة لقناة أوسلو منذ البداية وبعلم وزير الخارجية... وعلى خط تونس انصبت قناة أوسلو خطوة خطوة عند الرئاسة ووزير الخارجية عن طريق عرفات والخارجية النرويجية بحكم تردد هولست على تونس وجولاته مع عرفات.

---

(85) شيمون بيريز، مصدر سبق ذكره، ويسجل هولست في رسالته إلى بيريز (أن عرفات في الجلسة التي ضمت آخرين، كان في أسوأ حالاته الغامضة المتوعدة، أما في الجلسة الخاصة فكان متجاوباً ومتأملاً) ص 395.

(86) نفس المصدر، ص 395.

(87) نفس المصدر ص 397.

(88) نفس المصدر ص 398.

والعاصمة المغربية احتلت موقع العاصمة الثانية بعد القاهرة في معرفة ومتابعة مايدور في حديقة أوسلو الخلفية.

■ ولكن التكلم على مايجري في أوسلو لم يستمر طويلاً... لقد انكشف المستور بسرعة!

ضحك حواتمة وقال:

■■ زحمة العواصم المشاركة والمطلة على قناة أوسلو، واتساع دوائر المشاركين والرسل والرسائل فتحت بالضرورة (البيكار) وتسرب حجم من الأخبار. وخشية من تراكم كرة الهمس والإشارات خاصة في الصحافة الإسرائيلية والأمريكية عن (الجولات الغامضة) لبيريز وهولست، أخذ العد العكسي يتسارع، وبجرعات مركزة بين عدد من العواصم التي ذكرناها، ودخول بيريز على الخط شخصياً ومباشرة، فجولات تموز/ يوليو جعلت طرق أوسلو سالكة!

قلت لنايف حواتمة:

■ وبعد دخول بيريز مباشرة كانت على مايبدو البداية لإشهار أوسلو والوصول النهائي لمسودة الاتفاق؟

هز رأسه، وقال:

■■ في 17 آب/اغسطس 1993، ولإشاعة غبار عمى الألوان حط بيريز رحاله في استوكهولم قبل أوسلو. ففي السويد حكومة حزب المحافظين ولم يعد لها الدور الذي كان لحكومة الحزب الاشتراكي الديمقراطي التي رحلت بالانتخابات، ولذا فاستوكهولم لاتثير الانتباه. وفيها تم ترتيب لقاء بيريز – هولست ومعه تيرجي لارسن مدير (منظمة فافو) ومونا جول زوجته وسكرتيرة الوزير فهنا يتم إنجاز الجولة الأخيرة وبعدها الانتقال إلى أوسلو لتوقيع (إعلان المبادئ) بالأحرف الأولى. وكان مع بيريز المستشار القانوني يوئيل زينغر وأفي جيل.

وفي بداية آب جاءت جولة وارن كريستوفر في الشرق الأوسط وعلى طريق لحلحة عقد المسارين الفلسطيني والسوري – الإسرائيلي في واشنطن. فالإدارة الأمريكية تسعى لصب كل النتائج في خانتها، وبذات الوقت تحاول إثارة مناخ استرخاء على الجبهات الأخرى.

وعلى محور أوسلو فالتعاون الحميم بين حزبي الاشتراكية الدولية: حزب العمل والحزب الاشتراكي الديمقراطي النرويجي يصعد نحو الذروة في 17 آب. ومن مقر بيريز في استوكهولم اتصل لارسن على الهاتف مع عرفات في تونس، وأبلغه أن (والديه) بجانبه، أي: هولست وبيريز، فقد دقت الساعة لختم المفاوضات. وأضاف أن (الوالد) بجانبه يؤكد (إذا لم ننته الليلة، فإن اسرائيل تحث الخطى صوب اتفاق سريع مع السوريين بدلاً من التوصل إلى اتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية، واسرائيل راغبة في الوثوب على كلا المسارين في وقت واحد. وأن عليها الاختيار بين أحدهما)[89] وبذا لعب بيريز لعبته التكتيكية، لعبة التلويح بسورية. وبالطبع أجاب عرفات أنه على وشك (إكمال الأمر برمته، وأن أبا العلاء نفسه جاهز بعد قليل لإجراء المفاوضات النهائية).

---

(89) شيمون بيريز، معركة السلام، مصدر سبق ذكره، ص 400.

وفعلاً بدأت مفاوضات الهاتف من مقر بيريز في استوكهولم في الواحدة من صباح 18 آب مع مكتب عرفات[90] وتناول هولست الهاتف وبدأ يقرأ فقرات مسودة الاتفاق. وبين فقرة وأخرى كان أحمد قريع يقدم مالديه، إلى أن تم اختتام مفاوضات الهاتف في الرابعة والنصف صباحاً باتفاق على نقاط (إعلان المبادىء) المعروف باتفاق أوسلو!

وقال نايف حواتمة بأسى، وهو يقرأ من بعض الأوراق:

■■ **ويبدو محزناً أن نقرأ مايقوله شيمون بيريز عن ذلك: (في المكالمة الهاتفية الأخيرة كان صوت الحاضرين مسموعاً عبر خط الهاتف، وكنا نسمع ضحكهم وبكاءهم)[91] .**

وأضاف حواتمة بنفس النبرة:

■■ **أما تعليق لارسن، فهو: قلت لكم إن الفلسطينيين (يحبون الدراما)![92].**

وقال آفي جيل مساعد بيريز: (ماكان غير فيلليني ليحلم بوضع كهذا)[93].

وصمت محتقن الوجه، بانتظار تعليق ما على ما قرأ:

■ لقد كان ذلك محزناً وطنياً!

فتابع حواتمة، وكأنه لم يسمع:

■■ **في 19 آب/ أغسطس 93، تم في أوسلو التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق أوسلو - آ-: أحمد قريع، أوري سافير، يوئيل زينغر.... ووقع هولست بصفة شاهد!**

- بيريز رفض التوقيع، ورفض أن يقف مع هولست خلف الطاولة التي يجلس عليها الموقعون، كما رفض إلقاء كلمة بعد التوقيع وأبلغ الجميع أن الاتفاقية في منزلة (يمكن إلغاؤها) إلى أن يبت بها مجلس الوزراء الاسرائيلي. وكذلك لايستطيع إعطاءها صفة رسمية فوراً.

- هولست ألقى خطاباً أشار فيه (إلى دور بلده الصغير في تحقيق السلام في الشرق الأوسط)!

- أحمد قريع ألقى خطاباً مكتوباً، وأخذ بالبكاء تارة والقراءة تارة أخرى، ومترجمته الفورية إلى اللغة الانكليزية مترجمة الخارجية النرويجية. وختم خطابه بتقديم: (الاتفاق أفضل هدية في عيد ميلاد بيريز السبعين) الذي يقع في ذات اليوم 19 آب[94] .

---

(90) في مكتب عرفات حضر مفاوضات الهاتف عرفات، أحمد قريع (أبو علاء)، محمود عباس (ابو مازن)، حسن عصفور، ياسر عبد ربه، محسن ابراهيم، وحتى ليلة هذه المفاوضات فقد كانت الجولات السابقة محصورة بـ ياسر عرفات، أبو مازن، أبو علاء.

(91) (92) (93) شيمون بيريز، مصدر سبق ذكره ، ص 401.

(94) طوال مفاوضات أوسلو لم يكن مع الفريق الفلسطيني أي مستشار قانوني، وفقط يوم 19/ 8/ 93 قبل التوقيع الأولي على الاتفاق وبساعات تمت الاستعانة بالسفير طاهر شاش المستشار القانوني بوزارة الخارجية المصرية. وبالمقابل دخل يوئيل زينغر المستشار القانوني بوزارة الخارجية منذ لحظة دخول قناة أوسلو السرية - الجدية في نظر سافير. ويورد كتاب (غزة أولاً) جين كوربين ص 91 مصدر سبق ذكره، ما يلي (زينغر قانوني ضابط قام بدور خلف الكواليس في مفاوضات فك الاشتباك مع مصر عام 1974 والتي انتهت باتفاقات كامب ديفيد 78 والمعاهدة المصرية - الاسرائيلية عام 79، ولمدة 12 عاماً على رأس الفريق الذي سن قوانين الحكم العسكري في الأراضي المحتلة، وخلال هذه المدة اكتسب معرفة وطيدة بكل تفاصيل عملية السلام في الشرق الأوسط).

■ وماذا كان رد فعل واشنطن، التي أصبحت المفاوضات المسماة باسمها (مفاوضات واشنطن) خلف الظهر؟!

■■ بارتياح كبير استقبلت واشنطن إعلان أوسلو!

ولذا تبنت الاعلان بواشنطن وبرعاية كلينتون وبكرنفال استعراضي دولي. ووضعت تجميد الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية خلف الظهر، وفتحت أبواب البيت الأبيض لرئيس وأعضاء المنظمة الذين وقعوا أوسلو (1)، والذين أيدوا والتحقوا به من منظمة التحرير الفلسطينية.

■ ولكن هناك أكثر من رواية حول حقيقة ما جرى، فأين الحقيقة التي تراها أنت؟

■■ الحقيقة تستمد من الوقائع، وهي تتكلم عن نفسها مباشرة بعد اتفاق أوسلو (1) استقبل كريستوفر هولست وبيريز في كاليفورنيا حيث كان يمضي إجازته على الساحل الغربي. وأكد أن استجابته الأولى لهذه التطورات إيجابية جداً. وأضاف مع بيريز: (لقد أبليت بلاءً حسناً).

وبيريز أشار في حديثه إلى (أن منظمة التحرير قدمت تنازلات مهمة سبق أن رفضها الوفد الفلسطيني في محادثات واشنطن)، وأن (الاتفاق يستجيب لكل العناصر الإسرائيلية المطروحة في مشروع الحكم الذاتي بمفاوضات واشنطن) (وكل تقدم نحرزه مع عرفات سيساعد في حث السوريين على تحقيق تقدم أيضاً. أما الطريق للتعامل مع السوريين، فسيأتي خطوة بعد خطوة).

هولست أعاد إلى الذاكرة (مباحثاته مع كريستوفر في آذار وأيار 93 عن الخطوات في مفاوضات أوسلو). وأضاف (أن زيارة كريستوفر في مطلع آب للشرق الأوسط كان لها تأثير قوي على مفاوضات أوسلو).

أما دينس روس فقد اقترح أن يصر الجانب الاسرائيلي بأن تتعهد منظمة التحرير (بمعاقبة الجماعات التي تستمر بأعمال (الإرهاب) بالإضافة إلى تعهد عرفات (بنبذ وإدانة العنف والارهاب بكل أشكاله). وقد تم فعلاً استيعاب اقتراح روس برسائل الاعتراف المتبادلة التي أخذها هولست من عرفات في تونس (9/ 9/ 1993)، ومن رابين إلى عرفات (9/ 9/ 93) ومن عرفات إلى هولست (9/ 9/ 93)[95] .

وفي الاجتماع أبدى كريستوفر استعداد واشنطن لرعاية الاتفاق، والسماح لممثلي منظمة التحرير الفلسطينية بدخول واشنطن للتوقيع على الاتفاق في 13/ 9/ 93، وبعد أن قدمت

---

(95) الرسائل الثلاث، ملحق الوثائق - وثيقة -9-

* الرسالة رقم -1- الرسالة رقم -2- الرسالة رقم -3-.

* وثائق وزارة الخارجية الاسرائيلية - القدس، الاتفاق الاسرائيلي - الفلسطيني المرحلي حول الضفة الغربية وقطاع غزة - واشنطن 28 سبتمبر 1995 - الطبعة الانجليزية. + اتفاق حول قطاع غزة ومنطقة أريحا، القاهرة 5 أيار/ 94، ترجمة وإعداد مركز القدس للإعلام والاتصال، القدس / آب 1994 - ص 202، ض 203 + شيمون بيريز - معركة السلام، مصدر سبق ذكره ص 428، ص 429.

التنازلات المطلوبة[96] غير أنه (لايوافق على تقديم الاتفاق على أنه مبادرة أمريكية، كما اقترح بيريز وهولست مرة أخرى، فالصحافة ستكشف كل شيء).

وفي الاجتماع أيضاً تم اتفاق الوفود الثلاثة على أن تأخذ واشنطن المبادرة لبناء شبكة دولية مالية لدعم الاتفاق وسلطة الحكم الذاتي (خطة مارشال مصغرة). كما تم اتفاق الوزراء الثلاثة على الفور أن تبادر واشنطن لإبلاغ جون ميجر، وفرانسوا ميتران وهيلموت كول واليابان.

■ كانت ردود فعلكم على ما تم الاتفاق عليه صاخبة وعارمة. كذلك كانت هناك ردود فعل عربية واسعة عليه، أنتم كيف واجهتم إعلان الاتفاق المذكور.

■■ التفاعلات تسارعت عاصفة على الساحة الفلسطينية: فالجبهتان الديمقراطية والشعبية والقوى القومية والاسلامية السياسية دعت إلى الإضراب الوطني الشامل في الوطن والشتات في 13/9/ 1993 يوم توقيع الاتفاق في واشنطن. فقد كان الحداد الوطني شاملاً من أقصى شعبنا إلى أقصاه.

ومن تونس دعوت في مؤتمر صحفي حاشد صباح 13/ 9 إلى خطوة ديمقراطية ملموسة باستفتاء شعبنا على اتفاق أوسلو الظالم، والنزول عند إرادته، بينما على الجانب الآخر من الأطلسي يجري التوقيع على أوسلو. وتابعت جولة عربية شملت الجزائر وليبيا ودمشق وعمان وصنعاء، أعلنت في كل عاصمة الدعوة إلى الاستفتاء في الضفة والقدس وقطاع غزة حتى لايتذرع فريق أوسلو بصعوبة الاستفتاء في أقطار الشتات حيث 60٪ من شعبنا، أهملهم اتفاق أوسلو، وتبنت القوى الفلسطينية المعارضة لإعلان أوسلو دعوة الاستفتاء.

ودعت الجبهتان وفصائل منظمة التحرير وعدد بارز من أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة إلى عقد دورة فورية للمجلس الوطني الفلسطيني للبت بإعلان أوسلو والرسائل المتبادلة (عرفات – رابين) كما فعلت الدولة العبرية بدعوة الكنيست وإقرار الاتفاق قبل التوقيع عليه في واشنطن.

ورفض عرفات والعواصم التي (طبخت) و (احتضنت) اتفاق أوسلو دعوتنا للاستفتاء مع أن الاضراب الشامل شكل الاستفتاء المباشر. كما تم رفض دعوة المجلس الوطني وبقي الوضع هكذا ثلاث سنوات حتى تم عقد دورة المجلس في 22 أبريل/ نيسان 1996 في غزة وبعد دمار ائتلاف منظمة التحرير وإغراق المجلس بأكثر من 250 عضواً جديداً وبتعيين من عرفات لإحداث (انقلاب سياسي وتنظيمي) في تركيب المجلس الوطني وإمرار اتفاقات أوسلو بعد مرور ثلاث سنوات من توقيع اتفاق أوسلو (آ).

وأضاف حواتمة بحماسة وقهر:

■■ الصديق الدكتور حيدر عبد الشافي وزملاؤه لمسوا أنهم استخدموا بدور (حصان طروادة)، وقد وصل إلى خاتمته، فقدموا استقالاتهم. وكان حوارنا مع الأخوة الدكتور عبد الشافي، فيصل الحسيني، د صائب عريقات، د. زكريا الآغا، د. ممدوح العكر، د. نبيل قسيس،

---

(96) جمدت الولايات الحوار مع م.ت.ف في 30/ 5/ 1990 وفرضت مقاطعة دبلوماسية صارمة عليها.

د. حنان عشراوي، دكتور غسان الخطيب، جميل الطريفي، والآخرين متواصلاً تواصلاً مديداً بين عمان وتونس والجزائر ودمشق وعلى خطوط الهاتف مع د. حيدر في غزة ومع فيصل ومع صائب وممدوح في القدس ورام الله وبخط أن يأخذوا دورهم الوطني كاملاً، فبيدهم إنقاذ الموقف بتعليق مفاوضات واشنطن إلى أن يتم تصحيح وتصويب مسار المفاوضات بمرحلة واحدة وفي إطار الشرعية الدولية، والأرض مقابل السلام حالنا حال الأردن وسورية ولبنان، وأن يتوقف الاستيطان ونعيد بناء (البيت الفلسطيني على قاعدته الائتلافية الموحدة) وبأمل أن يتماسك الوفد معاً. والمحزن أن تكتيك تفكيكه على يد فريق تونس شق طريقه وتحت ضغط تهمة (القيادة البديلة)!

ومضى حواتمة يوضح ردود الفعل على الاتفاق:

■■ الاستقالة.. الانسحاب من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير شملت فور أوسلو (1) الشخصيات المستقلة البارزة: الشاعر محمود درويش، شفيق الحوت، عبد الله حوراني، وتيسير خالد (الجبهة الديمقراطية)، عبد الرحيم ملوح (الجبهة الشعبية)، محمود اسماعيل (جبهة التحرير العربية)، كما أحجم فاروق القدومي عن المشاركة باجتماعات اللجنة التنفيذية.

وعند توقيع أوسلو (2) انسحب سليمان النجاب (حزب الشعب). وهكذا أصبحت أكثرية اللجنة التنفيذية مستقيلة وهذا يستوجب دعوة المجلس الوطني لإعادة انتخابها، ولكن كل هذا تمت إدارة الظهر له، فالائتلاف الوطني تم تدميره باتفاق أوسلو (1). وفقدت اللجنة التنفيذية النصاب السياسي والقانوني في أعمالها (تمثيل فصائل الائتلاف + 12 عضواً من 18 النصاب القانوني)، وبقي الوضع هكذا حتى 22 نيسان/ أبريل 1996 وتشكيل لجنة تنفيذية بأغلبية من فتح ودون أدنى توافق سياسي وطني أو توافق على تشكيل المجلس الوطني والتنفيذية. واستقال من عضوية المجلس الوطني شخصيات مستقلة بارزة في مقدمتها رمز الثقافة الفلسطينية الدكتور ادوارد سعيد صاحب كتاب (غزة – أريحا سلام أمريكي) وكتاب (أوسلو –2– سلام بلا أرض). والمئات من أعضاء المجلس الوطني والشخصيات الوازنة من القدس والضفة والقطاع والشتات أعلنت وبلا ملل عشرات المرات رفضها السلام الاسرائيلي سلام شروط أوسلو (1) و (2)، وتطبيقاته المرة من نهب الأرض إلى المستوطنات والطرق الالتفافية، إلى الخنق والإلحاق الاقتصادي، إلى القمع والآلاف من الحركة الأسيرة في سجون الاحتلال.

في صف الانتفاضة (87 – 93) وقع الانقسام الكبير، وفور توقيع إعلان أوسلو (1) في واشنطن (13/ 9/ 93) انسحبت فتح وحزب الشعب من القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة عملاً بالرسائل المتبادلة بين عرفات ورابين وتراجعت انتفاضة الشعب إلى خندق (الانتفاضة المغدورة).

وفي 8 و 10 و 11 كانون الثاني/ يناير 1994 وبعد مرور أربعة أشهر من (النفخ التلفزيوني العالمي) والائتلاف الدولي والإقليمي العربي الواسع حول اتفاق أوسلو (1)، والتبشير بمطر

الدولارات على الأرض المحتلة، واحتفالات التجميل لأوسلو والادعاء أن لابديل... ورفض الاستفتاء على الاتفاق.

لقد أجرى (مركز القدس للاعلام والاتصال)[97] استطلاعاً لرأي فلسطينيي الضفة (جنين – طولكرم – قلقيلية – نابلس – رام الله – الخليل – القدس – بيت لحم وأريحا)، وقطاع غزة (غزة – خان يونس – دير البلح – بيت حانون – جباليا) بشأن الاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي) أي اتفاق أوسلو (1)، وكانت المحصلة كما يلي:

وبحث حواتمة بين أوراقه عن جدول يبين نتائج هذا الاستطلاع وأخذ يقرأ منه:

■■ هل تؤيد استمرار مفاوضات السلام الحالية على اساس صيغة مدريد؟

الأجوبة: نعم 37.5٪، لا 55.9٪، لارأي 6.5٪.

– هل تؤيد إنهاء المفاوضات وانسحاب الفلسطينيين من المحادثات؟

الأجوبة: نعم 50.1٪، لا 43.7٪، لارأي 6.1٪.

– هل تعتقد أن هناك حاجة إلى إصلاح ديمقراطي في منظمة التحرير الفلسطينية؟

الأجوبة: نعم 87.7٪، لا 6.5٪، لارأي 5.6٪.

– بمن تثق أكثر لإخراجك من الوضع الحالي؟

الأجوبة: الحركات الوطنية 51.5٪، الحركات الإسلامية 24.1٪، غير ذلك 23.9٪.

ووضع الجدول جانباً وطلب من مستشاره علي بدوان الاهتمام بسيّاق الوثائق التي يأتي ذكرها سواء في ملاحق الكتاب أو خلال الحوار، ثم التفت ينتظر سؤالاً جديداً:

■ كنت تتحدث عن ردود الأفعال..

فتابع إجابته قائلاً:

■■ نعم، لقد أحدثت الاتفاقات أيضاً مفاجأة في الساحة العربية الرسمية والشعبية، فأقطار الطوق العربية تفاجأت وعبرت عن ذلك على النحو التالي:

وعاد إلى ملاحظاته، وأخذ يتابع هذه المواقف بتكثيف ودقة:

■■ الأردن: أعلن الملك حسين (لانؤيد مالا نعلم به) والحركة الشعبية ممثلة بالأحزاب الوطنية والنقابات المهنية والشخصيات الاجتماعية والثقافية والسياسية والروحية أعلنت رفضها وإدانتها صفقة أوسلو والحلول الجزئية المنفردة.

سورية: أعلن الرئيس حافظ الأسد إدانته الاتفاق وأن سورية لاتؤيد ولاترفض إلاّ بمقدار مايلحق الاتفاق الأذى بالأمن القومي والوطني، وأن كل نقطة في الاتفاق تحتاج إلى اتفاق. وكذلك أدانت أحزاب الجبهة الوطنية ورفضت اتفاق أوسلو والصفقات المنفردة.

لبنان: الرئيس الهراوي أدان الاتفاق، فلبنان جنوبه محتل وعلى أرضه 350 ألف فلسطيني تجاهلهم أوسلو بالكامل، كذلك عمّدت الأحزاب والمقاومة الوطنية والإسلامية رفضها لاتفاق

---

(97) استطلاعات مركز القدس للإعلان والاتصال تدعم من قبل مؤسسة فردريشت إيبرت الألمانية – القدس – المركز، ويديره د. غسان الخطيب عضو وفد مدريد - واشنطن وممثل حزب الشعب (الشيوعي سابقاً).

أوسلو بالدم فقد سقط عشرات الشهداء، وعشرات الجرحى برصاص الشرطة في مظاهرات العاصمة بيروت!

السعودية: الملك فهد يشير في مجالسه الخاصة إلى أن مشروعه في قمة فاس العربية أفضل عشرين مرة من أوسلو، وجهود السعودية مع واشنطن أنتجت في عهد كارتر استعداد واشنطن للتعامل مع عرفات كرئيس دولة إذا اعترفت منظمة التحرير بالقرار 242. فقط مقروناً بتحفظات م.ت.ف على القرار كما أوردنا في سياق نص مشروع كارتر – فانس المقدم لمنظمة التحرير عبر الرياض (آب 1977). وجواب السعودية على رسالة منظمة التحرير من تونس إلى الملك فهد عند التوقيع بالأحرف الأولى (19 آب 93) جاء ببرقية تقول: (نشكركم على رسالتكم، الجميع في الخارج، متمنين لكم التوفيق – وزارة الخارجية)[98] .

مصر: ارتاحت للاتفاق فلها دور كبير في عملية أوسلو الخلفية، وجميع الأحزاب المصرية ماعدا الحزب الوطني الديمقراطي (الحزب الحاكم) رفضت اتفاق أوسلو.

أما الأقطار العربية الأخرى فقد انقسمت مابين معارض وصامت ومؤيد.

ثم أضاف حوالمة مبيناً جوانب أخرى من ردود الفعل:

■■ وتحركت ماكينة الضغوط الأمريكية على العواصم العربية وتم حشد التأييد الدولي لاتفاق أوسلو (1)، وفعلت فعلها بدفع عدد من العواصم العربية للتراجع عما أعلنت، وإعادة إنتاج موقفها بين التأييد والصمت. كما بادر الرئيس مبارك للاتصال بعدد من العواصم العربية وخاصة مع الرئيس الأسد والملك فهد، بأمل استقبال عرفات وتليين المواقف.

وتنهد حوالمة، وهو يختم كلامه وقال:

■■ نبض الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج كما نقول نحن المشارقة، ومن الماء إلى الماء كما يقول أخوتنا المغاربة... نبض الانتلجنسيا العربية عزف لحنه الشاعر الكبير نزار قباني بقوله:

جوَّعوا أطفالَنا خمسينَ عاماً
ورموا في آخرِ الصومِ إلينا ... بَصَلَهْ...
سقطَ التاريخُ من أيدي العربْ
سقطتْ أعمدةُ الروحِ... وأفخاذُ القبيلةْ
سقطتْ كلُّ مواويلِ البطولةْ
وانتهى العرسُ... ولم تحضرْ فلسطينُ الفرحْ
بل رأتْ صورتَها مبثوثةً عبر كلِ الأقنيةْ...
وهي مثلُ الطائرِ المذبوحِ تصرخ:
ليسَ هذا العرسُ عرسيْ
ليسَ هذا الثوبُ ثوبيْ
ليس هذا العارُ عاريْ.

---

(98) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الثالث، مصدر سبق ذكره ص 301.

■ **لقد تحدثت عن جوانب ردود الفعل، وكان الوضع مأساوياً في الصورة الشعرية التي عكست ذلك الواقع.** لكن الجانب الآخر، أي: اسرائيل، لم تتحدث عنه. كذلك لم تتحدث عن موقف روسيا!

ودون أن يدقق إجابته بنصوص أو وثائق أجاب:

■■ **مجلس الوزراء الإسرائيلي كان مع اتفاق أوسلو... وكذلك الأغلبية في المجتمع مع تباين بعمليات التطبيق... بينما أكثرية ل.ت لمنظمة التحرير ضد الاتفاق... اليمين المتطرف وقف ضد الاتفاق من موقعه الإيديولوجي الميثولوجي (التوراتي) التوسعي، فالقدس والضفة هي جزء من (أرض اسرائيل الكبرى) كما يزعمون. والمستوطنات التي بناها حزب العمل وعززها الليكود يجب أن تبقى في خاصرة غزة حتى جنوبها في مستعمرات غوش قطيف.**

والارتياح كبير في صف المثقفين الإسرائيليين، وبتعبير الروائي الاسرائيلي الشهير عاموس أوز: (إن 13 أيلول 1993 ثاني أكبر نصر في تاريخ الصهيونية)!

- أما بقية الصورة في اللوحة الدولية، فهي أن الروس ابتلعوا (الموس)، فقد غابت شمس الاتحاد السوفييتي، وروسيا غارقة بفوضى الصراعات الطبقية والمافيات وعودة الرأسمالية المتوحشة، وانحنت موسكو عند دور (شاهد ماشفش حاجة)!

والآن وبعد ثلاث سنوات تحاول التقاط الأنفاس والدفاع عن دور تليد على يد وزير الخارجية يفغيني بريماكوف.

- وأوروبا تمنت علينا من مدريد أن تكون (رُكَبُنا أصلب وأكثر تماسكاً) وعند أوسلو (1) قالت: (الفلسطينيون اخترعوا شيئاً جديداً في الدبلوماسية: فهم يتفقون أولاً وبعدها يتفاوضون. والواجب أن يكون العكس وأن تكون المفاوضات قبل إعلان مبادىء اتفاقات).

- وفي بلدان العالم الثالث، بلدان التحرر والاستقلال، نجد أينما ذهبنا الاستغراب والحزن والسؤال الكبير: لماذا؟

وقال حواتمة وهو يرسم بيده عجلة تدور:

■■ **وكرّت سبحة الاعترافات بالدولة العبرية وإعادة العلاقات وخاصة من دول بارزة في بلدان العالم الثالث (الصين، الهند، فيتنام... إلخ) ساندتنا وربطت على امتداد عشرات السنين بين إنجاز حق شعب فلسطين بتقرير المصير والدولة المستقلة وعودة اللاجئين وبين الاعتراف بالدولة العبرية. وانفتحت جسور ومياه في شرايين التطبيع والعلاقات العربية الاسرائيلية بعد أوسلو (1)[99] وبدأ التبشير بالشرق أوسطية والمؤتمرات القممية الاقتصادية وكأن السلام الشامل المتوازن سطعت شمسه وانسحب المحتلون، وتم تقرير المصير وحل مشكلة اللاجئين!!**

---

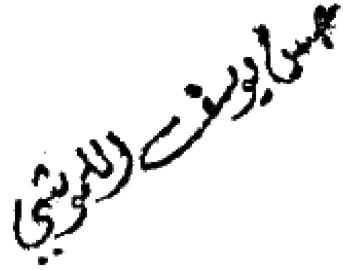
(99) يصّرح ياسر عرفات في مقابلة مع جريدة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية (15/ 12/ 1996) أجراها أمنون كابليوك مؤلف كتاب (مجزرة صبرا وشاتيلا) بما يلي حرفياً (لقد نسيت اسرائيل كما يبدو، أنه لولا توقيعنا على اتفاق أوسلو، لما كانت قد وصلت إلى أي دولة عربية وصلت إليها في أعقاب اتفاق أوسلو. ولكن اسرائيل لاتقرأ الخارطة..).

وتوقف حوامّة عن الحديث، ربما كانت تداعياته مع الأوراق الكثيرة التي كانت أمامه تستلزم الكثير من الوقت لإعادة تدقيقها وقراءتها في ضوء رؤيته... ولكنه ترك فرصة ثانية للتوقف عند أوسلو...

■ ربما كان هذا الوقت الطويل ذا فائدة كبيرة لسياق حديثك منذ بداياته... ومع ذلك نحن على موعد مع وقفة أخيرة تتعلق بأوسلو. ومدلولاته بالإضافة إلى مصير الحل الشامل.

فضحك حوامّة، وقال وهو يودعنا:

■■ بكل سرور!



الفصل التاسع

وقفة عند « أوسلو » !

(المسارات ـ المصائر والحلول)

حوار : عماد نذاف

علي بدوان

■ وقفة عند «أوسلو»
(المسارات ـ المصائر والحلول)

يحاول نايف حواتمة في هذه المحطة القصيرة رسم التخوم العامة بين اتفاق أوسلو وبين السلام الآخر، كما يسميه، «الذي هو» الشامل المتوازن.

ويبدو نايف حواتمة هنا دقيقاً واضحاً في طروحاته وبدائله دون أن يراهن على الغيب، بل يحاول الاستفادة من التجارب الأخرى التي مرت بها بعض الشعوب كي يصل من خلال دروسها إلى النقاط البرنامجية المطلوبة، والضرورية في سياق الصراع الراهن والذي يتطلب طرح بدائل متماسكة..

وكان الحوار الطويل الملموس قد أنجز الكثير في هذا السياق، ولكن كان لابد من أسئلة أخرى. وافق حواتمة على تخصيص جلسة قصيرة لها، قلنا في بدايتها:

■ تبدو إسرائيل الوريثة الشرعية للوطن، ويتحول الوطن إلى بعثة رمزية فيها!!

فقال بحزن:

■■ باتفاق أوسلو كرَّست حكومة حزب العمل (رابين ـ بيريز) ما شقت طريقه حكومة الليكود (بيغن) باتفاق كامب ديفيد. فالدولة العبرية تقدم نفسها أيديولوجياً وسياسياً على أنها «الوريث الشرعي الوحيد لفلسطين الانتدابية».

في كامب ديفيد تم التفاوض ليس فقط على حل ثنائي منفرد، بل على أساس «الحدود الدولية بين مصر وفلسطين» والتي رسمتها بريطانيا في أيار/ مايو 1921. بينما أصر عبد الناصر، عندما وافق على مبادرة روجرز (تموز / يوليو 1970)، على أن تشمل المفاوضات سيناء وقطاع غزة لتصفية آثار عدوان 1967 مقابل الحل الثنائي الذي نصت عليه مبادرة روجرز، أي انسحاب المحتلين إلى ماوراء خطوط 4 حزيران / يونيو 67، تماماً كما وقع بعد عدوان 1956 وعودة الإدارة المصرية إلى قطاع غزة، وحتى لاتتكرس أسبقية خطيرة ومرَّة على يد أكبر دولة مواجهة عربية، ويتم التسليم بادعاء الدولة العبرية «وراثة فلسطين الانتداب» وكان هذا هو

العامل الرئيسي الـذي أدى إلى تعطيـل مبـادرة روجـرز علـى يـد الدولـة العبريـة، الـتي رجعت بالمفاوضات (عام 1956) إلى خطوط الرابع من حزيران / يونيو 1967.

واتفاق كامب ديفيد جعل الأرض الفلسطينية المحتلة في حزيران 67 أرضاً «متنازعاً عليهـا»، فقد وافق على مشروع الحكم الذاتي الكامل «للسكان» «دون سيادة على الأرض المحتلـة لمـدة خمس سنوات»[1].

،وأضاف حواتمة، وهو ينظر إلى ورقة من أوراقه التي أحضرها معه:

■■ على كامب ديفيد بنى شامير مشروعه (14 أيار 1989) وبنى بيكر مشـروع مفاوضـات واشـنطن في مسـارها الفلسـطيني ـ الإسـرائيلي، فاتفـاق أوسـلو حـوَّل الأرض المحتلـة إلى أرض متنازع عليها، ومـن هنـا دلالـة قـول شـيمون بـيريز مهنـدس اتفـاق أوسـلو بعـد التوقيـع عليـه بالأحرف الأولى: (ها نحن نمنح الفلسطينيين كياناً كما منحتنا بريطانيا، قبل سبعين عاماً، "وطنـاً" في فلسطين)[2] . والأسبقية الخطيرة الكبرى باتفاق أوسلو هـي تسـليم فريـق أوسـلو الفلسـطيني بالاتفـاق دون سـيادة علـى الأرض، وباتفـاق يعتـبر «الأرض متنازعـاً عليهـا» نقيـض قــرارات الشرعية الدولية التي تعتبرها أرضاً فلسطينية محتلة (قرارا مجلس الأمن 905، 907 بموافقة الـدول الخمس الدائمة العضوية)، والقرار 242 الذي ينـص علـى عـدم جـواز الاسـتيلاء علـى أراضـي الغير بالقوة.

وبجانب هذا كله إقرار فريق أوسلو «بحـق اسـرائيل في الوجـود» تحـت إصـرار رابـين الـذي رفض صيغة الاعتراف بوجود اسرائيل[3] وعلى هذا البناء يأتي حكم الروائي عاموس عـوز بـأن 13 أيلول 1993 هو «ثاني أكبر نصر في تاريخ الصهيونية بعد ولادة الدولة العبرية 1948».

وصفقة أوسلو الجزئية المنفردة فتحت بوابات الحلول الثنائية المنفـردة علـى سـكَّة المسـارات الأخرى، وبدايات التطبيع، والاعترافـات العربيـة وتبـادل البعثـات الدبلوماسـية مـع إسـرائيل، وأدت إلى شلل المقاطعة السياسية والاقتصادية العربية، بينما غول الاستيطان يتواصــل علـى يـد حكومة العمل وينفلت من عقاله على يد حكومة تحالف اليمين (نتنياهو)، وزحف تهويد القدس الكبرى يندفع بسرعة صاروخية. والآن لم يبق بيد (170) ألف فلسطيني بالقدس سوى 14٪ مـن القدس المحتلة عام 67 بينما تحتل الكتل والأحياء الاستيطانية 32٪ من القدس العربية يقيـم فيهـا 180 ألف مستوطن، ويبقى 44٪ ممنوع البناء عليها حيث تدخل في إطار قانون الأرض الخضـراء بيد الدولة العبرية.

---

(1) جرت المفاوضات المصرية ـ الإسرائيلية طوال عام 1980 لتنفيـذ مشـروع الحكـم الذاتـي وتوقفـت المفاوضـات مـن الجـانب المصري بسبب:

أ ـ استمرار الاستيطان حيث أعلن بيغن أن التزامه بوقف الاستيطان مع الرئيس كارتر كان مؤقتاً ولثلاثة أشهر.

ب ـ الاختلاف على مضمون الحكم الذاتي الكامل. وكان الجانب الإسرائيلي دقيق جداً في النص على اقتصار الحكـم الذاتـي «للسكّان» باعتبار «أن الأرض جزء من أرض اسرائيل» وبذا دخلت في إطار «الأرض المتنازع عليها».

(2) شيمون بيريز ـ معركة السلام، مصدر سبق ذكره، ص 406.

(3) الصيغة الأولى، الاعتراف بالحق التاريخي والأخلاقي، بينما الصيغة الثانية اعتراف بالأمر الواقع.

الاستيطان ينطلق من ادعاء «أرض اسرائيل الكبرى»، ويستند إلى ترك الأرض «متنازع عليها» بموجب اتفاق أوسلو ولا توجد أية إشارة واحدة توحي بوقف الاستيطان، ولذا ازداد في زمن حكومة العمل بنسبة 50٪ بين حزيران/ يونيو 92 وأيار/ مايو 1996.

والآن يعلن نتنياهو فك وإلغاء أية قيود على الاستيطان تحت شعار أرض إسرائيل الغربية، «وتنفيذاً» لبرنامج حكومته الذي أقره الكنيست[4]. وفعلاً ارتفع منسوب مصادرة الأراضي في عهد حكومة اليمين من 2500 دونم شهرياً إلى 4500 دونم، وبلغ مجموع الأراضي المصادرة منذ توقيع اتفاق أوسلو حتى الآن (300) ألف دونم في الضفة والقطاع.

وقال حواتمة بمرارة:

■■ إن اتفاق أوسلو(1) واتفاق أوسلو(2) تركا القدس.. الأرض .. اللاجئين.. النازحين.. الحدود.. المياه.. الأمن.. الممرات.. وخط الحدود مع مصر والأردن بيد الاحتلال! ووضعا الاقتصاد الفلسطيني في مربع الإلحاق بالاقتصاد الإسرائيلي وتحت هيمنته طوال مرحلة الحكم الذاتي ولخمس سنوات، فيما لو انتهت مفاوضات الحل النهائي بسقف أيار/ مايو 1999[5].

إن اتفاق أوسلو ترك باب الاستيطان مفتوحاً فضلاً عن تهويد القدس، فهو في تجاهل مرجعيته لقرارات الشرعية الدولية، وضع الشرعية الدولية (القرارات ــ المؤسسات) وراء ظهره، وهي التي تقرر «أن الاستيطان غير شرعي وغير قانوني».

والآن تراجع الراعي الأمريكي في موقفه من الاستيطان، من اعتباره «غير شرعي وغير قانوني» بموجب قرارات مجلس الأمن واتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، إلى اعتباره «عقبة في طريق السلام» وتراجع خطوة أخرى إلى الوراء «يضر بعملية السلام»، والراعي الأمريكي يستند إلى اتفاقات أوسلو التي تعتبر «الأرض متنازعاً عليها» ويطلق عليها الآن اسم: «المناطق» بعد أن كانت «مناطق محتلة» في قاموس السياسة الأمريكية قبل أوسلو[6].

وترك حقوق اللاجئين في مهب ريح مخاطر التوطين (اللجنة متعددة الأطراف + إسقاط القرار الأممي 194 من الاتفاق وملاحقه + إسقاط القرار 194 من خطاب المندوب الفلسطيني في افتتاح مفاوضات الحل الدائم في اجتماع طابا «4 أيار/ مايو 96» وبناء على إصرار الجانب الإسرائيلي)[7]. بينما قرار مجلسنا الوطني عشية مدريد + قرارات الأمم المتحدة تستوجب استحضار القرار 194 على جدول مفاوضات واشنطن ـ أوسلو والاستناد إليه.

---

(4) برنامج الخطوط الأساسية، هآرتس 1996/6/17. مجلة الدراسات الفلسطينية بيروت، لبنان ص 64 ـ 67، العدد 27، 1996.

(5) الاتفاق الإسرائيلي ـ الفلسطيني، واشنطن 1995/9/28. الملحق الخامس.

(6) في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة (ك1 ـ ديسمبر 1996) صوَّتَ راعي عملية السلام الأمريكي وإسرائيل ضد قرار الأمم المتحدة باعتبار الضفة بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة أرضاً محتلة وفق قرارات الأمم المتحدة. كما صوَّتَ وإسرائيل ضد قرار الأمم المتحدة الداعي لانسحاب إسرائيل إلى خطوط 4 حزيران/ يونيو 1967 من الجولان. بينما صوَّتَ الراعي الروسي ولأول مرة منذ مؤتمر مدريد 91 مع القرارين، وبتعليمات من وزير الخارجية الروسية بريماكوف (معلومات الجبهة الديمقراطية من الخارجية الروسية).

(7) رأس الجانب الفلسطيني محمود عباس، والجانب الإسرائيلي أوري سافير.

كما ترك اتفاق أوسلو حق النازحين displaced بالعودة بدون قيد ولا شرط بموجب قرار مجلس الأمن 237 (حزيران/ يونيو 67) جانباً، ونَصَّ على لجنة رباعية تحدّد من هو النازح. وبعد ثلاث سنوات على أوسلو لم تتفق على تعريف من هو النازح!!

■ ولكن دوائر أوروبية وأمريكية توقعت معاهدة وادي عربة قبل أوسلو، ماذا تقولون؟ ثم ألا تشكل الصيغ الثلاث كامب ديفيد، أوسلو، وادي عربة أضلع مثلث الحلول المنفردة الثنائية؟

■■ اتفاق أوسلو (1) أطلق الرصاصة الأخيرة على صيغة مدريد، صيغة التجاور والتنسيق بحدوده الدنيا وعلى قاعدة التساند، ولا توقيع منفرداً قبل وصول المسارات الأربعة إلى نتائج حتى لو سبق مسار المسار الآخر، إذ لا ترابط ملموس وقانوني بين إطارات ومسارات المفاوضات.

واتفاق أوسلو (1) قطع الخيط الرفيع في الصيغة الفلسطينية ـ الأردنية كما رست بمفاوضات واشنطن. وبذلك لم يتبق من صيغة مدريد ـ واشنطن أي رابط بين المسارات العربية..

وكما قلنا، فإن صيغة مدريد نفسها لا تربط بين مسارات المفاوضات والحلول. وكان هذا معلوماً لنا وللجميع قبل مدريد، وكثيرة جداً هي الجهود والحوارات التي تمت من جانبنا في إطار القيادة الفلسطينية ومع الدكتور حيدر عبد الشافي وفريقه، ومع الملك حسين، والقيادة السورية ممثلة بنائب الرئيس عبد الحليم خدام، للربط بين المسارات. وقد قمت شخصياً بأكثر من جولة عربية في هذا الاتجاه عملاً بقرارات مجلسنا الوطني وحرصاً على الربط بين الوطني والقومي. مع قيادات دول الطوق كما مع الملك الحسن الثاني، الرئيس بن جديد، رئيس الوزراء التونسي ـ ووزير الخارجية، الرئيس عمر البشير، الرئيس علي عبدالله صالح وقادة دول أخرى.

لقد وضع اتفاق أوسلو نهاية الأمل بدفع وتطوير سقف صيغة التجاور خطوة ما، وانتهت صيغة مدريد ـ واشنطن!

وباللقاءات مع الملك حسين كان واضحاً أن فك الارتباط الإداري والقانوني بالضفة الغربية (تموز/ يوليو 89) نقل دائرة المشكلات بين الأردن وإسرائيل إلى المشكلات الإقليمية التي ميدانها اللجان المتعددة الأطراف، ولكن هامش من صيغة الوفد الأردني ـ الفلسطيني، وخصوصية العلاقات الفلسطينية ـ الأردنية، راوحت إلى أن وضع اتفاق أوسلو نهاية لها.

ومعلوماتنا من عدد بارز من الشخصيات المسؤولة الأردنية، ومن بينها السيد طاهر المصري أثناء رئاسته لمجلس الوزراء وبعد تسلم الدكتور المجالي رئاسة الوزراء كانت تشير إلى أن الاتفاق الأردني ـ الإسرائيلي سيكون جاهزاً بسقف شباط ـ آذار 94. ومع ذلك بقي معلقاً إلى ما بعد اتفاق أوسلو(2) (القاهرة 5 أيار/ مايو 1994) وبعد دخول عرفات لغزة (تموز/ يوليو 1994) وبذا فتح أوسلو (2) الطريق لاتفاق وادي عربة الذي تم التوقيع عليه برعاية الرئيس كلينتون في 17 تشرين الأول/ أكتوبر 1994.

■ فتح وسرّع اتفاق أوسلو الباب لتوقيع معاهدة وادي عربة، وهذا يدفعنا للتساؤل عن قواعد المفاوضات من كامب ديفيد حتى الآن وعن مصير المسارات الثنائية؟

■■ الأسبقيات الثلاث بيد حكومة رابين - بيريز، وبيد حكومة تحالف اليمين (نتنياهو) تمت على قاعدة أن الدولة العبرية هي الوريث الشرعي لفلسطين بحدودها الانتدابية، ومن مواقع إصرار حكومات إسرائيل منذ عدوان حزيران - يونيو 1967 على التفاوض مع كل طرف عربي مباشرة وثنائياً انطلاقاً من نظرية وراثة إسرائيل لفلسطين الانتدابية، وهذه الأسبقيات تشكل أدوات القياس بيد الدولة العبرية في كل مراحل المفاوضات وهي:

- كامب ديفيد وفق حدود أيار/ مايو 1921 بين مصر وفلسطين الانتدابية وبهذا تم فك ارتباط مصر الحيّ والعضوي والمباشر بالقضية الفلسطينية وبقيت غزة تحت الاحتلال.

- أوسلو (1) و (2)، الأرض المحتلة عام 1967 هي «أرض متنازع عليها».

- وادي عربة معاهدة على ذات القاعدة وطبق الحدود التي رسمتها وزارة المستعمرات البريطانية بين الأردن وفلسطين في أيار/ مايو 1922. ولم يعد الخط الفاصل خط الرابع من حزيران/ يونيو 1967. كما تم ضم وتبادل الأراضي في وادي عربة وبذلك بقيت المستوطنات على الأرض الأردنية التي احتلتها الدولة العبرية عام 1968 في جنوب الأردن. وللدولة العبرية أسبقيات الأمر الواقع في الخمسينات مع الأردن (ميناء أم الرشراش - إيلات) والمنطقة المنزوعة السلاح مع سورية (في الحولة ومحيطها). وتم إلحاق مستوطنات وادي عربة والباقورة بالدولة العبرية، وتم تأجير أراضٍ في وادي عربة والغور الشمالي. إضافة إلى سحب 25 مليون متر مكعب من المياه الجوفية الأردنيةً في وادي عربة للمستوطنات وإمكانية سحب 25 مليون متر مكعب أخرى مقابل الإفراج عن 50 مليون متر مكعب سنوياً للأردن من بحيرة طبريا!

وأضاف حواتمة باندهاش:

■■ هذه الأسبقيات الثلاث وضعتها حكومة رابين - بيريز علّى طاولة المفاوضات السورية - الإسرائيلية، ومرة أخرى تقدم دولة إسرائيل نفسها مع سورية بأنها أيضاً «الوريث الشرعي الوحيدلفلسطين الانتدابية» وهذا ما تفعله حكومة نتنياهو الآن!!

■ وكيف انعكس ذلك فعلياً على المسار السوري. أو بصيغة أخرى: كيف انعكست الحلول الثنائية التي تمت على مسار الحل الشامل الذي دعت إليه سورية وعواصم عربية أخرى؟

فرد حواتمة، وهو يهز رأسه موافقاً على صيغة السؤال:

■■ على قاعدة الأسبقيات الثلاث أدارت حكومة رابين ـ بيريز المفاوضات مع سورية ولبنان. وقدمتها بصيغة خيارات ثلاثة، وتنقّلت من تكتيك: «عمق السلام يحدد عمق الانسحاب» والمقصود هنا: التطبيع.. السفارات.. الحدود الاقتصادية المفتوحة.. حرية تنقل رأس المال والأفراد.. السياحة.. التطبيع والعلاقات الدبلوماسية مع الأقطار العربية.. السوق الشرق أوسطية...

كما تنقلت في جولات أخرى من تكتيك «انسحاب من الجولان» وليس «الانسحاب من الجولان» إلى «انسحاب في الجولان».

وأخيراً الخيارات الثلاثة وهي:

- الانسحاب إلى حدود آذار/ مارس 1923، التي رسمها الاستعماران الفرنسي والبريطاني، كما هي الحال في اتفاقات كامب ديفيد.. وهذا يعني بوضوح انسحاب «في الجولان» وليس «من الجولان». وبذا تقدم الدولة العبرية نفسها على أنها الوريث الشرعي الوحيد لفلسطين الانتدابية، وبذلك تسعى إلى ضم الأجزاء النافعة من الجولان: الزراعية والمائية السطحية فضلاً عن الجوفية. وعلى امتداد الشريط من سفح جنوب جبل الشيخ إلى منطقة الحمة جنوب طبريا. وهذا الشريط يشمل أنهار بانياس والحاصباني والدان إضافة إلى الآلاف من الينابيع ومياه الحمة، وهي تساوي 445 مليون متر مكعب من المياه السطحية من مجموع استهلاك الدولة العبرية المائي السنوي، الزراعي والصناعي والبشري الذي يساوي 1800 مليون متر مكعب من المياه، وإسرائيل تقدر استهلاكها من مياه الجولان بـ 30٪ من مجموع استهلاكها المائي السنوي.

- مبادلة أرض بأرض وتأجير أرض وضمان تدفق مياه الجولان إلى الدولة العبرية، وفي هذا تقدم إسرائيل أسبقية وادي عربة. وعليه يتم رسم حدود جديدة لا هِيَ حدود 4 حزيران/ يونيو 67 ولا حدود آذار/ مارس 1923.

- والأسبقية الثالثة اعتبار الجولان «أرضاً متنازعاً عليها»، وتصر إسرائيل على ضمها للدولة العبرية تحت شعار الضرورة الأمنية والمائية الاستراتيجية، وهذا ما تتمسك به الآن حكومة نتنياهو وتحالف اليمين، فهي تصر على المفاوضات بدون شروط مسبقة، وفي هذا شرط مسبق فالدولة العبرية تحتل الجولان وتستثمر مياهه وتبني المستوطنات الجديدة. وكل هذا يتناقض مع القرارين 242 و 338 والأرض مقابل السلام.

وحكومة نتنياهو تطرح العودة للمفاوضات من حيث بدأت في مدريد - واشنطن، وترفض استئنافها من حيث النقطة التي انتهت عندها، أي تريد التراجع إلى نقطة الصفر التي راوحت عندها زمن حكومة شامير حتى حزيران/ يونيو 1992 عندما سقطت حكومة شامير تحت مناخ الانتفاضة وبأن لا حل عسكرياً ويجب البحث عن حل سياسي.

وعلى الجانب الآخر، أصرَّت سورية على صيغة القرارين 242 و 338 بعدم جواز الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة، ومبدأ الأرض مقابل السلام. ولذلك أصرَّت على :

- الانسحاب إلى ما وراء خطوط الرابع من حزيران/ يونيو 1967.

- رفض صيغة الأسبقيات الثلاث. أي رفض صيغة «الحدود الدولية الانتدابية» في حدود آذار/ مارس 1923، حيث أعلن بيريز وفايتسمان استعداد اسرائيل الانسحاب إلى هذه الحدود. كما تعهد رابين برسائل خطية إلى الإدارة الأمريكية بالانسحاب إلى خطوط آذار 1923، ومن موقع أن إسرائيل هي الوريث الشرعي الوحيد لفلسطين الانتدابية. كما رفضت صيغة «تبادل وتأجير الأراضي» وصيغة «الأرض المتنازع عليها» التي يصر عليها نتنياهو وحكومة تحالف اليمين.

- وفي الانتقال للمفاوضات الأمنية بنت سورية موقفها على أساس أن كل البحث السوري يستند إلى خط 4 حزيران 67، وفي هذا السياق جاء الاقتراح السوري بأن تكون نسبة المنطقة المنزوعة السلاح على جانبي خط 4 حزيران 1967 بنسبة 10 إلى 6.

- كما صمدت معادلة تلازم المسارين السوري واللبناني لعمليات فصلها بالقوة العسكرية (عملية الحساب، عملية عناقيد الغضب، تهديدات نتنياهو، والضغوط السياسية زمن رابين) والآن تحت شعار «لبنان أولاً» وشعار «الربط بين الإعمار والاستقرار» وقوة الفصل المتعددة الجنسيات بما فيها مصرية وأردنية ومغربية كما تطرح حكومة نتنياهو.

■ هل يمكن تصور مجموعة الاتفاقات التي تمت حتى الآن بالإضافة إلى ما قد يعقد مستقبلاً على أنه سلام شامل في منطقة الشرق الأوسط؟!

رد حواتمة بحدّة:

■■ الآن يفصلنا خمس سنوات على مدريد، وثلاث سنوات على أوسلو، وثمانية قمم دولية برئاسة كلينتون تحقن اتفاق أوسلو بالمنشطات لإعادة تعويمه، وتسويقه وصب أموال الدول المانحة في طاحونة أجهزته البيروقراطية الإدارية والأمنية.. والعالم كله يعترف أن "سلام أوسلو هو سلام هش"، وعملية السلام في الشرق الأوسط "مهددة بالإنهيار" على حد قول كلينتون مراراً. بل "وفي طريق مسدود والجميع الآن في حيرة" بتعبير بريماكوف عند انتهاء جولته الشرق أوسطية الأخيرة. كذلك فإن أوروبا تصرخ لن نبقى صندوق تمويل.. نريد دوراً سياسياً ملموساً وتشجعت أوروبا بمشاركة فرنسا بلجنة الرقابة الخماسية لتنفيذ «تفاهم نيسان/ أبريل» في جنوب لبنان، الذي اعترفت به اسرائيل وأمريكا والعالم وبتفاهم مكتوب بحق المقاومة للاحتلال في جنوب لبنان، بينما كانت قوى "إرهابية" حتى إبرام تفاهم نيسان!

مع ذلك، فقد أصبح ملموساً ومرئياً لنا وللعالم أن السلام «الشامل» الذي تحاول واشنطن إغلاق دائرته على المسارين السوري واللبناني، هو سلام جمع الحلول الثنائية والقول إن هذا هو السلام الشامل.

إن السلام الشامل المتوازن شيء، وسلام حاصل جمع الحلول الثنائية شيء آخر لايرتبط بسلام الشرعية الدولية، السلام الشامل القائم على انسحاب المحتلين إلى ماوراء خطوط الرابع من حزيران / يونيو 1967، من الأرض الفلسطينية والعربية المحتلة بما فيها القدس الشرقية وحق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير والدولة المستقلة وحل مشكلة الشعب اللاجئ، (الذي تجاهلته اتفاقات أوسلو -1- و -2-) وفق القرار الأممي 194، والنازح وفق قرار مجلس الأمن 237.

وعلا صوت نايف حواتمة وتسارعت جمله ونبراته:

■■ إن «سلام أوسلو + تجميع الحلول الثنائية» لايقود إلى السلام العربي – الإسرائيلي الذي دعت له قرارات القمم العربية من الرباط 1974 إلى القاهرة 1996 والتزام معادلة الشرعية الدولية.

وإن الذي تم حتى الآن يشير إلى سلام آخر يقوم على: تهويد القدس، ضم الكتل الاستيطانية وأراضٍ أخرى في الضفة، ونهر الأردن حدود سياسية وأمنية للدولة الإسرائيلية.

برنامج تحالف اليمين (نتنياهو ـ شارون ـ إيتان) يعتبر الضفة بكاملها «قلب وطن الشعب اليهودي»[8] وجزءاً من «أرض اسرائيل الغربية»[9] وإن العرب «خلقوا بالأكاذيب شعباً دعوه الشعب الفلسطيني»[10] وإن «البقرة المقدسة المتمثلة بالقضية الفلسطينية يمكن حلها في إطار الدولتين المستقلتين القائمتين على أرض إسرائيل الغربية والشرقية: إسرائيل والأردن».[11]

رتب حوالمة أوراقه التي عاد إليها وهو يفند برنامج تحالف اليمين الإسرائيلي. وهدأت حدة صوته، فتابعت طرح الأسئلة عليه:

■ والسلام.. حتى ما يسمونه بسلام أوسلو.. أين يأتي موقعه من برنامج حكومة نتنياهو الذي تتحدث عنه؟

عاد حوالمة إلى أوراقه، وبعد برهة، التفت وقال:

■■ «إن الشعار (أراضٍ مقابل السلام) غير صحيح من أساسه»[12].

هذا ما يقرره نتنياهو بل ويقول بالحرف:

«إن معظم الجمهور الإسرائيلي يؤمن بأن إسرائيل لا يحق لها التفريط بالسيطرة الاستراتيجية على الجولان، ومناطق يهودا والسامرة» (الضفة الغربية).. «وسيطرة إسرائيل على هذه المناطق ليست عائقاً أمام السلام، وإنما هي عائق أمام الحرب.. وإن وجود إسرائيل، بالذات، في هذه المناطق، هو الذي ردع العرب.. وهو الذي زاد احتمالات تحقيق سلام حقيقي في المستقبل»[13].

إن برنامج حكومة تحالف اليمين برئاسة نتنياهو يرسم اللوحة العملية، وأخذ ينفذها لخلق أمر واقع على الأرض وتحت شعار: إن الفلسطينيين والدول العربية سيتكيفون مع سياسة الأمر الواقع الإسرائيلية. إن إطلاق يد الاستيطان، ومصادرة الأرض، والمفاوضات مع سورية «دون شروط مسبقة» هي الأعمدة الثلاثة في برنامج تحالف اليمين.

وعاد حوالمة مرة أخرى إلى أوراقه ووثائقه وأخذ يقرأ فقرات من برنامج حكومة نتنياهو الذي صادقت عليه أغلبية الكنيست ونشرته الصحف الإسرائيلية:

---

(8) بنيامين نتنياهو، كتاب مكان بين الأمم، ص 153، الطبعة العربية الثانية، الأهلية للطباعة والنشر، الأردن، عمان 1996. صدرت الطبعة الأولى عن دار الجليل في الأردن عام 1995، والطبعة الانجليزية صدرت تحت عنوان "مكان بين الأمم"، بينما الطبعة العبرية تحت عنوان "مكان تحت الشمس".

(9) نفس المصدر، ص 153.

(10) نفس المصدر، ص 168.

(11) نفس المصدر، ص 142، 160، 162، وبرنامج الخطوط الأساسية هآرتس 1996/6/17.

(12) كتاب بنيامين نتنياهو، مكان بين الأمم، الطبعة العربية الثانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996 ص 310.

(13) نفس المصدر، ص 310.

■■ - إن الاستيطان في يهودا والسامرة وغزة وغور الأردن ذو أهمية قومية، ويعبر عن تجسيد الصهيونية وستعمل الحكومة على ترسيخ مشروع الاستيطان وتنميته في هذه المناطق، وترصد الموارد اللازمة لذلك.

- وتحافظ على إمدادات المياه من المصادر المائية في الجولان ويهودا والسامرة.

- تحصين مكانة القدس عاصمة أبدية للشعب اليهودي. والقدس الكاملة[14] هي مدينة واخدة وكاملة وموحدة ستبقى تحت السيادة الإسرائيلية إلى الأبد.

- التسوية الدائمة مع الفلسطينيين في إطار حكم ذاتي، وستعارض الحكومة إقامة دولة فلسطينية، أو أية سيادة أجنبية غربي نهر الأردن.

- ستعارض الحكومة منح سكان عرب (حق العودة) إلى مناطق أرض إسرائيل الواقعة غربي نهر الأردن.

- تعتبر الحكومة هضبة الجولان منطقة حيوية لأمن الدولة، وكذلك مصادرها المائية، وستشكل المحافظة على السيادة الإسرائيلية في الجولان أساساً لأية تسوية مع سورية[15].

أعاد حوالمة الوثيقة التي كان يقرأ منها إلى مكانها وأضاف:

■■ إن حكومة تحالف اليمين تعلن وتنفذ برنامجها في التوسع والاستيطان، وتغيير الطابع الجغرافي والديمغرافي للأرض المحتلة. فاتفاق أوسلو لم يضع قيوداً على الدولة العبرية لوقف الاستيطان. و«سلام أوسلو» ترك وراء ظهره قرارات الشرعية الدولية ضد الإستيطان ولم يستند إلى المرجعية الدولية واتفاقيات جنيف الرابعة لعام 1949 التي تمنع الاحتلال من أي تغيير في طابع الأرض المحتلة.

ولذا لا إمكانية لوقف زحف الاستيطان ونهب الأرض إلاّ بالنضال الجماهيري العريض، والوحدة الوطنية والتضامن العربي العملي والعودة إلى الشرعية الدولية..

لقد أحدثت الانتفاضة الكبرى (1987 - 1993) زلزالاً في المجتمع الإسرائيلي، ووصل قادة وجنرالات الدولة العبرية إلى القول بأن لا حل عسكرياً قمعياً مع الانتفاضة بل سياسي. وتحت ضغط الانتفاضة خسر الليكود وفاز العمل بانتخابات عام 1992.

إن اتفاق أوسلو ووقف الانتفاضة فتح شهية الأغلبية اليهودية الإسرائيلية لإطلاق يد التوسع والاستيطان في الضفة والقدس وغزة والجولان، فخسر حزب العمل وفاز الليكود.

الاستعصاء لايقف عند حدود: «حكم ذاتي زائد أو دولة ناقص»[16] كما تطرح حكومة تحالف اليمين. بل الاستعصاء متفاقم بزحف الاستيطان والتوسع وتهويد القدس.. الساعي

---

(14) أي القدس الكبرى، التي تساوي 22٪ من مجموع مساحة الضفة الفلسطينية المحتلة.

(15) برنامج حكومة نتنياهو، الخطوط الأساسية، صادق عليها الكنيست، البرلمان هآرتس 1996/6/17.

(16) نتنياهو يقدم أمثلة بورتوريكو وأندورا، وفي هذا تزوير لما يجري على الأرض، فالمثلين لايتعرضان لغزو استيطاني من الولايات المتحدة أو اسبانيا أو فرنسا. لتغيير الطابع الجغرافي والديمغرافي في كل من البلدين.

لابتلاع الأراضي المحتلة والسيادة العبرية عليها، وحتى لاتبقى بسقف العام 2000 «أرض يتم التفاوض عليها»[17] أبعد ما هو وارد بسقف اتفاق أوسلو[18].

والاستعصاء الكبير الآخر بإغراق الأرض المحتلة بالمستوطنين والبرمجة العملية النشطة ليصل العدد إلى نصف مليون وتطويق المناطق والمدن والقرى الفلسطينية الكثيفة السكان بكثافة سكانية، يهودية تشلّ الفصل السياسي وتعطل حق تقرير المصير والاستقلال الوطني للشعب الفلسطيني.

والاستعصاء الكبير الثالث تهويد القدس ومصيرها.

والرابع القفز عن القرارين الأمميين 194 لحل مشكلة 4 مليون في الشتات (لاجئين) والقرار 237 الضامن حق النازحين تحت ضغط حرب حزيران/ يونيو 1967. بالعودة دون قيد ولا شرط.

حكومة تحالف اليمين، سيدة اللاءات الأربعة: لا لعودة القدس، لا لحق تقرير المصير والاستقلال، لا لعودة اللاجئين والنازحين، ولا للانسحاب من الجولان.

وسيدة النعم الواحدة: نعم للاستيطان.

وصاحبة مشروع "السلام مقابل السلام والأمن مقابل الأمن". إن مشروع السلام الشامل المتوازن، سلام الشرعية الدولية تعصف به عاصفة حكومة اليمين. وهذا الذي يضع شعب الأرض المحتلة والشتات ومنطقة الشرق الأوسط في دوامة العمليات العدوانية والاستيطانية الكبرى، والانفجارات الشعبية الكبرى. هذا هو قانون حياة البشر والشعوب ضد الاحتلال والاستيطان.

■ اتفاقات أوسلو أصبحت الآن أمراً واقعاً بعرف الأغلبية من الدول والقوى على الخارطة السياسية... في هذه الحالة ألا يمكن البناء عليها كما يكرر أقطاب اليمين ويمين الوسط في م.ت.ف وفريق أوسلو وذلك باتجاه دولة مستقلة، وباعتبار أن البدائل المطروحة غير واقعية.

■■ صحيح أوسلو أمر واقع، كما الاحتلال أمر واقع، كما الاحتلالات الاستعمارية والاستيطانية كانت أمراً واقعاً في الأقطار العربية من المغرب والجزائر إلى الخليج واليمن. فماذا كان خيار الشعوب؟ الاستسلام أم النضال لتغيير الأمر الواقع وانتزاع الحرية وحق تقرير المصير.

شعبنا، ولخصوصية وفرادةِ القضية الفلسطينية مازال في مرحلة التحرر الوطني بينما أنجزت الشعوب العربية الأخرى حقها في التحرر والاستقلال، والصراع في صفها يدور على الخيارات الاستراتيجية في التقدم والدمقرطة والحداثة والعدالة الاجتماعية وسيادة القانون والتداول السلمي للسلطة.

---

(17) حتى أيار/ مايو1996، بيد الاستيطان 40،5٪ من الضفة المحتلة (22٪القدس الكبرى + 18،5٪ الكتل الاستيطانية الكبرى والطرق الالتفافية)، و 40٪ من قطاع غزة مستوطنات وطرق، وبمجيء حكومة تحالف اليمين، ألغت تجميد بناء مستوطنات جديدة، وألغت القيود على توسيع المستوطنات الموجودة في الضفة وغزة والجولان، وفتحت وتيرة التهويد في القدس وآخرها بناء مستوطنة جديدة في باب رأس العامود وأخرى في جبل أبو غنيم.

(18) حتى أيار 1999 يتم إعادة انتشار قوات الاحتلال على 27٪ من أرض الضفة، إضافة إلى 3،5٪ **من مساحة المدن السبعة.**

ولخصوصية الصراع تقدمنا باستراتيجية المراحل لحل معضلات الصراع الفلسطيني والعربي - الإسرائيلي الصهيوني.

وقد أدرك شعبنا بحركة مقاومته للاحتلال وبالانتفاضة الكبرى، والانفجارات الشعبية منذ أوسلو 1993، أن ليس أمامه سوى خيار النضال للخلاص من الاستيطان والاحتلال وأشكال النضال تنبع من طبيعة كل مرحلة، والآن تتخذ أعمق وأوسع طابع ديمقراطي جماهيري.

إن اتفاقات الأمر الواقع كما أن الاحتلال أمر واقع، لايمكن أن تشكل حلولاً لقضايا التحرر وتقرير المصير، وبالنضال نفتح النفق والممرات الإجبارية ونتجاوز عنق الزجاجة. وبسياسة واقعية وطنية وعملية لتحقيق سلام شامل متوازن وتحت الشرعية الدولية، دولتان على أرض فلسطين التاريخية وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وحق العودة لشعب الشتات.

نقدم بالنضال والسياسة البديل الواقعي لتجاوز أوسلو وإعادة بناء العملية التفاوضية الشاملة على قاعدة الشرعية الدولية.

ثلاث سنوات على أوسلو، واتضح أنه لم يأت لشعبنا بخطوات أساسية تحاصر غول الاستيطان وتهويد القدس، وترفع قيود الخنق الاقتصادي. بل ازدادت معاناته على جميع الصعد الحياتية والأمنية والسياسية. والانفجارات الشعبية هي الدليل الصارخ.

■ لكن هناك من يقول أن هذه الانفجارات هي بسبب عدم تنفيذ الاتفاقات!

ضحك حواتمة وقال ساخراً:

■■ هذا ادعاء لا أساس له. ذلك أن محاور الصراع الأكثر حدة في تعميق النقمة الشعبية هي طبعاً تلك التي تتجاهلها الاتفاقات ولا تلتزم إسرائيل بشيء إزاءها (القدس، الاستيطان، نهب الأرض، الإغلاق على المناطق المحتلة، الخنق الاقتصادي، البطالة التي تتجاوز 50٪، الاعتقالات الإدارية..الخ).

الحقيقة الماثلة هي أن الشعب انفجر، انتفض مراراً ضد الواقع الذي أنتجه تطبيق اتفاقات أوسلو، والتي كرست الاحتلال وفتحت شهيته التوسعية في الاستيطان ونهب الأرض وتسريع وتيرة تهويد القدس.

إنّ التعثر في بعض عناصر اتفاق أوسلو، هو انعكاس لأسلوب نتنياهو التفاوضي في خدمة سياسة تحالف اليمين، والتي ترمي إلى مراكمة الشروط والوقائع إلى اعتماد الحكم الذاتي للسكان سقفاً للحل الدائم وبما يضمن لاسرائيل السيادة على الضفة والقدس (مع ترتيبات خاصة لغزة) واستبعاد عودة اللاجئين والنازحين.

إن طبخة أوسلو لم تنته فصولاً بعد، وتجري الآن مباحثات بين الليكود والعمل (ميخائيل إيتان - يوسي بيلين) لتوليد إجماع وطني على اللاءات الشهيرة، تمهيداً لمفاوضات وحلول الوضع الدائم، والتي كان من المفترض أن تبدأ في أيار/ مايو 1996 زمن حكومة العمل (بيريز).

☆ ☆ ☆

قلت لنايف حواتمة:

■ أنتم تدعون إلى تجاوز اتفاقات أوسلو، وهذه الاتفاقات تأخذ صيغة الاتفاقات الدولية والسؤال الذي يطرح نفسه مباشرة، هو كيف يمكن تجاوز أوسلو؟ هل لديكم رؤية محددة حول ذلك؟

فرد حواتمة بسرعة:

■■ لنصحح التساؤل!

اتفاق أوسلو صفقة جزئية ثنائية شهد عليها الراعي الأمريكي وأحياناً الرئيس المصري (أوسلو 2 ـ القاهرة)، وتم تغييب الراعي الروسي!!

وأضاف بثقة ونبرة عالية:

■■ إن اتفاق أوسلو لم يتم إقراره من المؤسسة الدولية (الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن)، ولايستند إلى المرجعية الدولية (قرارات الأمم المتحدة). إنه مثل اتفاق 17 أيار/ مايو 1983، تم برعاية رئيس الجمهورية وصادق عليه مجلس الوزراء بالإجماع وكل مجلس النواب اللبناني ماعدا واحداً صوت ضده وواحداً كان غائباً. بينما أوسلو وقف معارضاً له أغلبية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وأغلبية فصائل المنظمة، ورفض فريق أوسلو دعوتنا للاستفتاء الشعبي عليه، كما رفض دعوة المجلس الوطني للبحث والبت به، ونقصد المجلس الوطني الذي أقر وفق أسس محددة المشاركة «بمؤتمر السلام» عشية مدريد.

إن قوى المقاومة الوطنية اللبنانية وبمساندة سورية والسوفييت تمكنت خلال عشرة أشهر من محاصرة اتفاق 17 أيار، فتراجع عنه رئيس الجمهورية وألغاه في آذار/ مارس 1984 باعتباره اتفاقاً غير عادل تم تحت ضغط دبابات الاحتلال.

وتابع حواتمة وقد تهدج صوته:

■■ شعبنا يناضل بطاقاته الذاتية في الميدان على الأرض المحتلة وفي الشتات لتجاوز الاتفاقات الظالمة ودفع عجلة السلام الآخر المتوازن والشامل إلى الأمام، والعوامل الفلسطينية الشعبية والمنظمة أوسع بكثير مما كانت عليه قوى المقاومة الوطنية اللبنانية في خطواتها الأولية لتجاوز اتفاق 17 أيار 1983، وهنا مساحات حوارنا مع العواصم العربية وخاصة مصر وسورية ولبنان والأردن، فمساندة شعبنا لتجاوز أوسلو نحو السلام الآخر المتوازن تختزل الزمن والمعاناة عند الجميع.

ونقول صراحة مثل هذه السياسة المتطورة على ضوء مراجعة دروس خمس سنوات على مدريد وثلاث سنوات على أوسلو لم تتبلور بعد.. والمصائر الوطنية والقومية محشورة في دول الطوق العربية بين عاصمة «تحاول اتخاذ سياسة مستقلة ثم لا تلبث أن تستدير تحت الضغط الأمريكي»، وأخرى أضعف من أن تخطو خطوة إلى الأمام «وتلعب اللعبة بالشروط الأمريكية» بتعبير جيمس بيكر في كتابه «الدبلوماسية بين الحرب والسلام» وأخرى تؤكد أنها «ضد اتفاق أوسلو وتعارضه، ولكن ليس عندها قرار بتطويقه وتجاوزه كما وقع مع اتفاق 17 أيار 1983، وكما تقول بالحوار معنا» وتبلغ عرفات أنها «تعارض أوسلو ولكنها لم ولن تلجأ إلى معارضة عملية لاتفاقات أوسلو».

حقاً كثيرة هي الأمثلة على تجاوز معاهدات واتفاقات أمر واقع ثنائية لا صفة ولا طبيعة قانونية ومؤسسية دولية لها، بل كثيرة هي الاتفاقات الظالمة التي تمت بضغط المحتلين وتم سقوطها أو تجاوزها.

والآن يعمل نتنياهو على عكس أسلوبه التفاوضي على تطبيق اتفاق أوسلو (1) و (2) بما ينسجم وبرنامج حكومة تحالف اليمين، وليس صحيحاً ادعاء أهل أوسلو ونفر من «المنظرين الذين غادروا صف اليسار» من أبناء الطبقة الوسطى الذين التحقوا باليمين ويمين الوسط الفلسطيني الذي وقّع صفقة أوسلو، بالقول إن حكومة نتنياهو «نسفت» و «ألغت» اتفاق أوسلو.

إن مثل هذه العناصر التي تحاول «غندرة» الاتفاقات الظالمة ظاهرة في عواصم عربية عديدة تبرر «للحاكم» الذي بيده توزيع "الأنعام" من وظائف وامتيازات وترويج نظريات قديمة مكرورة. مثل نظريات صاحب كتاب «مدرسة السادات السياسية» لتبرير كامب ديفيد بالأمس، واليوم أصحاب (ليس من بديل عن أوسلو بعد حرب الخليج الثانية).

■ كيف يمكن تجاوز أوسلو.. وماهو البديل الواقعي والممكن بنظر نايف حواتمة؟

■■ إعادة بناء العملية التفاوضية في إطار مفاوضات الحل الدائم يفتح ملف تجاوز أوسلو. ولكن لهذه العملية مقوماتها، ولاتقع برغبة ذاتية عند التلويح بشعارات تبرز في تصريحات فريق أوسلو، ولأغراض تكتيكية إعلامية محددة لاتصمد بالتجربة عند كل حالة مفصلية.

إن تجربة الجزائر تقدم دروساً ومقومات، وتجربة تونس وجنوب إفريقيا وعديد غيرها تقدم أمثلة حية وملموسة، على تجاوز الاتفاقات الثنائية غير المتوازنة والتي فرضها «ميزان القوى» و «أزمة الحركة الوطنية» في مرحلة من الصراع.

الجزائر عانت من احتلال استعماري استيطاني أحكم سلطانه على أجهزة الحكم والأرض والثروة الطبيعية والنفطية، ومليوني مستوطن (مُعَمِّر)، وأكثر من نصف مليون جندي بكل آلة الحرب المتطورة.

الحكومة المؤقتة أبرمت اتفاقات إيفيان الأولى (بداية 1961) التي أعطت امتيازات للمحتلين والمستوطنين، رفض الشعب الجزائري اتفاقات إيفيان الأولى، وانحاز جيش التحرير على الحدود التونسية وثوار الداخل للشعب، وبذا ذهبت الحكومة المؤقتة للمفاوضات من جديد على قاعدة إعادة بناء العملية التفاوضية بالاستناد إلى القرارات الدولية بحق تقرير المصير.. وتمت إعادة بناء التيارات والقوى في صف الشعب، وفي صف مؤسسات الحركة الوطنية الجزائرية، وإعادة بناء جسور العلاقة بين الوطني والعربي والدولي، بين الجزائر والبلدان العربية والمؤسسات الدولية.

و كثف حواتمة جوابه قائلاً:

■■ بهذه الأعمدة الحكيمة والواقعية، جمعت تجربة الجزائريين مواصلة النضال الجماهيري المسلح وبين المفاوضات، إلى أن تجاوزت اتفاقات إيفيان الأولى ونتائجها نحو اتفاقات إيفيان الثانية، وبتضحيات بشرية جديدة وكبيرة جداً، حيث تم الإقرار بحق الشعب الجزائري بتقرير

المصير، وتم توقيع الاتفاقية في 1962/3/18 ووقعها عن الجانب الجزائري وزير خارجية الحكومة المؤقتة كريم بلقاسم واختار الشعب باستفتاء (5) تموز/ يوليو 1962 الاستقلال التام.

ثم عاد حواتمة إلى ذاكرته، ليقول:

■■ وبالحوار بيني وبين كل من الرئيس بومدين، ثم الرئيس بن جديد، ومع علي كافي قائد المنطقة الرابعة، وفيما بعد رئيس مجلس الرئاسة، ومع الرئيس اليامين زروال قبل أيام في الجزائر أكدوا جميعاً أن المجلس الوطني لجبهة التحرير استمر بالحوار أكثر من ستة أشهر في مناقشة «مسودة إيفيان الثانية» وقد دخلوا أعمال دورة المجلس بالشتاء وانتهوا بعد ستة أشهر كاملة، إلى أن قرروا المصادقة على الاستفتاء حسب إيفيان الثانية بين ثلاثة خيارات: الاستقلال ـ فيدرالية مع فرنسا ـ حكم ذاتي كامل في إطار فرنسا.

لقد خشيت قوى الشعب وائتلاف جبهة التحرير من وضع مصير الشعب والوطن بورقة الاستفتاء كما روى هؤلاء القادة، والخشية من مناورات المحتلين والمستوطنين التلاعب بورقة الاستفتاء بقيت حتى ربع الساعة الأخير. فكان خيار الاستقلال باستفتاء 5 تموز/ جويليه 1962.

ولم تقف الصراعات داخل جبهة التحرير الائتلافية ـ الحكومة المؤقتة ـ جيش التحرير، سدّاً في طريق تقديم الوحدة الوطنية على أساس القواسم المشتركة أولاً ولم يقع الانقسام في صف الشعب وائتلاف مؤسسات جبهة التحرير، والذي خطط له المحتلون والمستوطنون.

وبدا استرسال نايف حواتمة في استحضار التاريخ متوافقاً مع موضوع أوسلو، فلم يكد ينتهي من الحديث عن تجربة الجزائر حتى انتقل إلى تجربة تونس وغيرها:

■■ تجربة تونس تقدم مثلاً من نوع آخر. فالرئيس الحبيب بورقيبة وافق على «الحكم الذاتي تحت مظلة الاحتلال»، وبقاء شؤون تونس الخارجية في الدفاع والأمن الخارجي (البر، البحر، الجو) بيد المستعمرين، وعلى امتيازات المستوطنين.

أدى هذا إلى انقسام الحركة الوطنية وجيش التحرير، فقد وافق بورقيبة على إلقاء السلاح تحت شعار «وقف العنف» والانقسام أدى إلى الحرب الأهلية والاقتتال التونسي ـ التونسي.

بورقيبة استخلص الدرس سريعاً، فشكل حكومة ائتلافية وتسلم بها الرئاسة ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع بما يتناقض مع الاتفاقات. ولم يسلّم بتهديد الكولونيالية بإعادة احتلال مناطق الحكم الذاتي. كما أعاد بورقيبة سريعاً الوحدة الوطنية في صف كل قوى وأحزاب وتيارات الحركة الوطنية وفي المقدمة التي تصارع معها، لمواجهة المحتلين والمستوطنين بقوى الشعب المنظمة.. ونالت تونس الاستقلال الكامل بعد ثمانية عشر شهراً فقط من توقيع اتفاق الحكم الذاتي، الذي نص على احتفاظ فرنسا بالشؤون الخارجية والدفاع والأمن التونسية مدة عشرين سنة، بما فيه القواعد العسكرية، وبعدها يتم التفاوض على ما بعد الحكم الذاتي..

وصمت حواتمة قليلاً، ثم أردف قائلاً:

■■ التقيت الرئيس بورقيبة غير مرة. وفي كل مرة كان يتحدث فيها عن تجربة تونس، ويحذر من مرارة الانقسام في الصف الوطني.

وفي اللقاءات مع قادة تونس، وآخرها قبل أسابيع مع وزير الخارجية الحبيب بن يحيى والأمين العام لحزب التجمع الوطني الديمقراطي الدستوري الحاكم عبد العزيز بن ضياء.. قالوا: إن القيادة التونسية توقعت الإفادة من تجربتها، لا الذهاب نحو حكم ذاتي مجهول الأفق، تعصف به رياح الاستيطان وحكومة نتنياهو.

وتأمل حواتمة أوراقه وهو يتابع:

■■ إن قادة تونس يعتقدون أن فخ الحرب الأهلية منصوب لنا منذ مؤتمر مدريد، عندما وقع الانقسام في منظمة التحرير والفصل بين الداخل والخارج، والآن بعد الانقسام الكبير في صف الشعب منذ اتفاق أوسلو!

الوزير بن يحيى قال في حوارنا المشترك: لقد تمنينا على عرفات، ونؤكد هذا معكم، أن تفيدوا من تجربة مانديلا بصيانة الوحدة الوطنية، فقد استوعب مانديلا وقادة الحركة الوطنية حتى قبائل الزولو! فالوحدة الوطنية هي السلاح الأقوى لتجاوز مشاريع الحكم الذاتي والحرب الأهلية والانقسامات في صف الشعب والقوى الوطنية.

وأضاف حواتمة موضحاً:

■■ تجربة جنوب افريقيا نموذج آخر. فقد تمكنت حكومة التمييز العنصري من تمزيق وحدة البلاد، وفرضت أنظمة الحكم الذاتي في مناطق السود بأشكال متنوعة، «معازل، غيتوات، بانتوستانات»، «ممالك داخلية مِنْ مملكة الزولو إلى مملكة الأورانج»، ومع الاحتفاظ بالسيادة السياسية والشؤون الخارجية والأمنية بيد حكومة بريتوريا العنصرية البيضاء.

وتمكنت بريتوريا من تفكيك دول المواجهة الست (الخط الأمامي) المساندة لتحالف حزب المؤتمر الوطني ـ القوى اليسارية والشخصيات الوطنية، وإغراقها بالحروب الأهلية الداخلية وعمليات التدمير العدوانية والخنق الاقتصادي. ثم جاء انهيار الاتحاد السوفييتي الحليف الدولي لحزب المؤتمر.. وضغوط الرئيس جورج بوش على مانديلا لفك التحالف بين المؤتمر واليسار مقابل مساعدات مالية سخية ودعوة مانديلا لوقف النضال المسلح وإلقاء السلاح (رمح الأمة) مقابل وعد المساعدة بالضغط على حكومة بريتوريا وعواصم أوروبية، وخاصة بريطانيا وألمانيا، كانت مع حكومة بريتوريا علناً وضد حزب المؤتمر ـ اليسار، ومانديلا «إرهابي أسود» بنظر مارغريت تاتشر.

وبالرغم من كل هذا تجاوز ائتلاف حزب المؤتمر ـ اليسار كل مشاريع الحكم الذاتي والممالك الداخلية، وبالوحدة بين قوى الائتلاف والقواسم المشتركة تم إنجاز الحل الوطني التحرري من العنصرية والحل الديمقراطي بين «القوميات والأثنيات والديانات» في جنوب أفريقيا رغم الشلل الكامل لدول المساندة وتفكك الحليف السوفييتي.

■ يعني أن تجاوز اتفاق أوسلو هو عمل ممكن وواقعي؟!

فقال وهو يعرض مقومات آلية تجاوز هذا الاتفاق:

■■ إن تجاوز اتفاق أوسلو (1) و (2)، وتطبيقاته المرَّة، ومحاصرة الاستيطان الزاحف، وتهويد القدس، وإهمال حقوق اللاجئين والنازحين، وبناء مؤسسات المجتمع المدني على قاعدة الديمقراطية التعددية وحقوق الإنسان، وفك طوق الإغلاق والخنق الاقتصادي...

إن تجاوز هذا المسار ممكن وواقعي، ولكن له عناوينه ومقوماته وفي المقدمة:

ـ إعادة بناء وحدة الشعب والحركة الوطنية داخل الوطن المحتل، وبين الداخل والخارج، فالانقسام واسع ومذهل ونازف، وفوق هذا مرئي لشعبنا والخارطة العربية والدولية.

دعونا لحوار وطني شامل بين جميع القوى المنظمة والتيارات والشخصيات الوطنية على مساحة الطيف الوطني من فصائل وأحزاب يسارية ديمقراطية، قومية، إسلامية سياسية.

إن الوحدة الوطنية تؤَسَّس على قاعدة القواسم (الجوامع) المشتركة وعلى مائدة حوار وطني شاملة لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية وحماس والجهاد الإسلامي.

لقد أطلقت الجبهة الديمقراطية، والقيادة الموحدة للجبهتين مبادرة ملموسة لإعادة بناء الوحدة في صف الشعب وائتلاف منظمة التحرير الفلسطينية ومجمل الحركة الوطنية.

وقد علمتنا التجربة أن الوحدة الوطنية هي السلاح الأقوى بيد شعبنا، وبيد الجميع. وتم هذا بدرجات متفاوتة من عام 1964 إلى عام 1993 عندما جرى توقيع اتفاق أوسلو الجائر، نقيض البديل الوطني الواقعي الذي قرره مجلسنا الوطني والمجلس المركزي لمنظمة التحرير وبعيداً عن المرجعية والشرعية الدولية (قرارات ومؤسسات).

ـ إعادة بناء وإحياء مؤسسات م.ت.ف، واحترام استقلاليتها وتمثيلها لشعبنا الواحد في الوطن والشتات بديلاً عن إلحاقها بمؤسسات الحكم الذاتي وإلغاء دورها ومهماتها كما هو حاصل منذ أوسلو حتى يومنا.

إن مؤسسات م.ت.ف الائتلافية تمثل بنظر شعبنا حقوقه ومصالحه الوطنية والسياسية، وتحظى بالاعتراف الاقليمي والدولي الواسع من الدول العربية إلى الأمم المتحدة ممثلاً شرعياً ووحيداً لشعبنا. والذي يجري منذ أوسلو محاولة تهميش دور م.ت.ف واعتماد سلطة الحكم الذاتي في حدود سكان الضفة والقطاع. والتهميش يتم تحت سقف أوسلو الذي تجاهل القرارين الأمميين 194 بحقوق اللاجئين و237 بحقوق النازحين.

إن اللجنة التنفيذية لِ م.ت.ف بدون مهمات، والسابقة تَمَّ تغييب دورها لأن نسبة القوى داخلها ليست في صالح فريق أوسلو. والحالية يتم تعويم دورها وإلحاقها بمجلس الحكم الذاتي رغم أن الأكثرية العددية تم تركيبها في 22 نيسان 1996 في صالح فريق أوسلو. وكل هذا مرتبط بتغييب دور مؤسسات م.ت.ف الائتلافية التي تمثل وحدة الشعب ووحدة حقوقه الوطنية والسياسية في الوطن والشتات في كافة أماكن تواجده.

والمجلس المركزي لم يجتمع منذ (42) شهراً رغم أن نظامه الداخلي يشترط عقده كل ستة أشهر ليكون رقيباً وحسيباً على تنفيذ قرارات المجلس الوطني الفلسطيني.

والمجلس الوطني لم يجتمع لفحص اتفاق أوسلو، رغم دعوات أكثر من ثلث أعضائه لعقد دورة سريعة ومراجعة اتفاقات أوسلو 1، ثم أوسلو 2 ونظام المجلس يقرر إلزامية عقده عملاً بطلب من ربع أعضائه.

ودعاه رئيس ل.ت بعد ثلاث سنوات على اتفاق أوسلو ـ1ـ (13 أيلول / سبتمبر 1993) بعد أن أعاد تركيبه وإغراقه بـ (250) عضواً جديداً بالتعيين من قبل رئيس ل.ت نقيض لائحة النظام الداخلي للمجلس. وتم استدعاؤه بعد أن أصبح ممكناً بتركيبته الأخيرة (تمرير استحقاقات أوسلو واتفاقاته وإلغاء الميثاق الوطني دون مقابل نزولاً عند شروط أوسلو 1، 2 والرسائل المتبادلة بين عرفات ورابين 1993/9/9).

وهكذا تم حشر مؤسسات م.ت.ف بين فكي كماشة «التغييب فإلغاء المهمات والإلحاق بمؤسسة سلطة الحكم الذاتي». وهذا ما يستدعي أهمية وضرورة إعادة بناء وتفعيل مؤسسات م.ت.ف الائتلافية الوطنية على قاعدة إعادة بناء الإجماع الوطني والقواسم المشتركة، فمصير كل الشعب والوطن مطروح بين سلام الشرعية الدولية بحق تقرير المصير والدولة المستقلة وحل مشكلة الشعب اللاجئ وبين ختم مصائر الوطن والشعب بسقف أوسلو (الاستيطان والضم الزاحف وتهويد القدس مقابل حكم ذاتي + أو دولة ناقص على سكان الضفة والقطاع).

- إن الحوار وإعادة بناء الإجماع الوطني، مادته الرئيسية تدور حول الاستراتيجية التفاوضية التي ينبغي العمل بها في مفاوضات «الوضع الدائم»، وكذلك القضايا العالقة في المرحلة الانتقالية.

والحوار يتناول برنامج النضال الوطني ضد الاستيطان ومختلف المحاور: القدس، نهب الأرض، الحصار الاقتصادي، حقوق اللاجئين والنازحين، دور الأونروا.... لبناء وحدة وطنية شعبية في الميدان، تعبئ طاقات الفعل الجماهيري، ومراكمتها لتصحيح نسبة القوى في صف الشعب حتى يتم تجاوز قيود أوسلو وسقف حلول الحكم الذاتي.

والحوار الوطني بالضرورة عليه تناول قضايا المجتمع المدني وشبكة مقوماته من التعددية الديمقراطية وحقوق الإنسان واستقلالية الاتحادات النقابية والمهنية ومنابر الإعلام الجماهيري من صحافة وإذاعة وتلفزيون.. عن عمليات الإلحاق بهياكل السلطة. وهكذا يتم بناء منظومة المجتمع المدني وحقوق التحالف والصراع الديمقراطي. والشراكة في صنع القرار السياسي بدلاً عن سياسة الانغلاق التام على القرار كما وقع في عام 1991 إلى يومنا.

إن استراتيجية تفاوضية وطنية ناجحة هي التي تستند إلى أعمدة الوحدة الوطنية وإحياء مؤسسات م.ت.ف الائتلافية والالتزام ببرنامج القواسم المشتركة وبرنامج النضال الجماهيري في الميدان في الأرض المحتلة والشتات. وهي تقوم على:

- أن تجري المفاوضات على أساس قرارات الشرعية الدولية (242، 338، 194، 237) والأرض مقابل السلام.

- مرجعية المفاوضات هي منظمة التحرير الفلسطينية بتكوينها الائتلافي، والذي تتم استعادته على قاعدة برنامج القاسم المشترك وآلياته العملية. والذي منه استمدت وتستمد م.ت.ف مكانتها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني.

- استعادة الترابط والتنسيق بين المسارات العربية التي مازالت أراضيها الوطنية محتلة، والتنسيق بين الأقطار الخمسة (فلسطين، الأردن، سورية، مصر، لبنان). وفي سياق هذا، كل الجهد لترميم التضامن العربي وتفعيل وتطوير قرارات قمة القاهرة العربية.

- أن تجري المفاوضات برعاية دولية موسعة تكفل إشرافاً متوازناً (أوروبا، اليابان، الصين، روسيا، بجانب الولايات المتحدة) حتى لاتبقى "عملية السلام" تحت الإشراف الأمريكي المنفرد.

إن التفرد الأمريكي ترك "عملية السلام الشامل المتوازن" متعثرة منذ 1973 وخطوات فك الارتباط على الجبهتين المصرية والسورية، وعلى مدى 23 عاماً لم تأت الخطوات الثنائية بالسلام الشامل المتوازن، سلام الشرعية الدولية. وواقع سلام الإشراف الأمريكي الوحيد وحتى عام 1997 يوصي بضرورة الرعاية الدولية الموسعة وصولاً للسلام الآخر المتوازن.

■ والعلاقة مع التجمعات المنادية بالسلام في إسرائيل؟

■■ إن تجاوز برنامج حكومة تحالف اليمين برئاسة نتنياهو، يتطلب بالضرورة صياغة العلاقات مع معسكر السلام والديمقراطية الإسرائيلية على قاعدة سلام حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، ويتطلب بالضرورة فعلاً متنامياً لقوى معسكر السلام الإسرائيلي يلجم ويوقف برنامج حكومة تحالف اليمين الاستيطاني التوسعي والذي يعصف بعملية السلام ويضعها في مهب الدمار.

إن «سلام القوة» الذي ينادي به نتنياهو لن يقود إلى السلام ولن يؤدي إلا إلى مزيد من الدم والألم والدموع للفلسطينيين والإسرائيليين والعرب. فسلام القوة لن يستقر على جسد شعبنا في الأرض المحتلة والشتات، ويفتح دوامة العنف والصراع في الشرق الأوسط، والعالم لن يقف مكتوف الأيدي بما فيه داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.[19]

وفي قلب معسكر السلام باسرائيل يقف أبناء الشعب الفلسطيني داخل الدولة العبرية في المثلث والنقب والجليل والساحل لتنمية وتطوير الدور الكبير نحو سلام الشرعية الدولية، نحو السلام الآخر، السلام الشامل المتوازن بين الشعب الفلسطيني والدولة العبرية، ونحو حق (950)

---

[19] مذكرة وزراء الخارجية الثلاثة والموظفين الخمسة الكبار في أربع حكومات أمريكية إلى نتنياهو تطالبه "بالكف عن الأعمال والخطوات أحادية الجانب التي تحول دون تسوية متفق عليها، وسلام شامل ودائم، وتخشى أن تكون الخطوات أحادية الجانب مثل توسيع المستوطنات غير مجدية.... وإذا ما نفذ ذلك فقد تتوقف عملية التقدم التي تم إحرازها في العقدين الأخيرين، وهذه النتيجة بدورها تهديد لأمن إسرائيل ولفلسطين والدول العربية الصديقة، وستخرب على مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط"...

ووقع النداء جيمس بيكر (وزير خارجية بوش)، لورانس ايغلبرغر (وزير دفاع بوش)، سايروس فانس (وزير خارجية كارتر)، والمستشارون للأمن القومي، زبيغنيو بريجنسكي (حكومة كارتر)، فرانك كارلوتشي (حكومة ريغان)، وبرنت سكوكروفت (حكومة فورد وبوش)، والمبعوثان الخاصان للشرق الأوسط: ريتشارد فيربنكس (حكومة ريغان)، روبرت شتراوس (حكومة كارتر)، وخمسة من هؤلاء جمهوريين، وثلاثة ديمقراطيين. جريدة هآرتس الإسرائيلية 1996/12/16.

ألف فلسطيني في إسرائيل بالمساواة بين الناس، بين المواطنين، فالهوة كبيرة بين الوسط اليهودي والوسط العربي ومساحتها خمسين عاماً من التمييز لصالح الوسط اليهودي.

لقد خاطبنا الرأي العام في إسرائيل يهوداً وعرباً لدفع "عملية السلام" باتجاه سكة الشرعية الدولية نحو السلام الآخر، السلام الشامل المتوازن. وكثيرة هي الشخصيات اليهودية المحبة للسلام المتوازن التي تحاورنا معها، كما الشخصيات العربية وفي المقدمة توفيق طوبي، هاشم محاميد، وعبد الوهاب الدراوشة، طلب الصانع، صالح سليم وأعضاء كنيست آخرين وكثير من الشخصيات السياسية والاجتماعية والأدبية والإعلامية الوازنة في الدولة العبرية فضلاً عن الخطاب المباشر عبر أجهزة الصحافة والتلفزيون إلى عموم الرأي العام الإسرائيلي.

وقال حواتمة وهو يختتم إجاباته:

■■ إن شعبنا أعاد بناء شخصيته، هويته الوطنية على امتداد عمر المقاومة ومنظمة التحرير والانتفاضة. والعالم كله يعترف بذلك. فقد أعاد حضور حقوقه الوطنية والسياسية على خارطة فلسطين، وخارطة المجتمع الإسرائيلي، والخارطة العربية والدولية، وتكرس حضوره في الأمم المتحدة وقراراتها قبل أوسلو وبزمن طويل وبعده.

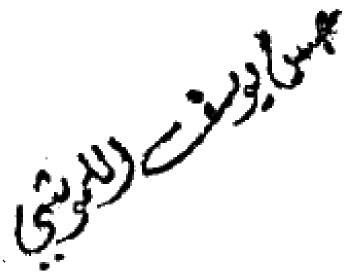
نحن شعب بهوية ينكرها علينا نتنياهو[20] وقد صمم أن يكون أو أن يكون ولا يوجد في قاموس نضاله "أن لا يكون". والقيادة الحكيمة هي التي تقوده بروح وطنية وعملية واقعية وحدوية وتصل مع الشعب وبه إلى بر السلام المتوازن والسلامة.

إن أوسلو يشي بتهديد حقوق الشعب الوطنية والسياسية المستقلة. والسلام الآخر، سلام الشرعية الدولية، وقرارات القواسم المشتركة الفلسطينية هو السلام الشامل والمتوازن ليكون لشعبنا بر، فيكون له بحر وسماء.

وأضاف حواتمة وهو يجمع أوراقه:

■■ من لا بر له لا بحر ولا سماء له!

وابتسم ابتسامة مرّة !! وتطلع إلى الفضاء الرحب من نافذة الغرفة!



(20) نتنياهو، مكان بين الأمم، مصدر سبق ذكره.

الانتفاضة المغدورة !

(تداعيات أوسلو)

■ الانتفاضة المغدورة!

(تداعيات أوسلو)

عندما تعرفت على نايف حواتمة لأول مرة، كانت الانتفاضة تتراجع لاهثة بعد توقيع ياسر عرفات على اتفاق أوسلو! ويومها كان اسم نايف حواتمة يشغل وسائل الإعلام بتصريحاته واهتمامه بتصعيد الانتفاضة.

آنذاك سألته عما إذا كانت الانتفاضة ومنظمة التحرير الفلسطينية قد هزمتا بعد الذي حصل في أوسلو. فرد حواتمة بحدة:

«إن الهزيمة بالمدلول التاريخي، هي حصة الجناح اليميني في منظمة التحرير الفلسطينية ، الذي يقوده ياسر عرفات ومن معه! ولكن أسوار أوسلو 1،2 وتداعياته المحلية والإقليمية والدولية كماشة على الشعب والحقوق الوطنية».

و لم يكتف بذلك، بل أكد أن هذا الجناح هو أقلية إذا استجابوا لدعوتنا لإجراء استفتاء شعبنا على اتفاقات أوسلو. وقال بثقة:

«إن أغلبية الشعب تواصل صراعها من أجل التصحيح مرة أخرى ، نحو النهوض بإعادة بناء الائتلاف الوطني وبرنامج القواسم المشتركة!»

وبعد أكثر من عامين على هذا الحديث، كان نايف حواتمة أكثر تصميماً من قبل، ورغم وصفه للانتفاضة بـ «المغدورة» فإنه لم يتوان عن الدعوة، في أواخر آب| أغسطس 1996، إلى قيام انتفاضة متطورة جديدة!

لقد أرّقته تراجعات اليمين الفلسطيني، لأن التعاطي مع القضية الوطنية بالنسبة له، هو تعاطٍ مع المصير. ولكن ذلك لم يكن يعني له أبداً «الخروج عن الواقعية السياسية»!

ويبدو من المفيد تاريخياً، الوقوف عند وجهة نظر نايف حواتمة من الانتفاضة المغدورة كما يسميها، ومن اتفاق أوسلو، حتى لو كانت تصريحاته بهذا الشأن قد أخذت حيزاً كبيراً من قبل.

إن نايف حواتمة ، في هذا الفصل ، يوضح بتواضع ، قد يكون نادراً ، أن الجبهة الديمقراطية هي التي بلورت برنامج الانتفاضة منذ بيانها الثاني[1] وهذا يعني أن مسار الانتفاضة اليومي قد تحدد ، بناء على هذا البرنامج ، وفق الرؤية التي كانت تتصورها الجبهة الديمقراطية انطلاقاً من البرنامج المُعطى المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية.

لذلك يشعر نايف حواتمة بحالة الغدر الوطني ... ولذلك أيضاً يدعو إلى انتفاضة أخرى متطورة[2] ولكن هل يمكن للفرصة التاريخية أن تعاد من جديد لتنطلق الانتفاضة المارد مجدداً من القمقم؟!.

إن ذلك يعيدنا إلى سؤال عفوي يطرحه أي طفل يحاول التعرف على ملامح تاريخ وطنه.

وهذا ما سألته لنايف حواتمة منذ اللحظة الأولى للحديث عن الانتفاضة:

■ من الذي فكر بالانتفاضة ، أو خطط لاندلاعها؟ هل كانت عفوية؟!

فقال:

■■ كان إعلان استقلال دولة فلسطين ومبادرة السلام في إطارها الشامل[3] ، هو وليد عملية الصراع بين الخطين الرئيسيين في الحركة الفلسطينية ، لأن هناك خطاً ثالثاً لا يتعاطى مع مجريات وقائع الحياة التي تطرح نفسها على جدول أعمال النضال ويكتفي بالرفض والشعارات العامة.

إن قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في 1988 ، 1991 هي نتاج هذا الصراع بين الخطين! ونحن في الجبهة الديمقراطية في مقدمة الخط الذي واصل نضاله إيماناً بعمق الانتفاضة وطول عمرها. وأذكر في الأيام الأولى لانطلاقة الانتفاضة أعطيت حديثاً مطولاً لإذاعة مونت كارلو، قلت فيه إن الانتفاضة طويلة العمر، وهي تستمد هذا الفضاء الزماني والمكاني الطويل، من عمق الأزمة المتفاقمة، الاقتصادية والاجتماعية والترابية، الناجمة عن الضم الزاحف والاستيطان وعمق تفاقم الصراع السياسي بين أبناء شعبنا والاحتلال.

وأذكر أيضاً، أن العديد من الاعتراضات توجهت لما قلته. وقيل: إنني متفائل، ومتنبىء بنبوءة عجولة هي: عمر الانتفاضة الطويل.. إن قادة بصفوف حركة التحرر الفلسطيني والعربي والعديد من القيادات الحاكمة العربية قالوا ذلك أيضاً!

---

(1) حديث حواتمة مع راديو مونتي كارلو 1987/12/27، والمنشور في مجلة «الحرية» 1987/12/29 ، وعلى أساسه كُتِبَ النداء الثاني للانتفاضة في 88/1/10 من قبل الجبهة الديمقراطية ، وصادقت عليه القيادة الموحدة التي أطلقت النداء(1) يوم 1988/1/8، وتشكلت القيادة الموحدة من (فتح ، ديمقراطية ، شعبية). وانضم حزب الشعب (الشيوعي سابقاً) للقيادة الموحدة بعد النداء (11) بتاريخ 1988/3/19. أما حركة حماس فقد أعلنت عن نفسها في 1988/8/8 ، ولم تنضم للقيادة الموحدة رغم النداءات المتواصلة من القيادة الموحدة لمشاركة الجميع في القيادة الموحدة. وبعد توقيع اتفاقيات أوسلو - 1 - في 1993/9/13 خرجت فتح وحزب الشعب من إطار القيادة الموحدة للانتفاضة - (راجع نص النداء - 2 - في ملحق - الوثائق - وثيقة رقم - 10 -).

(2) تصريحات حواتمة لصحيفة الحياة 96/8/29 نقلاً عن وكالة رويتر وفيها يدعو لانتفاضة جديدة متطورة والكتاب تحت الطبع:

* اندلعت انتفاضة أيلول 23 - 28 /1996/9. أي بعد شهر واحد من تصريحات حواتمة المذكورة.

(3) إعلان الاستقلال في 1988/11/15 ، الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني (الجزائر).

لقد بنينا على القراءة الملموسة لوقائع ثورتنا، والانتفاضة هي الابن الشرعي لها، وعلى هذا الأساس واجهنا الاتجاه الاستخدامي الاستعمالي للانتفاضة، الذي كان يراه اليمين ويمين الوسط. وكنا ضد التنبؤ بأن الانتفاضة قد تنتهي بين لحظة وأخرى، لأن هذا الاتجاه يجهل عمق الأزمة. كما كنا ضد مخاوف الجناح اليميني من أن تشكل الانتفاضة، القيادة البديلة عنه وعن مجموع قيادة ائتلاف منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد كان هذا هاجساً يومياً يفسر الكثير من الخطوات العجولة جداً، والتي بدأت بإعلان عرفات قبول شروط الرئيس الأمريكي رونالد ريغان الثلاثة، مقابل، فقط، فتح الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية[4] . هذا أولاً، وثانياً: الانتفاضة لم يفكر أحد بها، في اللحظة الزمانية، والسياق الذي انطلقت منه واندفعت به.

منذ الأخذ بالبرنامج السياسي الجديد (المرحلي) لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1974، أصبح واضحاً أن الحقوق الوطنية (تقرير المصير والدولة المستقلة والعودة)، في مجرى الصراع والتسوية الشاملة وفق الشرعية الدولية، تتقرر في الأرض المحتلة!

ولذا، اندفعت الفصائل والشخصيات ، التي وافقت وانخرطت في هذا البرنامج ، إلى نقل مركز ثقل النضال والأعمال الجماهيرية والتنظيمية ، وبناء الاتحادات والمؤسسات النقابية والمهنية والاجتماعية داخل الأرض المحتلة في القدس والضفة وقطاع غزة ، فضلاً عن تعميق الجسور مع أبناء شعبنا في الجليل والمثلث والساحل والنقب ، وبناء الجسور مع معسكر السلام الإسرائيلي اليهودي ..

على هدى ومساحة البرنامج المرحلي، صبت الفصائل التي اعتمدت هذا البرنامج، أقصى الطاقات والجهود لتنظيم شعبنا في الأرض المحتلة في الأطر العريضة : الحزبية والنقابية والاجتماعية، حتى يأخذ شعب الأرض المحتلة قضاياه الوطنية بيده ، بدءاً من الصراع ضد الاحتلال وغول الاستيطان ، إلى الزج بثقله الكبير بالترابط مع شعب الشتات ، صانع وباني الثورة المعاصرة ومنظمة التحرير الفلسطينية. ومراكمة القوى لفتح طريق البرنامج الوطني المرحلي وفرض التراجع على المحتلين نحو البحث عن حلول سياسية متوازنة حيث فشلت كل حلول الإبادة العسكرية من الغزو إلى تكسير عظام رجال الأرض المنتفضة .

منذ عام 1974 بدأ الانشداد يتسع ويتكامل نحو الأرض المحتلة، مركز ثقل برنامج تقرير المصير والدولة وحق شعب الشتات وفق القرار الأممي 194.

---

(4) المؤتمر الصحفي لعرفات في جنيف 1988/12/14 ، وفيه أعلن:
* نبذ وإدانة الإرهاب (والمقصود العمل المسلح ضد الاحتلال).
* الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود من جانب واحد .
* الاعتراف بالقرار 242 أساساً للتسوية دون ربطه بحق تقرير المصير .
وذلك استجابة لنص الشروط الأمريكية لفتح الحوار مع م.ت.ف والتي كتب نصّها حرفياً جورج شولتز وحملها ستين أندرسون وزير خارجية السويد إلى عرفات، وفعلاً تم فتح الحوار العلني والرسمي بين م.ت.ف والادارة الأمريكية فور إقرار عرفات السابق.

■ في هذه الحالة تنتفي صفة العفوية عن الانتفاضة !

■■ العملية تراكمية .. مداها عشرون عاماً، ولذا تشكلت القيادة الموحَّدة للانتفاضة بالنداء الأول في 1988/1/8 والنداء الثاني في 1988/1/10 على يد الفصائل الثلاث: الجبهة الديمقراطية وحركة فتح والجبهة الشعبية!

■ وهل تحددت نقطة الانطلاق اتفاقاً؟!

■■ لحظة الانفجار، أو نقطتها المكانية، لايمكن التنبؤ بهما أو رسمهما على (الكاتالوج)! فكما قلت لك، الانتفاضة وليدة المخزون الوطني الثوري المنظم المتراكم على الأرض المحتلة بفعل فصائل الثورة وائتلاف منظمة التحرير ومساندات قوى التحرر والتقدم والسلام العربية والدولية.

إنها التعبير عن الترابط والتكامل بين حلقات النضال الوطني في الداخل والخارج. وكذلك فإن الانتفاضة مثّلت الوجه الآخر من الثورة لتوصيل حقنا بتقرير المصير والاستقلال إلى كل بيت في العالم، وتفرض على المحتلين البحث عن حلول سياسية، بعد فشل كل حلولهم العسكرية.

حقاً لقد انصبت جهود كبرى من الجبهة الديمقراطية وحركة فتح والجبهة الشعبية بهذا الاتجاه. بالاضافة إلى حزب الشعب الذي حصر جهده التنظيمي دائماً في إطار الأراضي المحتلة فقط.

إن الانتفاضة، كما عبرت عن نفسها ليست إبداع أحد، بل هي محصّلة لبذار زرعته الثورة على امتداد عشرين عاماً بالجهد اليومي المنتظم داخل الأراضي المحتلة!

■ عندما اندلعت الانتفاضة، شاركت الجبهة الديمقراطية في قيادتها الموحدة بعد فترة قصيرة .. ترى ما الذي قدمته الجبهة للانتفاضة كتنظيم؟!

■■ مباشرة دعت الجبهة الديمقراطية لتشكيل القيادة الموحدة للانتفاضة، التي تشكلت في الأسبوع الأول من اندلاعها. ولم يكن هذا ممكناً لولا حضور التنظيمات الأربعة المشاركة فيها بنسب متفاوتة في صف الجماهير، وقد تعاطت هذه التنظيمات بخط العمل المنتظم لتشكيل هذه القيادة.

وفي الأيام الأولى أيضاً بدأت الجبهة الديمقراطية في بلورة برنامج مهمات الانتفاضة، كي لا تبقى عائمة بالشعارات العريضة كما ورد في النداء رقم (1)، ودون برنامج ملموس. وفعلاً تم هذا مركزياً في قيادتنا، وعبَّرتُ عن هذا بحديث صبوتي مع إذاعة مونت كارلو، باقتراح برنامج الانتفاضة، باعتبارها تقوم على التكامل في الأدوار مع الثورة الفلسطينية وائتلاف منظمة التحرير بالشتات، وذلك في إطار البرنامج الوطني المرحلي الموحد للشعب، نحو سلام شامل متوازن، يؤمّن تقرير المصير والدولة والعودة، ويضع في مقدمة صراعه الانتفاضي: النضال لإنهاء الاحتلال، ووقف الاستيطان على طريق رحيله إلى ما وراء خطوط الرابع من حزيران/ يونيو 1967.

إن ذلك كما نرى ، يُمكّن شعب الأرض المحتلة من الفتح على حـق تقريـر المصـير ، وبنـاء الدولة بعاصمتهـا القـدس، ومـا يفتحـه هـذا بالتـالي ، مـن حـل لمشكلة الشـعب الفلسـطيني في الشتات.

وكل هذا لايمكن أن يـأخذ مـداه، إلا في إطـار إرغـام الاحتـلال علـى الـتراجع عـن حلولـه العسكرية القمعية الدامية، وإقراره بـأن الحلـول لـن تكـون إلاّ سياسـية، في إطـار سـلام شـامل متوازن، قائم على تطبيق قرارات الشرعية الدولية.

وفي البيان الثاني للانتفاضة، وخلال الأسبوع الأول منها، تمت عملية بلورة هـذا البرنـامج، على يد رفاقنا في الجبهة الديمقراطية داخل الأرض المحتلة، وهم الذين كتبوا نص البيـان رقـم(2) للانتفاضة الذي حوى هذا البرنامج. وقد شكل البيان رقم(2) حتى آخر بيان للانتفاضة برنـامج الجماهير، في نضالها الانتفاضي، لأن القيادة الموحدة للانتفاضـة، تم تفكيكهـا فـور توقيـع اتفـاق أوسلو-1- في سبتمبر/أيلول 1993، وقد خرج كل من فتح وحزب الشعب منهـا، فيمـا واصلـت الجبهتان الديمقراطية والشعبية بذل الجهود، تحت راية القيادة الموحدة للانتفاضـة، ومـد الجسـور مع حماس والجهاد الاسلامي، اللتين انخرطتا في العملية الانتفاضيـة، الجهـاد مـن البدايـة، وحمـاس عند الاعلان عن تشكيلها بدءاً من آب/ أغسطس 1988.

لكن المحزن أن هذه الجهود لم تنجح!

إننا، ومنذ انطلاقة الانتفاضة، كنا في عداد الحراس على تجنيبها: الصيغ الاستخدامية على يد الجناح اليميني، وعلى فحص الحلول والمبـادرات، الـتي يمكـن أن تسـلح الانتفاضـة بمـا يحميهـا، وتسلح كل شعبنا، بما يمكنه من الدفع أكثر فأكثر باتجاه تأمين مستلزمات الوصول إلى فتح أفـق عملية السلام التي ترسو على قاعدة قرارات الشرعية الدولية.

■ ولكـن عندمـا خَمَـدت الانتفاضـة بعـد اتفاقيـات أوسـلو، ورغـم معارضـة الكثـيرين لهـذه الاتفاقيات، لم تتمكن الجبهة الديمقراطية والشعبية من إعادة توهجها. وهذا يطرح سؤالاً: هل يعجز اليسار الفلسطيني عن قيادة انتفاضة الداخل وحيداً؟!

وبصراحة أجاب حواتمة :

■■ بالفعل لم نتمكن من مواصلة الانتفاضة وإدارتها، بالقيادة الموحدة للجبهتين الديمقراطيـة والشعبية، بعد خـروج فتـح وحـزب الشـعب منهـا. وثانيـاً: مـن شـروط الدولـة العبريـة وقـف الانتفاضة فور التوقيع على أوسلو، وثالثاً : الائتلاف الاقليمي العربي والدولي الواسـع لتسـويق أوسلو شَرَطَ وقف الانتفاضة.

واستطرد قائلاً :

■■ لقد تواصلت الانتفاضة بأشكال أضعـف، وأخـذت تنحسـر ببـطء، لأن اتفـاق أوسـلو ـ1ـ جاء بالضرورة ليخرج ثقل فتح ومن معها مـن صفـوف الانتفاضـة والقيـادة المُوحَّـدة وفـق

شروط القوى الاقليمية العربية والائتلاف العالمي الواسع حول أوسلو، كي تنتهي الانتفاضة ويغلق الطريق عليها[5] !!

نعم! لم تتمكن القوى الوطنية اليسارية والشعبية الفلسطينية المنظمة من تشكيل الرادع لاتفاقيات أوسلو والناجم عنها... وهذا يؤشر أيضاً إلى أن القوى اليسارية والوطنية الشعبية، التي أصبحت تقاتل بعضلاتها وحيدة، دون مساندة عربية أو عالمية، إن هذه القوى ليس بمقدورها، وليس بيدها من الطاقات والإمكانيات، ما يمكّنها بشكل متسارع من حل هذا الاستعصاء الناجم عن السياسة الانقسامية التي ذهب بها الجناح اليميني ويمين الوسط.

ولكن تجاوز اتفاقات أوسلو، والفتح على وقف الاستيطان وإعادة بناء العملية التفاوضية، كان ممكناً ومازال، ولكن مشروطاً بإعادة بناء الوحدة الوطنية الفلسطينية على القاسم المشترك المستند إلى قرارات الشرعية الدولية والعربية والفلسطينية، وبشيء من التوازن في المعادلة العربية العربية، وهذا ما سيفعل فعله في الخارطة العالمية!

■ هل يمكن القول إن تعباً أو وهناً أصاب الانتفاضة، فتهيأت ظروف إخمادها؟

فرد حواتمة بحدة :

■■ أبداً! والوقائع الصارخة بعد أوسلو تنفي ذلك! في انتفاضة الطبقة العاملة في قطاع غزة ضد قوات الاحتلال، عند حاجز ايرتز، سقط عشرات الضحايا، وأحرق العمال المنطقة الصناعية الاسرائيلية (وقع هذا في 1994/7/17). كذلك انتفاضة الخليل، بعد مجزرة الحرم الإبراهيمي على يد العنصري غولد شتاين سقط 29 شهيداً و 120 جريحاً، ووقع هذا في شباط 1994. فاشتعلت كل أنحاء الضفة والقطاع، وفي هذه الانتفاضة سقط أيضاً أكثر من 80 شهيداً برصاص جيش العدو والمستوطنين..

وهذه الهبّات الدامية لم تتوقف، وتشي بأكثر من انتفاضة متطورة على الطريق في بلدنا المحتل..

إن فريق أوسلو حاول تبرير تراجعاته بتعب الشعب وإحباطه.. إلخ ولكن تأتي رياح الشعب الانتفاضية عند كل مفصل لتقدم الجواب عكس ما تشتهيه سفن التنازلات تحت ضغط وإملاءات الاحتلال.

■ .. والبديل؟! الواقع أنني أتذكر مشروعاً لبديل طرحته الجبهة الديمقراطية عن اتفاق أوسلو كيف ترون هذا البديل؟.

---

(5) في أوسلو ومع اقتراب الانتهاء من صياغة الاتفاق طلب يوئيل زينغر عضو الوفد الاسرائيلي والمندوب الشخصي لإسحق رابين في الوفد ، من أبو العلاء (أحمد قريع): لماذا لاتصدر تونس (قيادة عرفات) بياناً يدعو لوقف الانتفاضة.

* وأضاف زينغر : "يمكن للمنظمة أن تطلب من الشعب أشياء إيجابية فحواها وقف الانتفاضة ، مثل التوجه للعمل بدلاً من إلقاء الحجارة، والتعاون بدلاً من العنف، وإذا كنا سنوقع اتفاقاً معكم فإنكم يمكن أن تقولوا للناس، إن استمرار الانتفاضة لا يتماشى مع إعلان المبادىء".

* المصدر : سلام الأوهام المفاوضات السرية العربية ـ الاسرائيلية
أوسلو ما قبلها وما بعدها
محمد حسنين هيكل ـ الكتاب الثالث ـ ص289
كذلك (أبو مازن ـ طريق أوسلو ص 266).

■■ حسناً .. لقد قدمنا بديلاً عن أوسلو..[6] وبالفعل كان هذا البديل يغطي المحاور الثلاثة: الوطني ـ والاقليمي، القومي ـ والدولي . وتقديم البديل يتعلق أساساً بما نشتقه ونقدمه استناداً إلى برنامج القواسم المشتركة والشرعية الدولية، وعليه نبني رؤيتنا لكل مفصل في مجرى الصراع والبحث عن سلام شامل ومتوازن .

ـ وتحددت جوانب المحاور التي طرحها البديل على النحو التالي:

المحور الأول: الوطني :

1 ـ عَرْضُ اتفاق أوسلو على الاستفتاء الشعبي العام، داخل الأرض المحتلة وفي الشتات. ودعونا في الوقت نفسه لعقد دورة جديدة للمجلس الوطني الفلسطيني، لفحص هذا الاتفاق وارتداده عن قرارات الشرعية الدولية والمجلس الوطني والمركزي عشية مدريد.

وأيضاً أشرنا إلى طرح رابين اتفاق أوسلو على الكنيست الاسرائيلية وللاستفتاء عليه.

2 ـ تعليق مفاوضات أوسلو، حتى يتم وقف الزحف الاستيطاني، لتبقى الأرض فلسطينية يتم التفاوض عليها في مرحلة المفاوضات النهائية.

---

(6) قدمت الجبهة الديمقراطية البديل عن ما وقع في الساحة الفلسطينية و لم تأخذ بكلمة قل كلمتك وامش. والبدائل التي طرحتها الجبهة الديمقراطية تمت في إطار الهيئات القيادية الفلسطينية لـ م.ت.ف قبل انهيار وتفكك الائتلاف الوطني العريض في المنظمة بعد 13/9/1993 وتوقيع اتفاقيات أوسلو. كما قدمت هذه البدائل لعموم القوى الفلسطينية وللشخصيات الوطنية والشعب:

ـ الانتفاضة ـ المفاوضات ـ النظام الاقليمي الجديد ـ البديل الوطني الواقعي التوحيدي. التقرير الصادر عن أعمال اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية ـ نيسان 1993

ـ (البديل الوطني واتجاهات العمل للمرحلة القادمة) ـ التقرير السياسي الصادر عن أعمال اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية ت1/اكتوبر 1993.

ـ برنامج المواجهة والبديل الوطني الواقعي ـ نحو إعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية ـ التقرير الصادر عن أعمال اللجنة المركزية للجبهة.

* مقابلات حواتمة الاذاعية والصحفية :

ـ إذاعة مونت كارلو 8/10/1993 وفي 26/11/1993 وفي 20/9/1993.

ـ إذاعة لندن 30/8/1993.

ـ صحيفة النهار المقدسية 7/10/1993.

ـ مجلة أكسبرس الفرنسية 5/11/1993.

ـ التلفزيون الفنلندي 29/10/1993.

ـ شبكة ABC وشبكة WTN 7/9/1993 .

ـ راديو فرنسا الدولي 10/10/1993.

ـ شبكة SBS الاسترالية 3/10/1993.

ـ القناة الثانية للتلفزيون الفرنسي 20/10/1993.

ـ حديث تلفزيوني مع الصحفي حمدي فرّاج (الضفة) 27/1/1996.

ـ حواتمة في حديث مباشر لتلفزيون الشعب (طولكرم) مساء 30/1/1996.

* حواتمة في المؤتمر الشعبي العربي والاسلامي في الخرطوم أعلن أمام (85) وفداً في 3/12/1993 حين قال للمؤتمرين: "تجاوز اتفاق أوسلو ـ ونحو سلام شامل يتم بالانتفاضة والتوحد في صف شعبنا، وبالمساندة العربية الإسلامية الشعبية المنظمة، ونتابع كفاحنا بالبديل المتماسك في وجه الصفقات الجزئية".

3 ـ الانتقال إلى مفاوضات التسوية الشاملة على قاعدة : إطار مفاوضات المسارات العربية الأخرى التي هي قرارات الشرعية الدولية 242 ، 338 والأرض مقابل السلام وحل مشكلة اللاجئين وفق القرار الأممي 194.

4 ـ بناء جدول أولويات جديدة للمفاوضات يقوم على :

(القدس ـ وقف الاستيطان أولاً). الانسحاب من كل مدينة الخليل ورفض تقسيم المدينة وتفكيك بؤرة الاستيطان في قلب المدينة لنزع برميل البارود. وحل مشكلة اللاجئين والنازحين بموجب 194، 237، الحدود 4 حزيران 1967 ـ المياه.

هذه القضايا ، مطلوبة كمقابل للسلام الشامل والأمن المتكافىء بين شعبنا ودولة إسرائيل، وبدونها يصبح السلام مخنوقاً بسقف أوسلو، بسلسلة من التراجعات على قاعدة: المزيد من التجزئة والتفتيت والصفقات الثنائية الصغيرة.

المحور الثاني : الإقليمي، القومي : وبديلنا هو:

1 ـ عودة إلى التنسيق والتعاون مع دول الطوق العربية التي لها أراض محتلة: الأردن، سورية، لبنان بالاضافة إلى مصر، فاتفاق أوسلو حطم هذا التنسيق رغم هشاشة تنسيق مدريد واشنطن وانعدامه طوال مرحلة التحضير لمدريد من آذار/ مارس 91 حتى 30 أكتوبر/ ت1 /1991، والتي رَسَت على الفصل بين المسارات، وفتح أوسلو الباب لاندفاع هذه العاصمة أو تلك لعقد الصفقات الثنائية الجزئية والمنفردة.

2 ـ ترابط المسارات التفاوضية : العربية ـ الاسرائيلية الأربعة على أساس الانسحاب إلى ما وراء خطوط 4 حزيران/ يونيو 67 على كل الجبهات.

3 ـ تزامن الحلول الشاملة ، حتى يأتي السلام فعلاً شاملاً ، وليس سلسلة من الحلول الثنائية، لا تؤمّن حق الشعب الفلسطيني بأرضه المحتلة بتقرير المصير وبناء دولة مستقلة وبعودة شعب الشتات، ولا تؤمّن تراجع الاحتلال إلى ما وراء خطوط 4 حزيران 67 بما فيه القدس الشرقية. فالسلام الشامل شيء وحاصل جميع الحلول الثنائية شيء آخر كلياً. وقلنا إنه بدون هذا سيقع تهافت على الصفقات الجزئية والمنفردة الثنائية، إضافة إلى فك الارتباط بالقضية الفلسطينية أرضاً وشعباً والتحلل العربي، خطوة خطوة، من الالتزامات بالحقوق الوطنية الفلسطينية، كما فرزتها وقائع التاريخ الجغرافية السياسية والقومية الديمغرافية والالتزامات العربية في الرباط عام (1974) حتى الجزائر (قمة الانتفاضة 88) مروراً بقمة التضامن العربي في بغداد (78) ، وصولاً إلى قمة القاهرة (96).

المحور الثالث : المحور الدولي ، وبديلنا: هو الإصرار على إشراك الاتحاد الأوروبي والصين واليابان والأمم المتحدة، إلى جانب راعيّي العملية التفاوضية : واشنطن وموسكو. وبذلك تصبح للمفاوضات مرجعية دولية (أمم متحدة مصغرة)، تستعيد حضور قرارات الأمم المتحدة الخاصة بكل شجون الصراع العربي ـ الإسرائيلي. وإلا فإن التفرد الأمريكي، سيأخذ طريقه، أكثر فأكثر، وبالتنسيق الاستراتيجي مع الدولة العبرية وسنجد أنفسنا ، أمام تفكك في الأوضاع

العربية جميعها، وحبل التنازلات لاينقطع ، ويتم الاستفراد بكل جبهة على حدة فتصل المسارات الأربعة إلى سلام لاشامل ولا متوازن!

لقد قدمنا هذا البديل، ووضعنا آليات للوصول إليه فشرط نجاح هذا البديل ممكن قولاً وعملاً ، وهو :

1 - إعادة بناء الائتلاف الوطني، الذي جرى تدميره في أوسلو. وبائتلاف الجامع المشترك نعيد بناء وحدة الشعب في الأرض المحتلة ، وبينه وبين شعب الشتات، فالتجربة أكدت للجميع أن الوحدة الوطنية ووحدة الشعب السلاح الأقوى والأفعل بيد الجميع من المناضلين إلى المفاوضين بعد إعادة بناء العملية التفاوضية على أسس الشرعية الدولية.

2 - إرساء الائتلاف على القواسم المشتركة، المشتقة من قرارات المجلس الوطني عشية مدريد وقرارات الشرعية الدولية.

3 - في الوحدة الوطنية، يتم إيجاد الحلول العملية للأزمة العميقة مع الأردن، وللتنافر لدرجة القطيعة مع سورية ولبنان، وتجاوز انعدام الترابط بين المسارات إلى الترابط والتزامن فيما بينها . وهذا يفتح على التضامن العربي، من جديد، التضامن المدمر منذ حرب الخليج الثانية والهش والمحدود منذ قمة القاهرة العربية/96 .

4 - والوحدة الوطنية التي تتم بالقواسم المشركة وآليات الالتزام المتبادل، تحل أيضاً مسألة المرجعية الدولية للمفاوضات..

■ هل يمكن أن تلعب الجبهتان الديمقراطية والشعبية دور المعارضة الديمقراطية لسلطة الحكم الذاتي في الداخل ؟!

■■ المسألة برنامجية، وليست قائمة على الرغبات الإرادية! وداخل الأرض المحتلة نرى العملية مركبة: الشعب والأرض تحت الاحتلال، بالاضافة إلى زحف الاستيطان. وجداول الأولويات، مواجهة الاحتلال، تنطلق من حجم البرنامج التوسعي، فحكومة العمل - ميرتس انطلقت من جدول أولويات يقوم على الجمع بين القدس الكبرى عاصمة أبدية مُوَحَّدة للدولة العبرية، تقاسم الأرض المحتلة تحت عنوان : الحل الاقليمي الوسط والسلام والأمن المتبادل، ووفق هذا الجدول انطلقت إلى أوسلو. وحكومة تحالف اليمين تنطلق من جدول أولويات آخر تماماً، يقوم على التوسع الشامل بخلق الأمر الواقع: مصادرة الأراضي وضمها، وتكثيف الاستطيان، وصولاً لضم القدس الكبرى ومعظم الضفة الغربية وأجزاء من قطاع غزة، فضلاً عن الجولان إما كاملاً أو أجزاء منه. وبعد هذا يأتي السلام ودوره [7] .

أفرز اتفاق أوسلو سلطة الحكم الذاتي على مجموعة من الجزر المنفصلة، وهو مسقوف: بالاتفاقيات التي تملي عليها مصادرة المعارضة والرأي الآخر والقمع بدءاً من قمع المناضلين من

---

(7) برنامج حكومة نتنياهو الذي أقره الكنيست بعد فوز تكتل اليمين بزعامة الليكود نهاية أيار (مايو) 1996.

* جريدة هآرتس العبرية 1996/6/17

* دراسات فلسطينية ـ العدد 27 (صيف 1996) صفحة 64 - 65 - 66 - 67

كل التيارات وصولاً إلى قمع الضمير والفكر بمصادرة الكتب والنشر وهكذا. وآخر مثل على ذلك مصادرة سلطات الحكم الذاتي كتب ادوارد سعيد، في مناطق الحكم الذاتي[8].

هذا الوضع يفرض علينا برنامجاً مركّباً، يقوم، في وجه منه، على دعوة كل الشعب، بتياراته وفصائله، إلى التقاطع، في المساحة المناضلة ضد الاحتلال والاستيطان، أرضاً وبشراً، ومن أجل إرغام المحتل على التراجع إلى ما وراء خطوط 4 حزيران/ يونيو 1967، ورحيل الاستيطان والفتح على حق شعبنا بتقرير المصير والاستقلال وحل مشكلات التجمعات اللاجئة داخل الضفة والقطاع التي تزيد عن الخمسين بالمئة من السكان وفق القرار الأممي 194 .

أما الوجه الآخر من البرنامج المركّب، فهو النضال في مناطق الحكم الذاتي، من أجل التعددية الديمقراطية: الرأي الآخر/ حزبياً ونقابياً وفكرياً وسياسياً ، استفتاء الشعب على القضايا المصيرية (أوسلو 1 ، 2 ـ اتفاق الخليل .. الخ) ، انتخابات بقانون مبدأ قائمة التمثيل النسبي بديلاً عن قانون أوسلو اللاديمقراطي (مناطقي ـ طائفي ـ عشائري)، وصيانة مؤسسات المجتمع المدني الأولية التي تم بناؤها في مجرى الصراع ضد الاحتلال حتى مجيء سلطة الحكم الذاتي، حيث تحاول هذه السلطة تدمير المؤسسات الأولية للمجتمع المدني وفرض سلطة استبدادية شرقية توتاليتارية شمولية، وما يترتب على هذا الوجه من ضرورة الإصرار على تعطيل مؤسسات المجتمع المدني وإيجاد قانون يكون له السيادة ، وهذا كله غير قائم بل منتهك يومياً[9] .

---

(8) يمكن العودة لمقالة د. ادوارد سعيد ، أستاذ اللغة الانكليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا ، حول نظرية حظر الكتب والأفكار وتطبيقها، والمنشور في صحيفة الحياة في 1996/9/4 وقد زوّدَنا المناضل نايف حواتمة بهذا المقال.

(9) هشام عبد الرازق عضو قيادة فتح في قطاع غزة ، عضو المجلس الفلسطيني (التشريعي!) مسؤول المفاوضات بشأن الأسرى مع الجانب الاسرائيلي ، صرح بقوله "إن نصف القرارات من عشرات القرارات التي اتخذها المجلس منذ نشأته لم ينفذ. وأضاف: تتزايد الأصوات في مجلس السلطة الفلسطينية لطرح مشروع لحجب الثقة عن رئيس السلطة" جريدة يديعوت أحرنوت 1996/8/30 .

* الدكتور حيدر عبد الشافي في حديثه أمام مؤتمر العودة الفلسطيني في بون /ألمانيا/ نهاية شهر أيلول/ سبتمبر 1996 أمام الحضور . تطرق لتجربة المجلس التشريعي لسلطة الحكم الذاتي ، "فأعرب عن خيبة أمله منها وتساءل عن جدوى العمل في هذه المؤسسة" وصرح أمام قادة المؤتمر "أنه ومعه عدد من أعضاء المجلس يفكرون بالاستقالة".ـ (الحرية العدد 662 تاريخ 1996/11/9).

* د. عبد الشافي في مؤتمر لجنة فلسطين في النرويج ـ أوسلو لها وجه آخر 96/11/12، أعلن أمام المؤتمرين " أن توقيع اتفاق أوسلو كان خطأً ، وأن المجلس الوطني الفسطيني معطل واستدعي فقط لتمرير استحقاقات أوسلو" وفق تسمية اتفاق أوسلو.

* وأعلن د. عبد الشافي رئيس (لجنة الداخلية) للمجلس الفلسطيني (المجلس التشريعي كما تسميه السلطة) "ان المجلس اتخذ منذ بداية عمله في آذار ـ مارس 1996 أكثر من مئة قرار تتعلق مباشرة بعمل السلطة والمجتمع ، وتطالب بتقييد الاحتكارات الاقتصادية المختلفة، ومعالجة التورط برشوات مالية، وتطالب بالاشراف على أجهزة الأمن، ووقف الاعتقالات غير القانونية لمئات الأشخاص . ولكن القرارات لم تلق تجاوباً من قبل السلطة الفلسطينية". وطالب باسم (11) عضواً رؤساء اللجان في المجلس بلقاء خاص بينهم وعرفات ، لأن رؤساء اللجان يلمسون أن السلطة التنفيذية لاتحترم القرارات المتخذة في المجلس. وأضاف أن "الإحباط يعاني منه جميع أعضاء المجلس".

* راويه الشوا عضو المجلس الفلسطيني تكتب في جريدة القدس ـ عدد 1996/11/14 أن «قرارات المجلس التشريعي لاتؤخذ بعين الاعتبار من قبل السلطة التنفيذية».

* زياد عمرو عضو المجلس الفلسطيني كتب بعد تجربة السنة على المجلس أن "التجربة مأساوية ، تبعث على الألم ولاتبشر بأي أفق ديمقراطي فلسطيني".

* رفيق النتشة عضو المجلس الفلسطيني: "المجلس مهمش و لم تنفذ السلطة التنفيذية قراراً واحداً من قراراته والمجلس لايستطيع الرقابة على السلطة التنفيذية مع أن هذا حق له ومن صلاحياته".

ونحن في الجبهة الديمقراطية ، نناضل ببرنامج مركّب والتنسيق بيننا وبين رفاقنا في الجبهة الشعبية واسع على أساس هذا البرنامج المركب ، ونطمح لتطويره لأنه يتعرض لمحاولات سلطة الحكم الذاتي التخريبية والتي تسعى إلى خلق المشكلات داخل صف القوى الديمقراطية ومحاولة استمالة شرائح منها "برشوات صغيرة" قائمة على "امتيازات مادية ومعنوية وظيفية".

فأمامنا واحدة من حقول الألغام الكثيرة التي تبرز في صفوف تعاوننا أو التعاون بين قوى التيار الديمقراطي. إن سلطة الحكم الذاتي فرّخت ما يزيد على ثلاث وستين دكاناً حزبية تحت حجة الانشقاق عن القوى الوطنية الديمقراطية والإسلامية[10] ولاتكل هذه السلطة، عن مواصلة تفتيت القوى، أو استمالة شرائح من داخلها، لتعطيل تسارع تنامي التعاون والتنسيق، الذي نطمح أن يصل إلى الاتحاد الجبهوي، وما هو أبعد: نحو حزب يساري وطني ديمقراطي موحد، لكل القوى والشخصيات، التي تلتقي في هذا التيار..!

■ في اجتماعات التنسيق التي كانت تعقد بين وزراء خارجية دول الطوق، طرح الفلسطينيون منحهم هامش حركة في المفاوضات مع اسرائيل ، وعبروا عن تخوف من أن يسبقهم الآخرون في ايجاد الحل!

■■ هذه ادعاءات يمين منظمة التحرير (مجموعة تونس ـ أوسلو) التي كانت تُروِّج في اجتماعات القيادة الفلسطينية (الأمناء العامون ـ القيادة الموسعة ـ اللجنة التنفيذية ـ المجلس المركزي لمنظمة التحرير) أن كلاً من الأردن وسوريا ولبنان سبق الفريق الفلسطيني ، وأنجز حلوله الثنائية تحت عناوين متعددة (كمب مورفي ـ كمب بيكر ـ كمب كريستوفر). ولذا على منظمة التحرير الفلسطينية أن تخطو بحلولها الثنائية دون التزامات متبادلة مع أقطار الطوق.

---

(10) الحياة (اللندنية) 1996/9/7 ـ علي سعيد بدوان، "المجتمع المدني وظاهرة تفريخ الأحزاب" حيث تعيد سلطة الحكم الذاتي انتاج تجربة تفريخ الأحزاب وسياسة (فتح الدكاكين) التي مارستها أثناء وجودها في الأردن ولبنان . والأحزاب التي نشأت تتميز بفقدان الهوية السياسية والايديولوجية. وهي ثلاث فئات :

1 ـ أحزاب نشأت نتيجة ترتيب (من السلطة) لعمليات انشقاق من الفصائل المعروفة في الحركة الوطنية الفلسطينية ومنها:

* الحركة الوطنية للتغيير بقطاع غزة بقيادة خضر المغربي من الجبهة الشعبية ,
* التجمع الوطني الديقراطي بالضفة الغربية بقيادة يوسف عطوان من الجبهة الشعبية.
* أبو نضال مسلمي ، في غزة ومجموعته من الجبهة الشعبية (وهو عضو مكتب سياسي سابق).
* رياض المالكي: "التيار الديمقراطي الجديد"، عن الجبهة الشعبية .
* الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ لجنة الطوارئ ـ (من كوادر كانت بالشعبية).
* جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة عبد الفتاح غانم وأحمد نجم ـ انشقاق عن ج.ت.ف.ـ محمد عباس .
* الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة المؤقتة بقيادة سليم أبو السعود .
* ومجموعة أخرى منشقة عن القيادة العامة تحت اسم الجبهة الاسلامية لتحرير فلسطين بقيادة مصطفى خميس.
* جبهة التحرير العربية ـ القيادة المؤقتة بقيادة جميل شحادة.

2 ـ أحزاب نشأت من رحم : الجهاد الاسلامي وحماس .

* حزب الخلاص الاسلامي وحزب المسار الاسلامي من رحم حماس ، والجبهة الاسلامية الفلسطينية الخ...
* الجهاد الاسلامي (بيت المقدس)
* الجهاد الاسلامي (كتائب الأقصى)

3 ـ وهناك أحزاب أخرى نشأت بولادات تفريخية جديدة وعددها (10) أحزاب.

أما فريق الدكتور حيدر عبد الشافي، فكان يطلب التنسيق حتى لايفترسنا الاسرائيلي، على حد تعبير د.موفق العلاّف رئيس الوفد السوري في مفاوضات واشنطن. وطالب تكراراً في تونس وفي اجتماعات وزراء خارجية دول الطوق بتعليق المفاوضات الفلسطينية ـ الاسرائيلية بدءاً من الجولة السادسة في واشنطن، وتعليق مفاوضات كل المسارات بدءاً من الجولة العاشرة في اجتماعات وزراء الخارجية واشتراط وقف الاستيطان لاستئناف المفاوضات. ورَفَضَ هذا الفريق تعليمات عرفات بقبول الورقة الأمريكية في الجولة الثامنة، وبعدها تم تجاهله، وفتحت مجموعة تونس مفاوضات أوسلو الموازية من وراء ظهر فريق عبد الشافي. وكانت المفاجأة كاملة له ولفريقه عند تسرب إعلان توقيع أوسلو بالأحرف الأولى (أبو علاء ـ يوئيل زينغر ـ أوري سافير).

الوقائع تبوح بالحقيقة، فلم يصل أي طرف في واشنطن إلى اتفاقية ثنائية قبل أوسلو. وهنا تنهار الادعاءات، كما لم تطلب أبداً منظمة التحرير الفلسطينية أخذ مرونة ما.. في أي اجتماع لوزراء خارجية الطوق.

والأهم، حاولنا دائماً الربط والتزامن بين مسارات التفاوض عملاً بقرار مجلسنا الوطني عشية مؤتمر مدريد، وهذا ما رفضه وقفز عنه فريق أوسلو في تونس، وما يفصح عنه محمود عباس في كتابه طريق أوسلو.

أكشف لكم واقعة من سلسلة تطول: واحدة ضمت عبد الحليم خدام، أحمد قبلان(سورية)، عرفات، حواتمة، جمال الصوراني (منظمة التحرير الفلسطينية) في 2 أيلول 1991 في ليبيا وبمناسبة عيد الفاتح، طَرَحْتُ ضرورة الانفتاح والتنسيق بين منظمة التحرير والأردن وسوريا ولبنان لأن طبخة بيكر وشامير تفصل المسارات وتفك أي ارتباط تفاوضي بينها، وقد وقع حوار ساخن لم نصل به إلى نتيجة لأن مفاوضات بيكر الثنائية السرية قد أنجزت فصل المسارات وفك أي ارتباط تفاوضي بينها، وحصرتها بإطار المفاوضات الثنائية المباشرة وفق أسس خاصة بكل مسار تفاوضي!!

والثانية في عمان كانت بيني وبين طاهر المصري رئيس وزراء الأردن أثناء التحضير لمؤتمر مدريد مؤكداً أن الأردن لن يوقع أي اتفاق قبل التوقيع الفلسطيني. وهذا الذي حصل فعلاً. فبعد اشهر من اتفاق أوسلو(2) (طابا/4 أيار/ مايو 1994) تم توقيع اتفاق وادي عربة!.

قلت لنايف حواتمة:

■ شكت الانتفاضة، خلال مسارها وتصاعدها العارم من أزمة إمداد مالي، وهذه مسألة ليست سهلة في عمل نضالي واسع على هذا المستوى! فكيف تشكو الانتفاضة من أزمة كهذه، وهناك فصائل عريقة وموجودة ومشاركة بها، ثم أن بعضها اشتهر بإمكاناته المادية الكبيرة؟!

فتنهد قائلاً:

■■ أنتج نهوض الانتفاضة، وعمقها واتساعها، صيغة جديدة في العلاقات الاجتماعية، في صف الشعب في الأراضي العربية المحتلة، قائمة على التكافل بين الأسر.. بين الناس.. في

البلدات.. وفي المدن.. في المخيمات وفي الأرياف.. كان هذا السمة البارزة فيها، فضلاً عن الأموال التي انصبت عليها لحل مشكلات النضال!

عاشت الانتفاضة عمراً مديداً، ومرت عبره بمصاعب كبرى تم حلها دون توليد أزمات حياتية طاحنة!! وفي المراجعة النقدية العامة والذاتية نكتشف أن الأزمة الطاحنة التي نخرت الانتفاضة أزمة سياسية برنامجية بدأت منذ إعلان عرفات الشهير في جنيف قبول شروط الإدارة الأمريكية الثلاثة.. حتى أوسلو -1-.

فقلت باستغراب :

■ ولكن في لحظة ما أعلن أن الانتفاضة تعاني من أزمة مالية!!

وهنا ضحك حواتمة، وقال:

■■ أنت الذي قاطعتني. فقد كنت أنا الذي سأسأل هذا السؤال وأجيب عليه!

متى بدأت الانتفاضة تعاني الأزمة المالية؟

لقد تم ذلك، عندما دخلت في مأزق واستعصاء اتفاق أوسلو-1-!! وعندها، وفوراً أعلن ياسر عرفات أن منظمة التحرير الفلسطينية أفلست تماماً، وأن صندوقها بات فارغاً، وذلك لوضع شعب الانتفاضة أمام طارىء جديد. وعلى هذه الحجة، أوقف الجناح اليميني، والذي بيده الهيمنة على القرار المالي في منظمة التحرير، أوقف كل التزامات المنظمة تجاه الهياكل الإدارية والعسكرية والشهداء والأسرى والمؤسسات الاجتماعية، ثم أدار ظهره كاملاً لتجمعات الشتات..

وكل هذا يشكل استجابة لاتفاق أوسلو-1-، ويهدف لوضع الشعب أمام نتيجة مفادها: أن أوسلو هو نتاج إفلاس صندوق المنظمة بالإضافة إلى خلل حرب الخليج الثانية. ولوضع شعبنا في الشتات أمام المأزق المفتعل وهو إفلاس الصندوق القومي، وأن الدول العربية أدارت ظهرها للقضية الفلسطينية وتمويلها، وكل هذا من أجل خلق مناخ لتنازلات أوسلو[11] .

هذا هو الهدف من إعلان وجود الأزمة المالية في الانتفاضة، ولم يكن بإمكان القوى اليسارية الديمقراطية والوطنية والإسلامية المناضلة والشخصيات المستنيرة، بناء جبهة متحدة تحاصر هذه الظواهر المرّة السياسية والمادية وتسرّع بعودة الروح والوعي الشامل لصفوف شعبنا ومن محاصرة أوسلو على طريق تجاوزها...

---

(11) من المفاوضات أن عرفات استدعى المليونير الفلسطيني حسيب الصباغ إلى تونس بعد توقيع اتفاق أوسلو بقليل وقال له: "هذا ما استطعت تحقيقه لشعبنا في هذه المرحلة والآن جاء دور روتشيلد فلسطين ليبني الدولة.. وبناء الدولة يحتاج إلى أموال.. ونحن الآن مفلسون.. والأولوية الآن لبناء وتجهيز الشرطة"ـ (المفاوضات السرية ـ محمد حسنين هيكل ـ سلام الأوهام ـ الكتاب الثالث ـ ص317) 1996.

* وفي موقف آخر وعلى التلفون في عمان قال عرفات لرجل الأعمال حسيب الصباغ: "يا أبو سهيل.. إن روتشيلد فلسطين لم يؤد دوره في بناء الدولة حتى الآن". ورد عليه حسيب الصباغ منفعلاً: "يا أبو عمار.. لأن بن غوريون فلسطين لم يُؤدِّ دوره في إقامة الدولة حتى الآن"...(المرجع السابق ص412).

ـ كما أن الرئيس الاندونيسي سوهارتو أثناء زيارته للأردن في ت1996/2 فوجىء برسالة من عرفات يطلب منه فيها تسديد مبلغ ثلاثة مليارات دولار كان قد اقترضها من م.ت.ف في أوائل 1983 ولم يسدد منها سوى (450) مليون دولار. (جريدة الأردن ـ عمان ـ عدد يوم 1996/11/16).

صمت حواتمة ، ثم ردد و كأنه يحدث نفسه بألم:

■■ **هذا هو الهدف ... هذا ما فعله الجناح اليميني ويمين الوسط في منظمة التحرير!**

فقلت له :

■ والجبهة الديمقراطية..كيف تعاملت مالياً مع الانتفاضة، أو بالأدق هل هناك نسبة لما صرفته من أجلها؟!

فرد حواتمة بثقة كاملة :

■■ **اسأل رفاقنا "اللجنة المالية المركزية" المسؤولة عن الجوانب التقنية في الموازنات وتجييك اللجنة صراحة عن كل ما تريد على هذا الصعيد[12] .**

وأوضح بعد تفكير قليل أبعاد هذه المسألة قائلاً:

■■ **لقد تطورت برامجنا، السياسية، التنظيمية، العسكرية، المالية، بشكل عاصف مع بدء الانتفاضة وصمود مليونين من البشر في الميدان، فثلاثة أجيال تخوض الانتفاضة الكبرى على درب الخلاص من الاحتلال ووقف زحف الاستيطان.**

التطور المتصاعد، والذي يمكن تسميته فعلاً بالعاصف، بدأ مع الأشهر الأولى للانتفاضة، ورسا الدعم المالي للأرض المحتلة على نسبة ثمانية وستين بالمئة من مجموع الموازنة، وبقيت نسبة اثنتين وثلاثين بالمئة لكل الشتات بما فيه قواتنا المسلحة!

■ ولكن هذا ينعكس على تصعيد عمل القوات المسلحة، فيصبح عاملاً معيقاً إضافياً لما وصفته بالصعوبات الاقليمية، وهنا أسألك: هل فكرتم بتصعيد عمليات الإسناد من الخارج نحو الداخل... أقصد عسكرياً؟!

■■ **بالتأكيد، وبرغم كل الظروف، فقد اعتمدنا عملية التصعيد كخط ثابت في حياة الانتفاضة وقمنا بعمليات خطوط التماس إلى الداخل لتخفيف ضغط قوات الاحتلال على صدر شعبنا والانتفاضة وهنا أذكر عملية القدس الأولى، وعملية القدس الثانية المشهورتين، اللتين تمتا في القدس الغربية: واحدة على باب وزارة التجارة الاسرائيلية في القدس الغربية.**

وعديدة هي العمليات التي تمت من جنوب لبنان باتجاه الأراضي المحتلة والشريط الحدودي بهدف مزيد من البعثرة والتشتيت لقوات الاحتلال حتى لاتنصب بمجملها على جسد شعب الأرض المحتلة[13] .

---

(12) "68 بالمئة من مجموع موازنة ج.د للانتفاضة والأرض المحتلة ، 32 بالمئة للشتات ومجموع الجسم العسكري والتنظيمي والأمني والاداري. لايدخل في هذا المساعدات للانتفاضة من المنظمات الدولية غير الحكومية ، والكنائس الأوروبية والأمريكية والمؤسسات الانسانية المتعددة فكل الجهد المركزي في الأرض المحتلة وتنظيمات الجبهة الديمقراطية في أوروبا والأمريكتين دفعت وتدفع باتجاه المساعدات للشعب والانتفاضة والصمود في الوطن المحتل". (اللجنة المالية المركزية في الجبهة الديمقراطية).

(13) وفق تقرير إحصائي لوكالة الصحافة الفرنسية فإن أكثر من (1100) شهيد فلسطيني سقطوا برصاص الجيش والمستوطنين خلال سنوات الانتفاضة منذ 1987/12/7 وحتى 1994/7/24 إبان دخول عرفات غزة. وتضاف له أرقام مضاعفة من المعطوبين والمصابين.⇐

■ هل تعني عودتكم إلى مناطق الحكم الذاتي إمكانية تحرك جدي لانتفاضة جديدة؟

■■ عوامل الانتفاضة الجديدة والمتطورة نارها تحت الرماد، فالأزمة مع الاحتلال وغول الاستيطان الزاحف متعاظمة بعد إطلاق برنامج حكومة تحالف اليمين التوسعي المتوحش، الجغرافي والديمغرافي، ويومياً تتم مصادرات أرض وتجاوزات كرافانات البيوت الجاهزة، المستوطنات الجديدة(8500) بيت على أرض الضفة فضلاً عن إطلاق يد توسيع مستوطنات جنوب غزة (كفاردراوم ، غوش قطيف، كفار يام/ المواصي)، تهويد القدس متسارع، سياسة الخنق الاقتصادي، البطالة، الجوع، فضلاً عن قمع سلطة الحكم الذاتي للحريات حتى الموت تحت التعذيب، الاعتقالات، الفساد والنهب، تدمير نُوَى مؤسسات المجتمع المدني، بينما سيد اللاءات الثلاث لا لوقف الاستيطان، لا لتقرير المصير والدولة المستقلة، لا للعودة، يتربع على قمة الدولة العبرية حتى عام (2000)، فضلاً عن القدس الموحدة عاصمة أبدية لاسرائيل...

⇐ ـ علي بدوان في اتصال خاص مع وكالة الصحافة الفرنسية ـ المكتب الاقليمي ـ نيقوسيا ـ 1996/11/2). وكان حواتمة قد أعلن في مهرجان جماهيري حاشد في النادي العربي الفلسطيني 1994/2/18 عن أكثر من (100) شهيد في صفوف الانتفاضة هم من أعضاء وكوادر الجبهة الديمقراطية، وفي المقدمة: "فايزة مفارجه، أحمد الكيلاني، حاتم السيسي، حسام البيك، حسام البقري، محمود برغوثي ، حسين عبيدات ، هنية غزاونة ، علاء عبيد ، عليان عليان ، مصطفى بركات، ناجي شقير، بهاء محيسن، سلام جلال مصلح، فوزي عيسى لداوده، نصر محمود شريتح، ياسر أبو غوش، إبراهيم خالد، عطوه لطفي، أيمن جبران، حسن معالي، عبد الله عطايا، خالد أبو عيد، ماجد خليل، مصطفى عبيدات، عمر العبديني، زهير غانم، عاطف شخشير، محمود حويطي، أكرم خويلد، زياد عمارنة، عمر حمارنه، فايز شقور، مثقال ضراعمة، رضا زيد الكيلاني، جهاد أبو زينة، جعفر دويكات، محمد المصري، عابد بني عودة، سعيد برية، يونس أبو العطا، محمد سمور، خالد الخطيب، منال سمور، وفاء عليان، سهير عليان، سهير عفاني، مهدية صيدم، اسامة عروقي، عوض السردي، يوسف أبو لافي، صلاح شاهين، رضوان زيادة، محمد عبد الكريم البطاط، حمد عارضة، خليل حمايسة، حمدان رأفت، نائل حمارنة، جواد رحال، ياسر الدقاق، اسحق المراغي، نجيب حويل، يوسف أبو عرب، حسام أمين، سهيل غزال، معروف أبو السعود، محمد بني عودة، إياد الصفدي، أسامة المصري، وائل الخراز، عزام نصاصرة، عزام حسني، حسين زهران، سعيد خليل، ياسر عمارنة، إبراهيم الزريقي، إبراهيم فراقع، فايز الطرايرة، عصام براهمة، خليل أبو خديجة، أنور ربيع، مصطفى عكاوي".

ـ وفي جنوب لبنان سقط للجبهة الديمقراطية في الفترة الممتدة بين العام 1987 ـ 1996 (224) شهيدا بعمليات عسكرية ضد مواقع الاحتلال وضد مواقع عسكرية اسرائيلية شمال فلسطين... ومعظم هؤلاء الشهداء تم دفنهم في مقبرة الأرقام على جسر بنات يعقوب. ومن أبرز العمليات الخاصة لقوات الجبهة خلال تلك الفترة، العمليات التالية:

* عملية شهداء نابلس	1988/6/2	سقط ثلاثة شهداء
* عملية القدس	1989/2/21	سقط ثلاثة شهداء
*عملية شهداء رفح	1990/2/14	سقط شهيد ووقع ثلاثة بالأسر
* عملية شهداء الأقصى	1990/12/9	سقط فيها خمسة شهداء
* عملية الشهيدة فايزة مفارجة	1990/12/16	سقط فيها ثلاثة شهداء
* عملية شهداء مخيم بلاطة	1991/3/16	سقط فيها ثلاثة شهداء
* عملية شهداء صقور العودة	1992/10/14	وقع فيها ثلاثة أسرى
* عملية شهداء الانتفاضة	1993/4/22	سقط فيها ثلاثة شهداء
* عملية شهداء الحرم الابراهيمي	1994/4/22	سقط فيها شهيدان
* عملية الشهيد أبو عدنان	1995/9/5	سقط فيها شهيد واحد
* عملية شهداء صقور الاستقلال	1995/10/25	سقط فيها شهيدان
* عملية شهداء قانا	1996/8/11	سقط فيها ثلاثة شهداء

ـ المصدر: (قسم الشؤون الاجتماعية ـ الجبهة الديمقراطية) ـ
مقابلة خاصة مع مسؤول القسم ـ مخيم اليرموك 1996/11/6 .

هذا كله يستنفر كل طبقات شعبنا وتياراته، ما عدا شريحة من العملاء وسماسرة الأرض، وعليه فعوامل الانتفاضة كامنة، تنتظر "الشرارة التي تشعل السهل كله وهذا واقع لامحالة" بأشكال جديدة متطورة، وهنا يأتي دور القوى المنظمة في الميدان، دور الرموز التاريخية الفاعلة، وبالتأكيد فللقادة أدوار في تاريخ كل شعب وخاصة عند المنعطفات ومفترقات الطرق، في سياق فهم اللحظة الذهبية في الزمان والمكان. ومن هنا فتح كل المعابر لفريق أوسلو، وغلقها على المناضلين لتجاوز أوسلو. وهذا تفسير قفل حدود الوطن أمامنا حتى الآن، ومع ذلك البركة وافرة بطاقات قوانا وقياداتنا ومناضلينا والأقربين في الأرض المحتلة.

■ كان من المفترض أن تفتح الانتفاضة أجواء حوار واسعة ـ ولكني لاحظت من كلامكم غياب، أو شبه غياب لمثل هذا الحوار الواسع... لم يحدث حوار مع الفصائل العشرة الموجودة في سورية! دائماً الحديث يتم عن قوى من نوعية محددة!!

■■ الأساس الفصائل والقوى الفاعلة في ميدان الأرض المحتلة حيث يتقرر المسار والمصير للشعب والوطن والحقوق الوطنية، هذا أولاً. وثانياً، لاوجود لفصائل عشرة في سورية كما لا وجود لفصائل خمسة أوعشرة في الأرض المحتلة أو الأردن أو لبنان...الخ بل توجد تنظيمات لفصائل على مدى الأرض المحتلة والشتات، ولاجود لمثل هذا عند فصائل أخرى. فهي إما مقتصرة على الأرض المحتلة، أو على عدد من أقطار الشتات!

وبالتأكيد، فالحوار مفتوح في الساحة الفلسطينية دوماً وبتفاوت. وعندما تم توقيع اتفاق أوسلو، ومن أهداف الاحتلال الملموسة منه إجهاض الانتفاضة، قدَّمنا بديلنا وحلولنا للجماهير وجميع الفصائل وكل من حولنا إقليمياً ودولياً بما أصبنا وبما أخطأنا...هذه بدائلنا...حلولنا... تعالوا لنتحاور وصولاً للجوامع المشتركة فالحكمة جماعية، وليس من فصيل رئيسي أو ثانوي يملك الحق والحقيقة كاملة.. وإلاّ دخلنا بوابة التجربة/ المأساه الأفغانية...الكردية... الحركات المسلحة الاسلامية في مصر والجزائر وباكستان وغيرها، كل يلغي الآخر، ويخوض حرب الإبادة معه، وكّل يقدم نفسه لوحده القيِّم علـى إقامة "مجتمع الحرية والاستقلال"، أو جنة الله على الأرض"، أو "حاكمية الله"!

الموقف العريض في الشارع الفلسطيني استجاب وعبر عن نفسه بأشكال متعددة: في الاضرابات الشاملة. والمواقف والآراء داخل الأرض المحتلة وفي الشتات، وبين الفصائل.. وبالضرورة كان ذلك متفاوتاً ومتنوعاً، لأنه محكوم بالرؤيا المنهجية المتباينة بين التيارات الرئيسية في الحركة الفلسطينية!

وكل القوى الديمقراطية الفلسطينية التي تدين اتفاقات أوسلو الظالمة وتدعو لتجاوزها، كانت المساحة بيننا وبينها واسعة: الجبهة الشعبية، حزب الشعب والكثير من قواعد وكوادر فتح، إضافة لعدد من لجنتها المركزية: (فاروق القدومي، هاني الحسن، عباس زكي، أبو ماهر غنيم، أديب الزعنون وآخرين) ـ كما أن حجماً واسعاً من الشخصيات الهامة اتخذت موقفاً إيجابياً مما قدمناه مثل: خالد الفاهوم ـ د. حيدر عبد الشافي ـ د. إدوارد سعيد ـ محمود درويش ـ

بسام الشكعة - وحيد الحمد الله ، عودة الرنتيسي - عصام عبد الهادي - سميحة خليل - شفيق الحوت - عبد الله حوراني - المحامي ابراهيم بكر - غازي الصوراني - د. نصير عاروري - د. غادة الكرمي - د. غادة تلحمي - المحامي ظافر الخضرا - أحمد صدقي الدجاني - د. أسامة النقيب - بهجت أبو غربية - د. لبيب قمحاوي - د. عصام الطاهر - عبد الرحمن البيطار والمئات من هذه الشخصيات التي عبرت عن مواقفها من أطروحاتنا في أكثر من وثيقة مشتركة تجاه أوسلو والبديل وما بعد أوسلو[14] .

وفي هذا السياق، انعقدت دورة عمل باكرة لكل القيادات، التي رفضت أو تحفظت أو انتقدت اتفاق أوسلو -1-، لقد انعقدت هذه الدورة في مقر الجبهة الديمقراطية، في قاعة الشهيد خالد نزال، بتاريخ 7 تشرين الأول/ أكتوبر 1993 أي بعد عشرين يوماً فقط من اتفاق أوسلو "1" وحضر هذا الاجتماع قادة الفصائل العشرة[15] .

ولقد تقدمت الجبهة الديمقراطية بورقة عمل إلى الجميع، وبعد حوار طويل، تم إدخال التعديلات الضرورية عليها وإقرارها وإعلانها في يوم 9 تشرين الأول/ أكتوبر 1993 والورقة تؤكد على إعادة بناء القيادة الموحدة للانتفاضة من القوى العاملة في الأرض المحتلة، وتحديداً: الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية وحركة حماس والجهاد الاسلامي(16) لأن كل القوى تقر بأن هذه

---

(14) يمكن العودة إلى الوثيقة التي وقعها 117 عضواً من أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني من مختلف الاتجاهات ومن الفعاليات الفلسطينية وأعلن عنها في مؤتمر صحفي عقد في آن واحد في القدس وعمان وبيروت ودمشق يوم 1992/3/15 حيث دعت الوثيقة (المذكرة) إلى استخلاص الدروس من جولات المفاوضات الثنائية، وقلق قطاعات واسعة من أبناء الشعب الفلسطيني إزاء مجرى العملية السياسية التي انطلقت من مؤتمر مدريد. (انظر ملحق الوثائق - وثيقة رقم11). - الحرية (1992/3/28) العدد 1521/446 . كذلك الوثيقة الموقعة من (171) عضواً من المجلس الوطني ومن الشخصيات المستقلة تحت عنوان: لا لعقد المجلس وتعديل الميثاق - بدون وقف الاستيطان وحق تقرير المصير، وحملت تواقيع أسماء بارزة في الساحة الفلسطينية داخل فلسطين وخارجها. (أنظر ملحق الوثائق - وثيقة رقم 12). - الحرية (1994/9/3) . العدد 1638/563

(15) القيادات الفلسطينية التي حضرت الاجتماع المذكور تمثلت بأمنائها العامين ورموز قيادية منها وهم :

* نايف حواتمة ، قيس عبد الكريم ، فهد سليمان (الجبهة الديمقراطية).
* أبو علي مصطفى ، أبو أحمد فؤاد (الجبهة الشعبية)
* أحمد جبريل - طلال ناجي ، فضل شرورو (الجبهة الشعبية - القيادة العامة).
* موسى أبو مرزوق ، ابراهيم غوشة ، محمد نزال ، عماد العلمي (حماس).
* عصام القاضي ، محمد خليفة ، سامي قنديل (الصاعقة).
* الشهيد د. فتحي شقاقي ، أبو أحمد عصام (الجهاد الاسلامي).
* خالد عبد المجيد ، أبو سليم (جبهة النضال).
* أبو موسى ، أبو خالد العملة (فتح الانتفاضة).
* أبو نضال الأشقر - علي عزيز (جبهة التحرير الفلسطينية).
* عربي عواد ، عبد الله النمر (الحزب الشيوعي الثوري).

(16) لم تنتظم حماس والجهاد الاسلامي في إطار القيادة الموحدة للانتفاضة تحت عنوان القيادة الوطنية والاسلامية الموحدة للانتفاضة. ووقعت وتقع أشكال من التنسيق الميداني المتعدد بين كل من الجبهتين الديمقراطية والشعبية وحماس والجهاد الاسلامي داخل الأرض المحتلة وفي مناطق سلطة الحكم الذاتي .

- وفي الشتات لم تلتزم فصائل جبهة الإنقاذ بالعودة للمؤتمرات الشعبية في أقطار الشتات وإعادة بناء الاتحادات النقابية والمهنية بالانتخابات من القاعدة حيث بقيت إلى الآن تراوح منذ عام 1982 في أطر بيروقراطية فوقية بدون قواعد، بدون انتخابات جدية ديمقراطية حرة.

الفصائل الأربعة هي التي لها حضور منظم فاعل في الوطن بالإضافة إلى حركة فتح وحزب الشعب اللذين خرجا عن القيادة الموحدة بعد 13 أيلول 93 مباشرة انسجاماً مع التزامات اتفاق أوسلو.

كذلك دعت ورقة العمل القيادة الموحدة هذه إلى مواصلة خط الانتفاضة الذي أعلن عن نفسه بالنضال ضد الأحتلال والاستيطان وصولاً إلى حق تقرير المصير والاستقلال، وإلى أن نبادر في الشتات إلى سلسلة من المؤتمرات الشعبية المنتخبة التي يتم تتويجها بمؤتمر عام بين الداخل والخارج، ليشكل المرجعية الوطنية الائتلافية الموحدة لكل شعبنا وأمام العالم. فنحن دعاة العودة إلى المرجعية الشعبية (انتخابات ، استفتاءات...) ولم تعد كافية المرجعية الثورية والمرجعية التاريخية التي شقت طريقها في مجرى الثورة... نحن عند حالة مفصلية جديدة تتطلب بالضرورة أجوبة جديدة.

ومرة أخرى، من المحزن أن هذا لم يشق طريقه إلى الأمام بفضل عوامل فئوية داخلية غلّبت المصالح الفئوية والتعارضات الداخلية على ضرورة التوحد بدلاً من أن ترتقي وتندفع في مجرى ماتم تقريره وبالاجماع في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 1993.

وهنا تتدخل أيضاً العوامل الاقليمية العربية وكل من موقعه طالما لاتوجد سياسة عربية مشتركة متوازنة، وطالما لايوجد قرار الانخراط بالنضال لتجاوز أوسلو كما وقع تجاه اتفاق 17 أيار/ مايو 1983 في لبنان. فالربط بين الوطني والقومي الغائب الأكبر منذ بدء عمليات التحضير لمؤتمر مدريد، فمفهوم الحلول الثنائية هو الطاغي حتى الآن.

ونقطة أخيرة : التوصيف الذي ورد بسؤالكم الفصائل العشرة الموجودة في سوريا فالديمقراطية والشعبية وحماس والجهاد الاسلامي، قواها، كوادرها الرئيسية في الأرض المحتلة بل وأغلبية قياداتها وتنظيماتها.

ومنذ البدء شملت برامج كل من الجبهة الديمقراطية، الجبهة الشعبية، حركة فتح ، وامتداداتها التنظيمية والجماهيرية كل المواقع حيث يتواجد الشعب الفلسطيني على امتداد الوطن والشتات في الأقطار العربية والمهاجر الأجنبية.

■ أفرزت الانتفاضة دوراً وطنياً كبيراً للقوى الاسلامية كيف تنظرون إلى هذا الدور؟!

■■ القوى الإسلامية السياسية بقيت خارج الانخراط المباشر والشامل في الثورة وائتلاف منظمة التحرير أكثر من عشرين عاماً، وفي ك2/ يناير 1987 برزت الخطوة الأولى للجهاد الاسلامي (انشقاق عن الإخوان المسلمين منذ عام 1980 بزعامة الشهيد فتحي الشقاقي تحت ضغط ضرورة الانخراط في مقاومة الاحتلال واستعادة فريضة الجهاد الغائبة)[17] .

الاخوان المسلمون شاركوا أفراداً في منظمة فتح، وساندوها في المعارك الانتخابية الطلابية والمهنية مقابل القوى اليسارية الديمقراطية في الوطن المحتل، واتحادات منظمة التحرير في الشتات حتى الانتفاضة.

---

(17) تأثرت الجهاد بأفكار الامام أبو الأعلى المودودي (باكستان) وسيد قطب (مصر) بنظرية الفريضة الغائبة، فريضة الجهاد، كما تأثرت بأفكار الامام الخميني. حوار مع الشقاقي وآخرين آب/1994 - دمشق.

وفي آب 1988 أعلن الأخوان المسلمون حركة حماس. ففي بحر عنفوان الانتفاضة الشاملة لايمكن البقاء خارجها .

وقد رحبت الجبهة الديمقراطية، منذ البداية، بهذه القوى، وعملت على الائتلاف المشترك في القيادة الموحدة للانتفاضة. لكن حركتي حماس والجهاد الاسلامي واصلتا، كل منهما، دورها بموازاة القيادة الموحدة، ورحبنا بهذا أيضاً! فنحن دعاة ائتلاف كل التيارات على قاعدة تغليب التناقض الرئيسي مع المحتلين والمستوطنين على التعارض في الصف الوطني بطيف ألوانه، ومع كل اصطفاف ممكن في الميدان. وعليه بنينا التعاون المتعدد في الميدان مع حماس والجهاد في الوطن المحتل (مهرجانات ـ مظاهرات ـ نداءات مشتركة) وفي الشتات كنا : الديمقراطية والشعبية والقيادة العامة والجهاد، الأربعة المبادرين لبناء تحالف الفصائل العشرة لمحاصرة مخاطر اتفاق أوسلو الظالم، والعمل على تطوير قيادة موحدة في الوطن والمؤتمرات الشعبية في الشتات.. كنا نعمق .. وندعو إلى أعرض جبهة وطنية بين التيارات الوطنية الرئيسية الثلاثة في صفوف شعبنا (اليسارية الوطنية الديمقراطية ـ القومية ـ الاسلامية السياسية) لنناضل معاً إلى أمام ، على طريق تجاوز صفقات أوسلو الجزئية الظالمة، وفي صف متحد لإنهاء الاحتلال ووقف الاستيطان، والفتح على تقرير المصير والدولة بعاصمتها القدس والعودة.

دعوتنا تنطلق من رؤيتنا المبدئية الاستقلالية في حل مسائل قوانين التعارض والتناقض على المساحات الوطنية والعربية والاسلامية والدولية.

■ ربما تتجاوزكم هذه القوى مع الأيام !

■■ لايمكن تجاوز الفصائل والتيار اليساري الوطني الديمقراطي والقومي ، فجذورنا عميقة وعريضة في صف شعبنا وأرض الوطن.

وهذه الـ «ربما» مفتوحة على كل الاحتمالات، ومشروطة بقدرة كل تيار على تقديم الحلول والبرامج الواقعية والعملية الجديدة لقضايا ـ المرحلة ـ والتحالفات وأساليب النضال.

وقال حواتمة بأريحية وثقة :

■■ لنفحص ما يجري على الأرض على عمق ثلاثين عاماً ما قبل عام 1988 وما بعده، ونلمس ما يدور..

فالتيار الاسلامي السياسي، لم يتقدم حتى الآن ببرنامج سياسي ملموس وطيف مواقف قادته واسع حتى التناقض، وعصفت به عديد السياسات وتوالد الأحزاب، كما تفصح عنها بيانات وتصريحات المواقع المتعددة في هذا الاتجاه أو ذاك فضلاً عن عملية تفريخ أكثر من عشرة أحزاب اسلامية في الأرض المحتلة بينها ثلاثة من رحم حماس، وثلاثة تحمل عنوان الجهاد[18] !

إن تاريخ نضال شعبنا يعلمنا جميعاً أن التيارات الوطنية الرئيسية الثلاثة نابعة من صف الشعب ومصالحه الوطنية والطبقية وعقله وروحه، وكل تيار بديل حاله. ولا أحد يستطيع إلغاء الآخر.

---

(18) تقرير اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية، أيار 1994 ص45 ـ وقائع البيانات وتعدد الأحزاب الاسلامية السياسية في الأرض المحتلة.

والتيار الذي لايستطيع تقديم الحلول الجديدة للقضايا الجديدة يتجاوزه الزمن وستزهر أرض الشعب بانتاجه من جديد ولكن بشكل متطور عن الذي طواه الزمن.

■ بكلمة واحدة، قل لي: هل خان الجناح اليميني الانتفاضة، أم أنه لم يستطع خوض معركتها، فقدم تنازلاته؟!

فرد حواتمة بصوت واثق:

■■ بالتأكيد خذلها بعد أن فتحت آفاق تقرير المصير والدولة، ثم غدر بها وفق معادلة أوسلو مقابل وقف الانتفاضة.

وأقول لك: إن الانتفاضة هي الانتفاضة المغدورة على يد هذا الجناح !

وفكر قليلاً، ثم قال:

■■ قد تسأل لماذا؟ لأنه كان بإمكاننا رغم حرب الخليج الثانية أن نتمسك بقرارات المجلس الوطني التي اتخذناها معاً في الجزائر في أيلول 1991 ، ثم قرارات المجلس المركزي في تونس الذي انعقد في ت1/ أكتوبر 1991 قبل أيام من مؤتمر مدريد.

إن التمسك بهذه القرارات يعني الذهاب معاً إلى مدريد بإطار تفاوضي آخر، يستجيب للحدود الدنيا في برنامج يجمع بين برنامج الانتفاضة (الحرية والاستقلال)، وبين برنامج الإجماع الوطني (تقرير المصير والاستقلال والعودة) أي أن نذهب إلى مدريد في إطار تفاوضي، حالنا حال جيراننا: الأردن ولبنان وسورية، للمفاوضات على أساس مرحلة واحدة وحل شامل في إطار القرارين 242 و 338، ومبدأ الأرض مقابل السلام، وحل مشكلة اللاجئين بموجب قرار الأمم المتحدة رقم 194، وهذا يقابله السلام والأمن الشامل مع دولة إسرائيل.

لكن الخبز المر الذي قدمه الخباز (Baker) بشروط شامير على المسار الفسطيني، يتصادم حتى النقيض مع برنامج الانتفاضة ومشروعها الوطني فضلاً عن قواسم المجلس الوطني والشرعية الدولية، وطبخة الخبز تمت في آذار/ مارس ـ أكتوبر/ ت1/ 1991 قبل أن نصل إلى دورة المجلس الوطني (الجزائر ـ أيلول 1991).

وأضاف وكأنه يحزن على ما جرى:

■■ كان هذا ممكناً، كما كان ممكناً مع سورية والأردن ولبنان، الذين ذهبوا في هذا الإطار التفاوضي من الشرعية الدولية وبمرحلة واحدة، بينما اليمين ويمين الوسط في قيادة م.ت.ف، وتحت ضغط الأمريكان وتشجيع الادارة المصرية فضلاً عن شروط الدولة العبرية، كَسَرَ الإجماع الوطني والقرارات المشتركة التي كان يمكن التمسك بها حتى الوصول مع بيكر إلى ذات الإطار التفاوضي السوري، الأردني، اللبناني.

وقد كشفت مذكرات جيمس بيكر تحت عنوان: «الدبلوماسية بين الحرب والسلام»[19] أنه «لم يكن ممكناً لأي من أقطار الطوق العربية الذهاب إلى مدريد دون ذهاب الفلسطينيين».

---

(19) مذكرات جيمس بيكر، نشرت بجريدة «الشرق الأوسط» التي تصدر في لندن، «والنهار» البيروتية في وقت واحد، على امتداد الأشهر الأولى من العام 1996 . وفيها يؤكد بيكر أن «جولاته الـ (11) للمنطقة التي سبقت مدريد كان الهم الرئيسي⇐

وهذا يعني أن التمسك بالاطار المتناظر مع إطارات المسارات العربية كان ممكناً، وهذا يحمي الائتلاف الوطني، ويمكن من مفاوضات توصل إلى الحـدود الدنيـا الجامعـة بـين برنـامج الإجمـاع الوطني لمنظمة التحرير وبرنامج الانتفاضـة وهـذا مـالم يفعلـه الفريـق الآخـر، فخـذل الانتفاضـة وغدر ببرنامجها ودمر برنامج الاجماع الوطـني، مسـتغلاً لتـبرير سياسـته القديمـة الجديـدة، والـتي يتطلع لها منذ عام 1977، بالإرهاقات التي أصابت الانتفاضة وانهيار التضـامن العربـي في حـرب الخليج الثانية.

وصمت حوالمة ، وبدا هذه المرّة أنه لا يريد الاستمرار بسؤال جديد بانتظار ما سيحمله الزمـن القادم !!

← فيها يتمثل بالموضوع الفلسطيني والتمثيل إلى مؤتمر مدريد، لأنه بدون الفلسطينيين لن يكون هناك حل، ولن تـأتي الـدول العربية إلى مدريد. وأنه بلور الإطار التفاوضي الاسرائيلي ـ الفلسطيني وفقاً لشروط شامير بالتحديد».

الفصل الحادي عشر

أعمدة الحكمة ...
(دواخل البيت الفلسطيني)

■ أعمدة الحكمة...
(دواخل البيت الفلسطيني)

إذا كان البيت الفلسطيني، في شتات الأرض المحتلة، قد تحول إلى خيمة، بالمفهوم السياسي لمرحلة ما بعد عام 1948 حيث وقعت النكبة... فإن هذا البيت تاريخاً مفتوحاً على احتمالات الكفاح الوطني ومتغيراته في دوامته اليومية وتناقضاتها!!

وفي هذا التاريخ: صراع وتفاهم ووحدة. ثم صراع وتفاهم ووحدة! و كل هذه المتناقضات تتم في إطار من الطبيعية أحياناً، وفي أحيان أخرى تتم في أجواء مثيرة وغرائبية!

والمسألة التي يمكن التوقف عندها هنا، هي علاقة الأخوة في هذا البيت. فمرة نراهم **أخوة** يوسف، الذين تحدث عنهم القرآن الكريم. ومرة نراهم **الأخوة الأعداء** بتعبير نيكوس كازنتزاكي. ومرة يتحولون إلى أخوة من **طراز جديد**، يتغير مع تغير الأحوال والأزمان!!

ونايف حواتمة، أضحى واحداً من هؤلاء الأخوة... واحداً من الأخوة الكبار في هذا البيت الخيمة. وبإمكانه أيضاً أن يصيح بوجه الأخوة الأصغر كي يكفوا عن الضجيج، أو أن يحتج بوجه الأخوة الأكبر كي يتوقفوا عن المشاغبة!

لذلك كان من الضروري أن يُسأل نايف حواتمة عن كل هذه الأشياء.. حتى وإن احتج، أو عارض السؤال. لكنه فاجأنا، فلم يحتج، و لم يعارض السؤال... حتى ولو كان هذا السؤال فجّاً ومباشراً... إلاّ أن كل إجاباته لم تخرج عن موقعها السياسي داخل البيت!

قلت له في محاولة لفتح الموضوع الذي أريده:

■ الحديث عن شخصية **ياسر عرفات** يبدو حديثاً مثيراً، فأنا أرى شخصيته ضمن دائرة الحدث، أو الأحداث التي عاشها البيت الفلسطيني هي الأكثر غرابة وفعّالية... ورغم كل ما قيل عنه، عاد وتصدر الأمور، مثل كل مرة في حياته السياسية، بعد وصوله إلى قيادة منظمة التحرير...

رد حواتمة بألم:

■■ سآخذ المسألة كحالة، فأنا لست مع شخصنة أي قضية، وضد كل تفسير تآمري للوقائع والتاريخ، ولذا أقول إن عرفات يعبر عن حالة فلسطينية وعربية، ذات اتجاه يميني مكيافيللي، تطمح لاستحضار قضية شعبنا، على خارطة بلدنا والشرق الأوسط. وتعتقد أن كل شيء مُتاح لهذه الحالة، وفقاً للسبل المكيافيللية بأمل الوصول لها!

على هذا الأساس، لا خط سياسي وفكري وتحالفي متماسك لها، فهي ـ أي هذه الحالة ـ تبدل مواقعها وتحالفاتها، المحلية والإقليمية والدولية، كما تبدل قمصانها! وثانياً، هي حالة تعتمد على بناء فتحاوي، يقوم على ربط حياة مصالح أبناء فتح بشخص عرفات. ورغم كل محاولات الذين عملوا لبناء فتحاوي، يقوم على القيادة الجماعية، وشيء من العلاقات الديمقراطية، كصلاح خلف (أبو إياد)(1) وخليل الوزير (أبو جهاد)(2) وفاروق القدومي وأبو ماهر غنيم وأبو الأديب وآخرين. فإنهم لم ينجحوا في هذه المحاولات. وثالثاً: إن النكبة العظمى أصابت مجتمعنا بانهيار وتمزق وطني وطبقي... اجتماعي وثقافي. وهذا ماولّد حالة في صفوف شرائح اجتماعية واسعة نسبياً تتخذ مواقف تجريبية لاتنقطع.(3) ولذا دائماً تعلق أملاً على الميكيافيللية التجريبية التي تشكل منهج الجناح اليميني ويمين الوسط في منظمة التحرير الفلسطينية. ورابعاً: وهذه مسألة مركزية ثقيلة الوزن: اليمين ويمين الوسط، في الحركة الفلسطينية، اعتمد في تاريخه على المعادلة العربية ـ العربية، بمحاورها وصراعاتها، والانحياز إلى هذه المحاور ضد المحور الآخر، وإلى هذه العاصمة ضد العاصمة الأخرى!

إن هذا أعطاه هوامش واسعة في المناورة وضرب الواحد بالآخر. كما أن الخارطة الحاكمة العربية تكاد تكون متقاربة، لتقديم الإسناد الرئيسي للجناح اليميني ويمين الوسط في الحركة الفلسطينية، ولسان حالها أنها لاتريد أمامها قوى متقدمة عليها بخطوة أو خطوات!!

■ ولكن هذا إضعاف للبيت الفلسطيني!!

■■ صحيح تماماً، ورغم كل العوامل التي ذكرتها، بقيت المعادلة الفلسطينية ـ الفلسطينية قادرة على ضبطه في كل مفاصل الانعطافات الكبيرة، وفي إطار البرنامج المشترك الذي يمثل الحد الأدنى في توحيد الشعب داخل وخارج الوطن، وفي صيانة الائتلاف الوطني ضد التناقض الرئيسي: الاحتلال والاستيطان. وتقديم البديل ببرنامج واقعي براغماتي مشترك.

---

(1) صلاح خلف (أبو اياد)، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وأحد أعضاء رعيلها الأول ـ استشهد بتاريخ 1991/1/15 في تونس (اغتيال).

(2) خليل الوزير، ـ أبو جهاد، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وأحد أعضاء رعيلها الأول، قائد تنظيم فتح في الأرض المحتلة. استشهد بعملية اغتيال نفذها الموساد في تونس 1988/4/16.

(3) المواقف التجريبية، نجدها دائماً مشفوعة بالثقافة العامة الشعبويّة Populist الواسعة الانتشار، وتجارب شعبنا المرة التي حصدها على امتداد الخمسين عاماً الأخيرة. تطغى هذه الثقافة على السطح في مراحل الاستعصاءات الكبرى ـ التراجع والجزر. وحكمها «بلكي الله، خلينا نجرِّب، بنشوف، لازم تظبط، مش معقول، بعد كل هالتاريخ، ها قد عاد وصحي ... الخ» ومثال هذا الصارخ بعد قمع ثورة 1936، ودخول الحالة موجة جزر، راهنت الشعبوية العريضة بالأمل على رئيس بعثة التحقيق الانتدابية البريطانية «المستر بيل» وَغَنّتْهُ في دبكاتها:«دبرها يامستر بيل بلكن على إيدك بتحل».

ولذا لم تكن المناورة الميكيافيلّيه واسعة الحيلة لتقرير السياسة الفلسطينية، وتقطع باختلال راجح في المعادلة داخل البيت الفلسطيني، إنها كانت تسبب حالة ضعف مزمنة فعلاً. ولكن اليمين ويمين الوسط كان يستخدم الاختلالات في المعادلة العربية ـ العربية ليستقوي على المعادلة الداخلية، أي: الفلسطينية ـ الفلسطينية.

فقاطعت نايف حواتمة، وقلت له:

■ مناوراته في لحظة من اللحظات غيّرت الكثير.. وهذا ما لمسناه في مدريد!

فأجاب مباشرة:

■■ عرفات ليس فرداً، يمثل شرائح وقوى طبقية، سياسية، اجتماعية، يده الضاربة قوى في فتح ومن يتحلق حولها وحوله. وتذكرون، أننا بعد حرب الخليج الثانية عقدنا المجلس الوطني في الجزائر في أيلول/ سبتمبر 1991. وأخذنا قرارات المشاركة بالعملية التفاوضية السياسية في إطار الشرعية الدولية وبالأسس الستة المعروفة،[4] وبشرط أساسي قبل وصول مدريد هو أن نتلقى ضمانات بوقف الاستيطان قبل بدء المفاوضات، وأكدنا على هذا قبل أسبوعين فقط من مؤتمر مدريد بقرار المجلس المركزي. لكن اليمين ويمين الوسط كسر كل هذا، وذهب إلى مدريد بشروط شامير كما قرّر جيمس بيكر (آذار/ مارس ـ تشرين أول/ أكتوبر 1991)، وفيما بعد أعلن هذا في مذكراته «الدبلوماسية بين الحرب والسلام».

■ لماذا ؟

■■ لأنه لم يتمكن من القبض على المعادلة الفلسطينية ــ الفلسطينية، بل وظّف المعادلة العربية ـ العربية التي نجمت عن حرب الخليج الثانية، بانهيار التضامن العربي واستنزاف الطاقات العربية..الخ. إن الذي يفسر ماحصل، هو اختلال المعادلة العربية ــ العربية، واختلال المعادلة الدولية ببروز الضعف في الاتحاد السوفييتي قبل أن يتفكك. وكل هذا أعطى للجناح اليميني شهية باتجاه التحلل من موجبات استحقاقات البرنامج الوطني المشترك وقرارات مجلسنا الوطني قبل أيام من مدريد.

■ إن كل متتبع لمسار الثورة الفلسطينية يلاحظ مسألة غريبة، وهي أن الجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة، ومنظمة فتح بقيادة عرفات تتبديان، وكأنهما فرادة النضال الفلسطيني. بمعنى أنهما: يسار ويمين، وكثيراً ما يلتقيان في التكتيك!

لقد أثير الكثير حول هذه المسألة، وتحديداً بعد الخروج من بيروت، وهناك مقولة تؤكد أن أقصى اليسار يلتقي مع أقصى اليمين. وهذا ليس توصيفاً لكم ولهم ولكن السؤال يفرض نفسه إذ كيف يلتقي نايف حواتمة مع ياسر عرفات في أغلب المراحل، وهما على طرفي نقيض!

ضحك نايف حواتمة وقال:

---

(4) فصل «أوسلو والسلام الآخر المتوازن» في متن الكتاب تورد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني حيث الأسس الستة التي تتضمن حق م.ت.ف في تشكيل وفدها من الداخل والخارج، وحضور القدس موضوعاً وتمثيلاً، واشتراط وقف الاستيطان قبل الوصول إلى مدريد. «وثائق المجلس الوطني ـ الدورة العشرون ـ صادرة عن رئاسة المجلس ـ أيلول 1991».

■■ ولله الحمد نحن لسنا في أقصى اليسار!

ثم أضاف:

■■ بالوقائع الملموسة مثلت حركة فتح ظاهرة وطنية برجوازية تتراوح مواقفها تجاه القضية الوطنية وخطواتها وتكتيكاتها السياسية بين اليمين ويمين الوسط. وهي ليست في أقصى اليمين وإلاّ يجب أن تكون الأكثر تشدداً وتصلباً مع الدولة العبرية كا أقصى اليمين الإسرائيلي وأقصى اليمين في أوروبا وبلدان العالم الثالث/ من الليكود إلى الجبهة الوطنية في فرنسا (لوبان) إلى حزب الهندوس في الهند.

ربما في مسار العملية المعقدة والطويلة من النضال، تبرز خلالها سلبيات الأحداث والتحولات الفلسطينية - الفلسطينية، والإسرائيلية - العربية - والدولية، ربما ينتهي فريق من فتح يلتف حول كوادر كامنة إلى أقصى اليمين. لكن هذا مرتبط بحركة الصراع الجارية حول مسار ومصير القضية والحقوق الفلسطينية وحلولهما!

ثم عرض نايف حواتمة مراحل النضال الوطني الفلسطيني في مواجهته لعملية الغزو الاستيطاني الاستعماري مؤكداً أن حركة التحرر الفلسطينية لها خصوصية إذا ما قورنت بحركات التحرر العربية الأخرى وهي خصوصية مواجهتها لغزو استيطاني مبرمج وأوروبي المنهجية والتفكير والطاقات. وقال:

■■ إن حركة التحرر الوطني الفلسطينية لها سماتها، خصوصياتها، بضرورة تحشيد كل الطبقات والاتجاهات والتيارات في صفوف الشعب الفلسطيني، باستثناء شريحة محددة من العناصر العميلة وسماسرة الأراضي، المتعاونة مع الغزوة الصهيونية وقوات الاحتلال الإسرائيلية، فجميع الطبقات وجميع الاتجاهات لها مصلحة بنسب متفاوتة في إنهاء الاحتلال والتحرر وصيانة الشخصية الوطنية الفلسطينية في إطار حق تقرير المصير وبناء دولة مستقلة، وبعد النكبة أصبحت عودة الشعب اللاجئ من مكونات هذه الخصوصيات.

إن هذا يعني أن الائتلاف الوطني في الحركة الفلسطينية يجب أن يشمل جبهة عريضة من كل التيارات.[5] والذي يستطيع أن يدفع بهذا الائتلاف الوطني على أساس القواسم المشتركة وفقاً

---

(5) تاريخياً، كانت الساحة الفلسطينية تزخر بكل ألوان الطيف السياسي، وفي الراهن تمتد من القوى اليمينية إلى القوى الديمقراطية والإسلامية، مروراً بالشخصيات المستقلة ذات التوجهات العقائدية المختلفة.

ومنذ انطلاقتها في 1969/2/22، دعت الجبهة الديمقراطية لبناء ائتلاف وطني عريض في إطار م.ت.ف يكون بمثابة جبهة وطنية عريضة لكل الشعب الفلسطيني بكل قواه السياسية. وفي هذا السياق قدمت الجبهة إلى الدورة السادسة للمجلس الوطني التي عقدت في القاهرة في أول أيلول / 1969 مشروعاً لتحقيق وحدة القوى والفئات الفلسطينية في جبهة وطنية فلسطينية موحدة. ودورة المجلس الوطني المذكور، كانت الدورة الأولى التي تشارك الجبهة الديمقراطية في عضويتها. وفي مراحل لاحقة قدمت الجبهة وأسهمت في كل الحوارات والعمل البناء لتطوير صيغة م.ت.ف وتفعيل مؤسساتها خاصة بعد الانعطافات الحادة التي مرت في حياة م.ت.ف، مثلاً عند الخروج من بيروت وعملية الانشقاق في فتح، حيث رفضت الجبهة الديمقراطية أية بدائل عن م.ت.ف الائتلافية ودعت دوماً لتطوير صيغة م.ت.ف نحو جبهة موسعة ائتلافية تقوم على أساس القاسم المشترك.

- المصدر: حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن - دراسة نقدية أيلول 1969 ـ الطبعة الأولى ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الدراسة مقدمة لدورة المجلس الوطني (القاهرة أيلول/ سبتمبر 1969).⇐

لطبيعة كل مرحلة هو القوى اليسارية الواقعية التي تعبر عن مصالح وضمير الأغلبية الساحقة من الشعب بمختلف طبقاته واتجاهاته حتى وإن لم تستطع التغلغل التنظيمي الهائل في هذا الصف الأعرض.

لذا تلحظ أن التقاطع واسع بين الاتجاه اليساري الديمقراطي القادر على اشتقاق المهمات الواقعية بمنظور وطني قومي استقلالي في كل مرحلة وعند كل مفصل مصيري، وبين الاتجاه البرجوازي الوطني في صفوف القوى المعبرة عن الطبقة الوسطى وطموحاتها بالتحرر والاستقلال، كما هي حالة الطبقة الوسطى في البلدان العربية التي لعبت دوراً كبيراً في التحرر والاستقلال أيضاً.

ومن هنا كانت مساحات التقاطع بين الجبهة الديمقراطية المعبرة عن الاتجاه اليساري الديمقراطي الواقعي في الحركة الفلسطينية، وبين حركة فتح المعبرة عن الاتجاه البرجوازي الوطني. والتعبير لايعني التماثل والتمثيل، فهذا شيء آخر. والتقاطع يقع على المساحات المشتركة والصراع يتواصل على القضايا الأخرى، وفي المقدمة منها: كيفية صياغة الائتلاف الوطني في إطار هذا التحالف وبين منظمة التحرير والشعب، وكيفية إنتاج القرار، وخط التحالفات العربية والدولية، والتمثيل النسبي لضمان مشاركة كل التيارات بالقرار.. بمؤسسات المجتمع المدني.. سيادة القانون، الربط بين الوطني والقومي..

ولقد وقع هذا أيضاً على يد الاتجاه اليساري الواقعي، وبالتحديد الاتجاه الماركسي الواقعي في عديد من بلدان العالم الأخرى، كالتجربة الصينية والفيتنامية والكوبية، وجنوب أفريقيا، زيمبابوي، تنزانيا، أنغولا، موزمبيق.. الخ.

■ ولكن المتتبع لعلاقاتكم مع القوى الفلسطينية، يلاحظ ـ إذا استثنينا جورج حبش والجبهة الشعبية ـ أنكم ورغم هذه المقاربة مع عرفات، هناك شيء من الجفاء، أو لنقل عدم الجدية في التعامل مع القوى الأخرى سواء كانت الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة أو جبهة النضال الشعبي أو فتح الانتفاضة أو الفلسطينية.

سارع حواتمة إلى الرد بحزم:

■■ التساؤل الذي تطرحه يحتاج إلى تصحيح مباشر، فنحن رواد سياسة توحيدية شاملة.. وناضلنا وتعاونا مع جميع القوى في إطار إئتلاف منظمة التحرير الفلسطينية وفي إطار عمليات التصحيح والتصويب في مسار الثورة ومنظمة التحرير.. في مسار الانتفاضة.. وكل العمليات السياسية..

وفي هذا السياق، علينا أن نلحظ الوجه الآخر من التحالفات أي الخلافات، فجهودنا كلها بالحوار الناقد ووفقاً لمبدأ: نقد ـ تحالف ـ نقد لنا وعلينا. ومن مواقع رفض تحويلها إلى تناقض فاقتتال.. وأحياناً ننجح وأحياناً أخرى نفشل.. وكثيرة هي الأمثلة على ما أقول.

⇐ * حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية (تحليل وتوقعات) ـ مقدمة إلى دورة المجلس الوطني (القاهرة ـ أيلول/ سبتمبر 1969) ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ت 2/ نوفمبر / 1969.

وفكر حواتمة قليلاً، فعرفت أنه سيوضح نقاطاً كثيرة تتعلق بذلك.. ورأيته يتردد قليلاً ثم يقول:

■■ **يجمع كل ائتلاف م.ت.ف قواسم مشتركة، تعبر عنها مجالسنا والهيئات الائتلافية وبذات الوقت محاولات لاتتوقف عند الجناح اليميني للتراجع عن القواسم المشتركة والارتداد عنها وممارسة السياسة الفئوية الحزبية الخاصة به. وفي هذه الحالة ينشب الصراع بيننا وبالوسائل السلمية، وبالعمل الجماهيري والسياسي والحواري الناقد والضاغط والجامع الأوسع مع طيف من القوى لتصحيح هذا الخلل. وأحياناً نصل إلى طريق مسدود «ولغة الخشب» تسود فلا صدى ولارنين، فيحمل الجناح اليميني السلاح في وجهنا، أو يلجأ إلى أساليب قمعية تسلطية وهنا لابد من إعطاء مثالين صارخين:**

ففي عام 1979، عقد فريق مشترك من فتح والصاعقة: عرفات، زهير محسن، محمود عباس، سامي عطاري اتفاق «إطار التفاهم مع الدولة الأردنية»، وفي محاولة للتقاطع مع مشاريع للإدارة الأمريكية بعد كامب ديفيد، ومع مشروع المملكة المتحدة الذي طرحته السياسة الأردنية في آذار/ مارس 1972.

عارضنا هذا «الإطار»، ودعونا إلى دورة عمل للقيادة الفلسطينية لحل هذه المعضلة باعتبار أن هذا الإطار يتناقض مع البرنامج المشترك القائم على وحدانية التمثيل لشعبنا وعلى برنامج حق تقرير المصير والدولة المستقلة والعودة. ويتناقض مع قرارات قمة الرباط العربية (1974) وقرارات الشرعية الدولية التي شقت طريقها في الأمم المتحدة بعد إقرار مجلسنا الوطني البرنامج المرحلي (1974)، ولاتخدم بناء العلاقة الوطنية والقومية على أسس ثابتة استراتيجية فنحن نسعى لإطار تفاهم يصمد ويلتف حوله الشعبان بدلاً عن خطوة تكتيكية لأغراض مؤقتة. ولذلك تحول عام 1979 إلى ميدان للصراع الدامي، فتح فيه الجناح اليميني نيرانه على أبناء الجبهة بصدامات مسلحة، بدأت في مخيمي نهر البارد والبداوي في شباط ـ فبراير، وانتقلت إلى بيروت، يوم النكبة الكبرى 15 أيار/ مايو في قلب الفاكهاني وصبرا وشاتيلا.. ثم وصلت في شهر آب/ أغسطس إلى صيدا، وكلها مباشرة من قادة الجناح اليميني/ في فتح ضد أبناء الجبهة الديمقراطية.

اتخذنا مواقف دفاعية، وكان إصرارنا على ضرورة حل كل هذه القضايا المصيرية بوسائل سلمية، وعندها تمكنا من توليد ائتلاف واسع يستهدف تصحيح الوضع في مؤسسات م.ت.ف، بمشاركة الجبهة الشعبية والقيادة العامة والصاعقة وجبهة التحرير العربية وجبهة النضال، ثم انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في دمشق عام 1979، ولكن لم تأخذ الأمور مجراها، وعندما تأزمت أعمال المجلس، عُلّقت، وكنا أمام حالة مفصلية إمّا وإمّا.

وفي ذلك الوقت، وعلى خلفية الميثاق القومي السوري ـ العراقي، تمت دعوة زهير محسن، أحمد جبريل، وقيادة جبهة التحرير العربية (عبد الرحيم أحمد ومن معه)، إلى اللقاء مع عبد الحليم خدام وطارق عزيز. وبعد هذا الاجتماع دخل زهير محسن وأحمد جبريل وعبد الرحيم أحمد إلى قاعة المجلس، وأيدوا ياسر عرفات. وبقينا نحن في الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية

خارج القاعة، وتضامن معنا عصام القاضي، الذي قاد منظمة الصاعقة فيما بعد.. وتحطمت كل الجهود التي بذلناها من أجل تصحيح الأوضاع. وبالنتيجة، دخل محمود عباس (أبو مازن) اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، لأول مرة، فقد كان الأخوة في سوريا يصنفونه حليفاً لهم.

وهكذا تفكك تحالف التصحيح العريض، وغلبتنا المعادلة الإقليمية العربية.

حقاً إن كتاب توازن واختلال المعادلات الإقليمية ـ العربية وفصوله السلبية والمدمرة على المصائر الوطنية والقومية لم يكتب بعد...

وتردد حواتمة قليلاً قبل أن يتابع وجهة نظره وكأنه يريد انتقاء أمثلة بحذر، وأضاف:

■■ مثال آخر هذا الذي يحدث الآن في الأرض المحتلة، نحن في الجبهة الديمقراطية، وفتح وسلطة الحكم الذاتي برئاسة عرفات، على طرفي نقيض من مسار أوسلو (آ) و (ب) ولذلك يدور الصراع الآن في صف الجماهير من أجل محاصرة النتائج السامة لهذه الاتفاقات التي تركت القدس أخيراً، مما فتح شهية التهويد المتسارع لها وتركت الأراضي المحتلة كلها أراضيَ «متنازعاً عليها» بدون أية قيود على سرطان الاستيطان.

وقد قلت ذلك في لقائي قبل أيام مع فيصل الحسيني والمطران سمير قفعيتي مطران القدس[6] ، وأكدت لهم أن سموم أوسلو نحصدها جميعاً الآن وفي القدس أولاً حتى على الذين اعتقدوا أن هذه اللعبة الميكيافيلية يمكن أن تفتح على ماهو أبعد..

الآن كلهم يصرخون، بما فيهم عرفات. وبدلاً من أن يستجيب اليمين ويمين الوسط إلى نداء العودة لمائدة حوار شامل فلسطيني حول طاولة مستديرة لاستعادة الوحدة في م.ت.ف وإعادة بناء الاجماع الوطني ضد الاحتلال والاستيطان، يواصل سياسة القمع الواسعة تجاهنا وتجاه حماس والشعبية والجهاد، إلى الدرجة التي وصل فيها عدد المعتقلين من مناضلي الجبهة الديمقراطية إلى المئات في معتقلاته، وهم الذين أمضوا زهور العمر في سجون الاحتلال من نابلس وطولكرم وأبو ديس وقطاع غزة[7] .

وأضاف حواتمة قائلاً:

■■ـ حدثتك عن هذه الأمثلة الحاضرة والمباشرة مسنودة بما قبلها، لأشير بوضوح إلى أن شعبنا يمر بالمرحلة الأولى من حركة التحرر الوطني، أي الدرجات الأولى من السُلّم، ويحتاج إلى وحدته الوطنية لأنها السلاح الأقوى في يده. لكن هذه الوحدة تبنى على القواسم المشتركة،

---

(6) الاجتماع عقد في مقر جـ.د.، 1996/8/28.

(7) منذ دخول سلطة الحكم الذاتي إلى قطاع غزة (تموز 1994) تم شن أربع حملات كبيرة ضد مناضلي الجبهة الديمقراطية (قادة وكوادر) لمحاصرة الخط السياسي الوطني الواقعي، ورداً على عدد من العمليات العسكرية التي نفذتها كتائب النجم الأحمر ضد مستوطنات وقوات الاحتلال. وأبرزها عملية ناحال عوز (مستعمرة) في غزة وعملية الحاخام المتطرف حاييم دروكمان ومقتل سائقة ـ مستوطنة كريات أربع ـ منطقة الخليل. ويسجل تقرير منظمة العفو الدولية «آمنستي» دخول (2000) معتقل سياسي سجون السلطة الفلسطينية منذ تموز/ يوليو 1994، ومقتل (50) برصاص الشرطة، ووفاة أكثر من (10) عشرة على يد الأذرع الأمنية تحت التعذيب/ أيلول ـ سبتمبر 1996.

وعلى قاعدة الوحدة والصراع ـ التحالف والنقد. وهذا الذي يتم مع فتح يتم مع الفصائل الأخرى، لكن بذات الوقت، علينا أن نلاحظ، أن المسألة مفروشة بحجم وثقل كل تيار في صفوف شعبنا بل إن عملية التحالف ليست مفروشة بالورد وإنما بكثير من الأشواك التي تدمينا وتدمي كل شعبنا في أكثر من منعطف..

■ رغم كل ما قلته، فأنت تريد أيضاً الذهاب إلى غزة؟

ضحك نايف حواتمة، وربما لم يتوقع هذا القول بعد إجابته الطويلة تلك، لذلك قال، وهو يتم ضحكه:

■■ **هذه أعتبرها طُرفة.**

فقالت (الصحفية فرات التي كانت موجودة):

■ ولكن نقلتها وكالات الأنباء!!..

فضحك الحاضرون جميعاً. إلاّ أن نايف حواتمة أعاد الجدية للحديث قائلاً:

■■ **نحن مناضلون في صفوف شعبنا، وحيث يكون مركز الثقل الرئيسي على الأرض، وفي الميدان نكون.. بل يجب أن نكون! وهذا ما حصل في أغوار الأردن إلى جنوب لبنان ومخيماته، وأيضاً في الأرض المحتلة..**

إن الجبهة الديمقراطية دفعت باكراً نحو التركيز في العمل الجماهيري، المسلح والسياسي، وفي بناء الاتحادات النقابية المهنية داخل الأراضي المحتلة.. .. ولقد تم شد الوتر باتجاه هذه الأراضي إلى أقصاه، منذ مبادرتنا لتقديم البرنامج السياسي المرحلي لشعبنا صيف عام 1973،[8] فتقرير المصير والدولة المستقلة لا يتمّان إلاّ على الأرض المحتلة، والعودة هي للشتات باتجاه الداخل.. ولذا، كلما انفتحت أمامنا ثغرة، ومهما كانت بسيطة ندفع من خلالها قادة وكوادر للانضمام إلى تنظيمات الجبهة في وطننا المحتل.. ولقد أضحت أغلبية مكتبنا السياسي ولجنتنا المركزية داخل الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة.

وأردف قائلاً:

---

(8) طرحت الجبهة الديمقراطية، البرنامج المرحلي قبل حرب تشرين/ أكتوبر 1973، وجاءت الحرب لتعطي البرنامج دفعاً جديداً في إطار دعوة مصر وسورية لتسوية شاملة، ومن ثمار البرنامج إقرار قمة الجزائر العربية في (1973/11/18) لأول مرة منذ تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية(1964) بأنها ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.

* كشف حواتمة أسرار هذا القرار وقال: أثناء المؤتمر نشب صراع متوتر مع عدد من العواصم العربية حول مشروع القرار، وعقدت القيادة الفلسطينية اجتماعاً بقصر الرئاسة مع بومدين وحضور عبد العزيز بو تفليقة وزير الخارجية، ومحمد يزيد، وطرحت القيادة ـ الأزمة ـ التهديد بانسحاب دول عربية من القمة. بومدين طمأن الجميع من أن القمة لن تتفرقع ـ عليكم الإصرار على المشروع. وفعلاً طرح بومدين رئيس القمة، المشروع بالصيغة التالية: « من مع فلسطين. من ضدها» وجاء التصويت بالإجماع. وعند تلاوة القرار تحفظ الوفد الأردني برئاسة عبد المنعم الرفاعي، وبهجت التلهوني.

* الوفد الفلسطيني ـ عرفات، حواتمة، زهير محسن، قدومي، خالد الحسن، اليماني، ناجي، الكيالي، أبو صالح. حيث قدم الوفد الفلسطيني من موسكو التي كان يزورها بدعوة رسمية، وكانت الاجتماعات في الكرملين برئاسة رئيس الوزراء كوسيجين لأول مرّة في مسار العلاقات السوفييتية ـ الفلسطينية.

* المصدر: الحرب العربية ـ الإسرائيلية الرابعة ـ وقائع وتفاعلات. مركز الأبحاث ـ م.ت.ف ـ 1974 ـ ص302، 304.

■■ منذ أيلول/ سبتمبر 1993، وعندما بدأ أهل تغريبة بني هلال[9] بالانتقال من تونس إلى داخل قطاع غزة، طالبنا بأن تكون الطرق سالكة للجميع. لكن حكومة رابين ـ بيريز أقامت جدار برلين بوجه القوى الديمقراطية اليسارية والليبرالية. وفتحت الطرق أمام اليمين ويمين الوسط في منظمة التحرير. ولذلك، واصلنا إصرارنا ونداءاتنا. لكنها نداءات راحت في البريّة، فآذان حكومة بيريز وسلطة الحكم الذاتي واصلت الصمم، بينما دخل مع عرفات من الأجهزة الإدارية والشرطية مافاق الأربعين ألفاً..

أما نحن، فكان مطروح علينا المساومة السياسية، مقابل عودة عديد من قادة وكودار جبهتنا[10]. رفضنا كل هذا، أما أخوتنا في الجبهة الشعبية، فقد تمكنوا من الوصول إلى نتائج حسنة بعودة البعض مع عرفات، فعاد العديد منهم إلى غزة منذ 1994/1993.

ظل جدار برلين مغلقاً في وجهنا إلى مابعد انتخابات مجلس الحكم الذاتي، حيث أعلن بيريز أنه سيسمح لحبش وحواتمة وأعضاء المجلس الوطني بالدخول إلى غزة. وأجبت إننا جاهزون للعودة، إلى وطننا إلى قلب شعبنا فوراً، وبدون أي شروط سياسية إسرائيلية. ومنذ تلك الساعة، وإلى الآن عطلت حكومة بيريز، وحكومة نتنياهو تعطل.. وعلى حد تعبير الحكومات الاسرائيلية، ومن هم حول عرفات: فإنهم لا يريدون الحيتان بينهم!..

■ الواقع أنه وفي لقاء مع خالد عبد المجيد (جبهة النضال الشعبي الفلسطيني) تم في سورية، قال لي إن نايف حواتمة يعرف ما يريد، ولكن عرفات يعرف أيضاً ما يريده حواتمة وما يريده هو. فحواتمة سيدخل إلى مناطق الحكم الذاتي ويحولها إلى منبر سياسي، إعلامي له. لذلك لن يقبل عرفات بذلك وسيسعى إلى إعاقة هذه العملية.. وإذا كانت المسألة على هذه الأرضية، فليس هناك مشكلة. ولكن لنتصور رد الفعل على نايف حواتمة عندما يتم الاعتقاد بأنه خطا خطوة باتجاه التطبيع. لأنك مرغم داخل مناطق الحكم الذاتي على التعاطي مع المحيط الإسرائيلي.

قاطعني نايف حواتمة، وقد هيّأ جواباً واضحاً في ذهنه لمثل هذا السؤال، وقال بلهجة حازمة:

■■ أصاب عبد المجيد! ولذا لم يتم فتح جدار برلين. وفي الوجه الآخر، فإن شعبنا بكل قواه الحيّة وقياداته، يخوض صراعاً على الأرض المحتلة وفي الميدان.. صراعاً متعدداً ومتكاملاً وفي القلب منه الصراع الأيديولوجي الفكري والجماهيري والسياسي. ولدينا إصرار على نقل هذا الصراع إلى داخل المجتمع الإسرائيلي اليهودي، فضلاً عن ضرورة وصوله إلى داخل المليون فلسطيني الذين واصلوا التشبث بالأرض والانزراع داخل "الخط الأخضر"..

وأضاف حواتمة بصوت عال:

■■ هذا هو نقيض التطّبيع. لأن التطبيع هو التعاطي من موقع التجاور والتنازلات السياسية. ومثل ذلك وقع ويقع فلسطينياً وعربياً داخل الأرض المحتلة أو خارجها. بينما

---

(9) الذين غادروا بيروت بعد حصار 1982، وآثروا الإقامة في تونس وتشتيت الكوادر والقيادات الفلسطينية.

(10) تصريحات حواتمة، وكالة الصحافة الفرنسية 1995/8/2 وكالة رويتر 1995/1/4 الرأي، الدستور (الأردنية)، السفير (اللبنانية) يديعوت أحرنوت، هآرتس، معاريف (1996/1/18).

الصراع الإيديولوجي الفكري والسياسي إلى جانب الأشكال الأخرى وقع ويقع داخل وخارج الأراضي المحتلة متصادماً مع المحتلين. ومثال هذا صارخ لدينا لأن قادة بارزين من قادة الجبهة الديمقراطية، في عالم الفكر والثقافة والنضال يعملون في صف شعبنا داخل الأرض المحتلة وما يطرحونه هو بمجمله: صراع في الفكر والسياسة والنضال ضد أخطار مشروع أوسلو الظالم، وعلى طريق تجاوزه نحو سلام شامل ومتوازن قائم على تنفيذ إرادة الشرعية الدولية. والانفجارات الشعبية بين فترة وأخرى تقدم الجواب على ماتلمسه من تطبيقات أوسلو، فقد تركت أوسلو القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود والمياه إلى المرحلة النهائية.. إلى ما بعد تنفيذ أوسلو، ولذا الشعب ينفجر ضد عمليات تهويد القدس والاستيطان ومعضلات الأسرى ومشكلات اللاجئين والنازحين والحصار الاقتصادي والمياه وعطش البشر والزرع والضرع، والقمع والسجون والفساد والتطاول على حقوق الإنسان.. وبعبارة أخرى الانفجارات الشعبية تتم ليس بسبب من عدم تطبيق أوسلو بل بسبب التطبيق الذي أهمل القضايا الأساسية وفي المقدمة المستوطنات والقدس واللاجئين.

■ ومن تذكر من هؤلاء القادة ؟

■■ ندى طوير ـ ماجدة المصري ـ داود تلحمي ـ تيسير خالد ــ علي أبو هلال ـ محمود عجرمي ـ صالح ناصر ـ عبد الحميد أبو جياب ـ المهندس جودت سويركي ـ المهندس عصام أبو دقة ـ هشام أبو غوش ـ عمر عساف ــ آمنة الريماوي ــ د. محمد جاد الله ــ المهندس هاني عيساوي ـ نهاية محمد ـ ابراهيم أبو حجلة ـ المحامي أسامة عودة ـ رائد عباس ـ حسين الشيخ ــ خالد أبو هلال ـ حلمي الأعرج ـ طلال أبو ظريفة ـ راشد الحويطي ـ محمد سلامة ـ سالم خله ــ ريما كتانة نزال، رسمي عبد الغني... وآخرون. بالإضافة إلى صف واسع من قادة الجبهة داخل الأرض المحتلة الذين هم في صراع وعلى مدار دائرة الصراع..

وعندما انتهى من إجابته، تابعت سؤالي حول مسألة التطبيع وقلت له:

■ لقد التقيت مع الصحافة الإسرائيلية، وهي من المحيط الإسرائيلي الذي قصدته في سؤالي حول عودتك إلى فلسطين، وقد تحدث لقاءات بينك وبين الإسرائيليين أيضاً!

فلم يتردد حواتمة، وأجاب:

■■ أعيدكم إلى أول مقابلة صحفية لي، في نيسان/ أبريل 1974 مع حزمة من الصحفيين، نشرت في وقت واحد في: يديعوت أحرنوت (أوسع الصحف الإسرائيلية انتشاراً) ــ الواشنطن بوست ـ اللوموند ـ (لوسوار) البلجيكية ـ النهار واللوجور اللبنانيتين ــ كوريري دو لاسيرا الإيطالية، وغيرها[11] .

---

(11) يقصد حواتمة اللقاء المطول الذي أجراه الصحفي الأمريكي «بول جاكوبس» معه في نيسان 1974، ونشر بوقت واحد في يديعوت أحرنوت، لوموند (الفرنسية)، لوريان لوجور (اللبنانية)، باللغة الفرنسية، لوسوار (البلجيكية)، الواشنطن بوست (الأمريكية)، كوريري دولاسيرا (الإيطالية)، وفيها يدعو حواتمة اليهود في اسرائيل إلى السلام ويوجه نداء تحت عنوان «تعالوا نحول السيوف إلى مناجل» (انظر الوثائق ـ نص المقابلة ـ وثيقة رقم ـ 13 ـ).

وقلت في تلك المقابلة مخاطباً الإسرائيليين: «تعالوا لحل وسط، يستند إلى قرارات الشرعية الدولية، ويؤمّن لشعبنا حقه في تقرير المصير والعودة في إطار سلام شامل ومتوازن»، تعالوا «نحول السيوف إلى مناجل في خدمة الناس». وكان هذا في سياق البرنامج الجديد لمنظمة التحرير في التمرحل والنضال..

وفي ذلك الوقت، رفض قادة إسرائيل هذا النداء، ثم أعلنت غولدا مائير من على منبر الكنيست فور عملية ترشيحا (معالوت)، وقبل أن تنتهي لجنة التحقيق الإسرائيلية من أعمالها (لجنة حاريف) والتي أدانت أوامر موشي دايان بمهاجمة وحدة الشهيد كمال ناصر:

هذا هو حواتمة الذي يدعوكم إلى تحويل السيوف إلى مناجل!

لقد تواصلت هذه السياسة، وستتواصل لأن التعارضات داخل المجتمع الإسرائيلي يجب العمل من خلالها للتعريف بقضايانا ولكي تفعل فعلها أيضاً.. ففي داخل المجتمع الإسرائيلي قوى عربية، وبحدود أخرى يهودية تريد فعلاً، حلاً سياسياً للقضية الفلسطينية، بعد أن تم تجريب كل الحلول العسكرية من الاغتيالات إلى الاحتلال والغزو الشامل إلى تكسير عظام شبان الانتفاضة، وانتهت إلى طريق مسدود. بل وأعطت الاحتلالات نقيضها: النهوض العاصف للثورة بعد هزيمة حزيران/ يونيو 67، المقاومة الوطنية اللبنانية بعد احتلال جنوب لبنان، والمقاومة الشاملة بعد الغزو الشامل، نهوض حزب الله تعويضاً عن الخلل والقصور في ساحة عدد من القوى الوطنية اللبنانية..

وينبغي أن أقول أخيراً: إن المقابلات التي تتم على منابر اسرائيلية تصب في هذا المجرى لتفعل فعلها، وهي مقابلات تتصادم مع ظُلْم اتفاقات أوسلو ومسار المفاوضات الراهنة الإسرائيلية ـ الفلسطينية، بل تتناقض معها، ومن مواقع الإصرار على السلام الشامل ومعادلته المعروفة للجميع!

■ طرحتم البرنامج المرحلي / كبرنامج تفاوضي مع إسرائيل / ولكن شهدت المرحلة تصعيداً عسكرياً من قبلكم .. كيف ذلك ؟!

■■ نحن طرحنا البرنامج المرحلي، ليس فقط كبرنامج تفاوضي بمعناه الجامد (الاستاتيكي) بل طرحناه كبرنامج كفاحي يستجيب لمجمل المهمات الواقعية والمرحلة السياسية بما يُمَكّن من تحشيد وتأطير الطاقات الكبرى والمختزنة في صفوف الشعب والثورة في مجرى الكفاح الوطني، وفي الميادين العربية والدولية دولاً وشعوباً وفي صف قوى الاشتراكية والسلام والديمقراطية، على طريق تسوية سياسية متوازنة، وحل معضلة التبديد الوطني والقومي للشعب الفلسطيني.

لذا فالبرنامج المرحلي جاء في سياق كفاحي، والعمليات النوعية البارزة التي شنتها القوات الخاصة والمختارة من الوحدات العسكرية للجبهة الديمقراطية جاءت لتعزز هذا البرنامج على قاعدة الجمع بين الحلول السياسية ومواصلة القتال كما كل حركات التحرر الوطني الصاعدة والناجحة، وباتجاه توليد حالة استقطاب فلسطينية وعربية ولاحقاً دولية ضاغطة على الاحتلال لإجباره على التراجع واحترام قرارات الحل الوسط، قرارات الشرعية الدولية والحل الشامل

المتوازن والالتقاء في منتصف الطريق. كما جاءت هذه العمليات النوعية البارزة كرد مباشر على الدعاوى التي أطلقها البعض والتي وصفت ونعتت البرنامج المرحلي بأنه «برنامج استسلام» وتصالح من طرف واحد مع العدو. وهنا كتبنا بدم وتضحيات مناضلينا أن هذا البرنامج هو برنامج كفاحي يحتاج لجهود جبارة لدفعه نحو التحقق. لذا ولكل ما سبق ذكره جاءت العمليات النوعية البارزة التي ارتسمت وحفرت في تاريخ الكفاح التحرري للشعب الفلسطيني وشكلت مدرسة في التضحية والفداء. ويمكن القول أن عدد هذه العمليات ونوعيتها ونجاحها أعطى للجبهة الديمقراطية مواقع ريادية في صفوف قوى المقاومة الفلسطينية.[12]

قلت لنايف حواتمة:

■ لقد رفض الصحفيون السوريون حتى مجرد رد التحية على الصحفيين الإسرائيليين الذين تحرشوا بهم في مدريد والقاهرة. باعتبار أن اسرائيل لم تلتزم بعد بأسس عملية السلام.[13] في حين أنت تجري مقابلات عبر الهاتف مع صحفيين إسرائيليين من يديعوت أحرنوت!

فرد بثقة ووضوح قائلاً:

■■ ليس المهم الشكل، بل المضمون. وهذه من ضمن العمليات الصراعية، عمليات القتال بالأيديولوجيا والفكر والسياسة الوطنية الواقعية، سياسة البرنامج الوطني المرحلي والشرعية العربية والدولية. والتي يمكن أن يتم اللجوء إليها أحياناً.

وبالنسبة لي كثيرة هي المقابلات التي أجريت معي على يد شخصيات مشهورة فرنسية مثل : إريك رولو. أو أمريكية مثل: بول جاكوب - توماس فريدمان - فلورا لويس - جوناثان راندل —

---

(12) عملية ترشيحا (معالوت) الأولى 15 /1974/5 على يد وحدة الشهيد كمال ناصر. واستشهد فيها ثلاثة فدائيين واحد من مخيمات الأردن وآخر من مخيمات سوريا والثالث من مناطق 1948 (حربي، لينو، زياد). والخطة العسكرية كانت نحو هدف آخر، ولكن الوحدة الفدائية انحكمت لظروفها الخاصة.

* عملية طبريا وقعت بتاريخ 1974/5/23 واستشهد فيها خمسة فدائيين.
* عملية مستعمرة « هاؤ » على شاطئ بحيرة طبريا، شمال سمخ في 1974/5/23، وسقط فيها شهيد واحد.
* عملية مستعمرة فشكول في 1974/9/28.
* عملية فسوطة في 1974/9/4 واستشهد فيها فدائيان وإبادة عشرة من جنود العدو.
* عملية بيسان في 1974/11/19 واستشهد ثلاثة فدائيين.
* عملية مستعمرة شرشوف (صفد) 1975/8/31.
* عملية القدس 13/ت 2/ 1975 في قلب ميدان صهيون.
* عملية الإغارة على مستوطنة رامات مكشيمم في 20/ت1975/2.
* عملية معالوت الثانية 1979/1/13 (عملية الشهيد هواري بومدين) واستشهاد ثلاثة فدائيين.
* عملية الأقصى في 1984/2/28 وضرب تجمع للمستوطنين في قلب القدس.
* عملية يوم الأرض في قلب القدس - شارع الملك جورج - مقابل وزارة الاقتصاد الإسرائيلية يوم 2 /1984/4، ومقتل وجرح العشرات من أفراد العدو. وتتابعت العمليات النوعية المسلحة بعد الاجتياح الإسرائيلي وتطورت في ظل الانتفاضة الباسلة.

(13) جرت هذه التحرشات أثناء انعقاد مؤتمر مدريد مع الصحفيين السوريين: أحمد عجاج، نبيل شنار، طالب يعقوب، وصال سمير. كما جرت أيضاً مع ماجد حليمة في مؤتمر القمة العربي في القاهرة حزيران 1996. وقد رفض هؤلاء الصحفيون مجرد رد التحية لمن تحرش بهم من الصحفيين الإسرائيليين الذين رافقهم المصورون وكأن المسألة مدبرة. وبالنسبة لمقابلة حواتمة مع يديعوت أحرنوت، فقد جرت عبر الهاتف وهي منشورة في وثائق هذا الكتاب. ونلاحظ من مضمونها ما يطرحه حواتمة من ضرورة الالتفات إلى مضمون ما يقال لهذه الوسائل وليس إلى شكله. انظر ملحق الوثائق - وثيقة رقم - 14 -.

أو بريطانية مثل : باتريك سيل - روبـرت فيسـك ـ وبيـلاك. أو يابانيـة، روسـية، صينيـة ..الخ. بارزة[14] وهي مقابلات شهيرة أعادت الصحافة الإسرائيلية نشرها.

هذا كله يجب أن نحيط به، بغـض النظـر عـن ردود الفعـل الـتي يمكـن أن تتبـاين علـى هـذه السياسة المعتمدة منذ بداية السبعينات وحتى يومنا هذا.

والأخوة في عديـد العواصـم العربيـة مـن الجزائـر إلى مصـر وسـورية وصـولاً إلى السـعودية واليمن يقدرون هذه الناحية. ولم تكن هناك أي إشكالية عندما أجرت القناة الأولى في التلفزيون الإسرائيلي مقابلة مع السيد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري. بل إن هـذه المقابلـة عـبرت عن الموقف السوري وشرحته للرأي العام الإسرائيلي..

ونظر حواتمة إليّ وسالني:

■■ أليس كذلك ؟!

وقبل أن أجيب على تساؤله، أضاف، وكأنه تذكر شيئاً:

■■ أظن أن نفس القناة في التلفزيون الإسرائيلي أجرت مثل هذه المقابلات مع شكيب أبو جبل عضو مجلس الشعب السوري، ومع اقتصادي سوري آخر.

لنفحص بمراجعة نقدية شـجاعة مـا يـدور حولنـا، والصراعـات داخـل المجتمـع الإسـرائيلي، فالدولة العبرية التي بنت قلعة اسبارطية طاغيـة، أخـذت تتشـقق نوافذهـا تحت فعـل نهـر الـدم الفلسطيني والعربي من مواقع الدفاع عن الأرض والحقوق الوطنية والقومية..

لنتلمس الوقائع، فالمجتمع الاسبرطي ينقسم على نفسه بين معسكر السلام ومعسكر التوسـع والعدوان، ولم يأت هذا من فراغ، ولا هبط من السماء، بل بفعل المقاومة بكل أنواعها ووصول الحلول العسكرية الدموية الاسرائيلية إلى الجدار..

تابعت الفكرة نفسها مع نايف حواتمة، وقلت له بدقة أكبر:

■ لنفترض أن ما دعوت إليه قد تحقق فعلاً. بمعنى العودة وتقرير المصير وإقامـة الدولـة المسـتقلة. هـل هذا يعني إمكانية مصافحة الاسرائيليين والجلوس معهم بشكل اعتيادي.. أقصد المسؤولين الاسرائيليين!

■■.عندمـا يتـم الوصــول إلى تسـوية سياسـية متوازنـة تقـوم علـى قـرارات الشـرعية الدولية وشعبنا يقرر مصيره بنفسه بما فيه بناء دولة مستقلة وعاصمتها القدس العربيـة الشـرقية،

---

(14) من الصحفيين المعروفين الذين أجروا مقابلات مع حواتمـة وتناقلتهـا الصحـف العبريـة فرانسـواز شـيبو، بـول جـاكوب، لوسيان بيترلان، كلود لوريو، أنطونيو فيراري، بول إيدل، روبرت فيسك، فيتوريو فرانكلوتشي، ألكسندر سميرنوف، أريك رولو إضافة للمراسلين الاقليميين رويتر، فرانس برس، أسوشيتدبرس، يونايتدبرس، وشبكات التلفـزة العالميـة وخاصـة قنـوات البث الأوروبية كالقناة الثانية للتلفزيون الفرنسي.

- إضافة لصف واسع من أبرز الصحفيين العرب: لطفي الخولي، خير الله خير الله، جورج قرداحي، (مـن اذاعـة الشـرق) + مذيعي مونتي كارلو العربية (صلاح سلامة، يوسف دكاش، كمال طربيه، محمد كلش، فريدة الشوباشي، غسان عبد الخالق، جورج نوفل، انطوان نوفل، انطوان أبو سمرة، نبيل صباغ، صوفيا عمارة، أنطوان بـارود، غسـان المعلـوف). ومذيعي راديو BBC (لندن) (سامي حداد، سعيد الشيخ، عارف حجاوي، سحر قراعين، حمدي فرج، عبد الله سعافين، محمد قاسم جعفر، حسن معوض، نضال قبلان..) ومدير إذاعة فرنسا الدولية نبيل درويش. وكبار مراسلي الصحف العربية والدولية في البلـدان العربية والدول الأجنبية.

ويعود الشعب في الشتات بموجب القرار 194. فإن هذا له مقابل: السلام والأمن الشامل بين الجميع.

وبعد ذلك يصبح السؤال مطروحاً وممكناً..

■ وأنت تتحدث قبل قليل عن مسألة العودة إلى غزة خطر ببالي سؤال، عما إذا كانت تنعكس عودتك على أشكال النضال التي تمارسها الجبهة الديمقراطية. ولكن بيدي جريدة الحياة الصادرة اليوم، وفيها تنقل صحيفة الحياة اللندنية نقلاً عن رويتر تصريحاً لكم عن محادثاتكم مع فيصل الحسيني[15] وفي هذا التصريح فوجئت أنك تطرح تجديد الانتفاضة تحت اسم: انتفاضة متطورة!

■■ العودة لن تكون إلى قطعة جغرافية محددة بل إلى الأرض المحتلة. ولتأمين حقنا في التنقل الحر على امتداد الأرض المحتلة في الضفة والقطاع ومن الأرض المحتلة إلى مواقع الشتات وبالعكس. فبرنامج الجبهة الديمقراطية كما هو برنامج منظمة التحرير الائتلافي الذي ارتد عنه أهل أوسلو هو لكل شعبنا الذي ننظر له شعباً واحداً موحداً داخل وخارج فلسطين. ومسؤوليتنا تجاه كل شعبنا وحقوقه تمتد في الأرض المحتلة إلى كل مواقع الشتات ولذا نشترط حقنا في التنقل الحر داخل الأراضي المحتلة ومنها وإليها.

وقال حواتمة أيضاً:

■■ والذي تمت الإشارة إليه في السؤال دقيق، فحكومة نتنياهو تواصل برنامجها التوسعي[16] الذي انقلبت فيه على برنامج العمل ـ ميرتس. أي أصبح جدول الأولويات هو: التوسع الاستيطاني والإسراع بتهويد القدس وابتلاع الأرض وتهويدها في الضفة والقطاع، ومد أذرعها الاستخبارية والقمعية إلى داخل المنطقة (آ) أي إلى داخل المدن الستة حيث الحكم الذاتي فضلاً عن داخل الخليل. إن هذا كله يؤشر بوضوح، إلى أننا أمام هجمة تستثمر اتفاق أوسلو، الذي ترك «القدس أخيراً» وبالتالي فهي مفتوحة لعمليات تهويد الأمر الواقع وتقرير مصيرها مسبقاً، كما ترك أرض الضفة والقطاع «أرضاً متنازعاً عليها»، ففتح شهية الاستيطان والاستيلاء على الأرض الفلسطينية أكثر فأكثر.

---

(15) نقلت صحيفة الحياة « اللندنية » بعددها الصادر 1996/8/29، عن وكالة رويتر، «أن الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، نايف حواتمة دعا لوقف كل أشكال التفاوض تحت سقف اتفاقيات أوسلو حتى وقف الاستيطان، ولقيام انتفاضة متطورة لإجبار الدولة العبرية على الاعتراف بعروبة القدس. وطالب حواتمة إثر اجتماع مع فيصل الحسيني بإعادة بناء المنظمة، وأن لايتم استئناف المفاوضات مع إسرائيل. إلا بعد وقف بناء المستوطنات في الأراضي المحتلة بعدوان عام 1967».
وجاءت هذه التصريحات قبل فترة شهر من انتفاضة أيلول 23/ـ 1996/9/26 التي عمت داخل الضفة وقطاع غزة والقدس.
والكتاب تحت الطبع إنها بحق نبوءة لحواتمة.

(16) حكومة نتنياهو، ألغت قرار حكومة رابين - بيريز بتجميد بناء مستوطنات جديدة، وشرعت في تنفيذ العشرات من مشاريع توسيع المستوطنات القائمة وزيادة رقعة الاستيطان اليهودي فيها واعتبرت 86 مستوطنة مناطق تطوير "أ" بينها مستوطنة قلب مدينة الخليل، ومناطق التطوير "أ" لها موازنات خاصة على حساب بلدات وقرى ومستوطنات يهودية في الدولة العبرية، حيث الطموحات الاسرائيلية التوسعية تنحو باتجاه توطين نصف مليون مستوطن جديد في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس مع نهاية العام 2000م وإطلاق الاستيطان في الجولان.
* المصدر: الجبهة الديمقراطية ـ النهار البيروتية 1996/9/7 ـ الهدف نصف مليون مستوطن. إعلام ج.د ـ الاتحاد الاماراتية ـ 1996/8/10 ـ الاستيطان الجديد يقطع طريق التسوية.

وهذا كله يخلق الآن توترات تختمر في صف كل طبقات شعبنا في الأرض المحتلة بكل تياراته لحشد القوى في مواجهة الاستيطان، فضلاً عن برمجة الخنق الاقتصادي والحصار والتطويق الشامل والقمع المزدوج على يد سلطات الاحتلال وسلطة الحكم الذاتي وبالتالي فإن الأرض المحتلة هي برميل يغلي من البارود، وسيجد تعبيره تأكيداً لحالة جماهيرية منتفضة.

والانتفاضة القادمة ستكون متطورة عما كان وبأساليب جديدة وبوسائل جديدة لا نستطيع الآن أن نضع تضاريسها، فالشعب هو الذي سيبدع الجديد، كما أبدع مثلاً اللجان الشعبية في الانتفاضة المغدورة على يد فريق أوسلو، فقد اشترط أوسلو وقف الانتفاضة، هذه اللجان التي شكلت هيئة الأركان الكفاحية فضلاً عن هيئة الأركان الإدارية والاجتماعية والسياسية لكل طبقات وتيارات شعبنا في الأرض المحتلة على امتداد سنوات الانتفاضة المغدورة !

■ كلنا يعلم أن فصائل اليسار الفلسطيني/ مثلها مثل فصائل اليسار العربي هي مشتتة... وقد تعرضت إلى أكثر من انشقاق: الشعبية.. النضال.. التحرير الفلسطينية.. الشيوعيين، وحتى الديمقراطية خرجت منها مجموعة ياسر عبد ربه!، فضلاً عن الانشقاقات في صفوف فتح والاتجاه الإسلامي[17]...

متى تنتهي عملية التفريخ هذه؟ هل ستتوقف؟ والمنحى العام لحركتها هل سيكون توحيدياً أم المزيد من التفتت ؟!

فقال حواتمة على الفور:

---

(17) تعرضت فتح لعدد من الانشقاقات، كان أوسعها انشقاق فتح الانتفاضة 1983/5/9 بقيادة أبو صالح، أبو موسى، وفتح التصحيحية بقيادة عطاالله عطا الله (أبو الزعيم) عام 1986، وقبله صبري البنا عام 1974 (المجلس الثوري). إضافة لخروج مجموعات وكتل فتحاوية عديدة شكلت أطراً مختلفة.

* الجبهة الشعبية انشقاقات بدأت بخروج الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ـ نيسان عام 1968. ومنظمة فلسطين العربية 1968. الجبهة الشعبية الثورية 1972 (أبو شهاب، غازي الخليلي..) حزب الشعب الثوري الاردني (أحمد محمود ابراهيم ـ أبو عيسى). وداخل الأرض المحتلة:

ـ الحركة الوطنية للتغيير (قطاع غزة) بقيادة خضر المغربي.

ـ التجمع الوطني الديمقراطي في الضفة يوسف عطوان.

ـ مجموعة أبو نضال مسلمي عضو المكتب السياسي السابق في الجبهة.

* الحزب الشيوعي «حزب الشعب، الحزب الشيوعي الثوري، الشيوعي غزة».

* الجبهة الشعبية القيادة العامة انشق عنها جـ.ت.ف بقيادة أبو العباس 1976 التي أصبحت بدورها تنظيمين (ابو العباس + أبو نضال الأشقر). كذلك هناك جبهة شعبية ـ قيادة عامة ـ القيادة المؤقتة في قطاع غزة.

* جبهة التحرير العربية، خرج منها ج.ت.ع ـ القيادة المؤقتة (جميل شحادة).

* جبهة النضال الشعبي الفلسطيني فريقين (سمير غوشة، خالد عبد المجيد).

* الجهاد الإسلامي ـ (الأم) + الجهاد الإسلامي «كتائب الأقصى» (فايز الأسود) + الجهاد الاسلامي «بيت المقدس» (الشيخ التميمي).

* حركة حماس: خرج منها عدة أحزاب وتجمعات اسلامية أهمها:

ـ حزب الخلاص الاسلامي ويعتبر واجهة سياسية لحماس.

ـ حزب المسار الاسلامي.

ـ حزب التجمع الاسلامي.

ـ الجبهة الاسلامية الفلسطينية.

■■ في المحصلة سيكون توحيدياً بالتأكيد.. ولكن متى؟ هذه هي المسألة! العملية تشمل كل الحركات السياسية: القومية، الشيوعية، الإسلامية. في بلادنا والأقطار العربية وعلى القوس الأوسع حولنا!

وفكر قليلاً، ثم أردف قائلاً:

■■ هذه عملية ينطبق عليها قانون ديالكتيكي شهدته حركات التحرر الوطني وكل الحركة اليسارية في بلاد العالم، قانون: وحدة، انقسام، وحدة من طراز جديد!

أي أن الوحدة من طراز جديد يتم فيها تجاوز الكثير من التفاوت والخلل الفكري والسياسي والنضالي في صف حركة التحرر والتيار اليساري. وما تشهده الحركة اليسارية، العربية والفلسطينية، شهدته قبلها الحركات اليسارية في أوروبا وروسيا وأمريكا اللاتينية والصين وجنوب شرق آسيا وصولاً إلى أفريقيا السمراء...

أقول هذا لأن القضايا المطروحة متنوعة تتطلب حلولاً جديدة غير مطروقة، ولا يمكن تطبيق أي تجربة على التجارب الأخرى إلا بالاسترشاد بالعناصر الأساسية في بناء حركة اليسار.

ونظرياً وعملياً، تتعرض حركة اليسار لاجتهادات في الحلول أوسع بكثير مما تتعرض له حركة اليمين الذي يمتلك رؤية استاتيكية (جامدة)، ويمتلك حلولاً مطروقة للقضايا السياسية والاجتماعية متراكمة ومختبرة منذ عشرات السنين.

إن الحركة الفلسطينية بيسارها ويمينها تعالج كل قضية وطنية على درجة نوعية من الخصوصية بفعل طبيعة المرحلة التي تمر فيها الأرض والحقوق الفلسطينية، ولذا يجد اليسار الفلسطيني نفسه أمام معضلات تتطلب حلولاً أكثر تنوعاً وثقلاً مما تتعرض له الحركة الوطنية في أي من البلدان العربية الأخرى، وهذا يعبر عن نفسه في يومنا، إذ أن جميع البلدان العربية أنجزت حق شعوبها بالتحرر والاستقلال الوطني ودخلت مرحلة جديدة في الصراع على الخيارات الاستراتيجية لمسار هذا الاستقلال في خدمة مَنْ؟ ولمصلحة مَنْ؟ وإلى أين؟ طبقياً واجتماعياً وثقافياً وروحياً..

بينما شعبنا مازال يناضل عند الدرجات الأولى من سلّم التحرر وتقرير المصير، وتطرح الحلول لهذه العملية المعقدة ومايتولد عنها من وحدة أو تفرقة في صف اليسار أو صف اليمين أو في صف الائتلاف الوطني العريض على السواء. فالكل له مصلحة في التحرر والاستقلال، ولكن التباين هائل في البرنامج والتكتيكات والتحالفات وأساليب القيادة والعمل مع الجماهير والطبقات الوطنية.

أما الآن، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وتفكك وانهيار أنظمة اشتراكية الدولة البيروقراطية فإن النضال من أجل النهوض بقوى التحرر بدور اليسار وتوحيده بات أكثر صعوبة، لأنه يعتمد على القوى بطاقاتها المباشرة في صف شعبها.

وهنا أيضاً علينا أن نلحظ الهجمة الكبيرة للأيديولوجيا الرأسمالية التي تحاول، من منظور العولمة الشمولية، أن تبث مناخاً أيديولوجياً عنوانه: وصول البشرية في درجة تطورها إلى نهاية التاريخ[18].

أي انتصار الصيغة الرأسمالية واقتصاد السوق إلى الأبد، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي!

إن الرأسمالية العالمية تحاول إعادة صياغة العالم بقوة الهيمنة والتشويه الأيديولوجي، وهذا شكل جديد من أشكال الحرب العالمية الباردة لوضع العالم أمام قوالب معلبة: «كله يمين!» والصراع يدور «بين اليمين واليمين». لكن السنوات العشر الأخيرة أثبتت انهيار هذه الأيديولوجيا التي تضع العالم كله أمام طريق مسدود...

■ وحول الجبهتين الديمقراطية والشعبية.. متى تصلان إلى مرحلة الوحدة. لقد انتظرنا طويلاً حدوث هذه الخطوة ترى هل يمكن أن تحدث فعلاً ؟!

■■ على امتداد الفترة الممتدة بين عامي 1967 و 1979، لم تكن الوحدة ممكنة بين الجبهتين، وذلك بفعل المساحات الفاصلة والواسعة أيديولوجياً وبرنامجياً وسياسياً. مع أن أشكالاً عديدة من التعاون والتنسيق تمت فيما بيننا على القضايا التي يقع تقاطع عليها. فالمسألة لا تقف عند حدود الايديولوجيا بل بالاشتقاقات البرنامجية السياسية والتحالفية وتجاه كل جديد في مسار العمل والنضال وفي حل قضايا ومشكلات الائتلاف الوطني العريض!

إن الجبهة الديمقراطية تبني البرنامج على قاعدة ضرورة الائتلاف الوطني على القواسم المشتركة بين كل قوى الثورة، وخاصة التي لها فعل أساسي في مجرى تطور العملية الوطنية والثورية. وقد لا نرى نفس المسار عند أخوتنا في عديد المحطات، مثلاً: من البداية نحن انتمينا إلى هياكل ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، بينما أحجم رفاقنا في الجبهة الشعبية حتى عام 1971. ثم بدأ الخط البرنامجي السياسي يطرح نفسه أكثر فأكثر.. الحلول في أيلول 1970 وما نجم عنها.. والحلول في إعادة صياغة العلاقة بين فلسطين والأردن والعلاقات الفلسطينية ـ العربية. والبرنامج السياسي الجديد الذي بلورته وقدمته الجبهة الديمقراطية لشعبنا والعالم عام 1973، والذي انتصر بعد عام من الصراع في قلب الجماهير وانحياز فتح والصاعقة لجانبه. كما انحاز إليه الإطار الأوسع من الشخصيات الوطنية. إلاّ أن الجبهة الشعبية وبالتعاون مع القيادة العامة وجبهة التحرير العربية وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني شكلوا جبهة رفض لهذا البرنامج السياسي حتى عام 1979.

وبعد انفكاك جبهة الرفض هذه[19] انضوى الجميع تحت راية هذه البرنامج بعد أن أضحى برنامجاً للشعب الفلسطيني وم.ت.ف. وحقق أكثر من إنجاز، عندها تشكلت القيادة

---

(18) نظرية روَّج لها الغرب، صاغها الفيلسوف الأمريكي / الياباني الأصل فرانسيس فوكوياما.

(19) جبهة الرفض كانت تسمى: جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية، وتشكلت من: الجبهة الشعبية، جبهة النضال، الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ـ جبهة التحرير العربية، وتم انفكاك جبهة الرفض بعد توقيع الميثاق القومي المشترك السوري ـ العراقي بين الرئيسين حافظ الأسد وأحمد حسن البكر في بغداد في 26 ت1 / أكتوبر 1978.«الميثاق»: "الثورة العراقية"، «البعث السورية » 27 ت1/أكتوبر 1978.

المشتركة[20] وبنينا معاً التحالف الديمقراطي الذي دخل مع حركة فتح بالحوار لاعادة بناء وحدة منظمة التحرير الفلسطينية، وتوصلنا إلى اتفاق الجزائر ـ اليمن الشهير، الذي تم من خلاله تجاوز السنوات الخمس العجاف، وصولاً إلى المجلس الوطني التوحيدي في نيسان/ أبريل 1987.

لكن هذا العمل لم يعمّر طويلاً، فعندما ذهبت مركزية فتح وتحالفها المحدود إلى مجلسها الانقسامي في عمان، وأدارت الظهر لاتفاق الجزائر ـ اليمن وماترتب على ذلك المجلس من توقيع اتفاق فبراير/ شباط 1985، غادر رفاقنا في الجبهة الشعبية التحالف الديمقراطي وانضموا إلى جبهة الإنقاذ التي كانت مؤلفة من الصاعقة والقيادة العامة وفتح الانتفاضة والحزب الشيوعي الثوري وجبهة النضال الشعبي. وكان اسم هذا التحالف: التحالف الوطني. ولكن بعد انضمام الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية (طلعت يعقوب)، أصبح عنوان هذا التحالف: جبهة الانقاذ.

ولقد عطل هذا جهودنا المشتركة، إلى أن فكت الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الفلسطينية علاقتهما بجبهة الإنقاذ وشاركتا في المجلس الوطني التوحيدي المنعقد في أبريل 1987 بالجزائر.

لقد أخذ التعاون ينتج دفئاً أكثر بيننا، وبدأت مساحاته تتسع أكثر، مما أدى إلى بناء القيادة الموحدة للجبهتين الديمقراطية والشعبية[21]، وعلى طريق الوصول إلى اتحاد جبهوي من أجل تتويجه بحزب موحد نتجاوز فيه بالضرورة صيغة (الديمقراطية، الشعبية) بما هو جديد مستمد من دروس الخبرة لكل من التجربتين وتجارب من حولنا.

ونحن في الجبهة الديمقراطية، تقدمنا بمشروع متكامل للاتحاد الجبهوي في اطار جسم سياسي متحد في داخله استقلال تنظيمي ـ فكري لكل فصيل، وبأفق التطور نحو حزب موحد[22].

أعتقد أنه لا توجد عقد موضوعية كبيرة في هذا الدرب، وآمل أن لا تشكل ظواهر سياسية راهنة ـ يعبر عنها الرفاق في الجبهة الشعبية بالتعددية داخل الشعبية ـ أن لا تشكل هذه الظواهر حواجز في طريقنا معاً!!

■ أنت تتحدث عن الجبهتين، وكأن فصائل اليسار الفلسطيني تنحصر بهما..في حين أن فصائل كثيرة أخرى تبنت الماركسية في سياق تطورها الفكري!

■■ التوجه الديمقراطي الثوري، ومنذ انطلاقة الجبهة الديمقراطية يستند ويدعو إلى وحدة كل التيار اليساري في الحركة الفسطينية وفعلاً دخلنا بسلسلة من الحوارات مع الفصائل والشخصيات التي تنضوي في إطار التيار اليساري العريض.

لقد شملت هذه الحوارات: الجبهة الديمقراطية، الجبهة الشعبية، الحزب الشيوعي الفلسطيني أو حزب الشعب لاحقاً، الاتجاه اليساري في صفوف الفصائل الأخرى، خاصة وأنه في فترة

---

(20) القيادة المشتركة للجبهتين في تموز/ يوليو 1984.

(21) تشكلت القيادة الموحدة في أيلول/ سبتمبر 1992.

(22) تقدمت جـ. د. بمشروع الاتحاد الجبهوي مع جـ ش، وهو المشروع الذي صادق على خطه الأساسي المؤتمر الوطني العام الثالث للجبهة الديمقراطية، ت1/ أكتوبر /1994.

السبعينات وحتى أواسط الثمانينات انتشرت الأفكار اليسارية، وتحديداً الماركسية، لتشمل بنسبة أو بأخرى ، جميع الفصائل الفلسطينية بلا إستثناء.

ولكن السبب في بطء، أو حتى تعطيل هذا المشروع يعود للعوامل السياسية في درجة إتساع أو ضيق المساحات المشتركة بالإضافة إلى التطور المتفاوت في الوعي اليساري وتأثيره على برنامج وتكتيك وتحالفات كل من هو في هذا الإطار .

وأقول بصراحة، إن مراحل مرت بنا كانت فيها المساحة المشتركة بين الجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعي وعدد من الشخصيات أوسع مما هي بيننا في الجبهة الديمقراطية وبين الجبهة الشعبية، كالفترة بين (1974 - 1979) و (85 - 1987)، بينما في السنوات الأخيرة، باتت هذه المساحة المشتركة بين الجبهتين أوسع وأوفر حظاً وأكثر دفئاً بأمل أن تشكل خطوات التوحيد الرافعة الأساسية لوحدة كل التيار اليساري في صف شعبنا.

والحقيقة أن هذه العملية يتداخل فيها الفكر مع السياسة مع وسائل النضال وتكتيكاته وتحالفاته، كما يتداخل فيها الوطني مع القومي فضلاً عن التأثيرات الأممية الأوسع (في مرحلة سابقة) . ومن التبسيط النظر إلى إنجاز هذا المشروع بقفزات كبرى سريعة .

لقد علمتنا التجارب أن الدأب لبناء وحدة التيار اليساري بتلاوينه تحتاج زمناً لتقليص حجم درجة التطور المتفاوت الفكري والسياسي والتنظيمي بين فصائله وشخصياته اللامنتمية تنظيمياً، وعلى قاعدة «التنوع في اطار الوحدة» وتحتاج زمناً لتوسيع مساحات الرؤية الفكرية والسياسية والنضالية لأن هذه العوامل الموضوعية أكدت وتؤكد أنها لا تحل بوسائل أوامرية فوقية، وهي اقوى وأفعل من كل رغباتنا وجهودنا الذاتية!

■ الحديث عن وحدة وتمزق اليسار الفلسطيني، يدعونا مباشرة لتذكر حالة انفصال صغيرة وحيدة، أو يتيمة في الجبهة الديمقراطية. لقد كان ياسر عبد ربه شخصية معروفة في الجبهة ومنظمة التحرير، ثم فجأة ترك الجبهة الديمقراطية مع آخرين... ترى ما الأمر الذي تركه ذهابه...هل كان يحمل فكراً جديداً؟!

بدا نايف حواتمة، و كأنه لا يود الحديث في هذه النقطة، فالإشارة إليها في سياق الحديث عن الوحدة بين الجبهتين بدت له عزفاً نشازاً عن هارموني الأوركسترا. لذلك صمت قليلاً قبل أن يتم فكرته الأولى في الجواب الذي رد به على السؤال. إلاّ أنه ما لبث أن أكمل إجابته.

قال حواتمة :

■■ لابأس! هذه مجموعة اعتمدت على ياسر عرفات وبيروقراطية منظمة التحرير الفلسطينية بكل طاقاتها!، فضلاً عن مساندة أكثر من عاصمة عربية حينذاك فتحت لها أجهزة إعلامها ومكاتب، وفي إحدى العواصم العربية قامت الأجهزة الأمنية بوضع يدها وبالقوة على مكتب للجبهة الديمقراطية وتسليمه لهذه المجموعة، إلى أن وقعت انتفاضة داخل المكتب وعاد مع أبنائه إلى حماية الجبهة الديمقراطية. جاء هذا عندما وصلت الانتفاضة والحركة الفلسطينية إلى مفترق طرق مفصلي، وجرت محاولات ضاغطة لم تتوقف على الجبهة الديمقراطية من الدوائر

التي ذكرتها، هذه المحاولات كانت تضغط للإلتحاق بخط اليمين ويمين الوسط في م.ت.ف. والذي بدأ يطل برأسه منذ مؤتمر جنيف الذي انعقد في الشهر الأخير من عام 1988 حيث أعلن عرفات قبوله بشروط الرئيس الأمريكي رونالد ريغان الثلاثة، مقابل شيء واحد فقط هو فتح الحوار بين الادارة الأمريكية ومنظمة التحرير. وكانت تلك الشروط كما يلي: 1 ـ الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود!. 2 ـ الاعتراف بالقرارين 242 و 338 كأساس للتسوية ودون أي ربط بينهما وبين حق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير. 3 ـ نبذ العنف مع الدولة الإسرائيلية.

إن الضغوط التي تمت آنذاك للجمع بين فتح عرفات والجبهة الديمقراطية جاءت لأن التجربة الفلسطينية وتجارب الدول العربية مع الحركة الفلسطينية، فضلاً عن الرؤية الدولية الأوسع إستخلصت الدرس الأساسي بأن مثل هذا الجمع بإمكانه أن يحمل ويدافع عن الحلول التي قدمها مشروع ريغن أو بعده مشروع القنوات السرية وبذات الحلول الثنائية المستندة إلى كامب ديفيد والحكم الذاتي (88 ـ آب/ اغسطس 1991).

لذلك كانت الضغوط والمناورات كبيرة جداً، وكثيرة من حولنا . واعتمدت على هذه المجموعة التي كان لها تطلّع، ومنذ عام 1984 ، للتحالف السياسي مع فتح وفقاً لمنظور سياسة عرفات! لقد حاولت المجموعة تقديم نفسها تحت اسم: «الجبهة الديمقراطية»، لكنها اضطرت بعد حين للاعتراف بواقعها الصغير والمحدود. فاتخذت عنواناً آخر[23] والتحقت بسياسة سلطة الحكم الذاتي حتى يومنا هذا، ومعها مجموعة من الكادر انخرطت في وظائف داخل مؤسسات السلطة، ولا حضور لها، وسط أربعة ملايين فلسطيني من أبناء شعبنا في الشتات!

■ صار معروفاً الآن أن جميع فصائل المقاومة الفلسطينية تعاني من تراجع قواها المالية . ولكن يقال أيضاً أن الجبهة الديمقراطية تحافظ على هذه القوى.. كيف هو حال الوضع المالي للجبهة الديمقراطية. وهل تتلقى دعماً من أحد؟!

فرد نايف حواتمة بهدوء وثقة :

■■ لكم الحق فيما قلتم!

وقال يوضح هذه الجوانب الحساسة في الوضع الفلسطيني:

■■ أخذت الجبهة الديمقراطية مساراً واضحاً في خطها التنظيمي والجماهيري، وهذا المسار يتمايز عن المسار الذي أخذت به العديد من فصائل المقاومة إن لم نقل جميعها، ولذا لم نقع في عنكبوت أمراض تضخم الأجهزة والهياكل البيروقراطية الواسعة المتفرغة التي وقعت بها الفصائل الأخرى!

إن حركة فتح هي التي فتحت الطريق إلى ذلك، مستندة إلى بحر إقليمي يضخ في طاحونتها. وكان مرئياً لنا أن ذلك قد يكون عاملاً على الابتعاد عن الخط النضالي الوطني المتماسك، وأكثر من فصيل وقع فيما سارت به حركة فتح من تفريخ للجيوش البيروقراطية المتفرغة بلا

---

(23) اتخذت عنوان «فدا».

عمل منتج ، وأغلبيتها لا ضرورة لها، وهكذا وجدت هذه الفصائل نفسها أمام آلـة بيروقراطيـة أثقلت عليها واستنزفتها..

وعندما بدأت مصـادر صنـدوق منظمـة التحريـر الفلسـطينية بالجفـاف مـع جفـاف مصـادر الفصائل الأخرى، خاصة بعد عـام 1982، أصبحـت الآلـة البيروقراطيـة الكبـيرة أداة اسـتنزاف هائل متسارع لتلك الفصائل.

وفور الاتجاه نحو توقيع اتفاق أوسلو أعلن عرفات إفلاس الصندوق القومي في محاولـة لتـبرير خطواته القادمة.

أما الجبهة الديمقراطية، فمنذ البدايـة تحكّمـت بمنظورهـا العريـض الوطـني الـذي سـارت بـه بصف شعبنا، ويقوم على تمكين الجماهير المنظمة، المنتجة وغـير المتفرغـة، مـن القيـام بدورهـا في صفوف الثورة والشعب دون الوقوع بحالة تفريخ الأجهزة البيروقراطية وتوسيعها المكلف.

وأستطيع القول إن الأجهزة التنظيمية والادارية والإعلاميـة المتفرغـة في الجبهـة الديمقراطيـة كانت هي الأقـل بـين جميـع فصـائل المقاومـة الفلسـطينية. هـذا أولاً . وثانيـاً : في بنـاء المليشيا العريضة التي بنيناها نحن وجميع الفصائل الأخرى، ارتكزت جبهتنا على عناصر مفصلية بـالمواقع الحساسة القيادية، وقامت بتفريغ هذه العناصر في حين كانت مليشيا جميـع الفصـائل الأخـرى متفرغة في مجموعها[24] . وثالثاً: في القوات المسـلحة شـكل أفـق برنـامج العـودة وتقريـر المصـير والدولة، الدوافع الملهمة للمناضلين داخل الوطن وإليه وعلى كـل محـاور الدفـاع عـن الشـعب والثورة. ورابعاً: في الجهاز البيروقراطي الاداري كان مردود التفرغ هو الأقل في جميع المنظمات قياساً بالتنظيمات العاملة المنتجة.

ونتيجة للارتكاز إلى هذه العوامل ، ظلت الجبهـة الديمقراطيـة علـى مسـارها، وكـان يسـيراً علينا أن نواصل سياسة «الترشيد» في كـل محـاور عملنـا، لأن المسـألة في الأصـل ليسـت ماليـة عندنا أو عند غيرنا. بل هي المنظور السياسي التنظيمي في مجموع العملية الوطنية والثورية.

■ هل ترى أن هناك بديلاً لنايف حواتمة في قيادة الجبهة الديمقراطية ؟

فأجاب حواتمة، وهو يحاول التدقيق بصيغة السؤال :

■■ الجبهة الديمقراطية حركة رئيسية في صـف شـعبنا وحركتنـا الوطنيـة داخـل البـلاد وفي الشتات، جسم حي، انطلق على قاعدة التجديـد الفكـري والسياسـي والنضـالي وعلـى قـاعدة الديمقراطية في الحياة الداخلية، وفي العلاقات مع طبقات شعبنا والتحالفـات الوطنيـة والاقليميـة والدولية.

وهذا يؤشـر بوضـوح إلى أن الاطـارات المركزيـة في الجبهـة، كـالمؤتمرات واللجنـة المركزيـة والمكتب السياسي، تعيش حالة من التجديد والديمقراطية في قيادتها.

وبالتأكيد بل وأجزم، بأن هذا الجسم الحي كفيل بتقديم البدائل لعناصره القياديـة بمـا فيهـا: الأمين العام!

---

(24) التفرغ الذي يعنيه حواتمة هنا يعني اعتبار جميع عناصر المليشيا بمثابة موظفين يتقاضون راتباً شهرياً.

وأضاف :

■■ بناؤنا المستند إلى الديمقراطية والتجديد في حياتنا الداخلية، وعلاقتنا مع شعبنا، بما فيه المراجعات النقدية الذاتية الشجاعة والعلنية، عند كل مفصل من مفاصل العملية الوطنية الثورية التي مارسناها. كل ذلك، صان الجبهة الديمقراطية من أي حالة انقسامية على امتداد أكثر من ربع قرن..

وفقط عندما دخلت الحركة الفلسطينية بمجموعها في صراع مع مسار الحلول الأمريكية ـ الاسرائيلية بدلاً عن حلول الشرعية الدولية المتوازنة، شهدنا، وبتدبير أولئك الذين احتضنوا المجموعة المرتدة، ذلك الارتداد المحدود/عام 1988، الذي تراجع عن كل ادعاءاته باليسار والتحق كاملاً من البداية بسياسة جناح اليمين ويمين الوسط في م.ت.ف. وسلطة الحكم الذاتي!...

بينما شهدت حركة فتح منذ نهاية الستينات وحتى عام 1993 سلسلة من الانقسامات، وكذلك الفصائل الأخرى الأعضاء في ائتلاف منظمة التحرير وخارجه.

الآن في الأرض المحتلة، يجري تفريخ الانشقاقات "والأحزاب" القومية والاسلامية بالعشرات وذلك بهدف تفتيت الحركة الجماهيرية المنظمة وفق المبدأ البائس: «فرق تسد!».

■ ولكنك إلى الآن لم تجب على سؤالي بالتحديد!

■■ كيف؟!

■ جوابكم كان عاماً. وأنا أقصد بدقة: أنه إذا حصل لا سمح الله شيء ما لكم، بعد عمر نضال ثوري طويل، هل هناك في الجبهة الديمقراطية من يوازيكم نظرياً وسياسياً ليصبح خليفة لكم!

رد حواتمة بسرعة :

■■ نظرياً نعم! فالجبهة تضم صفاً متقدماً جداً ممتازاً في قدراته ومواقعه الفاعلة على المستوى الوطني الشامل!

وعاد إلى هدوئه ، وهو يضيف :

■■ العناصر القيادية في الجبهة الديمقراطية بإمكانها أن تملأ موقع الأمين العام فوراً إذا دعت الضرورة .. وهناك عدد وافر!

فسألته مجدداً :

■ والأسماء ؟!

وهنا اقترح وقف التسجيل، وتابع كلامه :

■■ ربما لايكون مفيداً أمنياً ذكر ذلك. فضلاً عن إعلانه.. فنحن تحت الاحتلال، والأوضاع الإقليمية صعبة، وآمل أن تسمع وتغلق دائرة التسجيل!

ثم أورد حواتمة أسماء خمسة من رفاقه، مؤكداً إمكانات كل منهم على القيام بمهمة الأمين العام!

الفصل الثاني عشر

الشيوعيون العرب..
(نقد متبادل) !

■ الشيوعيون العرب..
(نقد متبادل)!

إذا كانت الجبهة الديمقراطية، وعلى رأسها نايف حواتمة بمثابة شجرة ماركسية نبتت في صفوف القوميين العرب، فإنها ما لبثت أن تشعبت بأعضائها داخل حركة الشيوعيين العرب وتمكنت بخطواتها السريعة وبقوة من فرض وجودها، وكأنها تطرح نفسها كبديل ماركسي على الصعيد الفلسطيني!

وعلى هذا الأساس، تعرضت منذ مطلع السبعينات، وإلى يومنا هذا إلى أكثر من حملة انتقاد، وربما تجريح فما فعلته في سيرورتها أثار الكثيرين[1]:

- تمت إثارة المرجعية التاريخية، أي حركة القوميين العرب، لأنها نهضت من ركام متناثر تركته هذه الحركة بعد توزعها بين الأمم!

- وتمت إثارة الأحزاب الشيوعية التقليدية، لأنها كانت البديل الذي يعالج المسائل والإستعصاءات التي لم تعالجها تلك الأحزاب وخاصة: الحزب الشيوعي الفلسطيني.

- وتمت إثارة اليسار الجديد، الذي ادعى أنه «الحل التاريخي» فرآها قوة جديدة في صفوف الشيوعيين البراغماتيين.

فهل أراد نايف حواتمة فعلاً تحويلها إلى بديل؟!

لهذا قلت له:

■ لقد قيل الكثير عن الجبهة الديمقراطية، ومما قيل عنها أن نايف حواتمة يريد تحويلها إلى بديل ماركسي، أو حزب شيوعي فلسطيني، وكنا نسمع أيضاً أن الجبهة تتطور إلى تنظيم حديدي.

(1) الجبهة الديمقراطية، الحركة اليسارية الديمقراطية الأولى في العالم العربي التي حملت السلاح في الدفاع عن الحقوق الوطنية والقومية إلى جانب التسلح بالأيديولوجيا الوطنية والطبقية الثورية.

■■ فعلاً، في الإنطلاقة الأولى للجبهة الديمقراطية، وكذلك بالنسبة لنظرائنا في الفروع الأخرى لحركة القوميين العرب. كانت ردود الفعل، في صف عدد من الأحزاب الشيوعية والقومية والناصرية، في الاعتقاد أننا نحاول تشكيل بديل عن خارطة الأحزاب القائمة.

ولذلك مارست هذه الأحزاب مواقف تراوحت بين إدعاء بأننا نقدم أنفسنا بديلاً، وما ترتب عن هذا، من مساحة فاصلة، افتعلتها هذه الأحزاب، إلى أشكال من الحصار المادي والسياسي. ولكن مجموع هذه القوى سرعان ما لمست، باليقين النابع من الممارسة، إننا لا نشكل بديلاً عن أحد، بل ندعو، من مواقعنا، إلى تطوير الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية، لتتجاوز أزماتها.. قصورها.. استعصاءاتها، ومن على يسار الخارطة الحزبية أيديولوجياً وسياسياً ونضالياً.

وأوضح حواتمة أن الجبهة الديمقراطية مارست هذه الدعوة من خلال سياسة تحالفية جديدة تقوم على الجمع بين الاستقلالية وعلى المساحات المشتركة، وأضاف:

■■ لقد ترجمنا هذا بمشاركتنا، منذ اللحظة الأولى، في جميع هياكل منظمة التحرير الفلسطينية الإئتلافية بلا تردد، وبمشاركتنا بالمجلس الوطني الفلسطيني واللجنة التنفيذية، بعد سبعة أشهر فقط من انطلاقتنا.. لقد شاركنا في أول مجلس وطني لمنظمة التحرير ينعقد في أيلول/ سبتمبر 1969. إنه تيار اليسار الوطني الواقعي[2].

وعلى ذات القاعدة، مددنا جسورنا باتجاه كل تيارات وأحزاب وشخصيات حركة التحرر الوطني العربية بدءاً بالأقربين: اليسار الناصري ـ الحركة الشيوعية ـ البعث في المشرق، وأحزاب اليسار والخط الوطني والقومي في بلدان المغرب من جبهة التحرير الجزائرية إلى الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في المغرب الأقصى!

وتقدمنا من موقع الحوار النقدي مع السوفييت والبلدان الاشتراكية الأخرى ومع الحركة الثورية العالمية باتجاه طرق أبواب التحالف...

وهذا كله يؤشر على: أولاً ، أننا لا نقدم أنفسنا ولا للحظة بديلاً عن غيرنا. وفي هذا تعبيراً عن الإيمان العميق بالمرحلة الجديدة في حياة حركة التحرر العربية والفلسطينية، أي الديمقراطية التعددية الفعلية! فنحن ضد تمييز حزب عن حزب في مواقع القيادة فلكلٍّ ما سعى، وضد دكتاتورية الحزب الواحد، والحزب القائد منذ البدء. وثانياً، في دروس وتجربة حركة التحرر العربية الفلسطينية، حتى نكبة 1948، بل وحتى هزيمة 1967، القيادات الفلسطينية الأخرى، لم تنتبه لقضايا الوحدة الوطنية، بضرورة تحشيد كل القوى على برنامج مشترك ضد الغزوة

---

(2) الدورة السادسة للمجلس الوطني الفلسطيني (أيلول 1969) في القاهرة قدمت الجبهة الديمقراطية لدورة المجلس مشروع لبناء جبهة وطنية عريضة في إطار م.ت.ف وشاركت الجبهة الديمقراطية في كل هيئات م.ت.ف.

ـ المصدر1 (تطور الفكر السياسي الفلسطيني ـ فيصل حوراني ـ مركز الأبحاث 1980 بيروت ص162).

ـ المصدر2 (قرارات المجلس الوطني ـ راشد حميد ـ مركز الأبحاث 1975 بيروت ص4).

ـ المصدر 3 (مشروع لتحقيق وحدة القوى الوطنية الفلسطينية في جبهة تحرير وطنية موحدة.. مقدم للدورة السادسة للمجلس الوطني ـ الجبهة الديمقراطية).

* كتاب حركة المقاومة الفلسطينية «دراسة نقدية» ـ دار الطليعة 1970 ـ بيروت ص115 ـ ص162

المنظمة الصهيونية الاستيطانية، والاستعمار والإمبريالية واحتياطاتها الداخلية في البلدان العربية. وثالثاً، حفرت هذه السياسة نهجاً جديداً، في إطار الحركة الفلسطينية، بيننا وبين القوى الأخرى، قائماً على التعددية والتحالف مع النقد والإصرار العنيد على العلاقات الديمقراطية، وبناء تجربة جديدة، في الديمقراطية التعددية، في الحركة الفلسطينية، متقدمة عن نظيراتها في الأقطار العربية الأخرى. وفعلاً هذا ما كان، رغم ما تخلله من ألوان من العنف والصراع الذي فرضه علينا الجناح اليميني في الحركة الوطنية الفلسطينية. وهذا ما ساد على قاعدة القواسم المشتركة حتى عام 1982، حيث وقع الغزو الشامل وما ترتب عليه. ولكن يجب أن نلحظ أن هذه الديمقراطية التعددية بدأت تتراجع تنحسر، ثم تتهمش، بعد الغزو، وعلى يد ذلك الجناح.

أما حول مسألة التنظيم الجماهيري في الجبهة، فمن الطبيعي أن يكون بحيازة شعبنا والجبهة الديمقراطية التنظيم الذي بنيت أعمدته الرئيسية من ابناء أكثرية صفوف شعبنا، أي: العمال والفلاحين الفقراء والجموع اللاجئة وأبناء الطبقة الوسطى..

كما تم حشد الإطار الواسع من الأنتلجنسيا المتنورة الفلسطينية التي تدفع باتجاه الدمقرطة والحداثة والمرحلية في الحركة الفلسطينية والعربية... والجبهة موحدة متماسكة على امتداد خمس وعشرين سنة، بينما تشققت فصائل مقاومة عديدة في كل مرحلة... وهنا تكمن المساحة الفاصلة بين حركة ديمقراطية تقوم على الانتماء الحر والانتخابات من القاعدة إلى القمة. وبين فصائل غابت فيها الديمقراطية الداخلية، حيث يتم كل شيء فيها بالتعيين، وكأنها ثكنة عسكرية.. وهنا معمل تفريخ الإنقسامات، فالتنظيم الحديدي محكوم بمركزية مغلقة حيث يحدث التفتت لا العكس. لذا، معاذ الله، بين تجربة الجبهة القائمة على الانتماء الحر والديمقراطية الداخلية والتعددية الوطنية وبين تجارب التنظيمات الحديدية.

كانت إجابة نايف حواتمة طويلة نسبياً، ومع ذلك، كان من الضروري استكمال الفكرة التي طرحتها بسؤال جديد، فقلت له:

■ لقد قيل أيضاً إن الجبهة الديمقراطية تذهب في رؤاها التنظيمية والسياسية إلى أبعد من فلسطين، وأنا لا أقصد هنا: التدخل بالشؤون الداخلية للدول العربية. وإنما هناك تساؤل يطرح نفسه، فماذا يعني وجود فرع أردني يسمى حزب الشعب، أو مجد. بالإضافة إلى التنظيمات التي تقيمها الجبهة في البلدان الأخرى التي ربما تشير إلى أن هناك رؤى خاصة بالجبهة تتعلق بالساحة التي تعمل بها.

فرد بسرعة ، وقد التقط حساسية المسألة:

■■ بوضوح صارخ .. لقد التقطت الجبهة الديمقراطية الترابط الحي بين الوطني والقومي والأممي. وهذا مشتق من تجربة شعبنا الفلسطيني، وكل شعب من شعوب الأمة العربية. فقد نحت قيادة الشعب الفلسطيني، قبل نكبة 1948، منحى انعزالياً، حيث حاولت، من جانب، حل المسألة الفلسطينية بالتطلع إلى بريطانيا الانتدابية. ومن جانب آخر، ربط نفسها بالأنظمة العربية الإقطاعية والأرستقراطية العشائرية العاجزة التي تعيش تحت المظلة البريطانية أيضاً.

تم ذلك، دون وجود تحالفات مع الحركة الشعبية العربية، ومع دول وقوى التحرر والتقدم والاشتراكية والديمقراطية والسلام في العالم، ولذا كان الثمن فادحاً باهظاً، وهو : النكبة الكبرى، ثم الانهيار الاجتماعي وتمزق الشعب وإنطواء حركته الوطنية إلى أن فتحت هزيمة 1967 البوابة العريضة لإعادة البناء المتسارع للدور الخاص لشعبنا ولحركته الوطنية. هذا كله وعيناه باكراً، ولكن لم نشتق منه، بناء أحزاب ترتبط فيما بينها، بقيادة مركزية مشتركة، لأننا في هذا نكون قد أعدنا إنتاج ما تجاوزناه في الحركة القومية، إنتاج ما فرضت وقائع الحياة والنضال تجاوزه .

لذا مباشرة، وفي سياق الظروف الموضوعية، الناجمة عن أيلول/ سبتمبر 1970، عملنا على فك العلاقة التنظيمية، التي جمعت تاريخياً الساحة الأردنية الفلسطينية عند الجميع (بعث، قوميين، شيوعيين ـ إخوان مسلمين)، والدفع باتجاه استقلال الحركة الوطنية الأردنية على الأرض الأردنية، وفي هذا كنا السبّاقين عن غيرنا[3] .

أما خارج الساحة الفلسطينية الأردنية، فلم نسع أبداً لإعادة جسور العلاقة التنظيمية مع القوى، التي تطورت في مسارها، من فروع حركة القوميين العرب، إلى الموقع اليساري الماركسي، كما لم نسع إلى بناء أحزاب أو ردائف أو ملاحق لنا في أي بلد من البلدان العربية.

قلت لنايف حواتمة:

■ أنت تتحدث عن الترابط بين الوطني والقومي والأممي وهذه مسألة تفرض نفسها في السياسة والاقتصاد أيضاً، ولكن هناك خيط رفيع بين أهمية وصول قوى وطنية إلى الحكم، وبين التدخل في الشؤون الداخلية. فهل نقلل من أهمية وجود نظام الحكم الحالي في سورية قام ويقوم على دعم المقاومة. وفي نفس الوقت ربما تلتقون مع حزب معارض يسعى لإقامة مثل هذا النظام المؤيد لقضاياكم ، فكيف تتعاملون معه؟

■■ نحن، في الجبهة الديمقراطية، انتهجنا سياسة تقوم على التحالف والتعاون المشترك ضد الاحتلال وعدوانه. وعلى قاعدة تعبئة كل القوى الشعبية الممكنة بهذا الاتجاه، دون التدخل بالشؤون الداخلية لأحزاب الحركة الشعبية والسلطات المحلية. وثانياً: انتهجنا سياسة ثابتة، تقوم على حل التعارضات الناشئة بين المقاومة للإحتلال، وبين السلطة الحاكمة المضغوط عليها بالاعتداء المتواصل من المحتل، وتحت شعار الرد على المقاومة. وما تفعله الدولة العبرية كرد فعل على أعمال المقاومة، داخل البلد الذي تزعم أن المقاومة انطلقت منه، يخلق باستمرار تعارضات بين المقاومة والسلطات الحاكمة. وقد حصلت تعارضات بين المقاومة الفلسطينية والقوى

---

(3) كتاب (حملة ايلول ـ دروس ونتائج) الصادر عن الاعلام المركزي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين 1971 ، حيث دعت الجبهة في أهم الدروس المستخلصة إلى إعطاء الحركة الوطنية الأردنية دورها والاقلاع عن سياسة الاحتواء والتدخل في شؤونها السياسية ولاتنظيمية.

* الموسوعة الفلسطينية ـ المجلد الثاني ـ الطبعة الأولى ـ بيروت 1984 ـ ص12 حيث يرد بالنص(بدأت الجبهة الديمقراطية منذ العام 1971 سلسلة من المراجعات النقدية والجريئة لسياستها العامة، عبرت عنها التقارير السياسية والتنظيمية لدورات اللجنة المركزية الثانية منذ العام 1971 وعبرت عنها "مجلة الحرية" الناطقة باسم الجبهة الديمقراطية، وأول مراجعة نقدية تمت بعد أحداث أيلول 1970 في الأردن، وفي مجلة الحرية تحت عنوان "أيلول وحركة المقاومة الفلسطينية").

الشعبية المناصرة لها على الأرض الأردنية وبين السلطة الحاكمة هناك ونحن عملنا دائماً على حلها بالحوار ودعونا كل ائتلاف منظمة التحرير للعمل على حلها بالحوار[4].

لقد مارسنا هذه السياسة، وبنضج على الأرض اللبنانية، وكنا ضد تعميق التعارضات إلى تناقضات فصدامات. وضد تشكيل قوى وأحزاب أو تجمعات ملحقة بأي من فصائل منظمة التحرير . لكن حركة فتح فعلت غير ذلك، وهذا ما أدى إلى إرباكات وصراعات لا ضرورة لها. وفصائل فلسطينية أخرى فعلت ذلك أيضاً.

وأضاف نايف حواتمة موضحاً الجانب الآخر من السؤال :

■■ أما بشأن وصول أي حركة ثورية، أو حزب وطني إلى الحكم في دول الطوق، يكون سنداً فعّالاً لمقاومة المحتلين،فهذا صحيح. وتجربة الهند الصينية ماثلة أمامنا، حيث أمكن بهذا التظافر إنجاز تحرر تلك البلدان وإنجاز وحدتها القومية. ومثال ذلك في /أنغولا وموزامبيق وتنزانيا وزيمبابوي وجنوب افريقيا/ وغيرها، بينما الحالة الفلسطينية في تركيبها الديموغرافي المفتت بين الوطن والشتات، والتداخل الهائل على الأرض بين التجمعات الفلسطينية والدول في أقطار الشتات، والتداخل الحي اليومي بين القضية الفلسطينية والأوضاع الإقليمية العربية بين الوطني والقومي يجعلنا محكومين بقانون آخر.

وبالنسبة للنقطة المتعلقة بالعلاقة بين المقاومة والأحزاب المعارضة في بلدانها العربية، فهذه مسألة فعلية وفارضة لنفسها، في سياق العلاقة المعقدة بين العام العربي والخاص الفلسطيني، وقد حاولت أنظمة كثيرة، من التي تتدخل بالمقاومة أن تفرض قانونها الأحادي بحصر العلاقة بين منظمة التحرير وبين النظام الحاكم، دون أي علاقة مع الشارع أو مع الحركة الشعبية في بلد ذلك النظام. ونجحت بعض الأنظمة بفرض قانونها، وجاهدنا لحل هذا التعقيد على قاعدة مد الجسور الفكرية والسياسية والنضالية مع الأحزاب الفاعلة المعارضة في بلدانها، على قاعدة ما هو مشترك في النضال لحل القضية الفلسطينية وعلى قاعدة المساندة المتبادلة بين هذه الأحزاب، ودورها في التعبئة الشعبية في بلدانها، لمحاولة دفع أنظمة بلدانها، بما ينسجم مع هذا المشترك، ومعارضة هذه المعارضة لما يتطاول على هذه الحقوق في سياسة نظامها الحاكم في بلدانها هذا المشترك على صعيد الحقوق الفلسطينية في منظورها الراهن..

■ وطالما نحن في انتظار الحديث عن الأثر والتأثر في العوامل الداخلية للبلدان التي تعملون بها، لابد في هذا السياق من التطرق لمسألة تاريخية بعض أحزاب هذه البلدان..

وأقصد تحديداً أن هناك أحزاباً شيوعية، سواء كانت في موقع المعارضة أو التأييد لأنظمتها، أثارت عدداً من المشاكل النظرية والبرنامجية التي انعكست على مسار حركة التحرر العربية ككل.

---

(4) أعادنا حواتمة إلى كتابات كثيرة من بينها كتاب :

* المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني - الصادر عن مركز الابحاث عام 1971 - بيروت بإشراف د. نبيل شعث (سبق ذكره).

* كتاب محاضر محادثات عبد الناصر مع الزعماء العرب (سبق ذكره).

* كتاب د. صادق جلال العظم "مراجعة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية" الصادر عن دار الطليعة عام 1971 .

وأنت تذكر أن الأحزاب المشرقية الشيوعية لم تلتقط دورها في العملية القومية التوحيدية.. ألا ينبغي طرح البديل في هذه الحالة.. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الأحزاب ربما تكون قد ضاعت في تعاطيها مع تعريفات جاهزة أو مقولات جامدة كتعريف ستالين للأمة، وغير هذا..

ومن هنا لا بد من ملاحظات نقدية لكم حول هذه المسائل الهامة... أليس كذلك؟!

■■ المشكلة لم تكن في تعريف ستالين للأمة!

فقبل هذا أمامنا تجربة البلاشفة في روسيا القيصرية الإمبراطورية وكيفية حل المسألة القومية على قاعدة من الوحدة لكل أمة ومن اتحاد بين هذه الأمم في إطار الاتحاد السوفييتي. وبعد هذا أمامنا تجربة الصين وفيتنام وما يعتمل في إفريقيا وتجربة تفكك الاتحاد السوفييتي. وقبل هذا أمامنا التجربة الأوروبية في الوحدات القومية. لكن تعريف ستالين للأمة استخدم كمنصة ديماغوجية للتشكيك بوجود أمة عربية مكونة وشعوبها تناضل منذ أواخر القرن الماضي نحو الانفكاك عن الامبراطورية العثمانية والاندفاع نحو النهضة ببناء دولة اتحادية للعرب والجامع هو القومية العربية!

إن تعريف ستالين للأمة، يضيف إلى وحدة اللغة والتاريخ والتكوين السيكولوجي، وحدة الاقتصاد والأرض. وستالين، في هذا، يستوحي وقائع الأمة، مما كان قائماً في روسيا القيصرية، وبأفق ضيق برز بحدة، في الممارسة، عندما عالج ستالين، بمشروعه الشهير الذي قدمه للمؤتمر السادس للحزب الشيوعي السوفييتي، المسألة القومية على قاعدة جمع كل الأمم، التي تشكلت منها الإمبراطورية القيصرية تاريخياً، بدولة مركزية واحدة. والاكتفاء بالحكم الذاتي لكل أمة من الأمم. عندها تدخل لينين، وأعلن خطأ مشروع ستالين، وصاغ مشروعاً جديداً يقوم على دعامتين: الدعامة الإتحادية بجمهوريات مستقلة، يتشكل منها الاتحاد السوفييتي... أما الأمم الصغيرة، فالأقلية داخل كل أمة كبيرة يمكن أن تتمتع بالحكم الذاتي أو حق تقرير المصير بما فيه حق الانفصال، وهذا ما حصل فعلاً مع فنلندا...

ولنتذكر أن لينين أدان معالجة ستالين للمشكلة القومية الجورجية، مع أن ستالين ابن جورجيا، حيث مارس اضطهاداً وقمعاً، ضد الاتجاه، الذي طالب بحقوق قومية أوسع، في إطار إعادة صياغة العلاقات بين أمم الأمبراطورية القيصرية في السنوات الأولى للثورة.

والذي حصل عندنا، أن الأحزاب الشيوعية المشرقية أخذت بالتعريف الستاليني جامداً، وعلى قاعدة أن الأمة العربية غير مكوّنة، ولا يوجد أمة عربية تجمع الشعوب العربية، لأن تعريف ستالين يشترط وحدة الإقتصاد ووحدة الأرض بالإضافة إلى العوامل الأخرى. وهذا التعريف، إذا سحبناه بلغة استرجاعية على أوروبا والولايات المتحدة وكندا وغيرها من الأمم، التي بنت مجتمعاتها ودولها القومية الموحدة، فإنه يتكسر على الفور!

ومحزن أن الأحزاب الشيوعية العربية المشرقية، لم تفحص هذا كله، وسلّمت أوتوماتيكياً بتعريف ستالين. وثانياً، وهو الأهم، أن هذه الأحزاب، لم تشتق طريقها الإستقلالي عن المركز في موسكو لصياغة برنامجها الخاص الوطني والقومي، رغم دورها العظيم في نشر الفكر الاشتراكي

والضغط من أجل مصالح الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء.. ودورها الكبير والمتفاوت في النضال من أجل التحرر والاستقلال الوطني.

■ في القضية الفلسطينية، لم تقف الأحزاب الشيوعية العربية موقفاً صحيحاً أيضاً!!

■■ إن موقف الأحزاب الشيوعية العربية المشرقية من حق الشعب الفلسطيني في وطنه وضد الغزوة الإستعمارية الاستيطانية، قبل عام 1948، كان موقفاً سليماً، مبنياً على النظرة الاشتراكية العلمية وتراث لينين، الذي أعلن أنه ليس بين الماركسية وبين الاشتراكية الصهيونية، إلاّ لغة العداء والصراع. وأدان باكراً المشروع الصهيوني على حساب شعب فلسطين والبلاد العربية، كما أدان باكراً عصبة البوند الروسية اليهودية، التي نادت بالإشتراكية الصهيونية، أي: بالمشروع الصهيوني لغزو فلسطين وبمضمون "اشتراكي".

لقد تمسكت الحركة الشيوعية بهذا حتى عام 1947، غير أنها وعندما استدارت السياسية السوفييتية باتجاه تقسيم فلسطين إلى دولة عبرية ودولة فلسطينية، استدارت الحركة الشيوعية معها، مع العلم أنه كان مرئياً، بفعل موازين القوى الدولية، التقاطع بين السياسة البيروقراطية السوفييتية ومعسكر القوى الإمبريالية الكولونيالية والصهيونية.

- كان مرئياً أيضاً، أن قرار التقسيم لن يأخذ مجراه، بل هو مرسوم بدقة، لتقوم الدولة العبرية، بما هو أبعد منه، والحاق ما يتبقى بالدول العربية المجاورة، وهذا ما حصل فعلاً، رغم كل محاولات القيادة الفلسطينية، الاحتفاظ بما تبقى من الأرض، وبناء دولة فلسطينية مستقلة..

لقد تمت محاصرة هذه المحاولات وإحباطها في مهدها بعد دعوة الحاج أمين الحسيني[5] في شباط/ فبراير 1948 وقبل خروج الانتداب إلى إعلان دولة فلسطين، فاصطدم برفض الدول العربية، كما تم إحباط دعوته لعقد مجلس وطني فلسطيني في غزة بتاريخ 1948/9/30 وإعلان قيام دولة فلسطينية على ما تبقى من الأرض الفلسطينية.

■ يبدو أن المسألة تعود إلى التأثر بالسياسة السوفييتية والتي تحدث تغييرات هامة في مواقفها أحياناً !

■■ هذا صحيح! فالسياسة السوفيتية أحدثت استدارة في مواقفها فيما يتعلق بالغزوة الاستعمارية الصهيونية، وقد اعتقدت بيروقراطية الدولة السوفييتية في حينها أن الدولة العبرية التي ستنشأ في فلسطين ستنتهج سياسة إشتراكية في إطار صهيوني. وهذا ممكن أن يؤدي إلى قيام دولة اشتراكية في الشرق الأوسط!!

وتكرر ذلك في النظرة لحركة القومية العربية، فقد وقفت بيروقراطية الدولة السوفييتية ضد حركة القومية الجامعة للشعوب العربية، بمشروع وحدوي ونحو دولة مركزية اتحادية. وكان وراء هذا الموقف الإعتقاد أن هذا المشروع يعطل حركتها ويهدِّد مصالحها في البلدان العربية.

ثم أثارت الشبهات حول الحركة القومية وطموحها لجمع الشعوب المشرقية منذ العشرينات وقالت إن هذه الدعوة على صلة بالدول الإستعمارية مستندة، إلى مشروع جامعة الدول

---

(5) لمزيد من التفاصيل يمكن العودة للهامش، ص34، ص35 في الفصل المتعلق بحركة القوميين العرب.

العربية الذي اقترحته بريطانيا، في محاولة لامتصاص واحتواء الاندفاعات الكبرى الناهضة، باتجاه الإنتقال، من الأوضاع القطرية الإقطاعية شبه الرأسمالية، إلى الدولة المركزية الاتحادية الحديثة..

■ ألم تطرحوا تاريخية هذه المسائل وأسبابها مع السوفييت عندما توطدت العلاقات بينكم وبينهم؟!

■■ بلى. وبصراحة حاولت جاهداً، ومن خلال الحوار الذي بدأ بيننا منذ عام 1973 التدقيق في مثل هذه المسائل، مثلاً لماذا اتخذ ستالين تلك السياسة عام 1947، ولماذا بادر بالاعتراف بالدولة العبرية عام 1948؟!.

وكان الجواب، وبعد جهود مضنية مع عدد من أعضاء اللجنة المركزية.. ومع النائب الأول لأندريه غروميكو آنذاك البروفسور ميخائيل كابيتسا، كان الجواب: إنهم أيضاً محتارون مستغربون. لكن كل ما يعلمونه أن ستالين قال: زرعنا بذلك خازوقاً لخوزقة الأنظمة الإقطاعية العربية!! وهنا الخطأ المبدئي الكبير تجاه حق شعب فلسطين بأرضه وتقرير مصيره بنفسه، والخطأ المبدئي الكبير الآخر من منظور الاشتراكية العملية تجاه الحركة الصهيونية الاستيطانية التوسعية على الأرض الفلسطينية والأراضي العربية الأخرى. ووقع قرار سوفييتي آخر بيروقراطي، مصيري وخطير بشأن كوريا، يُحمِّل فيه غروميكو المسؤولية المباشرة لستالين وهذا ورد في كتاب غروميكو :«من الذاكرة»[6] .

وكان واضحاً أيضاً من كل التطورات أن المواقف في قضايا وجود أمة عربية وحقها بالوحدة، وحق الحركة القومية بتوحيد الشعوب العربية كلها تستوحي وتنطلق من مصالح البيروقراطية السوفييتية في الحزب والدولة تحت عناوين أيديولوجية وأممية.

■ كان من الضروري في هذه الحالة أن تقع الأحزاب الشيوعية العربية ضحية عدم تطابق رؤيتها مع رؤية المركز الشيوعي في بعض المفاصل التاريخية.

■■ بالطبع، فقد أخذت الأحزاب الشيوعية العربية ببعض السياسات، التي اتخذتها البيروقراطية السوفييتية دون نقاش. ونلاحظ أن السياسة السوفييتية، وعلى ضوء تصحيح مواقفها ومصالحها مع البلدان العربية، انتقلت من موقع العداء للمشروع النهضوي الوحدوي

---

(6) ستالين اتصل مع غروميكو مندوب الاتحاد السوفييتي في مجلس الأمن وطلب منه الانسحاب من جلسة مجلس الأمن عند التصويت على مشروع القرار الأمريكي للتدخل تحت قبعات الأمم المتحدة في كوريا، وحمَّل غروميكو مسؤولية القرار السوفييتي الخاطىء لستالين رغم دفاعه الحار جداً عن زعامة ستالين ودوره العظيم في بناء وتطور الاتحاد السوفييتي وتنظيم الحرب الوطنية العظمى في مقاومة جيوش الغزو النازية.

* وفي كتابه (من الذاكرة) ص333 ، ص335 الصادر عن دار الفارابي عام 1989 في جزئين كتب غروميكو بالنص: «إن ستالين اتصل به وكان وقتذاك مندوب الاتحاد السوفييتي بمجلس الأمن، وذلك بعد قرار كوريا الجنوبية بإشعال نار الحرب في الجزيرة الكورية بتشجيع من الولايات المتحدة، حيث حاولت الإدارة الأمريكية أن تدخل الحرب تحت مظلة الأمم المتحدة... وحاولت الحصول على تفويض بمجلس الأمن. وحسب رأي غروميكو كان على مندوب الاتحاد السوفييتي المشاركة في جلسة مجلس الأمن التي دعت لها الولايات المتحدة، واستخدام حق النقض الفيتو من قبل الاتحاد السوفييتي كان يمكن أن يحبط محاولات الولايات المتحدة دخول الحرب بشرعية دولية وتقسيم كوريا. لكن ستالين وقبل الجلسة بساعة اتصل بغروميكو وطلب منه عدم حضور الجلسة، وهكذا حصلت الولايات المتحدة على ما تريده ودخلت الحرب تحت مظلة الأمم المتحدة، ويحمل غروميكو ستالين مسؤولية ما وقع».

الناصري، إلى موقع التحالف مع عبد الناصر. وهنا جاءت دعوة خروتشوف والحزب الشيوعي السوفييتي إلى اعتبار ما يجري في مصر (1964) بأنه تحول نحو الاشتراكية[7] ..وهذا خطأ ايديولوجي وطبقي وبرنامجي جديد للبيروقراطية السوفييتية، وعلى هذا الأساس، تم الطلب من الحزب الشيوعي المصري أن يحل نفسه، وأن يندمج بالاتحاد الاشتراكي، وهذا ما كان فعلاً...

وفيما بعد، تم توسيع هذه العملية، بما هو أكثر جنوحاً نحو اليمين، عندما تمت دعوة الأحزاب الشيوعية، في سورية والعراق والسودان، للانخراط في الإتحاد الإشتراكي القائم في كل منها، وكان ذلك تحت عنوان: التطور اللارأسمالي في هذه البلدان، بالإضافة إلى ليبيا والجزائر واليمن الجنوبية، والتنظير إلى أن الأحزاب الشيوعية هذه فقدت مبررات وجودها البرنامجية والتنظيمية، وعليها أن تنخرط في المؤسسة الحزبية الحاكمة!

وقد استجاب عدد من الأحزاب لنظرية التطور اللارأسمالي وبدأ التشبث بها انطلاقاً من الاعتماد على قطاع الدولة وتدخله المتزايد في الحياة الاقتصادية والاجتماعية...

استجاب لهذا الحزب الشيوعي المصري، فحل نفسه واندمج في الاتحاد الاشتراكي! وانقسم الحزب الشيوعي السوداني، فخرج جناح بقيادة معاوية إبراهيم وفاروق أبو عيسى وانخرطوا في الاتحاد الاشتراكي السوداني إلى أن تدارك أبو عيسى الخطأ. ووقعت خلخلة كبيرة في الأحزاب الشيوعية الأخرى، فمنها من استجاب، ومنها من ارتبك، ومنها من لم يستجب!!

أوردت هذه الأمثلة لأقول، إن الغالب من الأحزاب الشيوعية العربية، والعديد من الأحزاب الشيوعية التي تحلقت حول المركز (موسكو)، باعتباره مركز إصدار وتعميم، فعلت هذا دون تفحُّص في العمق، حتى أن عدداً محدداً من هذه الأحزاب، كان يبشر علناً بضرورة الأخذ بالسياسة السوفييتية، سواء كانت صحيحة أم خاطئة تجاه قضايا شعبها وبلادها، وتجاه أي قضية دولية أخرى، وعلى قاعدة: المركز دوماً على حق!!

والآن علينا أن نفحص، من جديد، مواقف هذه الأحزاب، فنجدها تجاه القضية الفلسطينية والقومية تعود فيها إلى ما قبل عام 1952 بالنسبة للقضية القومية، وإلى ما قبل 1948 بالنسبة للقضية الفلسطينية..

■ يعني أنها ربما تكون قد وقعت في خطأ جديد بعد سقوط الاتحاد السوفييتي!!

■■ عندما تطالع دوريات هذه الأحزاب، ترى أمامك تبشيراً وحماسة صارخة (سُكّرها زيادة)، بالدفاع عن الأمة العربية وحقها بالوحدة، والدفاع عن القضية الفلسطينية، بما هو أبعد من حق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير والدولة المستقلة والعودة عملاً بقرارات الشرعية الدولية والتي تم بناؤها بعد عام 1973، وبعد أن فك الاتحاد السوفييتي نقطة التقاطع بينه وبين

---

(7) جاء ذلك في سياق المفهوم السوفييتي الذي تبنته الأحزاب الشيوعية العربية حول «التطور اللارأسمالي في البلاد العربية» في الوقت الذي اتخذت فيه الجبهة الديمقراطية موقفاً نقدياً من هذه الموضوعة، وفي هذا الصدد يمكن العودة إلى التقرير النظري والسياسي الصادر عن المؤتمر الثاني للجبهة الديمقراطية عن دار ابن خلدون عام 1981، من ص176 إلى ص183 "الفصل الخاص بحركة التحرر العربية"

الولايات المتحدة وأوروبا، التي كانت قائمة على أساس أن القرار 242 هو الحل للقضية الفلسطينية. وفي هذا نقلة سوفييتية نوعية عظيمة قادت إلى تدويل القضية والحقوق الفلسطينية بتقرير المصير والدولة المستقلة والعودة. إنه وبحق عرس كبير وطني وأممي لشعبنا والعرب والحركة الثورية العالمية.

إن تحويل القضية والحقوق الفلسطينية (تقرير المصير، الدولة، العودة) من قضايا محلية، وبالأقصى إقليمية إلى قضية دولية حيَّة وملموسة يومية تم بفضل تطور موقف الاتحاد السوفييتي وثقله كأحد الدولتين الأعظم في العالم، كما تُشكّل هذه النقلة النوعية تطوراً أيديولوجياً وسياسياً وأممياً إيجابياً عظيماً في السياسة السوفييتية، يستجيب لمبادىء الاشتراكية والعدالة الدولية..

وتوقف حواتمة لحظة عن الكلام، ثم أضاف متمماً إجابته حول الأحزاب الشيوعية العربية:

■■ وأتذكر الآن مقولة خالد بكداش بأن للشعب الفلسطيني الحق في الدولة المستقلة على أرض فلسطين وأن لليهود الحكم الذاتي في إطار هذه الدولة.. لقد ورد هذا في كتاب "خالد بكداش يتحدث" عام 1993[(8)] !

هذه هي العودة إلى الأصول، إلى منابع الاشتراكية العلمية.

■ هناك أحزاب شيوعية حاولت أن تتجاوز هذه المعضلات التي تحدثت عنها، كالحزب الشيوعي اللبناني والانشقاقات التي تمت في الحزب الشيوعي السوري (رياض الترك ويوسف فيصل فيما بعد).. ألا يمكن القول إن هذه الانشقاقات كانت برنامجية. فأنتم وإلى عام 1973 كنتم تلاحظون انكفاء الاتحاد السوفييتي تجاه القضية الفلسطينية ولا يتفاعل معها. وعندما طرحتم البرنامج المرحلي، فتح لكم صدره وبدأ يتحاور معكم..

■■ بالتأكيد، فأمام هذا المسار من الاستعصاءات البرنامجية والأيديولوجية السياسية والطبقية، في حل المعضلات المتعلقة بقضايا التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية، اندفع الاتحاد السوفييتي لكي يقدم حلوله. وهذه الحلول تشمل قضايا كونية وقضايا إقليمية وأيضاً التطورات العاصفة لتجديد العالم من ثورة أكتوبر العظمى إلى النصر على النازية إلى النهوض العارم لشعوب العالم الثالث .. كل هذا طرح على الاتحاد السوفييتي مراجعة أكثر من مسألة كبرى في برنامجه وسياساته، تجاه قضايا إقليمية وطنية قومية واجتماعية، وتجاه قضايا الثورة الاشتراكية وحل الأزمة الثورية المتراكمة داخل الاتحاد السوفييتي نفسه..

ونتيجة لذلك، وجدت أحزاب وقوى حركة التحرر والتقدم العربية بتياراتها الرئيسية: اليسارية والقومية بما فيها الأحزاب الشيوعية التقليدية، وجدت نفسها أمام ضرورة مراجعة برامجها وتحالفاتها وتكتيكاتها.

وهنا أضيف على ما أوردته أنت : الحزب الشيوعي السوداني والحزب الشيوعي التونسي.. وقد قام هذان الحزبان بهذه المراجعة بنسب مبدعة متفاوتة في السبعينات.

---

(8) خالد بكداش يتحدث، حوار عماد نداف، دار الطليعة 1993 ـ ص93.

وعند فحص مراجعات وثائقهما البرنامجية والفكرية والسياسية نجد تقارباً واسعاً بين خط ورؤية اليسار الماركسي الجديد الذي ولد ونما في أحشاء الحركة الوطنية القومية وتعاظم دوره بانطلاقته المستقلة وبين الخط المبدئي في هذه الوثائق تجاه القضايا الوطنية والقومية بما فيه المسألة الفلسطينية. ومن المؤسف والمحزن، أن هذه المراجعات، التي تمت، لم تكتمل وتأخذ مجراها العريض في الحياة النضالية اليومية وبروح صبورة متواصلة . ولذا توقف عدد منها عن التقدم إلى الأمام في أطروحاته الشجاعة، ومنها من تراجع باتجاه التكيّف.. باتجاه المغادرة الخجولة خطوة خطوة مبتعداً عن الماركسية!!

صمت حواتمة قليلاً ثم أضاف :

■■ لقد توقف الحزب الشيوعي التونسي في منتصف الطريق. ثم أخذ عنوانه الجديد: «حزب التجديد» مضموناً آخر لا يؤشر على أفق اشتراكي علمي. إن حواراً خصباً دار بين حواتمة ومحمد حرمل الأمين العام للحزب حول هذه القضايا، ولازال صخب المراجعة النقدية والبحث عن حلول لها في مسار الحزب الشيوعي السوداني تشكل استعصاءات برنامجية، وهذا ما أشرت عليه للزملاء في قيادة الحزب الذي تجمعني معهم علاقات فكرية حميمة وخاصة مع الشهيد عبد الخالق محجوب ومع الأمين العام محمد إبراهيم نُقُدْ.. وفي المسار الوطني كذلك النقاش المغلق دائر بين اتجاه في الحزب الشيوعي اللبناني، متمسك بالموروث، وبين اتجاه ماركسي تجديدي، وبين اتجاه ثالث تحت عنوان «اليسار الديمقراطي»! والمحاولات الأخرى التي ذكرتها، لم تتم على مستوى عموم الحزب، كما هي بالأمثلة الواردة بل استعصت إمكانية حوار ديمقراطي شامل في صفوف الحزب، وهذا ما أدى إلى تجنحات، فانقسامات معلومة، نرى أنه لايصح استسهال توصيفها بكذا وكذا! فكل منها يعلن تمسكه بالماركسية ويبحث عن حلول لتدفع بذوره ودور الحركة الوطنية التقدمية في بلده إلى أمام!

هذا أولاً، وثانياً: علينا أن نلحظ مسألة هامة وهي أن من يشتق من وقائع الحياة يبحث بالتالي عن حلول ملموسة لتجاوز الاستعصاءات. وقد قال جوزيف بروز تيتو (الزعيم الشيوعي اليوغسلافي ورئيس الاتحاد اليوغسلافي لسنوات طويلة) ذات يوم، وعند سؤاله: من أين تعلم الماركسية. قال: من الحياة من مجرى النضال لحل معضلات الثورة الوطنية والاشتراكية في عموم يوغسلافيا بقومياتها المتعددة! وفي الذاكرة حرارة الحوار في إطار الوحدة الوطنية في م.ت.ف والذي أداره تيتو مع القيادة الفلسطينية بعد حرب اكتوبر 1973 مباشرة مع عرفات، حواتمة، زهير محسن، فاروق القدومي، طلال ناجي.

في هذا المجرى علينا أن نلمس أن اليسار الماركسي الجديد، مد يده مباشرة، ومنذ لحظات انطلاقته الإستقلالية، إلى الأقربين: إلى الأحزاب الشيوعية العربية ومن مواقع الحوار النقدي وسياسة التجاور واستكشاف المساحات المشتركة..

■ ماذا تعني بمصطلح اليسار الجديد؟ فأنت تستعمله على أساس توصيف حالة الذين تبنوا الماركسية من بين صفوف الحركة القومية "قوميين عرب، بعثيين، ناصريين، وطنيين مستقلّين".

فقال حواتمة :

■■ أنا لم أستخدم تعبير «اليسار الجديد» أنا أتحدث عن اليسار الماركسي الجديد تميزاً له عن اليسار الماركسي الشيوعي التقليدي!! وتمييزاً له عن «اليسار الجديد» الذي انطلق في أوروبا بالستينات وامتداد تأثيراته إلى أمريكا اللاتينية وبعض بلدان آسيا وبلدان عربية.

المسألة ليست عناوين، فهذه هي الوقائع المعاشة التي تدب على الأرض.

■ إذاً يمكننا القول أن هناك : يسار جديد، ويسار ماركسي جديد بالإضافة إلى اليسار الماركسي الشيوعي.. وفي هذه الحالة بقي أن أسألك عن اليسار الجديد الذي طرح نفسه كبديل عن الأحزاب الشيوعية التقليدية، ثم ما لبث أن انتهى!

■■ إن اليسار الجديد الذي تتحدث عنه، رابطة العمل الشيوعي، والشغيلة، التروتسكيين وحزب العمل الشيوعي..إلخ، هو شيء آخر. عبارة عن مجموعات كان تأثرها الرئيسي باليسار الجديد الذي شهدته أوروبا في أواخر الستينات (1968 فما بعد).

وهذا «اليسار الجديد» كان ضائع الملامح والتضاريس في عوالم الايديولوجيا : الشيوعية الأوروبية ـ التروتسكية ـ الأممية الرابعة والماوية... ولذا لم يكن له إمكانية شق طريق جديد يؤسس في عالمنا...

لقد عبرت هذه الظاهرة عن الوجع المحق في صف اليسار التقليدي. ومن المحزن أن هذه الحركة الشابة لم تفتح على دروب جديدة تعيش وتقدم الحلول..

كانت هذه الظاهرة هائلة في أوروبا، أما الذين تأثروا في هذه الموجة في بلدان العالم الثالث، فقد بقوا في أطر ضيقة حلقية صغيرة، ولم تتمكن من فعل شيء!

■ إذا كنا نقرأ في كتاب، وهذا الكتاب ينقل وجهة نظرك عن جناحي الحزب الشيوعي السوري خالد بكداش ويوسف الفيصل.. ما الذي نقرأه عن هذين الجناحين؟!

ضحك نايف حواتمة من صيغة السؤال ، وقال :

■■ ننظر إلى ما هو أوسع من مسار ومصير هذين الحزبين نحن ننظر إلى مسار الحركة الشيوعية العربية، بكل أحزابها، وعلى وجه الخصوص المشرقية، حيث التداخل أوسع ويومي بين الوطني والقومي بين الخاص والعام لقضية كل شعب وبين العام المشترك حوله.

لقد تعاطينا مع الخارطة الحزبية للحركة الشيوعية المشرقية، من موقع الحوار النقدي بيننا: ما لنا وما علينا. ويدون حساسية خاصة تجاه طيف الحركة الشيوعية العربية وخاصة المشرقية!

ومنذ سنوات تطورنا إلى الماركسية في مجرى النضال الوطني والقومي والاجتماعي، في مجرى الثورة والمشروع النهضوي الديمقراطي القومي والاجتماعي التقدمي بألوان وطنية فلسطينية وعربية، آمنّا وتلمسنا بأن الكتلة اليسارية في كل بلد من البلدان العربية يجب أن تكون في مقدمة مجموع فصائل التحرر الوطني في النضال من أجل إنجاز مهمات التحرر، وفي مرحلة مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ..

بدأنا بنقدنا الذاتي، وبنقد ومراجعة تجربة الحركة القومية وقصورها عن الربط بين الوطني والطبقي. بين القومي والخصوصية الوطنية... وهذا الذي قاد إلى تفككها... تشطرها ... وكذلك تجاوز اليسار الماركسي الاستقلالي لها .

وعلى هذا الأساس، نقدنا مسار الحركة الشيوعية العربية وخصوصاً المشرقية، التي أبدت فهماً أعمق للقضية الفلسطينية والقضايا العربية في العقود الأولى من نضالاتها. إلاّ أنها، وبدءاً من المواقف السوفييتية عام 1948 تجاه القضية الفلسطينية، ثم تجربة حركة التحرر العربية ودعوتها إلى الوحدة القومية، وتجربة 23 يوليو المصرية، وما بعدها بالدعوة إلى نظرية التطور اللارأسمالي وحل الأحزاب الشيوعية والإنخراط في الأحزاب والتشكيلات الوطنية القومية التي تراوح في منتصف الطريق... هذه السياسات البيروقراطية السوفييتية، التي كان يجري تسويقها على أنها سياسات أممية بروليتارية، عارضناها واتخذنا منها موقفاً نقدياً على مدى الخطاب الايديولوجي والطبقي السياسي في مسار الجبهة الديمقراطية وشبكة علاقاتنا وتحالفاتنا العربية والأممية المباشرة والعلنية.

إن استجابة الحركة الشيوعية العربية، بنسب متفاوتة، لهذه السياسات، باعتبارها صادرة عن «المركز» جعل أحزابها غير قادرة على تعميق مسار خطها المبدئي وتطويره، بما يمكّنها من أن تكون عملياً في مقدمة القوى المناضلة لحل القضايا الوطنية والقومية، بما فيه حمل السلاح عندما يستوجب ذلك حمله، كما هو حاصل في حركة الشعب الفلسطيني في ثورته المعاصرة وتخلف الحزب الشيوعي الأردني ـ الفلسطيني عن ذلك.

وكذلك الأحزاب الشيوعية العربية، التي شكلت منظمة الأنصار[9] متأخرة، وبشكل خاطف. وعندما نهضت حركة التحرر الوطني بمقاومة مسلحة في تونس والجزائر والمغرب، تخلفت الأحزاب الشيوعية فيها عن ذلك، بل اتخذت هذه الأحزاب، ولفترة ليست قصيرة مواقف مضادة لتلك الحركة تحت راية الادعاء الأممي، والإتهام بالمغامرة والبرجوازية الصغيرة كما وقع مع حركة المقاومة الفلسطينية نفسها[10] .

---

(9) قوات الأنصار فصيل من الشيوعيين الفلسطينيين والأردنيين بالتعاون مع الشيوعيين في سوريا ولبنان والعراق أنشئت في مطلع آذار/ مارس 1970، وذلك بعد التحرك الشعبي الواسع الداعم للعمل الفدائي ضد الاحتلال، وأكد بيان قوات الأنصار الأول "أن مهمات الكفاح المسلح التي ستقلع بها قوات الأنصار ستتمكن في تنفيذ سياسة الشيوعيين بوسائل أخرى".

* المصدر: قوات الأنصار بيان إلى جماهير شعبنا 3 آذار 1970 ، كذلك أورده د. ماهر الشريف في كتابه البحث عن كيان ص173. ويشار إلى أن قوات الأنصار قد تم حلها في أيلول 1970 .

(10) كتب فهمي السلفيتي، أحد القادة المؤسسين للحزب الشيوعي الأردني ـ الفلسطيني مقالاً سياسياً في مجلة قضايا السلم والاشتراكية، براغ/ تشيكوسلوفاكيا، مادة سياسية في آب 1968 قال فيها «أنه يرى أن الظروف لم تنضج لا في الأردن ولا في أي بلد عربي للنشاط الفدائي داخل أو خارج الأرض المحتلة. وأن أسلوب الكفاح المسلح يتناقض مع الظروف الموضوعية ويتسم بألوان متطرفة قومية ومغامرة بورجوازية صغيرة».

* المصدر: الوثائق الفلسطينية والعربية لعام 1968 ص821 ، ص826 ـ كذلك كتاب د. ماهر الشريف البحث عن كيان ص167 موقف الشيوعيين من الكفاح المسلح، الطبعة الأولى 1995 (دفاتر النهج).

ـ كما أن البرنامج المرحلي الذي تبناه الحزب الشيوعي الأردني في آب 1967 يشير إلى تحميل العمليات العسكرية التي نفذها الفدائيون قبل حرب حزيران ، قسطاً من المسؤلية عن قيام إسرائيل بشن حربها على الدول العربية، حيث يشير البرنامج ⇐

■ هذه الاشارات للحركة الشيوعية المشرقية، جعلتني أتذكر واقعة جرت بينك وبين فهمي السلفيتي أحد قادة الحزب الشيوعي الأردني.. وعدتني بالحديث عنها ذات مرة.. وربما من المفيد عرض وقائعها في هذا السياق.

هز حواتمة رأسه موافقاً وقال :

■■ **هذا صحيح !**

لقد وقع هذا عشية انطلاقة الجبهة الديمقراطية، التقينا في بيته في ماركا، وهي مجاورة للعاصمة الأردنية. وقتها قدمت تصوري عن لوحة التطورات اليسارية الشاملة في الحركة القومية منذ بداية الستينات، وتسارعها بعد هزيمة حزيران. وتطور التيار اليساري في كل فروع حركة القوميين العرب باتجاه الماركسية. وحدثته عن الحلقة الأخيرة في السلسلة، أي الحالة الفلسطينية ـ الأردنية. واقترحت حركة يسارية موحدة بيننا ببرنامج ناضج وطني فلسطيني جديد يستند إلى بلورة الشخصية الوطنية ودور شعب فلسطين الخاص ضد الاحتلال، واعتماد الكفاح المسلح في إطار المقاومة وائتلاف منظمة التحرير الفلسطينية. وقلت إن هذا يتجاوز خط الحزب الشيوعي الأردني على الساحة الأردنية ـ الفلسطينية من مواقع ملامسة تاريخ الحزب ومطالعة مقالة السلفيتي التي نشرت وقتها 1968 في مجلة قضايا السلم الاشتراكية، وبرنامج الحزب (آب 1967).

وتنهد حواتمة ، وقال بمرارة تلك الذكرى :

■■ **أتعرف ماذا كان رد السلفيتي ؟!**

لقد أتى بخارطة العالم ووضعها أمامنا، والقلم بيده.. ثم رسم بهذا القلم نقطة على تلك الخارطة، وقال :

ـ المنظومة الاشتراكية، وفي طليعتها الإتحاد السوفييتي وكذلك الحركة الشيوعية العالمية، ضد هذه السياسة التي تقترحون، وترى في العمل الفدائي ظاهرة برجوازية صغيرة وقومية متطرفة، وسياسة حزبنا: الحزب الشيوعي الأردني، تقول هذا أيضاً!! فماذا ينفعني إذا خسرت هذا العالم كله، وربحت هذه النقطة !!!

أدركت على الفور، انسداد طريق الحوار بيننا. وتساءلت معه:

ـ هل هذه أممية أم كوزموبوليتية ؟!!

واستعدت قول المسيح: «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه»!!

وأضاف حواتمة دون أن يعلق على تلك الواقعة :

⇐ ص30،ص31 (إلى دور تيارات المغامرة والمزايدة التي أسهم في تغذيتها مؤيدو ماوتسي تونغ وزمرته في العالم العربي وشعاراتها غير الواقعية وبعض الأعمال المسلحة الفردية والعقيمة التي استغلتها اسرائيل وبالغت في تحويلها كثيراً لتبرير اعتداءاتها...).

* المصدر: البرنامج المرحلي للحزب الشيوعي الأردني: العدوان الإسرائيلي الاستعماري والعمل لتصفية آثاره، إخبارية براغ ص28،ص29. كذلك أورده د. ماهر الشريف في البحث عن كيان (سبق ذكره) ص169 .

■■ لاحقاً، وبين آذار - ايلول 1970 مرت تجربة قوات الأنصار بشكل خاطف. وانتقل الحوار إلى داخل الحزب الشيوعي الأردني تحت فعل نهوض المقاومة وائتلاف منظمة التحرير الفلسطينية، وترك هذا الحوار هزاته على بنية الحزب إلى أن تم انفصال تنظيم الضفة الغربية عنه عام 1982 ، وتم تشكيل الحزب الشيوعي الفلسطيني.

■ لو سألتك نفس هذا السؤال، ولكن عن الحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي، هل ستجيب الجواب نفسه ؟!

■■ نعم!.. ففي لبنان فتحنا حواراً بهذا الاتجاه مع الحزب الشيوعي اللبناني بأمانة نقولا الشاوي وجورج حاوي ومع منظمة العمل الشيوعي بأمانة محسن ابراهيم ومحمد كشلي وفواز طرابلسي بأمل الوصول إلى حزب أو ائتلاف متحد على طريق حزب موحد. كان هذا ممكناً حتى عام 1986، حيث كانت المساحة المشتركة واسعة. ولكن من المحزن أن هذه المساحة انحسرت بعد عام 1986 حيث وقع افتراق سياسي كبير. لقد كان الحزب الشيوعي اللبناني صاحب سياسة خاصة في تفحص الشؤون اللبنانية والفلسطينية والعربية بينما اتخذت منظمة العمل الشيوعي خطاً آخر ومن أبرز حلقاته التحالف مع سياسة ياسر عرفات ومساندة اتفاق أوسلو[11] وهذا أدى إلى ضمور مذهل في المنظمة وشبه غياب سياسي لبناني، وربما باتت تقتصر الآن على مجموعات بعد أن غادرها تباعاً أغلب قادتها لخلاف مع خط محسن ابراهيم منذ منتصف السبعينات.

قلت لنايف حواتمة :

■ سأعيد السؤال، ولكن بصياغة جديدة، فالأحزاب الشيوعية التي تحدثت عنها وقعت في أزمات معروفة. وقد نشأت مقابلها، ونتيجة لهذه الأزمات، أحزاب أو منظمات جديدة – حزب العمال الشيوعي المصري - حزب العمل الشيوعي في سورية - حزب العمال الشيوعي الفلسطيني – رابطة الشغيلة في لبنان....الخ كيف ترى هذه الأحزاب... هل هي مبررة تاريخياً حتى لو تراجع بعضها أو انتهى!

رشف نايف حواتمة من قهوته المرة الموجودة أمامه ، ثم أجاب قائلاً :

■■ إن ظهور وخروج هذه الحالات عن الحركة الشيوعية التقليدية هو تعبير عن أزمة في هذه الحركة، ، وهو ناجم عن استعصاء مركّب، من الحلول التي تقدمها كل من هذه الأحزاب في بلدها لحل معضلات المرحلة التي تمر بها البلاد، ومن التسليم بنسب متفاوتة بسياسات وتكتيكات الاتحاد السوفييتي، حتى لحظة انهياره، والعمل على تسويقها في الشارع باعتبارها السياسة الأممية الصحيحة، حتى تجاه قضايا بلدانها الوطنية والقومية والطبقية!

لقد جاءت هذه المحاولات بنوايا طيبة نبيلة ، تعبر عن حاجة موضوعية، لفك الاستعصاءات المذكورة لكن المقومات الذاتية لهذه لمحاولات وتطرفها أقصد الفكرية والسياسية والاجتماعية

---

(11) الكتابات التي تلت اتفاقيات أوسلو، أوضحت مشاركة محسن ابراهيم، أمين عام منظمة العمل الشيوعي في لبنان في ليلة مفاوضات التلفون (جوهان هولست - أحمد قريع) في تونس مع عرفات، محمود عباس، أحمد قريع... والتي إنتهت بالاتفاق على أوسلو آ (17 آب - أغسطس 1993).

وأساليب عملها وبرامجها لم تمكنها من أن تعيد بناء علاقة مع الجماهير، ولذا بقيت ظواهر محدودة جداً هامشية لم تتمكن من أن تشق طريقها، ثم تراجعت بعد انحسار متزايد، ومعظم قادتها ارتدوا يميناً وغادروا أحزابها بما فيه أمناء عامون لها[12].

■ في ضوء ما ذكرت، ما هو مستقبل الأحزاب الشيوعية التقليدية، وتحديداً في دول الطوق؟!

■■ كانت هذه الأحزاب الرائدة منذ العشرينات والثلاثينات بطرح أفكار الاشتراكية العلمية والتبشير بها. وقد نشرت الثقافة التقدمية والعصرية، ثقافة التنوير الوطني والوعي الطبقي بنسب متفاوتة، وبنت النقابات العمالية، بالإضافة إلى شيء من التأثير في الأرياف إذا استثنينا الحزب الشيوعي العراقي الذي كان له تأثير كبير في الأرياف ومتعاظم بسرعة البرق في المدينة.

وقد تركت هذه الأحزاب بصماتها على مجموع حركة التحرر والتقدم في بلدانها وفي الإطار العربي العام. ولذا علينا أن نرى هذا بإيجابياته البارزة، كما نرى الأخطاء والسلبيات بهدف الاندفاع نحو تجاوز الأزمة والاستعصاءات لأن الأزمة أوسع، فهي شاملة، وتهب عواصفها على كل التيارات العاملة ولكن بنسب متفاوتة في صف حركة التحرر والتقدم العربية قطرياً وقومياً.

لقد زلزلت الأرض العربية والسوفييتية والأوروبية الاشتراكية زلزالها، واهتز المخزون الأيديولوجي النضالي في بلادنا، وعلى مدى كوكبنا. والأساس أن تصون القوى اليسارية البوصلة، فاليسار ملح الأرض، قوة التقدم والحداثة والعصرنة إلى أمام نحو حلم شعوبنا والبشرية النبيل بعالم ديمقراطي اشتراكي جديد!

وفي هذه المرحلة، كل بلداننا، تمر في مرحلة استكمال التحرر وتتلامس، مع مهمات بناء المجتمع الوطني الديمقراطي المدني التعددي، باستثناء شعب فلسطين الذي يستمر في نضاله من أجل انجاز الخطوات الأولى في سلّم التحرر الوطني: إنهاء الإحتلال وترحيل الاستيطان وتقرير المصير وعودة شعب الشتات.

لذا يتضح أن الكتلة اليسارية في حركة التحرر والتقدم العربية هي المعنية، وقبل غيرها، بالمراجعة النقدية الشجاعة لأوضاعها. بالإضافة إلى فتح أفق التحالف مع النقد، فيما بين فصائلها، وصولاً إلى ائتلاف فيما بينها يفعل فعله في مجموع الحركة الوطنية القطرية والعربية، وفي مجموع المشروع النهضوي العربي الديمقراطي الاتحادي.. والعبور إلى القرن الواحد والعشرين.

في هذا المسار، الأدوار مفتوحة، بشكل خاص لليسار الماركسي الجديد والكلاسيكي، الذي بمقدار ما يفعل فعله في تطوير أوضاعه الذاتية، مستوعباً الخصوصيات الوطنية والقومية والدولية

---

(12) مثلاً حزب العمال الشيوعي الفلسطيني، عمل تحت رعاية وظل أعضاء من اللجنة المركزية لحركة فتح (أبو إياد)، ومع توقيع اتفاقيات أوسلو تم حل الحزب وانخرطت عناصره القيادية بوظائف داخل هياكل الحكم الذاتي.
والمفارقة أن الحزب بدأ أواخر الستينات مشواره السياسي والتنظيمي بشعارات كبيرة تكيل الاتهامات لكل القوى وخاصة اليسارية منها متهمة إياها بالمساومة والتساوق مع اليمين وكذلك فعل نظرائه مع الأحزاب اليسارية في بلدان عربية أخرى.

لحل الأزمات المطروحة على جدول أعماله وجـدول أعمـال مجموعـة الحركـة الوطنيـة القطريـة والقومية، وتجاوز الخلل البرنامجي في فحص المرحلة التي يمر بها كل قطر وتقديم الحلول الملموسة للخروج من دائرة المراوحة في منتصف الطريق بـل والـتراجع عـن التقـدم الاجتمـاعي والتنمية المستقلة. وكذلك إعادة فحص قوانين التحالفـات القائمـة والإصـرار بسياسـة علنيـة وفي صـف الشعب على إعادة بناء التحالفات على قواعد القواسم المشتركة والديمقراطية التعددية في أوجه الحياة الحزبية والنقابية والصحفية والإعلامية والفكرية، والصراع من أجل دولة المجتمع المدنـي، دولة المؤسسات والقانون والتداول السلمي على السلطة.

■ أنت تستعمل عبارة الـ «الشعوب العربية» وأثناء حديثـك عـن الأحـزاب الشـيوعية العربيـة ومسألة الأمة والقومية كنت ميالاً إلى التناقض مع هذه الأحزاب في طروحاتها في هذا الجانب!!

■■ نحن ننطلق من الوقائع، وليس من الرغبات الذاتيـة والنزعـة الإرادويـة، ونـرى اللوحـة كما هي... فالأمة العربية تمتلك من عوامل التكوُّن والانتماء إلى قوميـة واحـدة وهـي: القوميـة العربيـة بكـل عناصرهـا في وحـدة اللغـة ـ التـاريخ ـ العـادات والتقـاليد ـ التكويـن النفسـي المشترك... موجودة في كل مناحي الحياة.

وبذات الوقت ، فإن اللوحة الواقعية توشي لنـا بشـكل واضـح بـأن هنـاك شـعوباً عربيـة في مرجل الأمة العربية، يوجد بينها ما يوحِّدها وما يشكل الخصوصيات عند كل شعب منها..

ويجب أن لا تتـم عمليـة طمـس الخصوصيـات، كمـا فعـل أصحـاب الإيديولوجيـا القوميـة المجردة، الذي ينتمون إلى التيار القومي العام. كذلك نحـن نتعـارض مـع الاتجـاه الـذي سـاد في الحركة الشيوعية العربية، بإنكار وجود الأمة العربية وتوظيف الخصوصيات للنفـخ بتضاريسـها، للإدعاء بعدم وجود الأمة العربية ، والقول بأنها لم تتكون بعد!

وأضاف حواتمة:

■■ الوحدة والخصوصيـات تنبـع مـن قـانون التطـور المتفـاوت بـين شـعوب الأمـة العربيـة والخصائص المتفاوتة في مراحل نضال كل شعب من الشعوب. فبحيازتنا شعوباً أنجـزت مهمـات الإستقلال وتقرير المصير الوطني وانتقلت إلى النضال والصراع حـول الخيـارات الاسـتراتيجية: الديمقراطية وحقوق الانسان والتداول السـلمي علـى السـلطة... الاشـتراكية والثـورة العلميـة التكنولوجية أم رأسمالية الأطراف المتخلفـة، والـتي لـن تخرجنـا مـن حلقـة التخلـف الاقتصـادي والاجتماعي والعلمي، والتفتت القطري والقومي وحتى داخل كل قطر، والهزيمة أمام المشـروع التوسعي الإسرائيلي.

وشعوب كانت بـذات الوقـت تصـارع مـن أجـل الخـلاص مـن الاسـتعمار بـل أن الشـعب الفلسطيني لازال، حتى يومنا، في الدرجات الدنيا من هذا السُلَّم.

إن حركة التطور التاريخية في البلدان العربيـة لم تكـن متسـاوية متناغمـة علـى امتـداد قـرون طويلة. كما أن حركة التمثل والانصهار لمكونات كل شعب، محكومة أيضـاً بتفاوتـات لازالـت صارخة. حيث نضجت هذه العملية، عمليـة التمثـل في البوتقـة العربيـة التاريخية عنـد شـعوب

المشرق العربي، بينما في مصر، لم تأخذ إشارات العروبة عمقها ومداهـا إلاّ بعـد ثـورة 23 يوليـو على يد عبد الناصر.

وفي الشمال الإفريقي، مازالت هذه الخصوصيات بارزة، بشكل واضح، في الإشكالية الاثنية ببلدان المغرب الكبير، وخاصة: الجزائر والمغرب الأقصى والسـودان بـين سـكان الـبلاد الذيـن تواصلوا بعد الفتح العربي، وبين الذين حملوا عملية التعريب والأسلمة هـذه البلـدان ولشعوبها التي كانت قائمة.

لذلك تلحظون، وحتى يومنا هذا، الإشـكالية البـارزة بـين شمـال السـودان العربـي وجنوبـه الأفريقي، بين العرب الجزائريين وبين الأمازيغ الجزائريين (الترجمة العربية: الرجال الأحرار) وبين اللغتين العربية والأمازيغية. وهذه لغات فرضت نفسها الآن بموجب دستور الجزائر الجديـد بعـد أحداث ت1/ أكتوبـر 1989، وتم تحديـد الهويـة الوطنيـة الجزائريـة بثـلاث مكونـات: العربيـة ـ الأمازيغية والاسلامية.

هذه المسألة تفرض نفسها أيضاً في المغرب الأقصى وبمديات أبعد وأخطر، وقد لمست هذا في حواراتي مع الأحزاب المغربية الكبرى اليسارية واليمينية والشخصيات النافذة من عبـد الرحمـن اليوسفي والفقيه محمد البصري وأحمد بوستة ومحمد بن اسـعيد وعلـي يعتـه إلى أحمـد بـن سـوده وأحمد عصمان والخطيب ومزربان وعبد الكريم الفيلالي ...

بل ولمست هذا بالحوار مع الملـك الحسـن الثـاني ومـدى فعـل التشـكيلات الأثنيـة (عـرب، أمازيغ) والجهوية. وربما لهذه العوامل للمغرب أربعـة عواصـم (مراكـش، فـاس، الربـاط، الـدار البيضاء).

الفصل الثالث عشر

الإرهاب والعمل الثوري!

■ الإرهاب والعمل الثوري

التوباماروس.. الدرب المضيء.. كارلوس.. وديع حداد.. منظمة أيلول الأسود.. الجيش الأحمر الياباني.. المنظمة الشيوعية العربية.. الخ.

أسماء كثيرة تمر أمامنا، عند فتح ملف «الإرهاب» في العالم المعاصر.. والواقع أن المناضلين في أنحاء العالم يمارسون أشكالاً متعددة من الأعمال ضد أعدائهم، وقد يكون الإرهاب من بينها. ولكن هل هو نهج في العمل الوطني أو الثوري. أم أنه ظاهرة تتنامى مع حالات اليأس، أو الضعف البنيوي للمقاتلين..؟!

وبغض النظر عن الإجابة على هذا السؤال، ووجهات النظر التي قد تختلف حوله، فإن هذه المسألة كانت باستمرار حجة للرد على الأعمال الوطنية، ومن ثم السعي لإجهاضها من مضمونها الفعلي!!

وفي منطقتنا، تداخلت أشكال النضال تداخلاً يصعب الفصل فيه، بدءاً من اختطاف الطائرات، إلى ضرب المصالح الإقتصادية، إلى العمليات العسكرية ضد الجيوش وملحقاتها الإدارية.. وصولاً إلى انتفاضة الحجر، التي **قد تمهد** للإنتفاضة **المتطورة** التي يدعو إليها **نايف حواتمة**، والتي قد تغيرّ موازين القوى بالفعل!!

وإذا كانت بعض المراحل، قد شهدت أعمالاً يمكن أن تدرج في قائمة الإرهاب الثوري، فإن حق الشعوب في النضال من أجل استقلالها وتحررها، يجب أن يبقى مصاناً.. وإذا كانت إسرائيل تسعى الآن لتعبئة دعاوية ضد العرب على أساس الإرهاب فإنها أول طرف لجأ ويلجأ إليه بصفاقة وبكل معنى الكلمة، بدءاً من أعمال عصابات شتيرن والهاغانا وصولاً إلى فضيحة لافون.. وآخر محطة في العمل الإرهابي البشع: مجزرة قانا!

☆ ☆ ☆

وربما كان نايف حواتمة صديقاً لوديع حداد، أو لأبي علي حسن سلامة، أو لغيرهما ممن عملوا في خطف الطائرات أو في العمليات ذات الطابع الخاص. ولكن هذا ليس شرطاً لكي يوافق حواتمة

على هذا النوع من العمل الثوري. أو لكي يتعرف على رجل مثل كارلوس الذي أثار العالم في أعماله. ولكن غسان شربل (مجلة الوسط)، الذي تذكر نايف حواتمة كخطيب سياسي في الجامعة العربية في بيروت خلال النصف الثاني من الستينات، وهو ذاهب لمحاورته، تذكّر أيضاً إن بالإمكان فتح مثل هذا الموضوع معه!!

و لم يتأفف حواتمة أبداً، لا مع غسان شربل، ولا معي. ربما لأنه يتوقع مثل هذه الأسئلة، أو ربما لأنها لا تعنيه كتهمة..

قلت له، وأنا أعيده إلى الماضي البعيد في ذاكرته:

■ يقولون إن «كتائب الفداء» (جورج حبش - جهاد ضاحي - هاني الهندي - حسين توفيق) قامت بعد نكبة 1948 بتفجير الكنيس اليهودي بدمشق! هل حدث هذا فعلاً؟ وكيف قيمته عندما دخلت حركة القوميين العرب، والتقيت مع هذه الشخصيات؟!

فرد حواتمة بتلقائية:

■■ بصدق وأمانة لم أكن أعرف هذا الموضوع !!

وأضاف بصوت هادئ:

■■ نحن جيل جديد، الجيل الثاني في حركة القوميين العرب، والرابع في الحركة القومية الحديثة. وأنا أطللت على هذه الزاوية في ربيع 1958. وقد ألقت ضوءاً على النزعة الفاشية، خاصة عند ربطها، بتفجير مدرسة الأليانس ووكالة الغوث الدولية (الأنروا) في بيروت، بالإضافة إلى عمليات الإغتيال في إطار كتائب الفداء العربي!!

ثم قال بثقة:

■■ وحتى هذه الثانية لا أعرف تفاصيل المسألة. ولكن أقول أننا في اتجاهنا النضالي، قبل عام 1967 وبعده، أي قبل نهوض حركة المقاومة الفلسطينية الواسع وبعده، كنا ومازلنا وبالممارسة العملية ضد أي عمليات عنف تستهدف عناصر ومؤسسات مدنية أو روحية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة والبلدان العربية والعالم. ومبكراً، أعلنت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ومارست سياسة الإعتماد على الجماهير المنظمة والدفع بطاقاتها وبكل أشكال النضال، وبما فيه المقاومة المسلحة ضد قوى الإحتلال ومؤسساته وضد قوى الاستعمار وقواعده العسكرية. دون المس بأي مؤسسة مدنية وروحية، وهذا تاريخ ناصع لا يسجل في لائحته أي إشارة عاكسة لهذا الإتجاه.

لقد كنا أيضاً ضد أي أعمال عنف موجهة خارج الوطن ضد مؤسسات أو خطف طائرات أو سفن أو اغتيالات أو إطلاق نار في مطارات[1] كما وقع على يد فصائل أخرى في الحركة

---

[1] راجع حوار مطول مع صحيفة النهار البيروتية 1973/8/5 أجراه خير الله خير الله مقدماً بالقول:
«مرة أخرى يتكلم السيد حواتمة والدافع لهذا الحديث، هو اللغط الذي يدور حول خطف الطائرات... وذلك أن للجبهة الديمقراطية موقفاً مبدئياً من هذه الحوادث، إذ كانت أول من استنكر خطف الطائرات عام 1969».. وهنا يقول حواتمة للنهار «أعلنا منذ أيلول 1969 بعد أول عملية خطف طائرة، أننا ضد هذه الأعمال الفردية في الخارج.. فنحصد آثار سلبية ⇐

الفلسطينية لأنه هذا يقدم «عنواناً مزوراً» لإمكانية تحرر الشعوب على يد مجموعة من الأفراد وتنمية نزعة بطولات فردية لاتثمر في دفع الجماهير إلى الأمام، بل تترك الجماهير في موقع الإنتظار بأمل أن يأتي لها المدد والحل على يد عدد من الأفراد يقومون بأعمال ذات طبيعة موجعة واستعراضية. والواقع أن لنا حوارات طويلة مع عدد من رؤساء الدول العربية شجعوا أو طربوا لهذا النمط من المغامرات ولكن لم تأت لحظة تناولها في هذا الكتاب !!

ونحن بادرنا لإدانة هذه الأعمال[2] منذ أول حادث خطف طائرات مروراً بعملية ميونخ على يد مجموعة من فتح (أيلول الأسود) وصولاً لعملية (أكيلي لاورو) وهي سفينة تم اختطافها في الثمانينات!

فقاطعته:

■ أنت تتحدث عن موقف الجبهة الديمقراطية من مثل هذه العمليات في وقت أثيرت فيه بعض الإشكاليات حول عمليات الجبهة التي أخذت بشكل أو بآخر ذات الطابع؟!

فقال بحدة:

■■ لقد تمت عملياتنا ضد قوات الاحتلال أو البنية التحتية التي تغذي هذه القوات عسكرياً وسياسياً واقتصادياً... تمت هذه العمليات على أرض فلسطين التاريخية وجاءت في سياق البرنامج المقاوم المسلح الذي انطلقنا به من أغوار الأردن والجولان وجنوب لبنان بجانب خطنا المسلح داخل الأراضي الفلسطينية ذاتها.

وتحاشينا أثناء ممارستنا لبرنامجنا المقاوم، وبأقصى طاقة ممكنة أي مؤسسة مدنية وروحية. وفي تاريخنا لم يسجل علينا، أي ضربة بهذا الاتجاه، وكان خطنا العسكري ضمن مبدأ: مقاومة مسلحة مقابل قوى مسلحة!

وفي هذا السياق كان تخطيط العمليات الفدائية العسكري يتم عملاً بالتوجيه السياسي، كله يندفع باتجاه المؤسسات الإحتلالية بأذرعها المسلحة المتعددة: الجيش ـ المخابرات ـ الأجهزة الإدارية المسلحة ـ المستوطنات المسلحة.

⇐ من مثل هذه العمليات الفردية والركض وراء أساطير فردية ودفع الجماهير للانتظار بلهفة في مقاعد المتفرجين على مسرحية البطولات الفردية... وهذه الأعمال تشجع الجنوح نحو الفردية وتلحق ضرراً باستعداد الجماهير للعمل الفردي».

* الحرية العدد 633 تاريخ 1973/8/20 بيروت (انظر ملحق الوثائق - وثيقة رقم - 15 -).

(2) مجلة الوسط في حوارها مع نايف حواتمة العدد 155 تاريخ 1995/1/16 سألت عن علاقة ما بين الجبهة الديمقراطية وبين كارلوس. لكن حواتمة نفى بشدة بعبارة / مطلقاً/.

* نشرت هآرتس الإسرائيلية مقالاً كتبه « غيء باخور » 1996/1/29 تحت عنوان «الرجل الذي حلم بالمزارع التعاونية». «إن الجبهة الديمقراطية في بداية طريقها عارضت العمليات الخارجية الفدائية ضد المدنيين وأهدافها المحتملة في العالم، وكانت أول فصائل م.ت.ف التي أقامت علاقات مع إسرائيليين (راكاح وقوى السلام)، مع ذلك فقد قامت الجبهة في فترة زمنية قصيرة بتنفيذ عمليات وحشية جداً ضد أهداف اسرائيلية».

* إن سلسلة العمليات العسكرية المسلحة التي قام بها الجناح العسكري للجبهة الديمقراطية استهدفت بشكل رئيسي القوات الإسرائيلية والمواقع الاستيطانية العسكرية كعملية معالوت «ترشيحا» 1974/5/15، التي استهدفت معسكراً للشبيبة العسكرية (الجدناع)، وتمت لإطلاق سراح المطران ايلاريون كبوجي مطران القدس وآخرين. وعمليات طبريا، عين زيف، ببيسان، شريشوف، القدس الأولى، القدس الثانية، مستوطنة ناحال عوز، مستوطنات كريات أربع...الخ.

ولكن هنا، علينا أن نعـي أنـه، وفي العمـل المسـلح، لايـأتي كـل عمـل ضبطـاً وفقـاً للخطـة الموضوعة التي تم الانطلاق بها. لأن ظروف المجموعات الفدائية لايمكن التحكم بها عندما تكون جوّالة داخل الأراضي المحتلة وتستهدف مقاومة قوة محتلة مسلحة. ربما تجد نفسها أمام ظـروف أخرى صعبة تفرض عليها أشكالاً من العمل، في سياق الحرص على الابتعاد بأقصى ما يمكن عن العناصر المدنية. وقع هذا مع رفاقنا داخل فلسطين دون تخطيـط مسـبق لـذات الهـدف في غرفـة العمليات المسلحة.

■ وهل صادفت مجموعاتكم المقاومة استثناءات جعلتها تخرق هدفها الأصلي، أو مخططها الـذي انطلقت على أساسه.. أقصد هل وقعت بأشكال من القتال أو الأعمال لا ترضون عنها؟!

■■ في ترشيحا، انحكمت المجموعة الفدائية، عندما تطـورت الأمـور، بالالتقـاء مـع مجموعـة الشبيبة العسكرية (الجدناع)، فحاصرتها، وطالبت بإطلاق سراح عدد من الأسرى الفلسطينيين على رأسهم المطران: ايلاريون كبوجي. الذي كان يقبع في سجون الاحتلال آنذاك.

وقد احتفظت المجموعة الفدائية بأعصابها، طيلة فترة المفاوضات التي جـرت بـين لجـان مـن الجبهة وبين الحكومة الإسرائيلية، عبر ثلاث قنوات رئيسية: الصليب الأحمر الـدولي ـ الحكومـة الفرنسية ـ الحكومة الرومانية. وكـادت المفاوضـات أن تنجـح قبـل انتهـاء اللحظـة الحاسمـة، في السادسة مساء.

■ ما الذي فعله موشي دايان عندها؟!

عطل المفاوضات!. ومع ذلك أعطت المجموعة ساعتين كاملتين إضافيتين ولكن قوات موشيه دايان هاجمت المجموعة خلال هاتين الساعتين مما اضطرها إلى الاشـتباك مـع المهـاجمين وأن تفجـر نفسها بنفسها ومن حولها...

لقد كشف تقرير لجنة حاريف الاسرائيلية مسؤولية موشي دايان عـن المجرى الدامـي الـذي انتهت إليه عملية ترشيحا معالوت[3] .

وأضاف حواتمة:

---

[3] وقعت عملية ترشيحا (معالوت) (عملية الشهيد كمـال نـاصر) في 1974/5/15 (ذكرى النكبة الأولى) وتمت في المدرسة العسكرية للشبيبة الإسرائيلية (الجدناع) حيث تم احتجاز أكثر من (80) عضواً في الشبيبة من قبـل فدائيـين أعضـاء في الجبهـة الديمقراطية هم «زياد عبد الرحيم، علي أحمد حسن (لينو)، أحمد صالح نايف (حربي)»، حيث قدم الفدائيون الثلاثة مطـالب تتعلق بإطلاق سراح (27) أسيراً (بعدد سنوات النكبة والشتات) من سجون الاحتلال برعاية ووساطة الصليب الأحمر الـدولي وفرنسا ورومانيا، إلا أن هجوماً مسلحاً قاده موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي قبل نهاية فترة التفاوض بساعتين أسفر عـن مقتل (أكثر من 18) عنصراً من الجدناع واستشهاد الفدائيين الثلاثة.

* (الإعلام المركزي للجبهة الديمقراطية ـ نسور التحرير والسلطة الوطنية ـ يوم فلسطين في ترشيحا 1974 ـ بيروت).

ولاحقاً أدانت لجنة التحقيق الإسرائيلية، «لجنة حاريف»، سلوك دايان واتهمته بالكذب حيث لم يطلـع الحكومـة الإسرائيلية اطلاعاً كافياً على شروط الفدائيين الثلاثة (معاريف 1974/7/1)، وأبـرز تقريـر «حـاريف» أن دايـان شـن الهجـوم أثنـاء فـترة التفاوض وقبل ساعتين من انتهاء فترة المفاوضـات. كمـا نشـرت صحيفـة هعـولام هازيـه 1974/5/22 مقـالاً تحدثـت فيـه عـن تفاصيل ماحدث في ذلك اليوم موضحة مسؤولية دايان والحكومة الإسرائيلية، ووصفت دايان بأنه قاتل. (انظر ملحق الوثـائق ـ وثيقة رقم ـ 16 ـ ملخص تقرير لجنة حاريف). ووثيقة رقم ـ 17 ـ.

■■ في العمليات الأخرى: في طبريا، صدام مع قوى مسلحة اسرائيلية. في بيسان، اتخذت المجموعة الفدائية سياسة سلمية تجاه السكان مما سمح لقوات الاحتلال بمحاصرتها ثم التعامل معها بروح وحشية.

■ كيف حصل هذا ؟!

■■ رميت المجموعة الفدائية من الطابق الثالث إلى الأرض. وكانت المجموعة الاستيطانية اليهودية في بيسان قد أقامت حقلاً من النيران، فوضعت أفراد المجموعة وهم أحياء في هذا الحقل وأحرقتهم خلال حلقات من الرقص والفرح[4] !!

لقد بثت شاشات التلفزيون في العالم كله هذه المشاهد، تعبيراً عن الوحشية الدامية التي قام بها الإسرائليون، في نفس الوقت الذي تحاشى فيه أفراد المجموعة أي صدام مع المدنيين!

ومن هذا كله يتضح أن استراتيجيتنا مترابطة الحلقات بأفق جماهيري على يد الإطارات المسلحة، وباتجاه الأرض المحتلة، ومن حولها ونحوها. والخط البرنامجي هو مقاومة قوات الاحتلال المسلحة، والبنية التحتية الإقتصادية والإدارية لها.

إن هذه القوات تواصل احتلال ونهب أرضنا والتوسع فيها وزرع المستوطنات الاستعمارية أكثر فأكثر، على طريق حرمان شعبنا من حقوقه المشروعة وطنياً ودولياً!

■ الواقع أن «الإرهاب» أضحى تهمة للثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة.. وأنتم، كيف تردون هذه التهمة؟

■■ هذه تهمة ألصقتها دول الإحتلال الإستعمارية والعنصرية والإمبريالية بكل حركة تحرر، على امتداد آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، ومن حزب المؤتمر الهندي إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، مروراً بثورات فيتنام والجزائر ونيكارغوا والسلفادور وغواتيمالا وعشرات الثورات الوطنية وصولاً للثورة والانتفاضة الفلسطينية. بل تم إلصاق هذه التهمة بكل قادة هذه الحركات من غاندي إلى مانديلا. كما أن كل قادة الثورة الفلسطينية كانوا على «قائمة الارهاب»!

---

(4) عملية بيسان في 1974/11/19، سيطرت وحدة فدائيين من الجبهة الديمقراطية على جزء من مبنى يقطنه ضباط مخابرات العدو الإسرائيلي في الشارع الرئيسي لمدينة بيسان، واحتجزت عدد من سكان المبنى، وطالبت بإطلاق سراح عدد من الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال وفي مقدمتهم الأسير المطران ايلاريون كبوجي مطران القدس. إلا أن قوات العدو شنت هجوماً على المبنى وامتنعت الوحدة الفدائية عن اطلاق النار خشية على العناصر المدنية، فتم أسر الفدائيين الثلاثة (محمد أبو دية، علي أبو درة، أحمد عبد الفتاح الكحلوت) والقائهم من الطابق الثالث ثم كانت رقصة المحرقة الوحشية. وللصدفة ألقيت جثة رابعة لضابط إسرائيلي مصاب أعتقد أنه فدائي رابع وأحرقت أيضاً.

* (صقور التحرير الوطني - يوم فلسطين في بيسان - الإعلام المركزي للجبهة الديمقراطية /1975، بيروت). بعد ذلك أثار حرق الجثث ردود فعل إسرائيلية متباينة: كتبت دافار 1974/11/21 تقول: «لاينبغي تجاهل الضرر السياسي الواضح الذي نجم عن التمثيل بالجثث». كما استنكرت هآرتس 1974/11/21 هذا الأمر مشيرة إلى «خطر فقدان المعايير الأخلاقية لشعب إسرائيل». مقابل ذلك كانت هناك ردود فعل هيستيرية مؤيدة في بعض الصحف العبرية مثلاً (معاريف 1974/11/20).

* السيد حواتمة أعلن للنهار البيروتية 1974/11/20 « فدائيو بيسان ماتوا لانقاذ الفلسطينين واليهود ».

* (انظر ملحق الوثائق - وثيقة رقم - 18 -).

أكثر من هذا، فقد كان قادة الفيتنام والجزائر وثوار أفريقيا وأمريكا اللاتينية يلقبون بـ «قطاع الطرق» أي: اللصوص والمجرمين! لذلك وقفت الأمم المتحدة، وساندت قوى الثورة والتحرر ضد المحتلين والكولونياليين والعنصريين. وميّز ميثاقها بين القوى المناضلة للتحرير وتقرير المصير والخلاص من الابارتهيد وبين الإرهاب!

لنفتح كتاب الاستعماريين والعنصريين، فسنجد أن كل قادة ثورات العالم الثالث، الذين هم الآن على رأس دوله المستقلة، كانوا في قوائم «الإرهابيين وقطاع الطرق..».

إن ذروة الإرهاب هو «إرهاب الدولة المنظم» على الشعوب الذي مارسه الاستعمار القديم والعنصرية، وتمارسه اليوم الإمبريالية والتوسعية الإسرائيلية الصهيونية، من اصطياد أطفال ونساء انتفاضة الحجارة بالهيليوكبتر وكل تكنولوجيا الاحتلال، إلى تكسير عظام شبان الانتفاضة.. إن شريط الشاشة الصغيرة الحي لا يكذب!

إن تحالف اليمين الصهيوني يحصد شعبنا بالعشرات، وأحياناً بالمئات. ومع ذلك يتم إلصاق تهمة الإرهاب بجماهير تقاوم الإحتلال بصدورها.. وبالأمس كان إرهاب الدولة المنظم على شعب لبنان والمخيمات في جنوبه تحت عناوين «عملية الحساب، عناقيد الغضب» ومجزرة قانا هي امتداد لمجازر دير ياسين وكفر قاسم وتزوير لرواية جون شتاينبك: «عناقيد الغضب» التي يرصد فيها غضب العمال الزراعيين وأوجاعهم وهجران أراضيهم تحت سوط الرأسماليين!!

■ ربما يكون الإرهاب شكلاً من أشكال النضال الشعبي في مرحلة من المراحل، فإذا كان كذلك: هل ستمارسونه؟!

■■ لا نعتقد بذلك، فالإرهاب يتسلط على ناس مدنيين ولأهداف بينها وبين التحرر الوطني والإجتماعي طلاق كامل.. لاجامع بين الملح والسكر!!

■ ولكن في الأراضي العربية المحتلة تمت تصفية العملاء جسدياً.. أليس هذا عمل إرهابي؟!

■■ شعبنا في وطننا المحتل، وعلى مساحة الثورة والمقاومة في الشتات أعطى الجواب: لا للعملاء! الذين يدسون الموت للمناضلين الشرفاء. فحبة عفن تفسد مخزون الغذاء كله. ولذا بادر المناضلون، كلما لاحت لهم الفرصة لتطهير صف الشعب من العملاء..

وتحت الاحتلال، ذاق الشعب الملتاع مرارة دموية دس وإرهاب العملاء. ولذا، ما أن أعاد الاحتلال انتشار قواته حول المدن، حتى فر الكثير من العملاء، ولجأوا إلى أحضان الشاباك في الدولة العبرية.

والشاباك يحاول زرعهم وسط التجمعات العربية في الناصرة والنقب والجليل. ودارت وتدور معارك يومية يرفض فيها الشعب وقواه ومؤسساته «إستيعاب هؤلاء العملاء». فالعميل نصيبه التطهير، في مرحلة مقاومة المحتلين، والمحاكمة العلنية في مرحلة الاستقلال!

وبالأمس على امتداد فرنسا وكل أوروبا والإتحاد السوفييتي بادرت حركات مقاومة المحتلين إلى إعدام العملاء الذين عملوا مع «الغستابو». إنه الحق المشروع لحماية الشعب والمناضلين.

■ إني أرى أن الانتفاضة هي أرقى أشكال النضال لأن الشعب كله يمارس النضال بها. لذا لابد من سؤالكم عما إذا كانت الانتفاضة قد ألهمتكم باستبدال البندقية بالحجر، كشكل من أشكال العمل الثوري ؟!

■■ الانتفاضة هي الابن الشرعي لخزان الثورة الفلسطينية الذي لاينضب! وهي ليست نبتة بريّة تفتحت وتعملقت فجأة وبسرعة صاروخية..

إن الشعب كل الشعب وبتراكم معضلات حركته الوطنية والقلق الشامل على حقوقه، يبدع دائماً أشكال نضال جديدة نوعاً وكماً.. وهذا ما قدمته الانتفاضة، فأعادت إدخال القضية والحقوق الوطنية الفلسطينية إلى كل بيت في العالم عبر أربعة أجيال تنتفض، سلاحها حجارة بلادنا والصدور العارية والمقلاع بوجه كل آلة الحرب الاحتلالية التكنولوجية المتطورة.

تثبت الانتفاضة، كما أثبتت الثورة المعاصرة أن المقاومة القائمة على حرب العصابات، والمقاومة القائمة على حجارة الجماهير، والإضرابات لايمكن كسرها على يد آلة الحرب المتطورة مهما أوغلت بكثافة النيران على الجماهير العزلاء من السلاح، بهدم البيوت، مهما كان بحر الرصاص ونزيف دم الشعب الذي يجبل تربة الوطن لتزهر أعلى فأعلى شجرة التحرر وتقرير المصير والإستقلال.

■ لقد جعلتني أشكال النضال في الانتفاضة أطرح الكثير من الأسئلة على نفسي حول آفاق العمل الثوري في العالم. لذلك سأسألك هل جعلتك أشكال النضال التي مارستها هذه الانتفاضة تفكر بآفاق نضال العمل الثوري الفلسطيني؟!

■■ الإحتلال متواصل ووحش الإستيطان أنيابه طويلة. وهذا يستنفر كل طبقات الشعب وتياراته. ولذا فإن افق النضال مفتوح طالما أن شعبنا لم يصل إلى ممارسة حقه بتقرير المصير والدولة المستقلة بعاصمتها القدس، والعودة في إطار السلام الآخر المتوازن.

إن سلطة الحكم الذاتي حشرت شعبنا في نفق أوسلو الظالم. وتحاول ضَبْطَهُ بالقوة تحت سقفه. ومن هنا استشرت أشكال القمع والتعذيب حتى الاستشهاد. ومصادرة الرأي الآخر ومصادرة الحياة النضالية المنظمة من المقاومة بالحجر إلى المقاومة بالكلمة، وتعليب المنابر المرئية والمسموعة والمقروءة حتى مصادرة الكتاب الناقد مثل هذا كتب ادوارد سعيد: «غزة ـ أريحا، سلام أمريكي» و «أوسلو.. سلام بلا أرض»..

وكل الطيف السياسي في الأراضي المحتلة يؤكد أن عوامل «الانفجارات الشعبية» عميقة وشاملة. والإحاطة بما يدب على أرض الوطن والشتات تؤشر بقوة إلى أن هذا خط النضال العريض. وللإيضاح ففي هذا الموقع قبل أيام أبرز الدكتور محمد جاد الله من قادة القدس، والذي خاض معركة منع مصادرة أراضي شرق القدس أيام رابين، وكادت وزارته تسقط لولا تراجعها عن المصادرة، أبرز أن عوامل الانتفاضة كامنة.

وقد أكد د. جاد الله وهو من الجبهة الديمقراطية بالأرقام أن القدس بينها وبين التهويد الكامل «محطة أخيرة». فلم يبق بيد 170 ألف فلسطيني بالقدس سوى 14٪ فقط من القدس الشرقية العربية، وكل شيء قابل للاشتعال!

وحوار فيصل الحسيني معنا (مسؤول ملف القدس) ومطران القدس سمير قفعيتي وقد استقبلتهما في هذا المكان صب بذات الإتجاه. والتحذير صارخ من تسارع التهويد. ولذا يجب تغيير كل جدول الأولويات في النضال والتفاوض «لتكون القدس أولاً» وهي الآن في ربع الساعة الأخير! وبذات الإتجاه كان بحثنا المشترك في هذا الموقع مع فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ومع هاني الحسن القادم من غزة ومحمد جهاد وأعضاء قيادة فتح الآخرين، وحواراتنا الدؤوبة مع قيادات الحركة الوطنية وشخصياتها الوازنة على امتداد الأرض المحتلة ومواقع الشتات.

لقد أبرز الحسن مخاطر تأثير «الخط الإسرائيلي» داخل مركز القرار في سلطة الحكم الذاتي، على حد تعبيره، وضرورة إعادة بناء ائتلاف منظمة التحرير الفلسطينية، فشعب الأرض المحتلة لم يعد يحتمل قيود أوسلو ويتطلع إلى الوحدة الوطنية على القواسم المشتركة حتى تصل الحركة الوطنية إلى سلام حقيقي وحتى نقطع الطريق على عمليات إجهاض حقوقنا وحصرها بسقف مسار أوسلو!!

وأضاف حواتمة وهو يكثف فكرته:

■■ إن مشوار إنجاز مهمات التحرر الوطني طويل، كما أن مشوار الصراع لبناء المجتمع المدني: مجتمع الديمقراطية التعددية والرأي والرأي الآخر وسيادة القانون، يتداخل مع الصراع لترحيل الاحتلال والاستيطان.

وعلى هذا، فإن أفق النضال واعد، طالما أن شعبنا وثورتنا وقوّانا المنظمة لا تنحني قلعتها، لتسير مكسورة الظهر مسقوفة بأوسلو، ولاتكبل أيديها وعقلها بقيود ضيق النفق. تجربة الثورة والانتفاضة المغدورة والانفجارات الشعبية: هذا هو الخزان الثوري الكبير الذي يشكل العقل والضمير الجماعي لشعبنا وقواه الحية السليمة التي لم يصبها عطب السلطة وفساد التسلطن على الشعب، والبقرطة، فمنا من استشهد ومنا من ينتظر ولن نبدل تبديلا!!

ـ أحضروا لنا القهوة المرة، وبدأوا بتوزيعها على الطاولة، وكنت أقول لنايف حواتمة، وكأن أفكاري كانت شاردة عما يقوله:

■ إذا تحوَّل نضالكم إلى نضال سياسي إعلامي يوماً ما داخل أماكن الحكم الذاتي.. هل يمكن وصفه بأنه أضعف درجات العمل الثوري ؟!

استغرب حواتمة طبيعة هذا السؤال، وقال وهو يرشف من فنجان قهوته:

■■ لماذا تضع العربة أمام الحصان؟!

طلبت السكر لقهوتي ممن قدمها لي، وحاولت أن أجيبه، لكنه أضاف:

■■ إننا نفحص الحالة عندما تقع!

وطالما أن الاحتلال يتواصل والاستيطان يزحف وغول مصادرة الأراضي يبتلع تراب الوطن، فكل أشكال النضال مفتوحة حتى يحمل الاحتلال والاستيطان عصاه ويرحل!

فسألته وأنا أحرك السكر في فنجاني:

■ حتى الإرهاب الثوري؟!

■■ **المقاومة الوطنية المسلحة خط مبدئي ثابت في جبهتنا ضد المحتلين والمستوطنين.**

أعدت وقلت:

■ الإرهاب الثوري؟

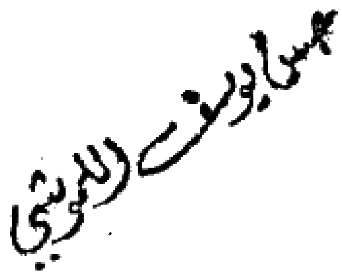
لم ينتبه إلى السؤال، كان يجيب أحدهم عن سؤال حول حُبه للقهوة المرة بقوله:

■■ **أشرب القهوة على مرارة الأيام العربية!**

والتفت نحوي، فقلت:

■ أما أنا فأشربها على حلاوة المستقبل!

وللأمانة أقول: «إن نايف حواتمة كان دائماً يثق بهذه الحلاوة!!». لكنه لم يجب على سؤالي الأخير وأنا أحرّك السكر في القهوة!!



ملاحق ووثائق

وثيقة رقم - 1 -

المصدر: القيادة العسكرية - الجبهة الديمقراطية

ملحق : البدايات في العمل العسكري

المقاوم للجبهه الديمقراطيه

==========================

النواة العسكرية الأولى للجبهة تجمعت في منتصف واد عميق فمه يحتضن أطراف مدينة صويلح وقدماء تطأ سيل الزرقاء . هذه النواة اختلط فيها الطالب والعامل والمثقف والفلاح واللاجئ، هذا المعسكر كان "مخزونه الكبير" بضعة رشاشات كارلو بورسعيد ،قديمة ومتآكلة من صدأ رمال سيناء ،ورشاشات دكتريوف وعفروف وبنادق سنوف . هكذا انطلقنا نحو الوطن ،نحمل برنامج الحرية وتوحيد الشعب ضد المحتلين.

بعد ذلك تم نقل موقع النواة العسكرية الى مرتفع حرجي يقع شمال غرب قرية ساكب الواقعة على الطريق الرئيسي الواصل بحرش مع عجلون ،وهكذا بدأت "المتوالية الهندسية" واعتمد معسكر عرجان كمقر قيادة للجنة العسكرية للجبهة .

وتم تشكيل القواعد المقاتلة ونشرها على خطوط التماس مع العدو في الجبهة الأردنية بثلاث قواعد متحركة في : * المغاور الشرقية شمال الشونة الشمالية .

* على ضفاف نهر اليرموك مقابل قرية عقربا الأردنية .

* في البساتين المحيطة بمنطقة الكفرين في غور وادي الأردن الأوسط .

وفوق كل ذلك تم تجهيز خلايا الداخل ودخولها الى الوطن في الضفة الغربية والقدس والقطاع بكل مدن وقرى ومناطق الوطن المحتل .

في جنوب لبنان وفي تشرين الأول/ ٦٩ بعد حركة فتح والصاعقة بقليل انطلقت النواة الأولى من ثلاثين مقاتلا جهزوا بأسلحة جديدة كلاشنكوف ،ب ٧ ،دكتريوف وكانت الطريق الى جنوب لبنان مرورا من سفوح جبل الشيخ الى القطاع الشرقي (قطاع العرقوب) في قرى شبعا ، الهبارية ،كفر شوبا . وهنا كان الدور الأبرز للرفيق الشهيد عبد الكريم حمد وبعد ذلك تم توزيع وتوسيع قواتنا في لبنان لتشمل ثلاث قطاعات .

في الجولان تم الانتشار في القطاعات الثلاث على ثلاثة محاور جباثا الخشب ،جباء، ام باطنة . وشهد هذا القطاع عددا من العمليات النوعية المميزة لقوات الجبهة كعملية "الخط الأحمر" وعملية "هوشي منه" وعملية "تل شعاف السنديان" و "القنيطرة" و "تل أبو الذهب" .

ومع عملية التموضع القتالي للألوية العسكرية لقوات الجبهة انتهى تنافس المقاتلين والتسابق للتواجد على خطوط التماس ،فبدأ تنافس جديد،فالجميع يرغب لأن يكون البلاغ العسكري الأول من صنع وحدته ،وأن يكون هو من المساهمين مباشرة فيه . وفي هذا الاطار كان الفوز الأول للرفاق العاملين داخل الوطن ،حيث صدر البيان العسكري الأول للجبهة الديمقراطية من قلب مدينة نابلس بتاريخ ١٩٦٩/٣/١٦ وفيه اعلان قوات الجبهة عن :

* مهاجمة احدى دوريات العدو بالقنابل اليدوية والبنادق الآلية في شارع فيصل بمدينة نابلس واصابة عشرة من أفراد العدو .
* القاء قنابل يدوية على مقر الحاكم العسكري في نابلس .
* تفجير شحنات من المواد المتفجرة والحارقة على مدخل بنك ليئومي وتدمير مدخل البنك .

في ذات الوقت الذي انطلقت فيه العمليات من أغوار الأردن ضد دوريات الاحتلال وضد مواقع المستوطنات . وفي هذا السياق تم توجيه ضربات بمدافع الهاون عيار ٨٢ مم وتستخدم لقصف مستعمرات العدو .

كما حصل أول عملية مشتركة بين قوات الجبهة الديمقراطية وقوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني ،وتم الأمر بالتنسيق مع الشهيد العقيد عبد العزيز الوجيه قائد قوات التحرير الشعبية بالأردن ولاحقا عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وفي هذه العملية المشتركة تم تدمير موقع اسرائيلي قوامه مجموعة هندسية وسيارة لاندروفر وناقلتي جنود نصف مجنزرة في منطقة العدسية في الغور الشمالي . واشتركت مدفعية الجيش الأردني في تغطية انسحاب القوة المشتركة ،لأن هناك تنسيق اضافي وقع مع الراشد علي قائد القوة الأردنية المتواجدة في المنطقة .

وتبع العملية المشتركة السابقة سلسلة من العمليات المشتركة بنصب كمائن لدوريات العدو في المناطق العسكرية بين مستعمرات اشدود يعقوب وشعار هاجولان وعلى امتداد الأغوار الأردنية . وساهم بالدوريات المشتركة قوات من الجبهة الديمقراطية وقوات التحرير الشعبية وفتح والصاعقة بشكل رئيسي .

وبالاجمال وقعت العديد من العمليات المسلحة النوعية انطلاقا من الأغوار نحو الوطن كما في عملية وادي الباذان قرب نابلس : حيث استشهد سبعة شهداء وأسر اثنين

على جبهة الجولان فان العمليات العسكرية لقوات الجبهة المستقلة والمشتركة امتازت بالنوعية والدقة والتنسيق مع قوات الجيش العربي السوري. وشملت العمليات مواقع العدو في مختلف مناطق الجولان ،وأهم تلك العمليات العسكرية الناجحة كانت :

* عملية هوشي منه في ١٩٦٩/٩/٦ ، التي شارك فيها أكثر من (٥٠) مقاتلا من الجبهة الديمقراطية بقيادة الراشد الشهيد عمر مسعد عضو اللجنة المركزية للجبهة الذي استشهد اثر المعركة .
* الاغارة على الموقع العسكري الاسرائيلي في تل أبو الذهب في مرتفعات الجولان. بقيادة الشهيد العقيد سعيد البطل (أبو مشهور) ،وتم تدمير الموقع ومهاجع العدو ٦

والحاق خسائر كبيرة جدا في صفوفه .

* عملية مناجل الثورة ٦٩/٨/٧ في القطاع الأوسط ،وشكلت عملية نوعية تم فيها مهاجمة عدة مواقع للعدو في آن واحد .

* عملية القنيطرة (٦٩/٦/٧) والاغارة على نادي ضباط العدو داخل المدينة المحتلة ومخفر الشرطة السورية القديم الذي أصبح مقرا لقوات الاحتلال ،وانطلقت المجموعات المهاجمة من منطقة نهر الرقاد واجتازت النهر عشرة مرات في الاستطلاع المستمر حتى نفذت عملية الاغارة بمشاركة (٣٠) مقاتل بقيادة سعيد البطل ،والشهيد العقيد محمد عثمان الهرش (أبو اللطف) . اضافة لذلك تم نسف جسر الرقاد في ذات الوقت وبعد انفجار الجسر ونجاح العملية ،كان الجيش السوري يرسل برقياته :

(الديمقراطية تشتبك مع العدو داخل القنيطرة بقذائف الـ ب ٧)

* الاغارة على مواقع العدو في منطقة كفرالما (١٩٧٣/٤/١٠) القطاع الجنوبي لجبهة الجولان .

* الاغارة على مواقع العدو في تل السريان (١٩٧٣/٢/٢١) في هضبة الجولان .

* الاغارة على مواقع للعدو خلف القاطع الأوسط في الهضبة (١٩٧٢/٣/٢٣) .

* الاغارة على مستعمرة رامات مكشيميم (القطاع الجنوبي للهضبة) في ٢٠/ تشرين ٢ / ١٩٧٥ وقتل ثلاثة من أفراد العدو ؛ ويذكر بيرس في كتابه معركة السلام - يوميات شمعون بيرس - هذه الاغارة ،ص١٩٥ .

وفي مجمل العمليات العسكرية التي تمت على أرض الجولان كانت المشاركة الرئيسية لقوات الجبهة الديمقراطية وفتح والصاعقة ،وروت دماء أبناء الجبهة أبناء فلسطين تراب الجولان المحتل ليزهر مقاومة تتسع ...

في هذه الأثناء لم تهدأ حركة القوات العسكرية للجبهة لتثبيت الحضور في جنوب لبنان ووقعت في ايار / ١٩٦٩ أحداث مؤسفة في الجنوب بين القوات الفلسطينية (فتح، ديمقراطية ،صاعقة) وقوات الجيش اللبناني . وتبع ذلك انتفاضة المخيمات الفلسطينية ضد أجهزة الأمن والمخابرات التي مارست كل أشكال الاضطهاد والقمع ضد المواطنين الفلسطينيين على أرض مخيمات لبنان . وكان لكادر وأعضاء الجبهة الديمقراطية دورا مقداما في صنع انتفاضة المخيمات واعلان العمل الفدائي الفلسطيني واشهاره على الأرض اللبنانية . ونعيد التذكير بدور الرفيق الشهيد عبد الكريم حمد عضو المكتب السياسي للجبهة وأحد المناضلين الأوائل الذين التقوا مع عرفات في لبنان قبل العام ١٩٦٧ ونسقوا معا من أجل اطلاق العمل المسلح ضد العدو شمال فلسطين المحتلة انطلاقا من أرض لبنان .

كما أن أحداث الأردن المأساوية فتحت جراح صراع الأخوة وتطرح نفسها معا أثر سلبا على مجمل العمليات والفعاليات العسكرية من منطقة الأغوار باتجاه فلسطين المحتلة . ولعبت قوات الجبهة الديمقراطية دورها في الدفاع عن الشعب والثورة ،وبرز هذا الدور في قلب مدينة عمان ،ومخيم الجليل (اربد) ،ومن ثم في احراش جرش والقتال على محاور المخيمات في الوحدات والزرقاء واربد وسوف ،مخيم غزة ،وفي ايلول برزت صلابة المقاتلين واستبسالهم في غمار المعارك ،ونورد هنا مثلا دور قوات الجبهة في جبل الهاشمي في عمان ،وفي أحراش جرش ،حيث جُمعت المقاومة في منطقة ضيقة يمكن السيطرة عليها بنيران الهاون ،منطقة لا تصلح لأن تكون مركزا لتجمع قوات الثورة ، عمل المقاتلون بجهود مضنية فحفروا الخنادق وخطوط الاتصال ،وحفروا الملاجئ في الصخور وموهوها للدفاع عن آخر موقع من مواقع الثورة في ساحتها الرئيسية .

وفي مخيم سوف كانت مجموعة من الجبهة (١٦ مقاتل) محاصرة داخل المخيم المعزول دافعت عن المخيم والتصقت بجماهيره حتى أصبح الناس في المخيم ينادون بعضهم بكلمة يا رفيق .

كان المُحاصرون يقدرون العدد بـ(٤٠٠) وعندما تم الاتفاق على خروج المقاتلين الذين تجمعوا في سيارة جيب عادوا بها لتجمع القوات الفلسطينية في أحراش جرش ، تفاجئ ضابط الارتباط بالجيش الاردني من صغر عديد المجموعة التي دافعت عن المخيم طوال حصاره .

وبعد الخروج المثخن بالجراح من الأردن ،أعادت القيادة العسكرية ترتيب الأوضاع من جديد،وتطورت لاحقا القوات العسكرية للجبهة بتشكيلاتها لتلبية المهمات المختلفة ، وأصبحت تحمل اسم القوات المسلحة الثورية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وتشكلت الوحدات المستقلة (كتائب) وحسب صنوف الأسلحة : مشاة ،مدفعية ،مقاومات أرضية ،وتطورت أجهزة الاتصال والجهاز الاداري ،وأصبح لدى الجبهة قوات شبه نظامية من حيث امتلاكها للكادر المجرب واستيعابها للأسلحة المتطورة واجادتها للقتال الجماعي ،كل ذلك في مسيرة تطور الجبهة وتزايد وزنها ودورها قوة رئيسية بارزة في مقاومة المحتلين والدفاع عن حقوق الشعب والثورة وم.تحف الائتلافية .

وثيقة رقم - 2 -

رسالة ياسر عرفات لوزير خارجية السويد يبلغه فيها قبوله بالشروط الأمريكية لبدء الحوار مع المنظمة، والتي عرضت عليه من وزير الخارجية الأمريكي عن طريق السويد - بتايخ 7/ ديسمبر 1988.

المصدر: أرشيف الجبهة الديمقراطية.

PALESTINE LIBERATION ORGANIZATION
STOCKHOLM

منظمة التحرير الفلسطينية
ستوكهولم

Mr. Sten Andersson
Minister for Foreign Affairs
SWEDEN

SECRET

REF.

STOCKHOLM December 7, 1988

Dear Mr Sten Andersson,

In continuation to our discussions that took place in Stockholm on the 6th and 7th of December 1988 about the text presented by Mr. Shultz, the Secretary of State for Foreign Affairs of the United States of America concerning the beginning of dialogue between the PLO and the American Administration I hereby enclose the text that we present and that has my approval and which I have signed. We will work to have it issued officially after being presented to the Executive Committee later on.

Please accept the expression of my highest consideration,

Y. Arafat
7. 12. 88

Yasser Arafat
Chairman of the Executive Committee
of the Palestine Liberation Organization

Postadress — Telefon — Postgirokonto — Telex
Sweden

وثيقة رقم - 3 -

صورة للنص المرفق برسالة ياسر عرفات إلى وزير خارجية السويد تعلن فيه المنظمة اعترافها بقراري مجلس الأمن 242، 338 وتعهدها بالعيش مع إسرائيل في سلام، ونبذ الإرهاب، بإمضاء ياسر عرفات.

المصدر: أرشيف الجبهة الديمقراطية.

As its contribution to the search for a just and lasting peace in the Middle East, the Executive Committee of the Palestine Liberation Organization, assuming the role of the Provisional Government of the State of Palestine wishes to issue the following official statement:

1. That it is prepared to negotiate with Israel within the framework of the International Conference a comprehensive peace settlement of the Arab-Israeli conflict on the basis of U.N. resolutions 242 and 338.

2. That it undertakes to live in peace with Israel and other neighbours and to respect their right to exist in peace within secure and internationally recognized borders, as will the democratic Palestinian State which it seeks to establish in the Palestinian occupied territories since 1967.

3. That it condemns individual, group and State terrorism in all its forms, and will not resort to it.

Y. Arafat

7/12/88

وثيقة رقم - 4 -

مسودة إعلان المبادئ الأمريكية التي تقدم بها وزير الخارجية الأمريكي في محادثات واشنطن 30 حزيران/ يونيو 1993. والملاحظات عليها بخط عرفات الذي أوعز لوفد د.عبد الشافي برفضها بينما وافق عليها عبر المحطة المصرية.

المصدر: أرشيف الجبهة الديمقراطية.

DRAFT June 30, 1993

The [illegible] commitment to [illegible] process launched at Madrid [illegible] differences and create [illegible] just future in which Israel and Palestinians will live side by side, in peace, for generations to come. Toward this end, the two sides will negotiate a Declaration of Principles to guide the negotiations on interim self government arrangements. The following principles and/or areas of emerging agreement could be included in the completed Declaration of Principles, subject to agreement on the full Declaration.

THE GOAL OF THE NEGOTIATIONS

The two sides agree that the objective of the peace process is to reach a just, lasting and comprehensive peace settlement achieved through direct negotiations based on United Nations Security Council Resolutions 242 and 338. The negotiations between the Israeli and Palestinian sides will be conducted, per the Madrid letter of invitation, in two phases: the first phase of the negotiations is directed toward reaching agreement on Palestinian interim self-government arrangements for a period of five years; and the second phase of the negotiations, beginning the third year of the period of interim self government arrangements, will be directed toward reaching agreement on permanent status. The two sides concur that the agreement reached between them on permanent status will constitute the implementation of Resolutions 242 and 338 in all their aspects.

The two sides agree that the negotiating process is one and that its two phases are interlocked. They further agree that neither the negotiations nor the agreements reached for the interim period nor anything done in the interim period will be deemed to preempt or prejudge the outcome of permanent status negotiations. Furthermore, both sides will make their best efforts to avoid actions during the interim period that undermine the environment for the negotiations. The two sides agree that all options for permanent status within the framework of the agreed basis of the negotiations -- United Nations Security Council Resolutions 242 and 338 -- will remain open. Once negotiations on permanent status begin, each side can raise whatever issue it wants, (including the question of Jerusalem).

The [illegible] arrangements negotiations should include the part of Jerusalem

وثيقة رقم - 5 -

صورة للصفحتين الأولى والثالثة من التقرير الذي املاه اسامة الباز على سعيد كمال حول محادثاته مع إسرائيل - وهو بخط سعيد كمال. "الاحرف (OB) اسامة الباز، (YR) اسحق رابين"

المصدر: هيكل - الكتاب الثالث - المفاوضات السرية - اوسلو سلام الأوهام.

[illegible] الجمعة ٢٤/٤/١٩٩٢ [illegible] ١٩٤٨

رسالة من OB

أنه "YR"

١- كان تحرك YR ايجابياً ومتجاوباً مع [illegible] وهو يقدر الخطوة الفلسطينية ويدرك انها لم تكن خطوة سهلة

٢- يدرك YR أن [illegible] المخاطر الأمنية التي يتعرض لها الوفد الفلسطيني وقد أعرب عن استعداد حكومته [illegible] [illegible] بالأسلحة الذي لا يحتاج [illegible] الأعضاء [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] (مستعدون [illegible]) كل [illegible] أو في نظام [illegible] ذلك [illegible]

٣- [illegible] YR [illegible] العالية [illegible] ...

لا يصح ان نشار ~~بشأن~~ لصدقه نقطتان :-

الأولى : المصير الذي يلائم رضا الملكية
(ثورة الدولة) ~~الحكم~~

جانب سواهم

الثاني : ~~الطابع~~ وضع ~~قضية~~ القدس
(المقدسات الإسلامية) الشرعية

سبق ~~...~~ لانطلاق الأسنة للانتفاضات فإنه لابد ~~من~~ في التعجيل بإجرائها وعليه فإنه سكان الضفة الغربية سوف يشتركون في الانتخابات وما يتفق عليه حول الصيغة التي يرضى بها الطرفان

فيما يتعلق بالأبعاد "دولة مستقلة" بالتعبير هذه خرافة عند المسلمين العرب من الدول

وثيقة رقم - 6 -

رسالة سعيد كمال لعرفات يبلغه فيها موافقة YR والمقصود رابين على مناقشة موضوع خارطة غزة في المفاوضات السرية داخل قناة أوسلو.

المصدر: هيكل - الكتاب الثالث - المفاوضات السرية - أوسلو سلام الأوهام - سبق ذكره.

منظمة التحرير الفلسطينية
سفارة فلسطين
القاهرة

Palestine Liberation Organization
Embassy of Palestine
Cairo

الرقم : ....
التاريخ : ....

Ref. : ....
Date : 92/4/15 الخميس

خاص وضروري

الأخ الرئيس القائد أبو عمار

المحترم

أود أن أعلمكم عن جواب YR للسيد الرئيس بخصوص الخارطة بما يلي:

"أنه YR يوافق على هذا الموضوع بحيث يتم بحثه داخل غرفة المفاوضات وعلى هامشها من خلال مجموعة يتم تعيينها من طرفنا وأنه لديكم اختيار الوقت الملائم للبحث من جانبكم"

نرجو الإبلاغ [illegible]

33 EL-Nahdha st. - Dokki Tel: 3602997/8 Fax.: 3602996

٣٣ شارع النهضة - الدقي ت: ٣٦٠٢٩٩٧/٨ فاكس: ٣٦٠٢٩٩٦

Palestine Liberation Organization
Embassy of Palestine
Cairo

منظمة التحرير الفلسطينية
سفارة فلسطين
القاهرة

Ref. : ....
Date : ....

الرقم : ....
التاريخ : ....

مكالمة من الوزير عمرو موسى معي منذ
ساعة بالضبط

كما أبلغني بخصوص مفاوضات المعتقل
والمعني به الأخ أبو العلاء بالقول
"أنه ٩٨٪ مقطوع عليه ولابد أن نفكر في طريقة
الافراج والوقت المناسب لذلك
وأنه سيتم معرفة الرئيس بذلك"

ا [signature]

أخوكم
[signature]

33 EL-Nahdha st. - Dokki Tel: 3602997/8 Fax.: 3602996
٣٣ شارع النهضة – الدقي ت ٣٦٠٢٩٩٧/٨ فاكس ٣٦٠٢٩٩٦

وثيقة رقم - 7 -

صورة للصفحة الثانية من محضر لقاء عرفات مع مبارك 21 أبريل 93.

المصدر: هيكل - المفاوضات السرية - أوسلو سلام الأوهام - الكتاب الثالث.

(٢)

الرئيس مبارك : رابين لابد ان يعطى شيئا و انا سأرسل له رسالة خاصة مع الدكتور اسامه باكر ، و لقد كان لابد ان تتخذوا هذا القرار الجرئ رغم انه خيار صعب ، الرئيس كلينتون قال لى لدى من المشاكل الكثير فى العالم فانتهزوا الفرصة ..

و انا قلت له ان لدى الفلسطينيين ظروف صعبة و قرارهم بالمشاركة ليس سهلا ..

و بالمناسبة انا سأحاول الذهاب للسعودية بعد اول مايو ، و سأتحدث معهم ، و سأذهب فى زيارة للشيخ زايد ، و اريد ان اعرف كم المبلغ الموجود عند العقيد القذافى .

الرئيس ابو عمار : عند العقيد القذافى ١٦٨ مليون دولار ، اما بالنسبة للامارات فهناك صندوق الشيخ زايد للخير به مليار دولار ، و الشيخ زايد قال لسفيرنا انه مستعد ان يعطى لفلسطين ١٠٠ مليون دولار ، و انا لى عند حكومة دبى ٤٩ مليون دولار .

الرئيس مبارك : يتابعها الوزير عمر سليمان .

الوزير عمرو : كريستوفر اصدر بيانا بكامل عناصره وفق ما هو مطلوب ، فهو ضد سياسة الابعاد و مع حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم .

ان نذكر ... مثلا ان يتم زيادة عدد الذين يقال
انه تم ابعادهم خطأ .
٢) اسراع المحكمة بارجاع ٧٠ ـ ٨٠ شخصا .
٣) العمل على اختصار فكرة الابعاد من سنتين
الى شهور .
فى مقابل هذا سيطلب :
١) مشاركة الفلسطينيين فى المفاوضات .
٢) السماح بدخول المعونات للمبعدين .
وبغير ذلك لن يتراجع رابين عن موقفه .
اذا تصاعد الصراع بين الليبراليين ورابين
تتعقد المشكلة لان البديل تسوميت .

د. اسامه : نحاول تحريك المبعدين نحو الشريط الحدودى
بدلا من مكانهم الان ... مثلا يوضعوا فى
مدرسة فى مرجعيون ، ويكونوا تحت سيطرة
اسرائيل ..
الاسرائيليون يريدون معرفة هل المنظمة
ستتحالف مع حماس ؟؟ .

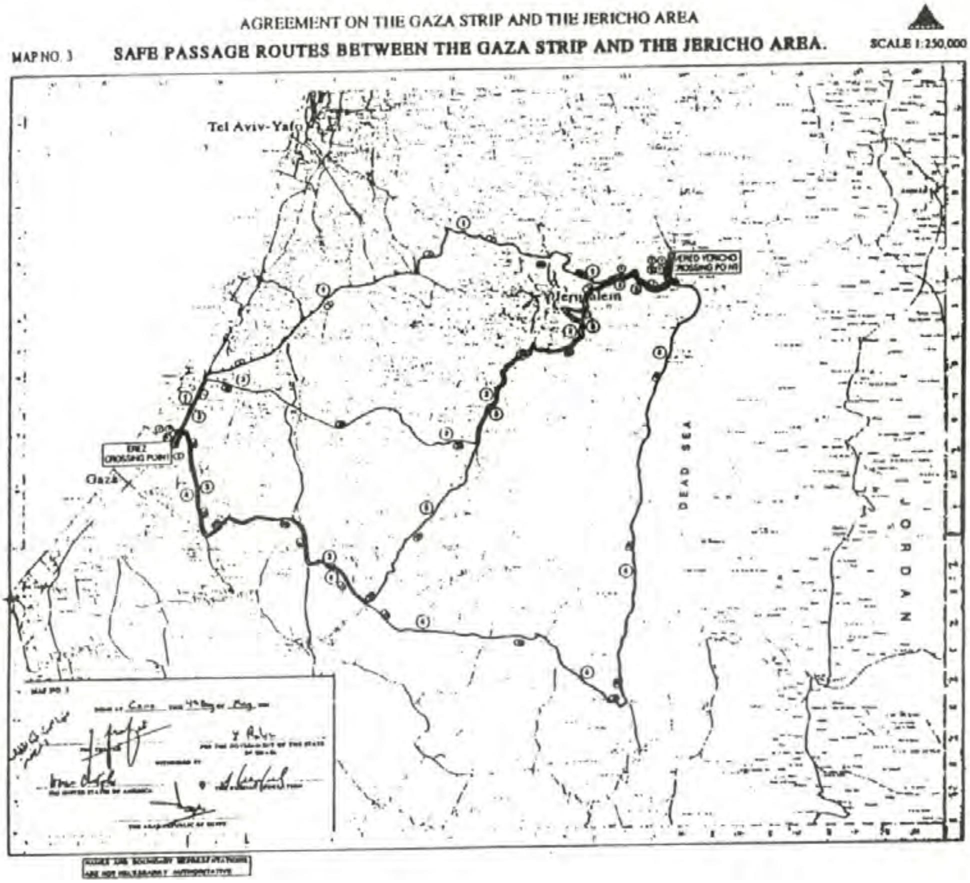
الرئيس ابو عمار : الاسرائيليون هم الذين خلقوهم واوجدوهم .
اللواء عمر : رابين وضع مخطط للتخلص من حماس .
الرئيس ابو عمار : الانتفاضة حينما تفجرت لم تكن حماس موجودة فهم
الذين اوجدوها ، والخليجيين يدعمونها .
د. اسامه : بدأ الجميع يصحون ..

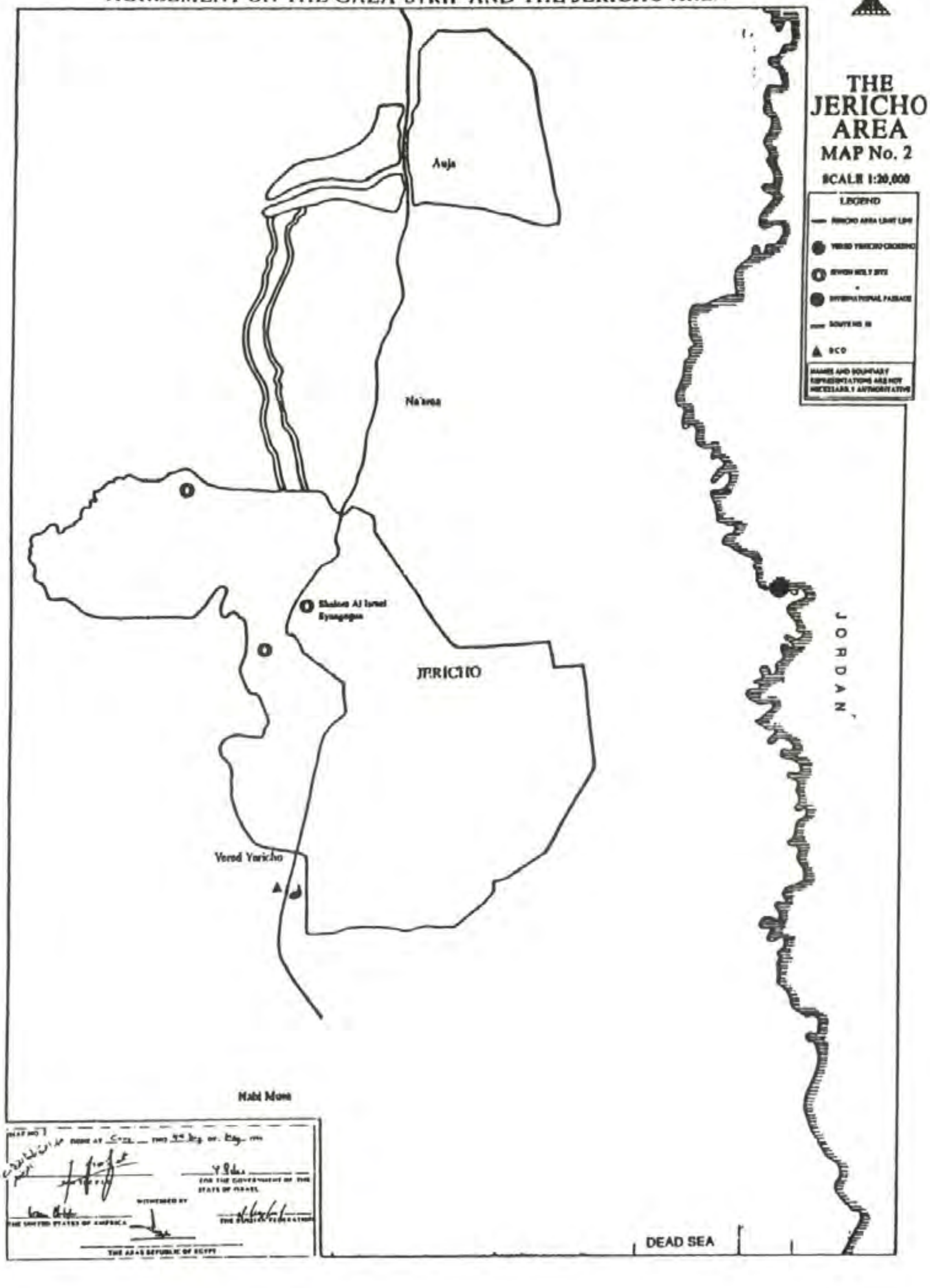
صورة الصفحة الخامسة من محضر اجتماع عرفات مع مبارك 7/يناير/1993.
المصدر: كتاب هيكل ـ سبق ذكره.

- وثيقة رقم - 8 -

خارطة غزة - أريحا والتوقيعات عليها كما تمت في القاهرة (اتفاق 9 شباط/ فبراير 94). وتحدد بلدة أريحا في إطار 15 كم2، بعد أن رفض رابين الخارطة التي قدمها له مبارك (اجتماع الاسماعيلية) والتي قدمها عرفات لمبارك في القاهرة.

المصدر: أرشيف الجبهة الديمقراطية.




THE
JERICHO
AREA
MAP No. 2
SCALE 1:20,000
LEGEND
Auja
JERICHO
Vered Yericho
JORDAN
DEAD SEA
WITNESSED BY
FOR THE GOVERNMENT OF THE STATE OF ISRAEL
THE UNITED STATES OF AMERICA
THE ARAB REPUBLIC OF EGYPT

وثيقة رقم - 9 -

الاعتراف المتبادل والرسائل الثلاث

المصدر: معركة السلام - يوميات شمعون بيريز - الأهلية للنشر والتوزيع - عمان - الأردن 1995 - ص428، 429، 430.

وثيقة " الاعتراف المتبادل "

الرسالة الأولى

من عرفات الى رابين

٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣

السيد رئيس الوزراء

ان توقيع اعلان المبادىء يمثل بداية حقبة جديدة في تاريخ الشرق الأوسط منطلق اقتناع واسخ بذلك أود أن أؤكد الالتزامات الاتية لمنظمة التحرير الفلسطينية : تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بحق دولة اسرائيل في الوجود في سلام وأمن ، تقبل منظمة التحرير الفلسطينية قراري مجلس الأمن الرقمين ٢٤٢ و ٣٣٨ ، تلزم منظمة التحرير الفلسطينية نفسها عملية السلام في الشرق الأوسط وحلاً سلمياً للنزاع بين الجانبين وتعلن أن كل القضايا العالقة المتعلقة بالوضع النهائي ستحل عن طريق المفاوضات ،

تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية أن توقيع اعلان المبادىء يشكل حدثاً تاريخياً يفتتح عهداً جديداً من التعايش السلمي يخلو من العنف وكل الأعمال الأخرى التي تهدد السلام والاستقرار ووفقاً لذلك فان منظمة التحرير الفلسطينية تنبذ استخدام الارهاب وغيره من أعمال العنف ، وستتحمل المسؤولية عن كل عناصر منظمة التحرير الفلسطينية وأفرادها كي تضمن امتثالهم وتمنع العنف وتؤدب المخالفين ،

وفي ضوء الوعد بحقبة جديدة وتوقيع اعلان المبادىء وعلى أساس القبول الفلسطيني بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ فان منظمة التحرير الفلسطينية تؤكد أن بنود الميثاق الفلسطيني التي تنكر حق اسرائيل في الوجود وبنود الميثاق التي لا تنسجم والالتزامات الواردة في هذه الرسالة هي الآن غير سارية وباطلة ، وتالياً فان منظمة التحرير الفلسطينية تتعهد أن ترفع الأمر الى المجلس الوطني الفلسطيني للاقرار الرسمي وادخال التعديلات اللازمة في ما يتعلق بالميثاق الفلسطيني .

المخلص ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

١/رسالة الثانية

من رابين الى عرفات

٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣

السيد الرئيس

رداً على رسالتكم في ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ . أود أن أؤكد لكم أنه في ضوء التزامات منظمة التحرير الفلسطينية الواردة في رسالتكم ، قررت حكومة اسرائيل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثل الشعب الفلسطيني وبدء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية في اطار عملية السلام في الشرق الأوسط

اسحق رابين

رئيس وزراء اسرائيل

١/رسالة الثالثة

من عرفات الى هولست

٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣

العزيز الوزير هولست

أود أن أؤكد لكم أنه لدى توقيع اعلان المبادىء سأضمن المواقف الآتية في تصريحاتي العلنية :

في ضوء الحقبة الجديدة التي يمثلها توقيع اعلان المبادىء ، فان منظمة التحرير الفلسطينية تشجع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتدعوه الى المشاركة في الخطوات التي تؤدي الى اعادة الحياة الى طبيعتها ورفض العنف والارهاب والتي تساهم في السلام والاستقرار ، والمشاركة بنشاط في تشكيل اعادة الاعمار والتنمية الاقتصادية والتعاون .

المخلص

ياسر عرفات

الرئيس

منظمة التحرير الفلسطينية

وثيقة رقم - 10 -
نداء الانتفاضة رقم - 2 -
المصدر: أرشيف الجبهة الديمقراطية.

لاصوت يعلو فوق صوت الانتفاضة

نداء .. نداء .. نداء

نداء رقم - ٢

صادر عن القيادة الوطنية الموحدة لتصعيد الانتفاضة

ياجماهير شعبنا العظيم

يا شعب الشهداء .. احفاد القسام .. يا أخوة ورفاق أبو شرار وخالد نزال وكنفاني يا شعب الانتفاضة الممتدة من جذور الوطن منذ عام ٣٦ .. والمتصاعدة بقوة فولاذية في وجه الاحتلال الفاشي لتحرق الأرض تحت أقدام جنرالاته وجنوده الجبناء .

ياأبطال حرب الحجارة والمولوتوف .. تصعيداً لانتفاضة شعبنا المجيدة ، ووفاء لدماء شهداء شعبنا الطهورة .. وتعميقاً للمضامين الثورية التي سجلها ابناء جباليا وبلاطة وعسكر والمغازي والبريج وقلنديا والامعري ورفح وخانيونس والشاطىء وطولكرم وكل مخيمات ومدن وقرى فلسطين . والموحدون في ميدان الحرب اليومية ، والتي هزمت القمع والارهاب ، وسياسة الابعاد والاعتقالات الجماعية والغاز السام والجنزرات ، واغلاق المدن والمخيمات .

ومن اجل تعميق الالتفاف الثابت والمطلق حول منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا الفلسطيني ، وتأكيداً على قرارات المجلس المركزي النضالية والوحدوية التي صدرت بالامس لدعم الانتفاضة الشعبية الباسلة .

تدعو القيادة الوطنية الموحدة ، كافة لجان العمل الوطني ، واللجان الشعبية ، العمل على تصعيد الانتفاضة الشعبية الظافرة وتطوير أشكالها ، **بإعلان الأضراب العام والشامل من يوم الاثنين (١٩٨٨/١/١١) وحتى مساء الأربعاء** (١٩٨٨/١/١٣) ، مع كافة أشكال التصعيد الثورية **واعلان يوم الجمعة** (١٩٨٨/١/١٥) **يوم للوحدة والتضامن** تخليداً لشهداء الانتفاضة في صلوات الغائب والجنازات الرمزية والمظاهرات الشعبية الصاخبة ولنهتف بصوت موحد ومدوي .

- بالروح بالدم نفديك يا شهيد ..... بالروح بالدم نفديك يا فلسطين .

يا أشبال وشباب فلسطين .. يا قاذفي الحجارة الحارقة .. حتماً سيرغم الفاشيون الجدد على التسليم بالحقائق التي ترسخها انتفاضتكم المدوية ، والتي ترسم الطريق وبوضوح على درب الاستقلال الوطني الناجز وليرفرف علم فلسطين على أسوار القدس المقدسة .

يا جماهير الطبقة العاملة الفلسطينية البواسل ... لتشمر السواعد السمراء لانجاح الاضراب العام والشامل بمقاطعة العمل أيام الاضراب ، فدوركم العمالي والطليعي في الانفاضة الشاملة يشكل خير رد على تهديدات ومهاترات سلطة العدو

لهزيمة سياسة التمييز العنصري والتعسف المتواصل ، ويؤكد الوفاء لدماء شهداء الشعب وإجبار الاحتلال على الغاء كافة قرارات الابعاد وانتزاع حرية الاسرى الابطال .

المناضلين البواسل أصحاب المحلات التجارية ... من احدى أهم شعارات الانتفاضة يتمثل بتعزيز النضال من أجل الغاء كافة القوانين والاجراءات الضريبية وهذا يحتم عليكم مواصلة الانخراط في الانتفاضة الى جانب كافة قطاعات شعبنا من عمال وفلاحين وطلبة ونساء . والاستمرار في ابراز الدور الوطني الذي خضتموه حتى الآن ، وسيعرف شعب الانتفاضة كيف يحمي التجار الشرفاء ومتى يعاقب وبشدة كل من يحاول الانجرار وراء عملاء السلطة الاحتلالية .

ابناء شعبنا البواسل ..
سائقي السيارات وأصحاب شركات الباصات ومكاتب التاكسي

ان موقفكم الوطني والمشرف تجلى وبشكل واضح في يوم الصمـــود الفلسطيني ، ونحن على ثقة بترسيخ هذا الموقف على مدار أيام الاضراب الثلاثة ... ونحذر ان كل من يخرق الاجماع سيجد أشبال الانتفاضة له بالمرصاد .

إن القيادة الوطنية الموحدة لتصعيد الانتفاضة اذ تؤكد على مواصلة النضال وبكافة أشكاله تحت رايات منظمة التحرير الفلسطينية حتى تحقيق أهداف شعبنا السياسية في العودة وتقرير المصير وبناء دولتنا الفلسطينية المستقلة بقيادة المنظمة ، لتدعو كافة جماهير شعبنا البواسل النضال من أجل انجاز شعارات الانتفاضة الاساسية والمباشرة والتي تتمثل في :

• وقف سياسة القبضة الحديدية ، والغاء العمل بقوانين الطوارىء البائدة بما في ذلك ألغاء كافة قرارات الابعاد فوراً .

• تحريم انتهاك وتدنيس المقدسات الدينية واخلاء الارهابي شارون من البلدة القديمة بالقدس .

• سحب الجيش من المدن والمخيمات والقرى ، وحظر اعمال الاستفزاز التي يقوم بها . وتحريم اطلاق الرصاص على ابناء شعبنا العزل .

• حل اللجان البلدية والمجالس القروية ولجان المخيمات المعينة من قبل سلطات الاحتلال واجراء انتخابات ديمقراطية لكافة المجالس البلدية والقروية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

• اطلاق سراح كافة معتقلي الانتفاضة فوراً واغلاق معتقلات الفارعة وانصار (٢) وانصار (٣) « الظاهرية » .

• الغاء الضريبة الاضافية المفروضة تعسفياً على تجار شعبنا .

• وقف مصادرة الأراضي ووقف بناء المستوطنات واستفزازات قطعان وسوائب المستوطنين .

• تحريم مداهمة واغلاق المؤسسات التعليمية والنقابية والجماهيرية المختلفة وحظر تدخل سلطات الاحتلال بشؤونها الداخلية .

يا جماهير شعبنا ... يا أبطال الانتفاضة ... وصناع المجد الفلسطيني العملاق ...

لتغلق كافة الشوارع في وجه قوات الاحتلال .. وليمنع جنوده الجبناء من دخول المخيمات والتجمعات السكانية الرئيسية بوضع المتاريس الفلسطينية واحراق اطارات الكاوتشوك ... ولتهوي الحجارة الفلسطينية على رؤوس فلول جنود الاحتلال وعملائه ... **ولترفع الاعلام الفلسطينية** على مآذن المساجد والكنائس واسطح المنازل وأسلاك الكهرباء وفي كل مكان .. **وليهزم الحصار المفروض على** مخيمات شعبنا بالتمرد على قرارات منع التجول المفروضة أو التي قد تفرض .

يا شعب الشهداء ... يا عمالقة الثوار ... ايها الأشبال والشباب والطلاب ... ياعمالنا وفلاحينا ونساءنا ... أيها الشيوخ ورجال الدين وأئمة المساجد ... يا كل شعبنا .

لتحرق الارض تحت أقدام المحتلين وليعرف كل العالم ان بركان الانتفاضة الذي اشعله شعب فلسطين لن يتوقف الا بانجاز الاستقلال بدولة فلسطينية وعاصمتها القدس .

لتتصاعد انتفاضة شعبنا المظفرة .... وليسقط الاحتلال

المجد لشعبنا البطل ... والخلود للشهداء

القيادة الوطنية الموحدة لتصعيد الانتفاضة في المناطق المحتلة

١٩٨٨/١/١٠

وثيقة رقم - 11 -

الموقعة من 171 عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني تحت العناوين الموضحة والمنشورة في مجلة الحرية 1994/9/3.



وثيقة رقم - 12 -

مذكرة تواقيع أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني 1992/3/15 والمنشورة في مجلة الحرية 1992/3/28 والداعية لاستخلاص الدروس من جولات المفاوضات الثانية.

الاخ ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين

الاخ رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

الاخوة اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

الاخوة الامناء العامين للفصائل الثورة الفلسطينية

تحية الثورة وبعد ،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني

الموقعون على المذكرة

الاسم

[illegible]

اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني

وممثلو هيئات ومؤسسات فلسطينية

وثيقة رقم - 13 -

حديث حواتمة للصحفي الأمريكي بول جاكوبس كما وردت على صفحات مجلة الحرية 1974/4/1.

نص حديث الرفيق نايف حواتمة الى الصحفي اليساري الأميركي بول جاكوبس

قيام سلطة وطنية فلسطينية وعودة اللاجئين عامل اساسي من اجل حل القضية في المستقبل ضمن دولة ديموقراطية



تنشر الحرية النص الحرفي والكامل للمقابلة التي اجراها الرفيق نايف حواتمة مع الصحفي اليساري الاميركي بول جاكوبس (صدر له مؤخرا كتاب تحت عنوان « احاديث مع قادة المقاومة الفلسطينية ») ، والتي خضعت لبعض التحوير الجزئي عند ترجمتها وخاصة عند نشرها في جريدة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية ، نقلا عن جريدة واشنطن بوست الاميركية علما بان المقابلة كما نشرت في الصحف العربية والعالمية لا تختلف في جوهرها ومعظم نصوصها عن المادة التي تنشرها الحرية .

وقد تم نشر المقابلة في عدد من الصحف العالمية وابرزها « واشنطن بوست » الاميركية ، و« الفيغارو » الفرنسية ، و « لوسوار » البلجيكية ، و « سنامبا » الايطالية ، و « الاكسبرس » الاسبوعية الفرنسية ، ونقلتها احدى الصحف الاسرائيلية ، وابرزت معظم الاذاعات ووكالات الانباء والصحف العالمية مقتطفات من المقابلة .

● ما رايكم بالتطورات الراهنة وطبيعة الصراع القائم في المنطقة ؟

— الجبهة الديمقراطية ... منطلقة بسارية ومحللنا الى جميع الوقائع من منظور يساري قومي وطني. وعلى هذا الاساس اريد ان اؤكد بالضبط على ادراكنا ان حل المسألة الفلسطينية يتطلب مرحلة تاريخية كاملة لنفس السبب ان ولادة اسرائيل كانت نتيجة مرحلة تاريخية طويلة كاملة .

ان خلق اسرائيل كان نتيجة فترة طويلة من التعاون بين الحركة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية والامبريالية، في وقت كان فيه الشرق الاوسط خاضعا للسيطرة الامبريالية والانظمة الاقطاعية العربية. وقبل هذه السيطرة الثنائية كانت المنطقة قابعة تحت نير النظام العثماني الاقطاعي المتخلف .

وبالنهاية كان ميلاد اسرائيل نتيجة لهيمنة الاستعمار على المنطقة ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ، ظهرت قوى دولية معاكسة وظهرت معها بدايات هزيمة الامبريالية عندما بدات قوة الكتلة الاشتراكية في النمو وقيام جمهورية الصين الشعبية واشتداد حركات التحرر الوطني .

وبعد خلق اسرائيل شاهد الوطن العربي وكل منطقة الشرق الاوسط سلسلة من الاحداث موجهة ضد الوجود والنفوذ الاستعماري وباتجاه تحقيق مكاسب لحركات التحرر العربية من جهة ودولة اسرائيل وحلفائها الامبرياليين من جهة اخرى .

وقد اتخذت هذه المواجهة اشكالا مسلحة متعددة نقلتها في بعض الاحيان وقف لاطلاق النار وهدن مؤقتة طويلة نسبيا . كما ان هذه المواجهة ستظل ابدا تطور الحركات التحررية العربية والاوضاع الاسرائيلية الداخلية ضد الصهيونية ومؤسساتها ولكنا نعتقد ان حل المشكلة الفلسطينية — الاسرائيلية والمشكلة العربية — الاسرائيلية . لن يأتي (بنيا) الا بعد ان تختفي مخلفات الفترة التاريخية السابقة اي رحيل الامبريالية والصهيونية عن المنطقة .

ان تحول الوطن العربي وكل منطقة الشرق الاوسط الى منطقة ديمقراطية وتقدمية سيتم بالتأكيد وان هذا التحول سيفتح امكانية الحل السياسي الشامل. ولكن احتمالات هذه الامكانية ستتأثر بالتطورات داخل اسرائيل . ولكننا ، نرى ان هذه التطورات لاتزال في المستقبل البعيد البعيد .

ان اي حل حقيقي لمشكلة الصراع العربي — الاسرائيلي والفلسطيني — الاسرائيلي يجب ان يقوم على الغاء (انهاء) الاتجاهات التوسعية والعدوانية الصهيونية وبالاعتراف بالحقوق الوطنية الفلسطينية كاملة. وحتى الان، فان الاتجاهات الرئيسية في اسرائيل تتعارض مع هاتين النقطتين. وعلينا ان نلاحظ على سبيل المثال، ان نتائج حرب اكتوبر داخل اسرائيل كانت معاكسة لهاتين النقطتين كما هو واضح من برامج الليكود والمعراخ.

ان خطاب جولدا مائير في الكنيست، الهادف الى كسب الثقة لحكومتها، يبرهن على معارضة هذين الشيئين الرئيسيين. كما اكدت على رفض حكومتها العودة الى حدود ما قبل ١٩٦٧» وطالبت الاسرائيليين برفضها «الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولة مستقلة في غزة والضفة الغربية» واعلنت عن رفضها الجلوس مع ممثلي الشعب الفلسطيني لمطالب المقاومة في جنيف او غيرها » .

ان موقف مائير يبين لنا بوضوح الطبيعة التوسعية الاستيطانية والعدوانية للقوة السياسية الرئيسية في اسرائيل، مما يجعل الوضع كله اكثر تعقيدا. بالاضافة الى هذا فان هذا الموقف يجعل الشرق الاوسط باكمله هدفا لمزيد من الحروب والالام (المعاناة) بدلا من ان يقدم الامل لحل حقيقي .

ونلاحظ كذلك ان الغالبية من الاسرائيليين قد تحركت نحو اليمين مؤيدها الجناح اليميني والمرتبي الوسطي الساعي الى دفع الاسرائيليين الى المزيد من التطرف اليميني الرجعي. ولكنا ندرك كذلك ان اليمين واليمين الوسط في اسرائيل ليس القوى الوحيدة في البلاد وفي المنطقة .

ونحسب ان ناخذ بعين الاعتبار المتغيرات الدولية. وهكذا فان الوضع الواقعي قد يعرض على اسرائيل ان تقلل (تحد) من اتجاهاتها التوسعية والعدوانية. ولكن كون هذا التغير غير ناتج من التغيرات الداخلية والمتزنة في اسرائيل نفسه سيعقد الوضع مرة اخرى .

ان نقطة الانطلاق نحو حل حقيقي تكمن في مزيد من التطورات الديمقراطية والتقدمية الاكثر عداء للامبريالية والرجعية والصهيونية العدوانية في حركات التحرر العربية وفي مزيد من اختلال ميزان القوى لصالح حركة التحرر العربية مما يفرض بالضرورة سلسلة من المتغيرات داخل اسرائيل .

ولكننا لا نرى حلا سريعا :

وندرك ان تحقيق سلام حقيقي سيستغرق فترة طويلة. وفي الوقت ذاته علينا ندرك ان انتزاع الفلسطينيين لبعض حقوقهم الوطنية في هذه المرحلة عامل اساسي من عوامل الوصول الى حل حقيقي في المراحل اللاحقة .

وبناء على رأيي قائمة هذه الحقوق حق الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة في تشكيل سلطة وطنية مستقلة وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى وطنهم وبيوتهم التي اخذت منهم في الماضي وهذا ما اقرته الامم المتحدة ايضا في قرارها رقم (١٩٤) عام ١٩٤٨ وعندما كان ميزان القوى داخلها لايزال لصالح الامبريالية واسرائيل.

ان تحقيق هذه الحقوق ستفتح المجال امام الديمقراطيين والتقدميين الفلسطينيين والاسرائيليين المعادين للصهيونية والامبريالية لفتح حوار ديمقراطي مما سيتيح لهاتين القوتين البحث عن حل ديمقراطي جذري للمشكلة يقوم على بناء الدولة الديمقراطية الفلسطينية .

ولكننا نرى ان الحكومة الاسرائيلية مع الولايات المتحدة ترفض الاقرار بحقوق الشعب الفلسطيني وبالتالي لاتساعد حتى على ايجاد اي حل جزئي مؤقت ناهيك عن حل بعيد المدى .

بالنسبة لنا في منظمة التحرير الفلسطينية فانا نؤكد على ان اقامة سلطة فلسطينية مستقلة وعودة اللاجئين تشكل خطوات واسعة نحو حل ديمقراطي للمشكلة فيما بعد. ولكن عندما تكون قوى اليمين في اسرائيل ترفض تنازلي هذه النقاط فانها تقامر بمستقبل الاسرائيليين كله. وان القوى الديمقراطية والتقدمية المعادية للصهيونية والتوسع والامبريالية في اسرائيل تخدم مصالح مستقبل الاسرائيليين اكثر من مائير ودايان وشارون واليرغون وحتى شخصيات صهيونية مستورة مثل بن اهارون والياف تعترف بوجود الشعب الفلسطيني وحقوق وطنية حزينة له يخدم مستقبل الاسرائيليين اكثر من مائير وشركاها ، لان مائير وشركاها يقودون سياسة عكس تيار التاريخ الجاري في المنطقة والعالم .

لقد بنى كل من مائير ودايان والاسرائيليون الاخرون لهم موقفهم على تفوق القوى العسكرية لاسرائيل في المنطقة في حين ان مستقبل المنطقة سوف لن يسمح بوجود هذا التفوق. لقد سلك هؤلاء الاشخاص طريقا تؤدي بهم للتناقض مع التيارات التاريخية في المنطقة ومازالوا تتكسر على صخرة الثقة نواجدوا في مناطق الفصل المغلقة والمعزولة والذين اعتقدوا ان التحصن بقامة مدججة بالقوة العسكرية تضمن لهم البقاء. لقد كانت حرب تشرين تبرهن على هذا التفكير الصهيوني الخاطئ .

اننا لانقول بان العرب حققوا نصرا واسعا في تلك الحرب، ولكننا نقول ان حرب تشرين برهنت ان اعتماد اسرائيل على القوى العسكرية لن ينجح في المحافظة عليها في المستقبل .

ان التطورات في العالم الحديث لا تخدم مصالح الاتجاهات الصهيونية واليمينية في اسرائيل. واليوم تزداد الضغوطات العالمية ضد الامبريالية والانظمة العنصرية بجنوب افريقيا وروديسيا واسرائيل .

ولكننا نعرف ان المشكلة الفلسطينية معقدة جداً اكثر تعقيدا من مشاكل روديسيا وجنوب افريقيا . ان تعقد المشكلة ينبع من عوامل مثل تاريخ المنطقة المضطرب، تطور الراسمالية في القرنين التاسع عشر والعشرين ونتائج هذا التطور الراسمالي على اليهود، وعلاقة الصراع بين الراسماليين الاوروبيين والراسمالية اليهودية، وطبيعة الوجود الاسرائيلي في فلسطين المبني على اقتلاع

الحرية صفحة ٧

• لايمكن تحديد العلاقات المستقبلية بين الفلسطينيين والاسرائيليين الا بعد زوال الاضطهاد القومي الواقع على الشعب الفلسطيني.

• نضالنا الآن وفي المستقبل هو من أجل دولة ديموقراطية فلسطينية على تراب فلسطين

• رحيل الصهيونية والامبريالية عن المنطقة ، شرط رئيسي لانهاء الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي والعربي - الاسرائيلي

الشعب الفلسطيني وتشريده من وطنه الاصلي. في ايرلندا وروديسيا وجنوب افريقيا بقي الشعب على ارض وطنه ولكن الفلسطينيين شعب طردوا من وطنهم، وحرموا من هويتهم الوطنية. شعب داست اسرائيل والنظام الرجعي والولايات المتحدة على حقوقهم .

اننا نقول للاسرائيليين ، وبكل وضوح اننا نناضل من اجل علاقات تعايش سلامية بين الفلسطينيين والاسرائيليين، ونعتقد، حسب جميع السوابق التاريخية، ان العيش بسلام يعني الوصول الى حلول اساسية وديمقراطية للمشاكل داخل دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها الفلسطينيون والاسرائيليون بنفس الحقوق والواجبات .

ولكننا ندرك ان تشكيل هذه الدولة الديمقراطية متعذر في هذه الفترة، ولهذا فانما نقول ان تحديد العلاقات المستقبلية بين الفلسطينيين والاسرائيليين لن يأتي الا بعد ان يزول الاضطهاد القومي الواقع على الشعب الفلسطيني والذي نتج عن فقدانهم حقوقهم الوطنية. بعد هذا سيكون الفلسطينيون في موقع تحديد العلاقات المستقبلية بينهم وبين الاسرائيليين. ولكن الان فان الشعب الفلسطيني مقتلع ومشرد ولذا لن يقوم بمثل هذا التفاؤل، وعلى سبيل المثال، عندما سئل الشعب الفيتنامي حول علاقاتهم المستقبلية بالولايات المتحدة اجابوا بانهم لن يناقشوا علاقاتهم



المستقبلية الا بعد ان يحصلوا على حقوقهم الوطنية ورحيل المحتلين الامريكيين من بلادهم.

● ماذا عن مستقبل العلاقات بين الفلسطينيين والاسرائيليين ؟

— ان نضالنا الان وفي المستقبل هو من اجل دولة ديمقراطية فلسطينية على تراب فلسطين ،

وبحقوق وواجبات متساوية للعرب والاسرائيليين ، وداخل هذه الدولة يحق للعرب والاسرائيليين تنمية ثقافتهم في اطار تقدمي وديمقراطي معاد للصهيونية الشوفينية العنصرية والعدوانية ، والامبريالية ، والرجعية العربية . **وحينذاك يتمكنوا من تنمية علاقاتهم معا .**

● هل تعتقد بوجود قومية اسرائيلية

— من الناحية العلمية ليس صحيحا الكلام عن «قومية» اسرائيلية، لان الاسرائيليين لم يتطوروا كقومية حسب المفهوم العلمي ، وعلى اساس التفسير العلمي لم يشكل الاسرائيليون قومية قائمة بذاتها .

ان اي دراسة علمية للمجتمع الاسرائيلي تبرهن من وجود اختلافات قومية واضحة فيه، وهذا نتيجة لكونه يتشكل من اصول قومية متعددة ومختلفة، ليس من حيث العرق او الدين، ولكن من حيث القوميات المتعددة والاصول التاريخية من مختلف الاقطار الاوروبية — الامريكية — العربية — والاقطار الافريقية. انهم يفتقدون الى العوامل المكونة للامة : اللغة الواحدة ، التاريخ المشترك على امتداد عصور تاريخية متواصلة، التكوين النفسي المشترك الذي يجد تعبيره بوحدة العادات والتقاليد .

● اليس الاتحاد السوفيتي امة واحدة رغم الاختلافات ، وكذلك الولايات المتحدة الامريكية ؟

— لا فالاتحاد السوفيتي يتشكل من قوميات متعددة يجمعها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، اما بالنسبة الولايات المتحدة فهي امة حديثة تشكلت على امتداد عشرات الاجيال الماضية .

● ما رأيك بادعاء اليهود بالحق التاريخي لفلسطين ونظرية « ارض الميعاد » ؟

— افكار «ارض الميعاد» والحق التاريخي لليهود بارض فلسطين هي ادعاء ميثولوجي (اسطوري ديني) واذا ارتكز العالم على مثل هذه الادعاءات فان خارطة العالم كلها يجب ان تتغير .

العرب على سبيل المثال يصبح لهم «الحق التاريخي» بالعودة الى اسبانيا التي عاشوا فيها وحكموها عدة قرون من السنين بينما لم تحكم القبائل اليهودية الغازية ارض فلسطين في القديم سوى قرن واحد من الزمان. وكذلك يجب ان يرحل الامريكيون الحاليون ويحل محلهم الهنود الحمر لانهم اصحاب البلاد الاصليون، وكذلك الحال في استراليا، اوروبا يصبح من الواجب ان يدخل عليها تغيير شامل تحت ادعاءات ميثولوجية تاريخية .

● ان مائير تعتبر الدولة الفلسطينية المستقلة على حدود اسرائيل رأس سهم موجه لصدر اسرائيل ، فما رأيك بذلك ؟

— ان مائير عندما تقول بذلك فهي تعبر في الحقيقة عن رفضها الاعتراف بأي حق قومي للشعب الفلسطيني، وعن خوفها من التسليم بأي حق من حقوق شعبنا في وطنه وتقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه .

● ماذا عن دولة فلسطينية منزوعة السلاح بجوار اسرائيل حتى لا تهدد أمن اسرائيل ؟

— ان اسرائيل دولة مدججة بالسلاح حتى اسنانها ولديها تكنولوجيا متطورة، ومدعومة بالحركة الصهيونية العالمية ومن الامبريالية العالمية عامة والامريكية خاصة .

ومن الناحية الاخرى شعبنا شعب صغير ونام وامكانياته محدودة وهو الذي تعرض امنه وسلامته للتهديد الدائم وتم تشريده واقتلاعه من وطنه على يد الصهيونية ودولة اسرائيل والامبريالية. والتاريخ خير شاهد على هذا . قبل عام ١٩٤٨ وبعده لم يتوقف العدوان التوسعي الاسرائيلي، وعمليات الاقتلاع والتشريد الفلسطينيين والعرب من ارضهم ووطنهم وبعد هذا كله فمن يهدد من ؟

● ماذا عن العلاقة المستقبلية بين الفلسطينيين والاسرائيليين ؟

— ان العلاقة في المستقبل تعتمد على نمو الاتجاهات التقدمية والديمقراطية المعادية للصهيونية والامبريالية داخل المجتمع الاسرائيلي والتي تنطلق من الاقرار بحقوق شعب فلسطين القومية في وطنه وارضه. فهذا هو الذي يفتح الامكانية للبحث بين الطرفين في المستقبل المشترك بينهما .

وثيقة رقم - 14 -

حديث حواتمة لصحيفة يديعوت أحرونوت عبر الهاتف.

يديعوت - مقال - ١٩٩٦/١/٢٥

يجب عدم تعديل الميثاق الا بعد نهايـــة الاحتـــلال

بقلم: روني شكيد

اجرى مراسل يديعوت احرونوت روني شكيد لقاء صحفيا هاتفيا مع نايف حواتمه الامين العام للجبهة الديمقراطية فيما يلي نصه:

- الامين العام للجبهة الديمقراطية نايف حواتمه يحزم امتعته في دمشق ويعتزم العودة الى مناطق الحكم الذاتي في اللحظة التي يتلقى فيها الضوء الاخضر.

+ انني مستعد للعودة الى ارض الوطن، وفوراً، الامر مرتبط بشمعون بيرس. كنت مستعدا للعوده في حزيران ١٩٩٣ غير ان شمعون بيرس وضع امامي سور برلين الذي حال دون عودتي وعودة رفاقي.

- اين ستسكن في مناطق الحكم الذاتي؟

+ ساقرر هذا هذا الامر حسب الضرورة الوطنية والسياسية.

- هل حين تعود الى مناطق الحكم الذاتي ستواصل الجبهة الديمقراطية في الاعمال الارهابية؟

+ الجبهة الديمقراطية تتبنى نهج النضال الديمقراطي الشعبي لانهاء الاحتلال وضمان حق تقرير المصير وحل مشكلة اللاجئين. وهي تدعو الى مفاوضات شاملة في اطاره من الممكن التوصل الى حل مناسب يستند الى تطبيق قرارات مجلس الامن ٢٤٢، ٣٣٨ وقرار ١٩٤ على قاعدة الارض مقابل السلام من خلال الاتفاق على جدول زمني وعلى طابع التنفيذ خطوة بعد خطوة.

وحول الكفاح المسلح، طوال الوقت كانت المقاومة الفلسطينية المسلحة ضرورة كرد على عنف الاحتلال وتنكر اسرائيل لحقوقنا في الوجود كشعب وحقنا في تقرير المصير. ان عنف الاحتلال هو الذي ولد عنف المقاومة. وحين ينتهي الاحتلال سيحل السلام الشامل بين الشعبين. ان عودتنا الى الوطن بدون اي شرط تؤكد اننا سنواصل الكفاح بكل الوسائل الديمقراطية.

- هل انت نادم على عملية معلوت؟

+ الاحتلال هو الذي يتحمل المسؤولية الكاملة لهذه العملية. الاحتلال - والمشاريع التوسعية الصهيونية - لم ترحم شعبنا داخل ارضه المحتله، وكذلك شعبنا في الشتات. ان صدى صرخات اطفال صبرا وشاتيلا ما زال يدوي في السماء وكذلك اطفال جنوب لبنان واطفال مدرسة بحر البقر في مصر. وكل هذه الاحداث تتجاهلها ايديولوجية الدعاية الصهيونية التي لا تترك اي مجال لحل وسط. ان الذين نفذوا هذه المذبحة بعضهم وزراء في حكومة اسرائيل وبعضهم اعضاء كنيست.

- الموافقة على عودتك جاءت لتمكين عقد اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني هل تؤيد تعديل الميثاق الوطني الذي يدعو الى تدمير اسرائيل؟

+ نحن نقول لا لالغاء الميثاق الوطني الفلسطيني - طالما استمر الاحتلال وطالما ان اسرائيل لا تعترف بحق شعبنا في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة. امس، يوم الثلاثاء، سخر بيرس من اعلان محمود عباس بان مجلس الحكم الذاتي سيعلن عن الاستقلال خلال ثلاث سنوات. على اي ارض سيعلن هذا الاستقلال - لان الحكم الذاتي لا يمتلك الا ٢٧٪ من اراضي الضفة الغربية وغزه بعد ثلاث سنوات.

- هل ثمة مجال لتعديل الميثاق؟

+ الميثاق الوطني هو اطار سياسي يضمن وحدة الشعب الفلسطيني على ارضه المحتله والشتات. نحن في الجبهة الديمقراطية قدمنا في عام ١٩٧٣ برنامج سياسي جديد لحل مرحلي على قاعدة دولتين للشعبين وحل مشكلة اللاجئين. ان هذا البرنامج هو المشروع الذي وافقت عليه المنظمة منذ عام ١٩٧٤. وهذا المشروع يتجاوز منذ ١٩٧٣ عدة بنود في الميثاق.

- هل عرفات قادر على تعديل الميثاق؟

+ ان التزام عرفات الغاء الميثاق غير ملزم للمجلس الوطني الفلسطيني. حتى الان، لم تقدم اتفاقيات اوسلو للمصادقة عليها من قبل المجلس الوطني بينما الاسرائيليون صادقوا عليها في الكنيست. ان المجلس لا يعمل منذ ايلول ١٩٩١ اضافة الى ذلك لم يجر استفتاء شعبي حول الاتفاقيات

- لماذا قاطعتم الانتخابات؟

+ كنا مستعدين للمشاركة في الانتخابات. دعونا لانتخابات حرة وديمقراطية. غير ان اتفاقيات اوسلو فرضت قيودا سياسيه صعبة على مجلس السلطة الفلسطينية وفرطت بحق المجلس بتشريع قوانين. وهذه الشروط جعلت من اتفاقيات اوسلو مصدر صلاحيات مجلس الحكم الذاتي الفلسطيني.

(٣)

ان كل برلمان في العالم بما في ذلك الكنيست الاسرائيلي يحصل على صلاحياته من الشعب الذي انتخبه بدون شروط مسبقة.

لقد قدمنا اكثر من مشروع قانون لانتخابات ديمقراطية على اساس التمثيل النسبي او التمثيل النسبي - اللوائي او وفق انتخابات اقليمية. غير ان قانون الانتخابات يستند الى بروتوكول الانتخابات مثلما اتفق عليه في اتفاق اوسلو ب. لقد تمت الانتخابات على قاعدة تضمن سلفا نتائج تؤدي الى تطبيق اتفاقيات اوسلو. لذلك اعلنا رفضنا للقانون غير الديمقراطي.

ان نتائج الانتخابات تدل، مثلما قلنا، ان المجلس كله هو بلون سياسي واحد الامر الذي يفسر التزييف. والغريب بان الديمقراطية الاسرائيلية تتطلب لنفسها سلطة متعددة الاحزاب وبالمقابل تفرض علينا قانون انتخابي على مناطق الحكم الذاتي يفتح الباب امام سلطة فرديه من نوع واحد والتي تخرق اكثر فاكثر حقوق الانسان وحرية الراي.

- هل ستكون مستعدا للمشاركة في مفاوضات سلمية؟

ذكرني حواتمة بانه الفلسطيني الاول الذي اجرى لقاء مع يديعوت احرونوت. كان ذلك في عام ١٩٧٤. كنت الاول الذي تحدث مع الاسرائيليين وقال "ان يدنا ممدوده نحو السلام على قاعدة > دولتين لشعبين وحل مشكلة اللاجئين حسب قرارات الامم المتحدة ١٩٩٤، وكذلك اليوم يؤدي التأكيد اننا مستعدون للاشتراك في المفاوضات الشاملة على قاعدة الشرعية الدولية، اي مفاوضات بين الممثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني وبين الممثلين الاسرائيليين على اساس موقفنا الداعي الى سلام شامل".

- هل من الممكن التوصل الى سلام؟

- طالما بقيت الوسائل مفتوحة امام النضال الديمقراطي، والمفاوضات الشاملة على قاعدة الشرعية الدولية فسيفتتح امام الشعبين افق السلام الديمقراطي.

وثيقة رقم - 15 -

نص حديث حواتمة مع النهار البيروتية في آب/1973 والمنشور على صفحات مجلة الحرية في 20/ آب/ 1973.

حديث الرفيق نايف حواتمة

نرفض التذرع بخصوصيّة الثورة الفلسطينية لتبرير «العمليات الخارجيّة»

- الأمين العام للجبهة الديموقراطية يحدّد موقف الجبهة من مشاريع الدولة الفلسطينية، ويتحدث عن أحداث أيار وعن أوضاع الفلسطينيين في لبنان -

تحدث الرفيق نايف حواتمة الامين العام للجبهة الديمقراطية الى مندوب جريدة « النهار » .. وتناول في حديثه عددا من القضايا الراهنة خاصة قضية «خطف الطائرات» وقد قدم بمندوب « النهار » خير الله خير الله الحديث بما يلي :

للمرة الاولى منذ نحو سنة يتكلم السيد نايف حواتمة الامين العام للجبهة الديمقراطية ، والدافع الى هذا الحديث هو اللغط الذي يدور حول خطف الطائرة اليابانية وعملية مطار اثينا واعتراض سلاح الجو الاسرائيلي الطائرة اللبنانية .. ذلك ان للجبهة الديمقراطية موقفا مبدئيا من هذه الحوادث اذ كانت اول من استنكر خطف الطائرات في العام ١٩٦٦ .

والتقت « النهار » السيد حواتمة وراء الحدود واجاب من سلسلة من الاسئلة تتعلق بالوضع الراهن والمهمات المطروحة امام الثورة الفلسطينية والدولة الفلسطينية و ... حوادث ايار .

★ ما هو موقفكم من الاحداث الاخيرة ابتداء من خطف الجمبو اليابانية مرورا بعملية اثينا وانتهاء باعتراض سلاح الجو الاسرائيلي الطائرة المدنية اللبنانية ؟

— نبدا بالعملية الاخيرة . ان عملية القرصنة الاسرائيلية في سماء بيروت هي عبارة من حلقة في مسلسل الارهاب الاسرائيلي الصهيوني تاريخيا وهي نابعة من طبيعة تركيب دولة اسرائيل والايديولوجية الصهيونية التي تجيز لنفسها اتخاذ اي خطوات بغض النظر عن كل القوانين والاعراف الانسانية والدولية ما دامت هذه الخطوات تخدم المشروع الصهيوني الكولونيالي الاستيطاني والامبريالي. ولن تكون هذه العملية الحلقة الاخيرة في الارهاب الصهيوني فقد اوقفت دولة اسرائيل في الارهاب الذي تعتبره جزءا من سياسة الدولة لارهاب الشعب الفلسطيني والشعوب العربية . وقبل العام ١٩٤٨ كانت الحركة الارهاب هي الاساسية في كل اعمال المؤسسات الصهيونية على ارض فلسطين وان اي ادعاء اسرائيلي لعزل هذه العملية من الجذور الارهابية الصهيونية الممارسة منذ بداية طرح المشروع الصهيوني في فلسطين هو محاولة تسقط في شكل تسلي لتاريخ اسرائيل الصهيونية .

وهذه العملية تدل في وضوح على ان سياسة اسرائيل في ارهاب شعوب المنطقة لن تتوقف الا بردعها بالقوة وتصفية الاحلام الامبراطورية في التوسع الدائم وممارسة دور الشركي في حماية المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة .

اما بالنسبة الى عمليتي الجمبو اليابانية واثينا فان الجبهة الديمقراطية اعلنت في وضوح استنكارها لهما وهي ملتزمة في ذلك بخط ايديولوجي وسياسي وتنظيمي تجاه هذا النمط من العمل المسلح وتستجيب للخط الثوري لحركة المقاومة والمصالح الوطنية والطبقية لمجموع طبقات شعبنا المناضلة من اجل دحر الاحتلال وتحرير الوطن وانتزاع حق تقرير المصير .

★ كيف تنظرون الى مثل هذه العمليات ؟

— ان موقفنا من العمليتين الاخيرتين مرتبط بموقفنا الاساسي من كل هذا النمط من العمليات على امتداد الفترة الماضية . وكما قلت ، من الزاوية الايديولوجية تحديدا ، ان القانون الاول في حرب الشعب الوطنية يعتمد

على الطريقة لوسع الجماهير في الثورة والكفاح المسلح الجماهيري والمطلبي داخل الارض المحتلة وخارجها .

وهذا يتطلب العمل الدؤوب والطويل النفس في صفوف هذه الجماهير لدفع فئاتها لتتسع يوما بعد يوم المشاركة في حركة الصراع، وهنا تكمن في اصالة مبدأ الاعتماد على الشعب المسلح والمناضل وحركته الجماهيرية من اجل انجاز اهداف شعبنا في مراحل النضال

الملاحظة .

من الناحية السياسية اعلنا منذ ايلول ١٩٦٩ بعد اول عملية خطف طائرة اننا ضد هذه الاعمال الفردية في الخارج . فما دامت الثورة تمر في مرحلة نهوض جماهيري واسع وعام فهي تحصد آثارا سلبية من مثل هذه

العمليات بتنمية النزعات الفردية والركض وراء الاساطير الفردية ودفع الجماهير الى الانتظار بلهفة في مقاعد المتفرجين على فصول

مسرحيه البطولات الفردية بينما ، كما قلت، الجماهير منخرطة في ازدياد داخل صفوف الثورة وحركتها الوطنية وهي في حاجة في مرحلة النهوض الى تنمية الروح الجماعية في النضال والانخراط الاوسع في استمرار . وقد استمرت الجبهة الديمقراطية في هذا الموقف حتى تموز ١٩٧١ حيث جرت حركة التصفية المدمرة « انتصار موقت » ناتجة عن حملات التطويق والابادة

وكل الاتجاهات المعادية في المنطقة العربية تشيع مناخا مؤداه ان الثورة انتهت وذلك لدفع الجماهير الى الانفضاض من حولها والاستسلام لحالات اليأس والقنوط. في هذه المرحلة نظرت الجبهة الى بعض العمليات الخارجية التي لا تؤدي الى ادخال عناصر بريئة في الصراع وهي موجهة ضد المصالح الصهيونية ، على انه يمكنها ان تلبي موقتا مهمة دعائية ومعنوية لمصلحة الثورة والشعب اذ تظهر ان الثورة لا تزال قادرة على مواصلة الصراع وتملك عروقا نابضة بالحياة قادرة على تبديد اوهام اسرائيل والرجعية والامبريالية بان الثورة قد انتهت.

وبالفعل حقق بعض العمليات مثل هذا الدور وهذا لا يعني ولا في لحظة واحدة انها بديل من العمل الجماعي المنظم داخل صفوف شعبنا في الاراضي المحتلة وخارجها بل هي عامل مساعد موقت لاستنهاض جهد الجماهير من جديد والتفافها حول الثورة . وفي هذه المرحلة خصوصا على امتداد سنة ١٩٧٢ اخذت حركة النضال والثورة داخل الاراضي

المحتلة وخارجها تشهد نهوضا جديدا وبارزا اعاد الامور الى مجراها الثوري الحقيقي وباتت بالتالي مثل هذه العمليات تجر الى نتائج سلبية مرة اخرى لانها تطمس من جديد النضالات المسلحة والجماهيرية المتعددة في الارض المحتلة وصمود الثورة في اماكن وجودها وتضعف الحس الجماعي نحو الانخراط الاوسع في صفوف الثورة .

ومن الزاوية التطبيقية ، وهي حصيلة العوامل الايديولوجية والسياسية ، ان هذه الاعمال تشجع على الجنوح نحو الروح الفردية وتلحق ضررا كبيرا في استعداد الجماهير للعمل المنظم والجماعي بمختلف اشكاله ضد الاحتلال ومشاريع الرجعية .

ان محاولات الارتقاء بالعمليات الفردية الخارجية الى مستوى الاستراتيجية في النضال هي تعبير عن فهم خاطئ، تماما لقوانين حرب الشعب ولدور مثل هذه العمليات على رغم كل

محاولات التنظير لها تحت عناوين « ضرب الامبريالية في كل مكان وملاحقة مصالحها في كل مكان » . ان مثل هذا الفهم يعبر في وضوح دقيق عن طبيعة القائلين به الاجتماعية والسياسية فهم ينتمون الى شرائح هامشية في صفوف الشعب من عناصر مثقفة برجوازية صغيرة تجد في المغامرة والبطولة الفردية ما يشبع نزعاتها الذاتية في المساهمة في قضية الثورة او من عناصر بروليتارية رثة . وكل من الفئتين ليست مزروعة في صفوف طبقات الشعب الوطنية بل طافية على سطحها وليست مرتبطة مصيريا بالمصالح الوطنية والطبقية لجميع الطبقات المعادية للاحتلال فهي تحتل

موقعا هامشيا اجتماعيا وهذا العمل يرضي غرورها وتعبر به عن قلقها الفكري السياسي المتمد .

وثيقة رقم - 16 -

مضمون تقرير لجنة حاريف حول عملية معالوت كما ورد في معاريف 1974/7/1 والصحف الإسرائيلية الأخرى.

لجنة "معالوت" الإسرائيلية تدين دايان وغور

● لم يطلعا بعناية على مطالب فدائيي الجبهة الديمقراطية

واخيرا صدر تقرير اللجنة الاسرائيلية الخاصة التي كلفت بالتحقيق في احداث عملية « معلوت » يوم ١٥ ايار ١٩٧٤ . ورغم ان الحكومة الاسرائيلية اقتطعت اجزاء من التقرير تحت ستار « دواعي الامن » فان الاقسام الباقية التي نشرتها اللجنة بعد اطلاع الكنيست عليها تفضح بشكل كامل دور دايان ومردخاي غور في الاعداد للمذبحة منذ بداية العملية في الصباح الباكر .

وكما هو وارد في هذا التقرير ، فقد انتقدت اللجنة الخاصة التي يرئسها القاضي حوريف، وزير الدفاع السابق موشي دايان والجنرال مردخاي غور رئيس الاركان ، وقالت « ان الحكومة الاسرائيلية في القدس تصرفت في ذلك اليوم على اساس معلومات غير واضحة وغير صحيحة لان هذين الرجلين اللذين كانا مسؤولين عن العمليات الاسرائيلية في ذلك المكان لم يقرأ بعناية !! مطالب الفدائيين الذين كانوا يحتجزون زهاء ٩٠ طالبا . » .

واضافت اللجنة ان الحكومة قررت التفاوض مع الفدائيين على اساس معلومات غير كافية، واكدت انه حكم على تلك المفاوضات بالفشل !!

وبعد صدور التقرير استقبل اسحاق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي رئيس بلدية معلوت واقارب القتلى في العملية من اجل اطلاعهم على النتائج التي توصل لها هذا التقرير . ولكن الصحف الاسرائيلية اضطرت الى الاعتراف بان اجزاء من التقرير لم تنشر لاعتبارات تتعلق بالامن او لعدم اثارة عائلات التلاميذ . وهذا وحده يكفي للدلالة على محاولات الحكومة الاسرائيلية لفلفة الفضيحة ومسؤوليتها الكاملة ، والتغطية على جرائم دايان التي ارتكبها بمعرفتها .

واهم النقاط التي يستخلصها التقرير هي الآتية : —

— « ان من المشكوك فيه انه كانت هناك امكانات حقيقية لمبادلة الرهائن بالفدائيين المحتجزين في سجون اسرائيل والذين كان فدائيو العملية الـ ٣ قد طلبوا اطلاقهم .

وحدثت اخطاء واهمال مما قلل ايضا فرص تجنب وقوع المأساة . ونقع مسؤولية الاهمال، الذي كان له اخطر العواقب ، على عاتق الجنرال موشي دايان الذي كان يتولى منصب وزير الدفاع في ذلك الحين والجنرال مردخاي غور رئيس هيئة الاركان لانهما لم يبلغا الحكومة نص الرسائل التي سلمت اليهما عن طريق ضابطة شابة من الجيش كان الفدائيون قد افرجوا عنها ..

— يؤكد التقرير ان دايان وغور لم يقرا هذه الرسائل واعتمدا اساسا على الحوار الشفوي الذي تم تبادله مع الفدائيين الـ ٣ عن طريق مكبرات الصوت ، وانه لو كانت الحكومة قد اطلعت على مضمون هذه الرسائل لما كانت اختارت الطريق غير الواقعي المتمثل في محاولة التفاوض ولكانت ادركت بطريقة افضل منذ الصباح الاحتمالات الحقيقية المتاحة امامها .

وكانت الجبهة الديمقراطية قد اكدت في بياناتها العلنية ان الفدائيين الثلاثة في معلوت يحملون ستة رسائل موجهة الى :

— الحكومة الاسرائيلية — سفير فرنسا في تل ابيب — سفير رومانيا — بلدية معلوت — ذوي الرهائن — ممثل الصليب الاحمر الدولي وقد سلمت هذه الرسائل الى احدى الرهائن من اجل ايصالها الى السلطات الاسرائيلية وتسلمها دايان بالفعل . وجاء التقرير حتى يؤكد هذه الحقيقة ويبين ان دايان اخفى هذهالرسائل ولم يطلع عليها احد . ولكن المضحك والمثير للغرابة ان تقرير اللجنة الخاصة يحاول تخفيف جريمة دايان بالقول انه — اي دايان — « اهمل قراءة الرسائل » التي استلمها !! ولكن الاكاذيب حبلها قصير وخاصة من النوع الاسرائيلي ، فقد قالت غولدا مائير في خطابها العلني مساء يوم ١٥ ايار بعد انتهاء العملية بالحرف الواحد « لقد اقتحموا المدرسة — اي الفدائيين الثلاثة — ... وسمحوا لاحدى المعلمات بالخروج من المدرسة حاملة مطالبهم، والتعليمات حول كيفية تنفيذها . » مما يدلل ان الحكومة الاسرائيلية كانت على معرفة بالمطالب واسلوب تنفيذها كاملا منذ الصباح الباكر ولم « يهمل دايان قراءة الرسائل » كما يقول تقرير اللجنة .

— ويتوقف التقرير عند المفاوضات التي جرت في ١٥ ايار في معلوت بواسطة جان هيرلي وايون كوفلتشي سفير فرنسا ورومانيا،

ويشير الى ان الاتصالات الاولى مع سفارة فرنسا جرت في التاسعة والنصف صباحا وان وزارة الخارجية الفرنسية سمحت لسفيرها عند الظهر بالتوسط ، وفي الساعة الاولى ابرقته بان يقدم نفسه رهينة اذا احتاج الامر .

ظل السفير الفرنسي ينتظر في مبنى القنصلية الفرنسية في حيفا ، « كلمة السر » التي تساعده على الدخول في اتصالات مع الفدائيين ، كما كان ينتظر ايضا امكان الذهاب الى معلوت في ظل حراسة عسكرية . وفي الساعة الثانية و ٣٥ دقيقة تلقت وزارة الخارجية الاسرائيلية في القدس نسخة عن برقية بعثت بها السفارة الفرنسية في دمشق الى الخارجية الفرنسية وجاء فيها ان «الكلمة السرية» لن تعطى للسفير الا بعد ان يصل الاسرى الـ ٢٦ ، بعد الافراج عنهم ، الى مكان امين ، وعندئذ يفرج الفدائيون الـ ٣ عن نصف المعتقلين ، اما النصف الاخر فيصحب الفدائيين الى طائرة توضع تحت تصرفهم في مطار اللد . وحين اصبح الفدائيون في الطائرة يهبط الرهائن من الطائرة ولا يبقى مع الفدائيين فيها سوى ملاحيها وممثلي الصليب الاحمر . وفي هذه الظروف لم يكن السفير يستطيع بالطبع تلقي كلمة السر . وقد وصل من دون هذه الكلمة الى معلوت واراد برغم ذلك الاتصال بالفدائيين ولكنه منع . ولم يتمكن السفير الفرنسي من التحدث الى وزير الدفاع ولا الى رئيس هيئة الاركان .

اذا فان الحكومة الاسرائيلية كانت تعرف في الساعة الثانية و ٣٥ دقيقة ماذا يجب عليها ان تفعله بالضبط ، رغم ان دايان قد اخفى الرسائل التي استلمها في الصباح ، وكان لدى هذه الحكومة وقتا كافيا حتى الساعة السادسة مساء لتنفيذ المطالب التي اصبحت تعرفها . وهنا ايضا يظهر كذب

الحكومة الاسرائيلية مرة اخرى .. فقد قالت غولدا مائير في خطابها العلني نفسه مساء يوم ١٥ ايار « قلنا للمخربين في معلوت ، وكذلك للسفير الفرنسي والروماني اننا جمعنا الـ ٢٦ مخربا وهم على اهبة الاستعداد للسفر . وقال المخربون في معلوت انهم يريدون ان تكون الاجراءات كالتالي : يتوجب علينا ان ننقل رفاقهم الى دمشق او نيقوسيا ،وعندما يصلون هناك يحصل السفير الروماني على كلمة السر ، وبحصوله على كلمة السر ، فهذا يعني ان المخربين وصلوا الى المكان ، وبعدها يكون المخربون في معلوت على استعداد لاطلاق سراح نصف الرهائن ، اما النصف الثاني فسوف يتوجه مع المخربين الى المطار ومن هناك يتم نقل المخربين والرهائن الى دولة عربية ! »

مائير كذبت ايضا كما يبدو ليلة انتهاءالعملية لاستدرار العطف وتهدئة الراي العام الثائر الذي واجه دايان في معلوت بالقول « انت القاتل ». فان تقرير اللجنة يؤكد كما ورد ان الحكومة الاسرائيلية كانت تعلم منذ ظهر يوم ١٥ ايار بمطالب الفدائيين الكاملة ، وان الفدائيين في معلوت لن يصطحبوا معهم الرهائن « خارج البلاد » كما قالت مائير ليلا في معرض تبرئة حكومتها ووزير دفاعها من المسؤولية .

ويستطرد التقرير قائلا :

— الى جانب هذه الاتصالات التي جرت مع فرنسا ، كانت قد تمت اتصالات اخرى بين المنظمة التي يرأسها نايف حواتمة والحكومة الرومانية في بوخارست . وكان ممثل حواتمة في بوخارست اعلن انه « الوحيد الذي له صلاحية » لاجراء هذه المفاوضات . ونظرا الى ان الشروط التي كان يضعها كانت تبدو في البداية اقل تشددا من تلك التي كان قد تم وضعها عن طريق وساطة فرنسا ، فقد اتجهت الجهود نحو المفاوضات التي تتم عن طريق رومانيا . ولكن الجهود في هذا الاتجاه ذهبت ايضا هباء وصدر في الساعة السابعة عشرة والدقيقة ١٥ امر بمهاجمة المدرسة خشية تنفيذ الفدائيين تهديداتهم في الساعة الثامنة عشرة والقيام بنسف المبنى » .

واعربت صحيفة « يديعوت احرونوت » ، في تعليق لها حول هذا الموضوع ، عن اعتقادها ان موشي دايان اراد منذ الصباح قتل الفدائيين بواسطة القناصة ولكن الجنرال غور اعرب عن شكوكه في امكان نجاح هذه العملية من دون حدوث خسائر كبيرة بين الجرحى !!

وحاول دايان اثناء مناقشةالتقرير في الكنيست القاء المسؤولية على الحكومة ، والمراوغةبشان الموافقة على مطالب الفدائيين بشان اطلاق سراح ٢٦ اسيرا في السجونالاسرائيلية قال دايان « ان السلطات لم تتعهد بتلبية كل مطالب الفدائيين . » اية مطالب رفضتها السلطات واية مطالب وافقت عليها ؟! دايان لا يجيب ويكتفي بهذه الاشارة الغامضة للتنصل من جريمته .

اكد التقرير ان « قراءة الرسائل التي استلمها دايان وغور بدقة كانت ستجعلهما يدركان في وقت مبكر ان الرسائل وحدها تتضمن الشروط الكاملة. » واضاف بقول « انالرسائل من نسختين احداهما بالعبرية والاخرى بالانكليزية وتحدد الشروط التي كانت موضع المفاوضات » . هذا وحده يكفي حتى يكشف دايان عن وجهه الحقيقي كقاتل عن سبق اصرار وتصميم .

وثيقة رقم - 17 -

وحدة الشهيد كمال ناصر / عملية معالوت / تصريحات حواتمة لصحيفة النهار 1974/5/15.

النهار

١٤ صفحة

اقصى التأهب شمال اسرائيل بعد عملية فدائيي الديموقراطية

حواتمه لـ"النهار": ارادوا انقاذ المطران وسنواصل عملياتنا داخل اسرائيل

البيان الاخير: انقطع الاتصال... سنقاتل حتى النهاية



وثيقة رقم - 18 -

عملية بيسان - وحدة الشهيد صقر عبد العزيز وتصريحات حواتمة للنهار البيروتية

20/ تشرين الثاني /1974.



النهار

مقتل ٤ إسرائيليين وجرح ٢٣ في عملية الجبهة الديمقراطية

حواتمه لـ"النهار": فدائيو بيسان ماتوا لانقاذ الفلسطينيين واليهود

"لا تعارض مع دخول الأمم المتحدة... وإسرائيل ستنتقم"

مجلس الوزراء يقر البيان الوزاري نهائيا

بيانكو

البيرق

دستوريات لبنانية

بعد عملية بيسان

بيريز: سنضرب بدون هوادة قواعد الفدائيين ومراكز في لبنان حتى يتم القضاء على آخر واحد منهم

في حديث خص ادلى به لـ "البيرق"

Four Israelis Killed, 20 Injured in Beissan Raid

PDFLP Says Israelis Stormed Held Building

4 Commandos Killed in Attack

Arabs Seek

الحياة

اطلب الحياة والدايلي ستار

عملية بيسان: ٤ قتلى و ١٨ جريحا اسرائيليا

نكلوا بجثث الشهداء بوحشية

ألبوم الصور



المهرجان الجماهيري الكبير في عيد انطلاقة الجبهة الديمقراطية ببيروت - الملعب البلدي 1978.



مهرجان الجبهة الديمقراطية - بيروت - الملعب البلدي الكبير شباط/ فبراير 1979
ناجي، اليماني، الشاوي، حواتمة، عرفات، أبو إياد.



المجلس الوطني الفلسطيني - الدورة 16 - الجزائر 1983.



المهرجان الجماهيري - 1982 - بيروت - قاعة جمال عبد الناصر



مهرجان الانطلاقة الكبير: سامي عطاري، عبد المحسن أبو ميزر، زهير مشارقة نائب الرئيس السوري، حواتمة، الفاهوم، محمود الزعبي رئيس الوزراء السوري، الياس اللاطي، د.عبد الحافظ نعمان.
وفي الصف الثاني قادة الجبهة الوطنية ـ دمشق/ شباط 1982.



طلال ناجي، سامي قنديل، انعام رعد، سليمان قداح، حواتمة، حبش، الفاهوم، النشاشيبي، طلعت يعقوب، محمد غنيم (أبو ماهر) ـ مهرجان انطلاقة الجبهة الديمقراطية ـ دمشق/ شباط 1983.


دورة المجلس الوطني التوحيدي مع الرئيس الجزائري بن جديد.

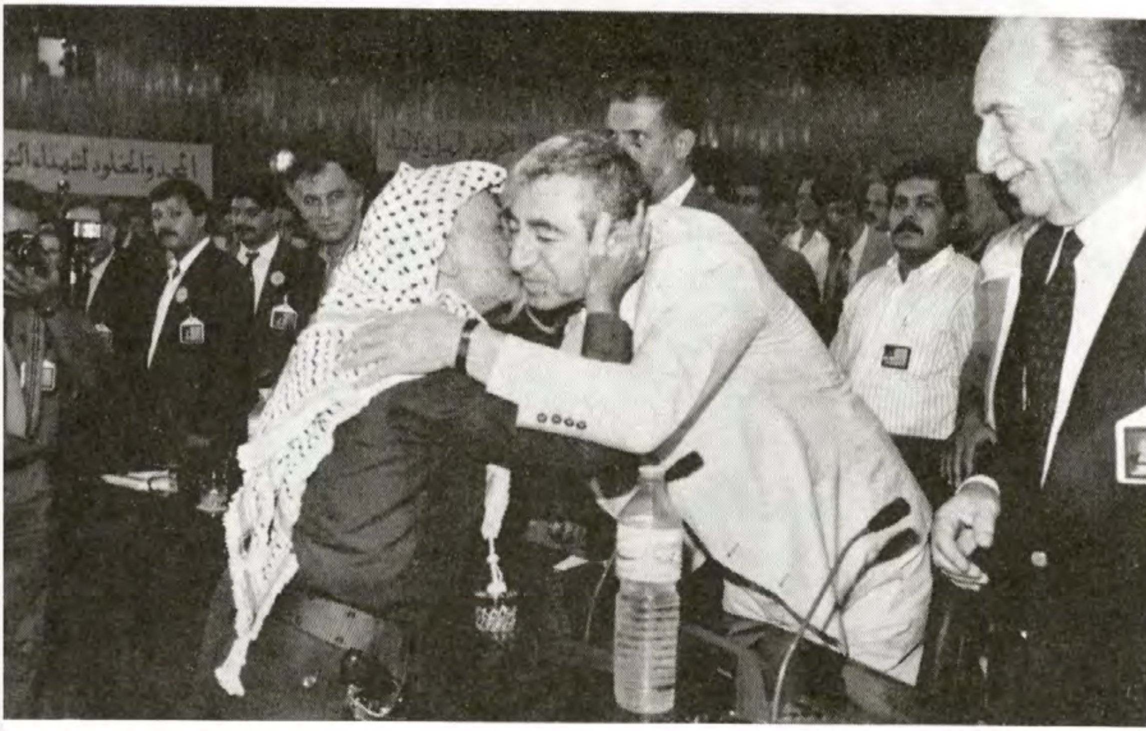

المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ تونس.



النشاشيبي، أبو إياد، عرفات رافعاً راية الجبهة الديمقراطية، حواتمة، نقولا الشادي، فواز طربلسي، كمال يونس.
بيروت ـ مهرجات المؤتمر الوطني العام الثاني للجبهة الديمقراطية 1981.



المجلس الوطني التوحيدي إلى قاعة قصر الأمم ـ الجزائر ـ نيسان/ أبريل 1987.



المجلس الوطني الفلسطيني ـ دورة إعلان الاستقلال ـ الجزائر 1988.



دورة المجلس الوطني في الجزائر ـ الالتزام بالقاسم الوطني المشترك.



المجلس المركزي لمنظمة التحرير، تونس.



اجتماع القيادة الفلسطينية ـ تونس 1988: خالد الحسن، أبو جهاد، حواتمة.



حواتمة في جبهة العرقوب ـ نيسان 1973.



عرض عسكري لقوات الجبهة الديمقراطية في جنوب لبنان آذار 1973، برعاية الشهيد عبد الكريم حمد قيس.



حواتمة، صالح زيدان - تل الزعتر، بيروت 1976.



الفاكهاني - مقر الجبهة الديمقراطية الإداري المركزي تم تدميره بقصف الطيران الإسرائيلي لبيروت لأول مرة في تاريخ العاصمة. سقط أكثر من ثلاثين شهيداً من العاملين بالمقر، وأكثر من 150 شهيداً وجريحاً من السكان المدنيين - 17 تموز 1981.



في مؤتمر صحفي مشترك: أبو إياد، حواتمة، محمود رياض أمين عام الجامعة العربية في بيروت إثر اندلاع الحرب الأهلية - نيسان 1975.



بسام الشكعة - حواتمة.



في وداع الشهيد صلاح خلف . تونس 16 1 1991



نايف حواتمة يتوسط فيصل الحسيني ومطران القدس سمير قفعيتي (رويتر)



مع مطران القدس: المناضل ايلاريون كبوجي 1996



المجلس الوطني الفلسطيني: حواتمة والشيخ التميمي ـ الجزائر 1991/9/24



مع الوفد الصحفي المرافق لوزير الخارجية الأمريكي كريستوفر - 1995.



فلسطينيون يشاركون بمسيرة في مدينة رام الله احتفالا بذكرى تأسيس الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (رام الله)، (رويتر)

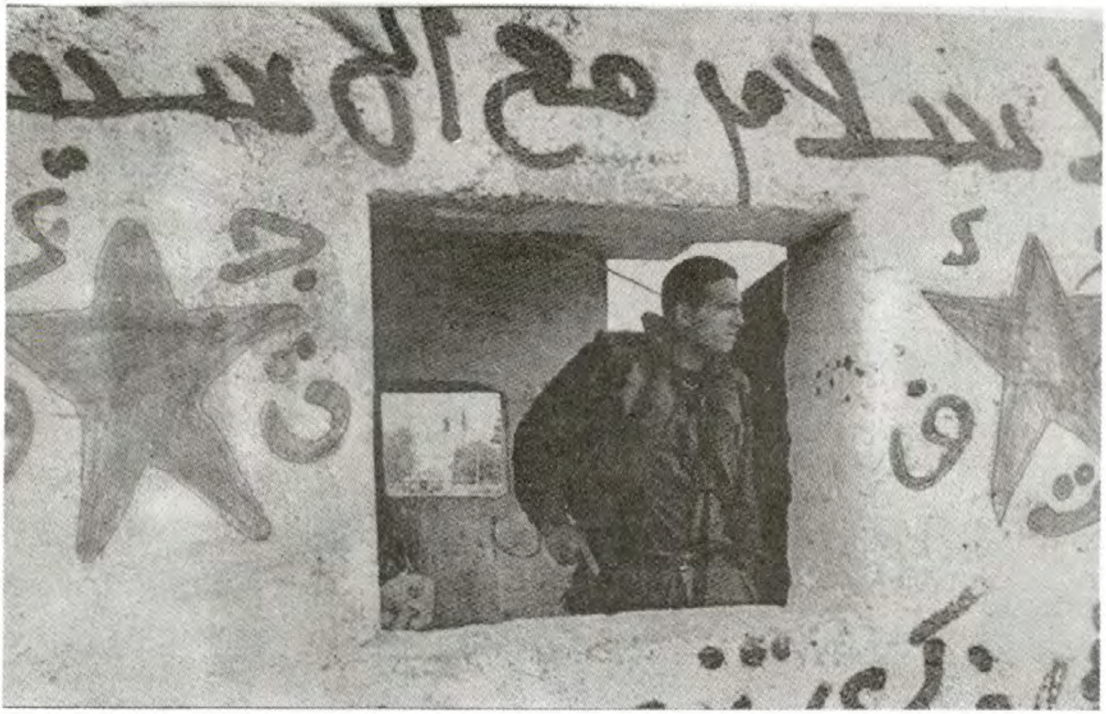


منديلا الفلسطيني: بتاريخ 4 حزيران 1989 وفي إحدى المستشفيات التابعة لإدارة السجون الإسرائيلية . استشهد المناضل الفلسطيني عمر محمود القاسم، وكان قد قضى في اعتقاله 21 سنة رفضت السلطات الإسرائيلية خلالها اطلاق سراحه للعلاج. تطلق الصحافة الإسرائيلية عليه لقب «منديلا الفلسطيني»

على دروب الاستقلال ـ شهادات من واقع الحال في فلسطين ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ دائرة الثقافة 1989



الشهيد عمر القاسم محمولاً على أكتاف أبناء القدس



جندي إسرائيلي يراقب فلسطينيين في قرية خربثا من ملجأ عليه كتابات ضد الاستيطان



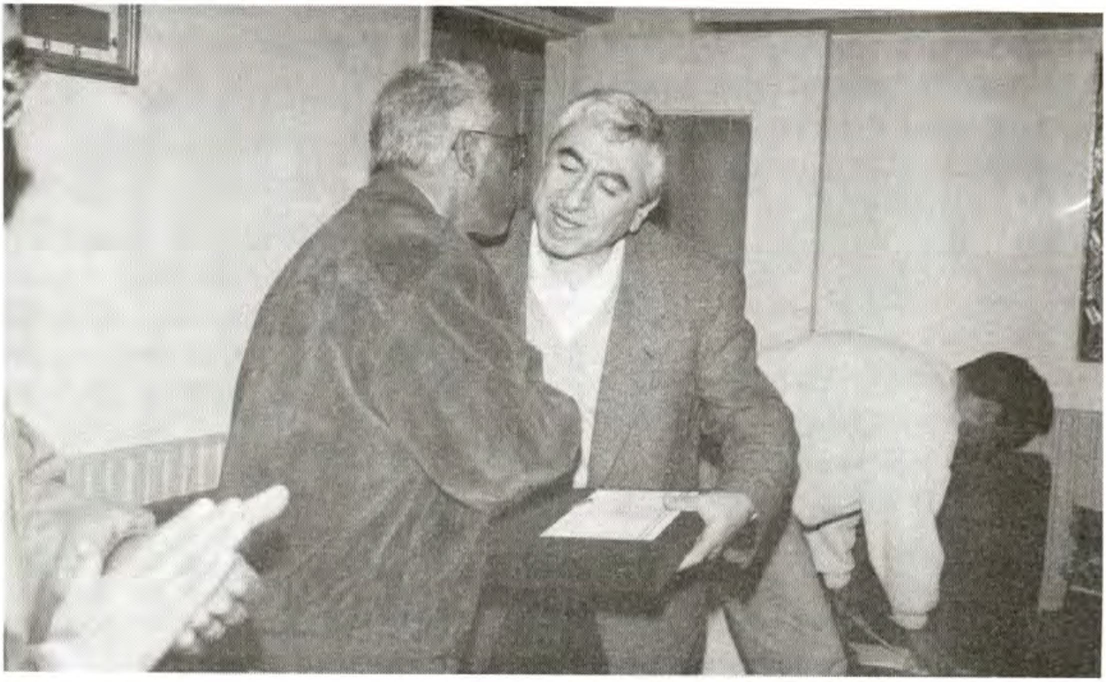
المتشائل المبدع اميل حبيبى - نعيم الأشهب - حواتمة - د.حداد.



الفنان توفيق عبد العال - المسرحي سعد الله ونوس ووسام القدس - 1994.



المسرحي المبدع سعد الله ونوس وتكريمه وسام القدس - الجبهة الديمقراطية - 1994.



الروائي المبدع عبد الرحمن منيف ـ تكريمه وسام القدس ـ الجبهة الديمقراطية ـ 1994.



المخرج السينمائي المبدع محمد ملص ـ تكريمه وسام القدس ـ الجبهة الديمقراطية "السيدة ملص تتسلم الوسام" 1994.



مع الرئيس حافظ الأسد.



مع الرئيس الجزائري هواري بومدين 1976.



مع عبد الفتاح اسماعيل، رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، أمين عام الحزب الاشتراكي ـ عدن.



العقيد معمر القذافي، حواتمة، حبش.



الرئيس علي عبد صالح، طه ياسين رمضان، عرفات، حواتمة.



مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد.



مع علي ناصر محمد رئيس اليمن الديمقراطي.



جبهة الصمود - القمة الأولى - طرابلس - ليبيا - كانون الأول/ ديسمبر 1977.



مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ـ أبو ظبي.



مع الرئيس الجزائري اليامين زروال ـ الجزائر 1996/8/9.



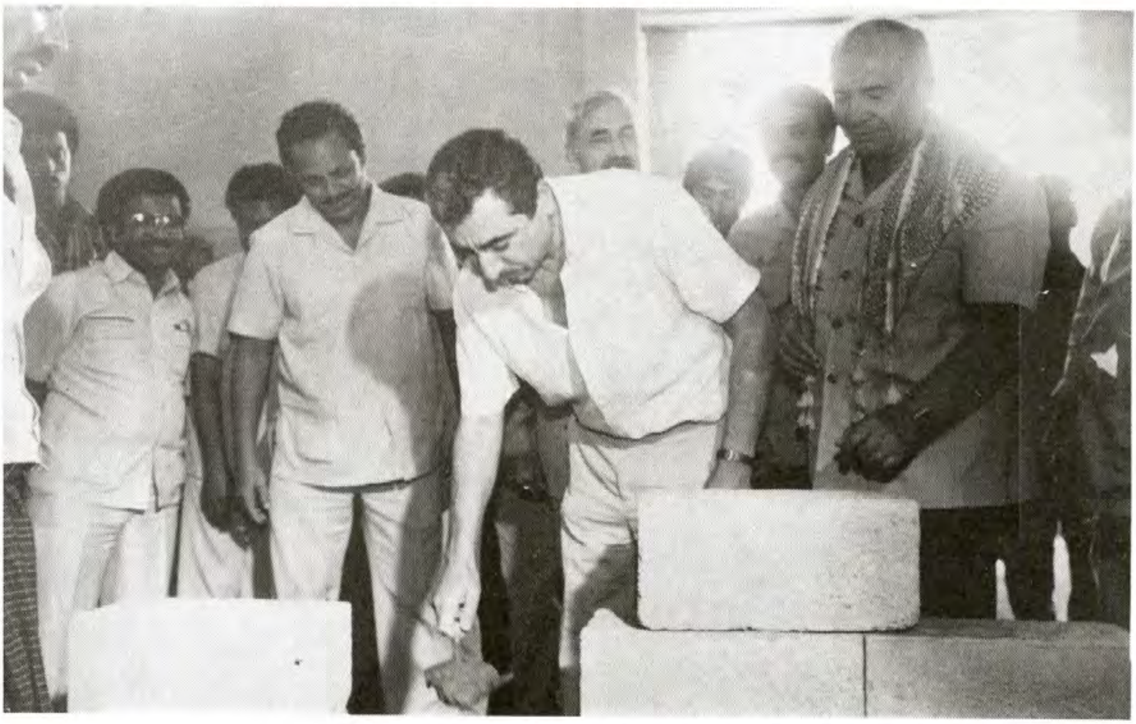
مع الحبيب بن يحيى - وزير خارجية تونس - عضو الديوان السياسي - تونس 1996/8/10.



مع الرئيس السوداني عمر البشير.



بعد المباحثات مع الملك الحسن الثاني زيارة ضريح الملك محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب 1991/12/5.



خالد محي الدين عضو قيادة ثورة 23 تموز/ يوليو، زعيم حزب التجمع الوحدوي (مصر)، حواتمة، حبش، الرئيس علي ناصر محمد ـ عدن.



مع المشير عبد الله السلال قائد ثورة 26 سبتمبر 1962 ـ أول رئيس للجمهورية اليمنية ـ صنعاء.



مع كمال جنبلاط في مهرجان الجبهة الديمقراطية ـ جامعة بيروت العربية ـ قاعة الرئيس جمال عبد الناصر 1975.



كمال جنبلاط، العميد ريمون إده، حواتمة.



كريم أحمد (الحزب الشيوعي العراقي)، نقولا الشاوي (الحزب الشيوعي اللبناني)، محسن ابراهيم (منظمة العمل الشيوعي)، حواتمة، ميشيل كامل (الحزب الشيوعي المصري) - بيروت 1975.



حبش، جورج حاوي، حواتمة، يوسف الفيصل.



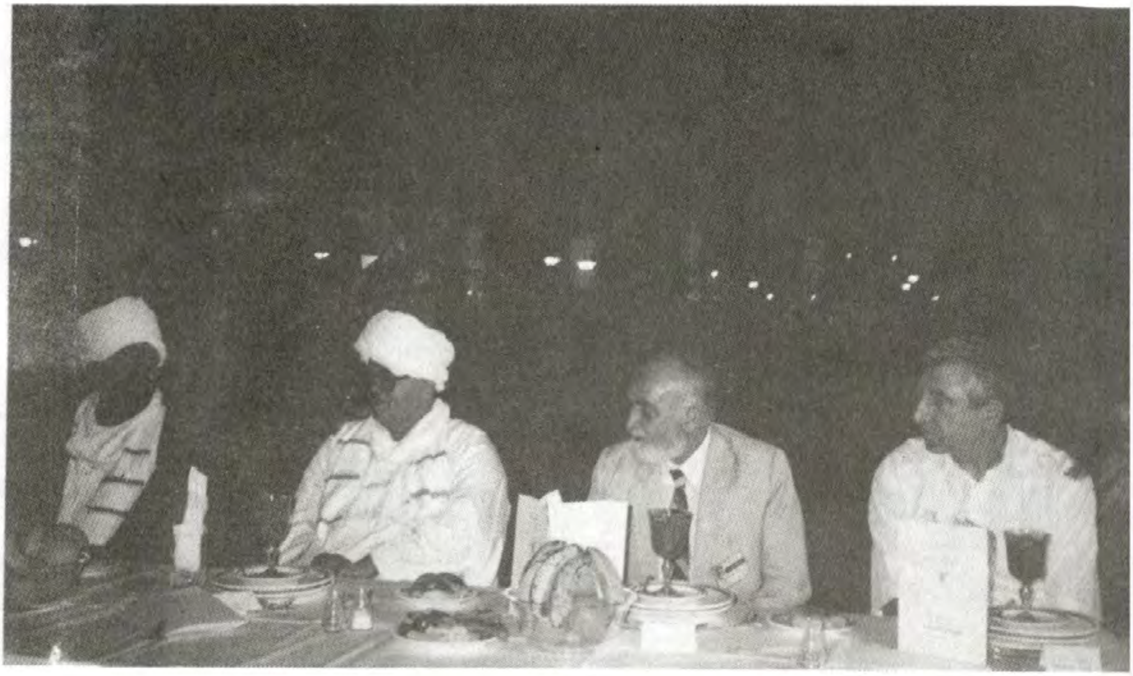
في عيد ميلاد خالد بكداش السبعين: حواتمة، سفير اليمن بدمشق، محمود الأيوبي، خالد بكداش، عبد الرؤوف الكسم رئيس الوزراء السوري، وصال بكداش، نجاح العطار، خالد الفاهوم.



الفريق محمد فوزي وزير الدفاع، قائد الجيش المصري في عهد عبد الناصر، ضياء الدين داوود أمين عام الحزب العربي الديمقراطي الناصري - مصر.



الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان الجيش المصري - حرب أكتوبر/ 1973 - مصر.



حواتمة، مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين (مصر)، الفريق عمر البشير - الخرطوم 1995.



مع الدكتور حسن الترابي رئيس المجلس الوطني السوداني (البرلمان) الخرطوم - 1996.



حواتمة، فاروق دحروج (الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني) كانون أول/ ديسمبر 1996.



مع مانغستو هايلي مريام قائد الثورة الأثيوبية ضد الإقطاع الامبراطوري، رئيس الجمهورية. والمباحثات تركزت على تطويق الحرب الوشيكة بين أثيوبيا والصومال وحماية منطقة البحر الأحمر من الأطماع الامبريالية والتوسعية الصهيونية. كما تناولت الجهود لحل المشكلة الأرتيرية على أساس تقرير المصير. أديس أبابا - نيسان/ أبريل 1978.



زياد برّي رئيس جمهورية الصومال، حواتمة، سعيد عبد الهادي في زيارة مقديشو العاصمة ومباحثات لتطويق الحرب الوشيكة بين الصومال وأثيوبيا - نيسان/ أبريل 1978.



مع أسياس أفورقي الرئيس الأرتيري أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا. وفي إطار جهود الجبهة الديمقراطية بين الحركة الأرتيرية وأديس أبابا نحو حل ديمقراطي على أساس حق تقرير المصير لشعب أرتيريا والعلاقات الطبيعية السلمية بين القوميات في القرن الأفريقي - بيروت - نيسان/ أبريل 1978.



نايف حواتمة يسلم الرئيس الكوبي فيدل كاسترو درع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ـ هافانا 1977.



هافانا - كوبا - مع الرئيس فيدل كاسترو.



الكسي كوسيغن رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي، بوريس بوناماريوف عضو المكتب السياسي، عرفات، حواتمة. أول زيارة لموسكو بعد حرب أكتوبر مباشرة 1973.



بريماكوف وزير الخارجية الروسي، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي السابق.



مع فالنتينا تيرشكوفا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي، أول رائدة فضاء سوفييتية وفي العالم وعضو الدوما (البرلمان) الروسي، حواتمة، قيس عبد الكريم، سعيد عبد الهادي - موسكو.



مع الكسندر دزاسوخوف، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي (1991) عضو الدوما الروسي (البرلمان)، رئيس لجنة العلاقات الروسية ـ العربية في مجلس الدوما.



مع بروفسور ميخائيل كابيتسا النائب الأول لوزير الخارجية السوفييتي أندريه غروميكو ـ موسكو ـ وزارة الخارجية.



إكليل من الزهر على ضريح الجندي السوفييتي المجهول. موسكو - الكرملين.



الوفد الفلسطيني إلى موسكو في أول زيارة بعد حرب أكتوبر 73 والاعتراف السوفييتي الكامل بمنظمة التحرير الائتلافية ممثلاً شرعياً وحيداً لشعب فلسطين وحقه في تقرير المصير والدولة المستقلة. إكليل من الزهر على ضريح الجندي المجهول - عرفات، حواتمة، القدومي، الفاهوم، وراد.



مع فالنتين نيكيتن عضو مجلس الرئاسة (المكتب السياسي) للحزب الشيوعي الروسي، نائب رئيس لجنة العلاقات القومية في الدوما (البرلمان) الروسي - 22 كانون الثاني/ نوفمبر 1996.



مع دو شوي تشاي نائب رئيس المجلس الاستشاري (مجلس الرئاسة الصيني) عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني. بكين - قصر الشعب - أيلول/ سبتمبر 1996.



مع شاو شي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني. بكين ـ قصر الشعب ـ كانون أول/ ديسمبر 1992.



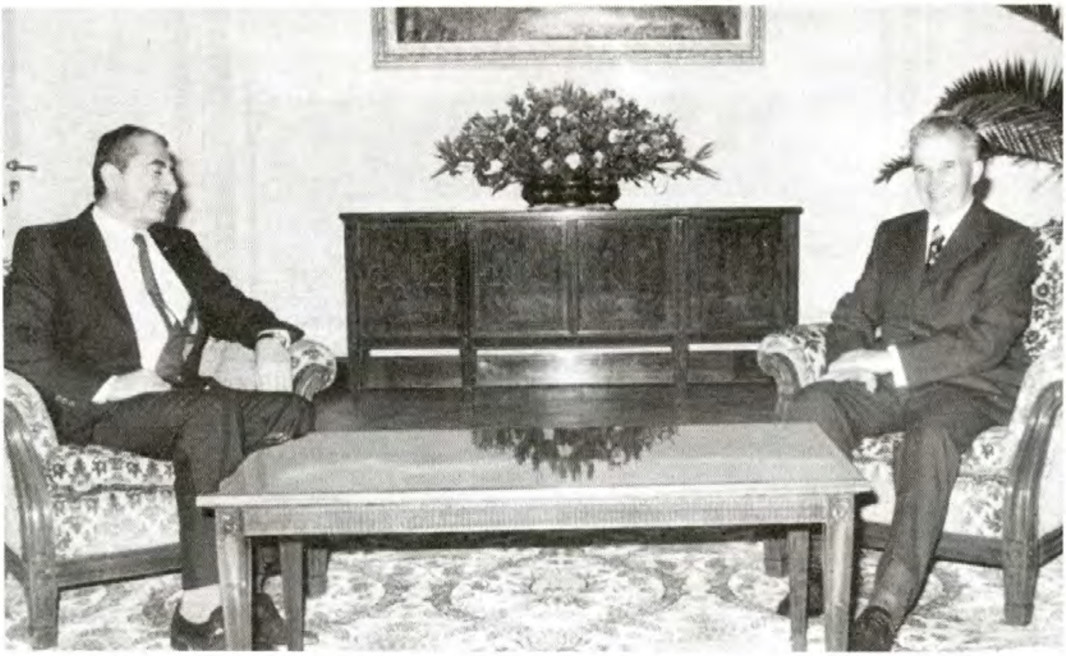
عند ضريح ماوتسي تونغ ـ ساحة السلام السماوي ـ بكين 1992.



فيتنام - هانوي - مع نغوين زوي تشين عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي



مع هنغ سامرين الرئيس الكمبودي - العاصمة فنوم بنه - كمبوديا.



مع الرئيس الروماني نيقولاي تشاوشيسكو - بوخارست 1988.



مع دانيال أورتيغا رئيس جمهورية نيكاراغوا، قائد الثورة الساندينية - ماناغوا - نيكاراغوا 1991



مع شفيق حنظل زعيم جبهة فرابندومارتي ورئيس الجناح اليساري في الائتلاف الحكومي (يسار/ يمين) بإشراف الأمم المتحدة في جمهورية السلفادور - أمريكا الوسطى. تيسير خالد - حنظل - حواتمة.



وفد الجبهة الديمقراطية: فهد سليمان، محمد البطل مع غينادي زياغانوف رئيس الحزب الشيوعي الروسي - موسكو



فريق العمل أثناء إعداد مادة الكتاب في المكتبة الثقافية الفلسطينية - مخيم اليرموك - تموز 1996.
حواتمة، فرات زكريا، علي بدوان، عماد نداف.



أحد جنود الاحتلال يمنع فلسطينيين من الانضمام إلى إسرائيليين في تظاهرة ضد الاستيطان في القدس (أ.ف.ب)

فهرس الأسماء

الألف

الباء

الهاء

الواو

الزاي

الحاء

الطاء

الياء

الكاف

الفاء

الصاد

القاف

الراء

الشين

التاء

الخاء

الضاد

الغين

نايف حواتمة يتحدث...

دار الكاتب

كلمة الناشر

في هذا الكتاب نتعرف على قضايا العلام الكبرى التي وضعها نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، في تاريخ الحركة القومية العربية الحديث والراهن، حركة التحرر والتقدم العربية بمحاورها وأطيافها وألوانها الفكرية والحزبية المتعددة وحركة المقاومة الفلسطينية، باعتباره أحد أبرز قادة ومطوري هاتين الحركتين، والكتاب يتناول مسار التحولات العاصفة الوطنية والقومية بإنجازاتها وانتكاساتها وصراعاتها وبمراجعة نقدية ذاتية وعامة لا تتوقف...

ومن النقد والتحليل والتوقعات في هذا الكتاب، وبالحوار مع الكاتب الصحفي عماد نداف، نحصل على رؤيا ملموسة وموثقة هامة للتطور السياسي العربي المباشر بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص، لأن نايف حواتمة حوّل الحوار الذي يجري معه، من عمليات فكرية ثورية وسياسية عند تخوم ذاكرته، إلى حالة استشراف حي للمستقبل بروح نقدية شجاعة، مستندة إلى وقائع وأسرار فلسطينية وعربية ودولية من مواقع الفعل وصنع الحدث، كثيرها يرى النور لأول مرة، وينظمها منهج فكري واقعي متماسك في نقد وتطوير الحركة الوطنية والقومية على قاعدة حق الشعوب بتقرير المصير والديمقراطية والتقدم إلى أمام.

إنه لم يشأ تحويل التاريخ بما هو ماض وحاضر معاش إلى حكاية، بل أراده مرتكزاً يبني عليه في صياغة الحاضر والمستقبل، وخلال ذلك أضحى كل شيء بمثابة دراما سياسية نلاحق أحداثها، منذ نكبة 1948 وصولاً إلى الانتفاضة الفلسطينية، وتطورات الحدث الراهن من مدريد إلى أوسلو والسلام الآخر المتوازن.

«نايف حواتمة يتحدث» كتاب يتدفق بالحياة، من أبرز إن لم يكن أبرز الكتب السياسية التي صدرت مؤخراً، حقاً إنه «مجموعة كتب في كتاب واحد».